

نفحات منبرية

في

تاريخ المئة الأولى
الهجرية

ألقاها في جامع الجراح والدرويشية

الشيخ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني

الشافعي الدمشقي

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الرابعة
١٤٣٣ هـ — ٢٠١٢ م

يطلب من
المؤلف مباشرة
٣٧٣٣٣٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نفحات منبرية

في

تاريخ المئة الأولى
الهجرية

الإهداء

- إلى أشرف العرب والعجم
- جدي وقرة عيني سيدنا رسول الله ﷺ
- ومن جنابه الشريف
- إلى السيدين الوالدين الكريمين
- العلامة الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني
- والعابدة التقية السيدة حورية السبيعي
- رجاء أن يجعله الله تعالى في صحيفتيهما يوم
القيامة

آمين

مُقَدِّمَةٌ

صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا بإظهار سيد البشر، وقدّر ولادته في شهر ربيع الأنور

أحمدته سبحانه وتعالى وهو الذي وعد المزيد لمن شكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحى بها ذنبنا الصغير والأكبر.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله... صاحب المعجزات التي على مرّ الزمان ذكرها ينشر.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المصاييح الغرر، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فتقف اليوم بإجلال أمام شخصية عظيمة فاقت شخصيات الدنيا منذ أن خلق الله البسيطة وإلى أن تقوم الساعة، إنه ليس بملك ولا برئيس، لأن أغلب الملوك قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ .

إنه النبي المرسل الذي أنبت الله بمولده الزرع والضرع بعد القحط والجذب، وعلم الناس بعد أن كانوا كالبهائم، وأخرجهم بعد أن كانوا في ظلمات الأصنام والجاهلية إلى النور والهداية.

إننا بصدد الحديث عن رسول الله ﷺ الذي كان يقول:

« أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر » .

- وكان يقول بتواضع: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

إنها شخصية السيد الأعظم، رسول رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين:

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

الذي ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال: لبيك لبيك.

(م) « ما ضرب بيده شيئاً قط ، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله »

(ق) «ولا خير بينَ الزمن إلا اخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد
الناس منه »

«وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم
الله عز وجل »(ق)

نبيّ كريم لخص بعثته إلى الناس في كلمتين بليغتين فقال ﷺ :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ومع هذا كان يردد في دعائه:

« اللهم كما حسّنت خلقي فحسّن خلقي » . إنه:

محمد سيد الكونين والثقلين	و الفريقين من عرب ومن عجم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته	لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به	مستمسكون بجبل غير منفصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم ولا كرم
فإن فضل رسول الله ليس له	حدّ فيعرب عنه ناطق بفم
لاطيب يعدل ترباً ضم أعظمه	طوبى لمنتشق منه وملتشم

فمن أين جاء هذا الرجل العظيم بما جاء به من بليغ القول، ورفيع الدلالة، وسامي الأخلاق، وعالي الصفات، يفوق بشجاعته الصناديد والأبطال، ويُبذّر برأيه الثاقب وحسن تدبره للأمور أعظم الساسة وأكبر الحكماء، ويدو في علمه كأنه البحر الزاخر لا يقف عند حد، وليس له انتهاء، ويسمو بحلمه ورفقه ولطيف معاملته فوق كل ذي مكانة ومقام.

ها هو يشترك مع المهاجرين والأنصار في رفع اللَّيِّنَات لبناء مسجد المدينة، وينشد معهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وها هو يقوم الليل بركعتين يقرأ في الركعة الأولى سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام حتى تتشقق قدماه، ويبكي من شدة خشوعه بكاءً شديداً، ودموعه تسيل على خديه الشريفين ، ثم يركع فيبكي ثم يرفع رأسه فيبكي ثم يسجد فيبكي حتى يتلّ مكان سجوده من كثرة الدموع، وهو لم يزل هكذا حتى يطلع الفجر، وتشفق عليه السيدة عائشة رضي الله عنها وتقول:

. يارسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!.

فيقول لها:- يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً ، (أفلا أشكر الله على نعمته علي)!!.

وفي بدر ينظر إلى المسلمين فيستقلّهم وإلى المشركين فيتكاثرهم فيركع ركعتين يقوم سيدنا أبو بكر عن يمينه فيسمعه وهو يقول:

اللهم لا تخذلي، اللهم أنشدك ما وعدتني، يا حي ياقيوم، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة (الجماعة) من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض..

فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فالتزمه الصّديق من ورائه وقال له:

. كفأك يا نبي الله بأبي أنت وأمي مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك.

فأغاثه الله بالمدد من الملائكة المكرمين، وبالنصر من لدنه سبحانه.

ويوم حنين، وبعد أن انهزم المسلمون في أول المعركة يقف السيد الأعظم أمام هذه الجموع الزاحفة ويتناول قبضة من التراب ويلقيها في وجه القوم ويقول:

- شأهت الوجوه، شأهت الوجوه.

ثم يعلن أمام هذا الجمع فيقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم يدير المعركة بكل حزم وحكمة وينزل بنفسه إلى الميدان فيقارع الأبطال حتى يهزم الجمع ويولّون الدبر، وكان الصحابة يقولون:

. « كنا إذا حمي الوطيس واشتدت المعركة احتمينا برسول الله » أو كما قالوا.

هذا هو الرسول الكريم، ومعلم الدنيا والدين ، يرى صبيّاً يتقدم نحو الطعام فيأكل بيسراه فيمسك يده برفق ويقول له:

. يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك.

وأوصى ابن عمه سيدنا عبد الله بن العباس فقال:

« يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك » .

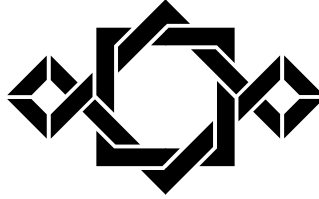
بهذه الأخلاق الكريمة، والمزايا الحميدة، والوصايا الرشيدة انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ونحن آن لنا أن نفتتح ملف سيرة هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم عسى
الله أن يأذن لهذه الأمة بميلاد عز مديد، وتستيقظ بعد غفلتها من جديد، فتتأسى
بهذه السيرة العطرة عملاً بقوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر
الله كثيراً﴾ .

ثم نتبع هذا الملف بملف سيرة الخلفاء الذين لا يمكن أن ندرك فضلهم حتى ندرك
فضل هذا النبي الكريم ﷺ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم
وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك



الجزء الأول

السيرة النبوية

من الولادة إلى الهجرة

ومن الهجرة إلى الوفاة

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (١)

الولادة المباركة

الحمد لله الذي فضل أمة حبيبه المصطفى على سائر الأمم، وشرفهم باتباعهم لأشرف العرب والعجم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. تجلّى على قلوب أحابيه بالأنس والرضوان ، وأسبغ عليهم نعمه الوافرة الجزيلة بمحض الفضل والإحسان .

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ونبه المجتبي وصفيه المرتضى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الكرام، وسلم تسليماً.

أما بعد: فنقضي هذه اللحظات المباركة والساعات الطيبة في رحاب سيد الخلق وحبيب الحق، ونحن نتنسم أنفاسها الطيبة وأنسامها العطرة، بدءاً من أول أمره ﷺ إلى منتهاه.

روى الإمام أحمد وغيره عن أول أمر المصطفى ﷺ حيث يقول ﷺ :

« إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأحدثكم بأول أمري: دعوة إبراهيم: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

وبشارة عيسى: ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ .

ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام» .

أيها الإخوة: تعالوا نعش مع مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية:

وأسدت للبرية بنت وهب يداً بيضاء طوّقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً منيراً كما تلد السموات السحابا

معشر السادة الكرام :

كل مولود منا يأخذه أبوه ليسجله في السجل المدني، أما سيدنا محمد فعندما ولد تلفت ذات اليمين وذات الشمال فلم يجد له أباً لأن أباه كان تحت أطباق التراب قد سبقه إلى العالم الآخر، وتلك حكمة ربانية إذ أراد الله لنبيه أن يولد يتيماً حتى لا يقول: أبي أبي وإنما يقول: ربي ربي.

فمن الذي سجل اسم الحبيب محمد ﷺ ، إن الذي سجل اسمه هو الله سبحانه سجله بالقلم البديع في اللوح المحفوظ: ﴿محمد رسول الله﴾ (الحشر).

وانظروا إلى الأسماء التي اختارها الله لنبيه، سمّاه محمداً : ولم يكن هذا الاسم معروفاً في الجاهلية إذ كان العرب يُسمُّون عبد العزى - حنظلة - جبلة. بينما سمّاه ربه محمداً لأجل أن تصلوا عليه كلما ذكر. وحينما وجّه هذا السؤال إلى جده شيبه الحمد عبد المطلب لم سمّيته محمداً قال:

«رأيت في منامي كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري لها طرف في السماء وطرف في الأرض ، وطرف في الشرق وطرف في الغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فأولها المعبرون بمولود يكون من صليبي يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض»

ولأجل ذلك سمّيته محمداً.

أما أبوه فاسمه عبد الله ، وهو من الأسماء الخيرة التي يسمى بها الولد إذ خير الأسماء "عبد الله وعبد الرحمن". كان أحد شرفاء مكة، وهو صورة طبق الأصل من جده عبد المطلب، ولو أمهله الزمن لتولى مناصب الشرف التي كانت بيد عبد المطلب، وكان شعاره الذي ألزمه طيلة حياته ما عبر عنه بقوله:

أما الحرام فالممات دونه والحل ما حل فأستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالأمر الذي تبغينه

تقول له فاطمة الخثعمية وقد أعرض عنها لما دعتة إليها: فقال فيها هذين البيتين:
- إني لأعرف فيك نسك أبيك.

وأما والدته سيدتنا النبي فهي السيدة آمنة بنت وهب، آمنة: من الأمن والطمأنينة،
سيدة نساء عصرها تقوى وورعاً .

وكانت مرضعته ﷺ السيدة حليلة السعدية: حلم وسعد.

وقابلته : الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهن وأرضاهن.

الله ما أحسن هذه الأسماء اللامعة المضيئة في سماء الإسلام ، وقد مر على الناس زمان كانوا يتفننون باختيار أسماء أعجمية فارسية أو أجنبية لأولادهم، وربما غريبة نصرانية أو يهودية. وأما اليوم فإن المسلمين قد عادوا- والله الحمد- يفتخرون بتسمية أولادهم بأسماء الصحابة فاستبشروا بالمجد والنصر يا معشر المسلمين.

ولو نظرنا إلى نسبه الشريف من ناحية والده وأسلافه، ومن ناحية والدته وأخواله فإننا نجدهم من أشرف بيوت مكة وأكرمها وأسمها بشهادة المؤرخين، يقول الكلبي صاحب كتاب الأنساب:

- كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أم فما وجدت فيهم سفاحاً ولا شيئاً مما كانت عليه أمور الجاهلية.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال: نقلتك من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً .

ولذا يقول ﷺ: « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم، إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم » . فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، (فصلوا عليه).

وقد عدد الرسول ﷺ أسماء فيما بعد فقال:

« إن لي أسماءً : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر (الذي يحشر الناس على قدمي)، وأنا الماحي: الذي يمحو به الكفر، وأنا العاقب (لأنني بعدي) » .
وهو نبي الرحمة ونبي التوبة. فصلوا عليه.

إخوة الإيمان :

هذه صحيفة التحقيق التي يسميها المعاصرون بالبطاقة الشخصية، نقاء وصفاء ونور واصطفاء .

تقول السيدة آمنة لما حملت به: ما شعرت أني حملتُ به، ولا وجدت له ثَقَلًا كما تجدد النساء إلا أني أنكرت حيضتي، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال:
. هل شعرت أنك حملتِ ؟ .

فكأنني أقول: لا أدري.

فقال: - إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبئها.

قالت: فكأن ذلك مما أيقن عندي الحمل. ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال:

- قولي إذا ولدته: أعيزه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً .

وفي رواية الإمام أحمد: سمعت وجبة عظيمة، وأمرأً عظيماً هالني، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميين، ثم التفتُ فإذا أنا بشربة بيضاء لبناً ، وكنت عطشى فتناولتها فأضاء مني نورٌ عال.

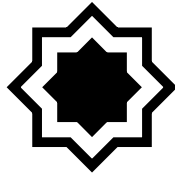
وحضرت قابلته ﷺ وهي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ومسحت بيدها على بطني وقالت: بسم الله. اخرج بإذن الله.

فأخذني المخاض فوضعت ولدي محمداً، فوقع على كفيه وركبتيه على الأرض شاخصاً ببصره إلى السماء، وسمعته وهو يقول:

جلال ربي الرفيع، الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وأهوى ساجداً لله تعالى. فصلوا عليه وسلموا تسليماً :

ولد الهدى فالكائنات ضياء	وفم الزمان تبسمٌ وثناء
الروح والملائكة حوله	للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والخطيرة تردهي	والمنتهى والسّدرة العصماء
بك بشر الله السماء فزينت	وتضوعت مسكاً بك الغبراء
يوم يتيه على الزمان صباحه	ومساؤه بمحمد وضاء

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.



الحلقة (٢)

رضاعه ﷺ

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة سيدنا أبي القاسم ، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال: لأشرف أحبابه مقسماً بآية من كتابه:

﴿والضحى، والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله الذي قال لمولانا عز وجل عندما نزلت هذه السورة: يا رب لا أرضى وواحد من أمتي في النار.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فلم يزل رسول الله ﷺ ينتقل من أصلاب الرجال الطاهرين إلى أرحام النساء الطاهرات الزاكيات حتى بعثه الله هادياً مهدياً فهو ﷺ :

سيد ولد آدم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أشرف العالمين نسباً وأطهرهم حسباً إذ أن جده هو سيدنا إسماعيل بن خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

رعاه الله وحماه، وأدبه وعلمه ووقاه، ولد يتيماً فكفله جده شيبه الحمد عبد المطلب ابن هاشم، أرسلت إليه السيدة آمنة أم النبي الرؤوم تبشره بمولد حفيده زينة الدنيا ونور الكون، فنهض ومعه بنوه حتى أتى آمنة بنت وهب: وأكرم من الولد ولد الولد، وأقرب من الوليد الابن الحفيد، نظر إليه ثم أخذه إلى صدره وحنا عليه وسمّاه محمداً: أي يتجدد حمده أنا بعد أن بشكل مستمر لما تكون منه فعال الخير المتجددة، وفعال الخير تقتضي الحمد والثناء.

وسمّاه ربه في الإنجيل أحمد: أي كثير الحمد والثناء على الله تعالى.

وهكذا راح عبد المطلب بالنبي الوليد إلى الكعبة بيت الله وراح يهتف بالكلمات الطيبات المعبرة عن الفرح والحبور وعن الشكر والسرور:

الحمد لله الذي أعطاني	هذا الغلام الطيب الأردان
قد فاق في المهدي الصبيان	أعيزه بالبيت ذي الأركان
من كل ذي بغى وذي شنان	وحافظ مضطرب العنان

كانت هذه- أيها الإخوة- أولى البشائر التي أجزاها الله على لسان عبده شيبه الحمد الذي ازداد على الأيام حباً لهذا الغلام، ورعاية وإحساناً.

معشر السادة الكرام:

ولد سيدنا النبي ﷺ مسروراً مختوناً، أي مقطوع السرة، طاهراً مطهراً، زكي الرائحة يتألاً وجهه تألؤ القمر ليلة التمام.

وظل أياماً لا يذوق من أمه قطرة لبن سوى ما يمضغه من إبهامه، وكان أول من رضع منهن:

أمه السيدة آمنة بنت وهب، ثم رضع من :

١- السيدة ثويبة جارية أبي لهب وكان قد أعتقها.

٢- ثم أم أيمن بركة الحبشية.

٣- ثم خولة بنت المنذر.

٤-٦: ثم ثلاث نسوة من بني سليم كل واحدة منهن تدعى عاتكة، لذلك كان يقول ﷺ « أنا ابن العواتك من سليم » .

٧- السيدة حليلة السعدية (بنت أبي ذؤيب).

إخوة الكرام : اتفقت كلمة رواة السيرة، وقلما يتفقون أن بادية بني سعد (قوم حليلة

التي سعدت برضاع السيد الأعظم) كانت تعاني جدياً وقحطاً فما هو إلا أن صار سيدنا محمد ﷺ في منزل السيدة حليلة وسكن إلى صدرها وحجرها حتى عادت منازل حليلة حول الحباء ممرعةً مخضرةً، فكانت أغنامها تروح (ترجع) ممتلئة حتى إن زوجها قال لها:

- والله يا حليلة لقد أخذت نسمةً مباركة.

وبدت في رضاعه معجزات	ليس فيها عن العيون خفاء
أذ أبته ليتمه مرضعات	قلن ما في اليتيم عنا غناء
فأتت من آل سعد فتاة	قد أبتهها لفقرها الرضعاء
أخصب العيش عندها بعد محل	إذ غدا للنبي منها غداء
وإذا سخر الإله أناساً	لسعيد فإنهم سعداء

أيها الأحبة والصحب:

إن الغذاء الأول للجنين هو الرضاعة، لأنه حينما يكون في بطن أمه ليس له باب للرزق إلا باب واحد هو عن طريق سرتة يتغذى بواسطها دماً أحمر قانياً، أما حينما يخرج من بطن أمه وحين يسد عليه ذلك الرزق يتعالى صراخه وبكاؤه، يظن أن الله قد قطع عنه سبب رزقه، ولكن الله عندما يقطع عنه ذلك الطريق يعوضه بطريقين وببابين للرزق، ليعلمك الله - ابن آدم - أنه إذا انسد أمامك باب فإني أنا الله أفتح أمامك بابين أحسن من الباب الأول وأطهر، أعوضك مصدرين للرزق هما ثديا أمك: يخرج منهما غذاؤه «من بين فرث ودم» لبناً خالصاً سائغاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف .

وعند الفطام بعد الحولين ينقطع البابان، ولكن الله يعوضه عن ذينك الطريقين بأربعة طرق طعامان وشرابان، أما الطعامان فالنبات واللحوم، وأما الشرابان فالماء واللبن.

وإذا مات ابن آدم انقطعت أمامه السبل الأربعة، ولكن الله تعالى بمنه وفضله وكرمه يفتح للمؤمن أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، ففي الحديث من توضأ ثم قال: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين» .

فتح الله له أبواب الجنة الثمانية.

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾

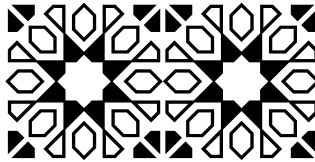
فالحمد لله على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم.

إخوتي في الله:

وكان عليه الصلاة والسلام وهو في المهد يناغي القمر، «فعن العباس بن عبد
المطلب

قال: يا رسول الله! دعاني إلى الإيمان بنبوتك إشارة رأيتها لك صدقتك من
أجلها. قال: وما هي يا عمي يا عباس قال: رأيتك في المهد تناغي القمر تشير إليه
بإصبعك فأينما أشرت إليه مال.

قال ﷺ: « كنت أحدثه ومحدثني ، ويلهيني عن البكاء، وكنت أسمع وجبته حين
يسجد تحت العرش » حديث يؤخذ به في فضائل الأعمال ومناقب الرجال.
فصلوا عليه وسلموا تسليماً .





الحلقة (٣)

في مراتب بني سعد ووفاة أمه ﷺ

الحمد لله الذي أنشأ الغمام، ونور بسيدنا محمد الظلام، وخلق آدم من طين فسجد له الملائكة الكرام، ورفع إدريس مكاناً علياً وحباه بالمقام، واتخذ إبراهيم خليلاً وجعل النار عليه برداً مع سلام، وكلم موسى على جبل الطور فسمع الكلام، وألان الحديد لداود وأعطى سليمان الملك التمام.

واصطفى سيدنا محمداً على جميع الأنبياء والرسل الكرام، وجعل الكل تحت لوائه وأعطاه الشفاعة يوم الزحام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قائلها في الجنة أعلى مقام. وأشهد أن سيدنا وحيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله نبي رفعه الله على جميع الخلق والأنام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الكرام وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، وأكثرُوا من الصلاة والتسليم على أشرف المرسلين، واحمدوا الله تعالى على ما تفضل عليكم فجعلكم من أمة وشرفكم بدينه.

ولتعلموا وفقني الله وإياكم لمرضاته أنه منذ ميلاد سيدنا النبي بدأت تنزل جميع أسس الضلال والانحراف وترمز إلى ذلك كتب السيرة رموزاً جميلة فتقول:

إنه في ليلة مولده ﷺ :

١ . غاضت بحيرة ساوة .

٢ . وتصدّع إيوان كسرى .

٣. وخبث نار فارس.

وأما الأصنام التي كانت على ظهر الكعبة وحولها فإن مصيرها المختوم وتحطيمها المؤكد قد تحدد بالأيام والسنين، وأصبح النور والهداية والرشاد وشيك الظهور والانتشار.

وألقي الله محبة الطفل الرضيع على الأقوام من حول السيدة حليلة بنت ذؤيب (مرضعته)، فكانت إذا أصابت أحدهم آفة أو مرض يأتي السيدة حليلة رضي الله عنها لتخرج ولدها من الرضاعة ليضع يده الشريفة على مكان المرض فيبرأ سريعاً بإذن الله تعالى.

تقول السيدة حليلة رضي الله عنها:

ففقدت ابني محمداً مرة، فخرجت أطلبه فإذا هو عند أخته الشيماء (وهي أخته من الرضاع واسمها حذافة). وإخوة النبي ﷺ من الرضاع عددهم سبعة:

أولهم عمه سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء.

ثانيهم: أبو سلمة ابن عمته : عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

ثالثهم: أبو سفيان ابن عمه الحارث.

٤-٥-٦: وعبد الله بن الحارث، وأنيسة، وحذافة ولقبها الشيماء أولاد السيدة حليلة.

٧- مسروح بن ثوية (جارية أبي لهب)^(١).

وقد علمتم أن أمهاته من الرضاعة هن ثمان.

تقول السيدة حليلة رضي الله عنها:

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٧٣.

ففقدته مرة فخرجت أطلبه فإذا هو عند أخته الشيماء، تدور به وهي تقول:

يا رب أبق لنا محمداً حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثم أراه سيّداً مسوداً واكبت أعاديه معاً والحسدا
وأعطه عزاً يدوم أبداً

فقلت لها: يا ابنتي ما كان لك أن تخرجي أخاك في هذا الحر !.

فقالت الشيماء: (والتي آمنت به مع أمها فيما بعد): ما على أخي بأس يا أمّاه،
ما أصاب أخي حر يا أمّاه، إن له غمامةً تظلله حيث سار وحيث أقام.

وعن السيدة حليلة قالت: لما بلغ رسول الله شهرين أخذ يمشي على يديه ورجليه
على الأرض، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم حيث يسمع كلامه، ولما بلغ تسعة أشهر
كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان، وكان
يشبُّ شاباً لا يشبُّه الصبيان، فما أن بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً (أي قوياً).

تقول السيدة حليلة رضي الله عنها: ففقدته مرة أخرى فإذا أخوه يركض ويقول:
يا أمّاه ويا أبتاه أدركا أخي محمداً فما تلحقانه إلا ميتاً. قلت: وما به؟ قال: بينا نحن
قيام إذ أتاه رجل فاخطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه حتى شق
صدره إلى عانته (تحت بطنه)، ولا أدري ما فعل به؟!.

فانطلقنا- تقول السيدة حليلة- أنا وأبوه نسعى سعياً، فإذا نحن به قاعداً على
ذروة الجبل، شاخصاً ببصره إلى السماء يتبسم ويضحك (اللهم صل وسلم وبارك
عليه). فأكبت عليه وقبلته بين عينيه وقلت: فدتك نفسي ما الذي دهاك؟ قال: خيراً
يا أمّاه. بينا أنا الساعة قائم أتاني رهط ثلاثة في يد أحدهم إبريق من فضة وفي الأخرى
طست من زمردة خضراء فحملوني وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل فأضجعني أحدهم ثم
شق من صدري إلى عانتي وأنا أنظر إليه ولم أجد حساً ولا ألماً، فاستخرج مني علقة
فقال:

- هذا حظ الشيطان منك.

ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه.

يقول صاحب فقه السيرة أيده الله تعالى بتوفيقه الدكتور محمد سعيد البوطي:

"إن الحكمة من هذه الحادثة ليست استئصال غدة الشر من جسد النبي ﷺ إذ لو كان الشرُّ منبعه غدةً في الجسم أو علقّة في بعض أنحائه لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة من ذلك هي إعلان أمر الرسول الأعظم وتهيؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل حسية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتطبيقهم لرسالتهم، هي إذًا: عملية تطهير معنوي اتخذت هذا الشكل الحسي والله أعلم".

معشر الإخوة الكرام:

وبعد فترة الرضاع والحضانة التي دامت قرابة خمس سنين في مراتع بني سعد، نجد سيدنا محمدًا ﷺ في مكة أم القرى، عاد إلى الأرض التي نبتت فيها أصوله وتعمقت فيها جذوره، عاد ليعيش بين أهله وذويه وفصيلته التي تؤويه، عاد ليجد الأم الكريمة الصابرة التي حبست نفسها عليه بعد أن فقدت زوجها الشاب عاد إلى أمه التي لم تتجاوز سن العشرين من عمرها فأقبلت عليه تملأ قلبه عطفًا وحبًا وحنانًا.

وعاش سيدنا محمد ﷺ برهةً من الزمن لا يعرف غيرها، ولا تعرف غيره فهو أملها، وهو سعادتها.

ولما بلغ سنَّ السادسة أخذته أمه لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار في يثرب التي ستكون المدينة المنورة حينما ينورها المصطفى ﷺ بهجرته إليها، قطعاً مع أم أيمن بركة الحبشية (وهي أمه من الرضاعة) أكثر من أربعمئة كيلو متر، وهناك مكث شهراً عند أخواله، وزار قبر أبيه مع أمه للمرة الأولى، وهو يرى أمه تسيل دموعها بصمت كعقد منسبك منظوم، ولأول مرة أيها السادة: يذوق الطفل اليتيم أثر اليتيم، لأول مرة يمس قلبه الغض الطري البريء مرارة الألم، نظر إلى أمه والدموع ترقق من

عينها، فعلم أنه يتيم فَقَدَ الأب قبل أن يخرج إلى عالم الدنيا، فازداد حبه لأمه أكثر من ذي قبل وتعلق قلبه بها وتشبث بها.

وعند العودة إلى مكة كانت يد القدرة الإلهية تلاحق السيدة آمنة وأخذ المرض يضغط على جسمها فتوقف الركب وأضجعت آمنة على رمال الصحراء في منطقة الأبناء، ووقف الطفل ينظر إليها وهي توعك وعكاً شديداً ، فخنقته العبرات، ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ترى أفيبقى نبينا يتيماً، كيف ذلك ؟ ألا يكفي أن الله له حافظ ونصير .

وفتحت آمنة عينها لآخر مرة لتودع حبة قلبها وشغاف فؤادها وسواد عينها، ونظر إليها الحبيب المصطفى ونظرت إليه، وتلاقت النظرات ببعضهما، فمدت إليه يدها وقالت له بصوت خافت:

يا بَنَ الذي من حَوْمَةِ الحِمَامِ	بارك الله فيك من غلام
إنَّ صَحَّ ما رأيتُ في المنامِ	نجى بعونِ الملكِ العلامِ
تبعث في الحِلِّ وفي الحرامِ	فأنت مبعوثٌ إلى الأنامِ

ثم قالت: الحمد لله ، كلُّ حيٍّ ميت، وكلُّ جديد بالٍ، وأنا ميتة وذكرى باقٍ، وقد تركت خيراً وولدت طهراً.

ثم أغمضت عينها، وراح الطفل اليتيم ينادي: يأماه، يأماه.

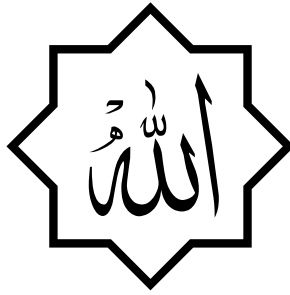
لكنها لم تسمعه هذه المرة فهي كانت في الرفيق الأعلى حيث أعلنت جنان لفردوس طوارئها لاستقبال أم النبي الرؤوم.

وعرف الطفل عندها أنه أصبح يتيماً لا أب ولا أم، وزاد من لوعته أن هذا اليتيم كان في الغربة وفي السفر، نظر إلى الصحراء فلم ير إلا رمالاً محرقة، وإلا طريقاً مبثرة، سار بعد أن حضنته أمه من الرضاعة بركة الحبشية، سار وهو يلتفت إلى

الوراء، وقد غيَّب أمه في رمال الصحراء، سار وهو يبكي، سار والقلب منه يلتفت،
سار والروح منه تتلفت، والحزن يمزق أحشاءه، تحضنه أمه من الرضاعة.

أتدرون- أيها الإخوة- ما جزاء وثواب من يرحم اليتيم، أتعرفون ماذا يفعل الله
تعالى بالذي يعطف على الأيتام، إن رسول الله ﷺ حلف بالله تعالى فقال: (طب)
«والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام
ورحم يئمه وضعفه». فارحموا ترحموا .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب
الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٤)

كفالة جدّه وعمّه ﷺ

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله.

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بظهور سيد السادات ، وجعل أمته وسطاً ، وفضلها على سائر الأمم في العبادات .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الكمالات .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي أزاح الله بنور وجوده ظلم الجهالات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم في سائر الحالات وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد نشأ رسول الله ﷺ في حجر جدّه عبد المطلب، وكان إذا أتى بطعامه، أجلس الطفل اليتيم إلى جانبه وربما أقعده على فخذه ثم آثره بأطيب طعامه وألذّ شرابه، وكان رفيقاً به وبآدابه يقول لأعمامه: - دعوا ابني هذا فإنّ له لشأناً.

وحَدَّث سعيد القرشي فقال: حججت في الجاهلية فإذا بشيخ مربوع يطوف بالبيت وهو يناجي ربه ويقول:

ردّ عليّ ولدي محمداً واصطنع برّدّه عندي يدا

يقول سعيد القرشي فقلت: من هذا الشيخ؟.

فَقِيلَ: عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ سَيِّدُ قُرَيْشٍ.

قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُ؟

فَقَالُوا: أَضِلْ إِبْلًا لَهُ فَخَرَجَ فِي طَلِبِهَا بَنِي ابْنِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنَ التَّوَلُّهِ مَا تَرَى.

يَقُولُ سَعِيدُ الْقُرَشِيِّ: فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ غَلَامٌ يَافِعٌ عَظِيمٌ فِي مَرْوَتِهِ وَإِقْدَامِهِ جَاءَ بِالْإِبْلِ يَسُوقُهَا، فَسَمِعْتُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَقَدْ التَزَمَهُ يَقُولُ لَهُ:

- يَا بَنِي قَدْ جَزَعْتَ عَلَيْكَ جَزَعًا لَا تَفَارِقُنِي بَعْدَهُ حَتَّى أَمُوتَ.

كَانَ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ وَكَانَ لِلرَّسُولِ الْأَعْظَمِ فِي مَعْرِضِ امْتِنَانِهِ: ﴿لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾.

أَفْرَأُكَ بِاسْمِهِ ، وَأَوْحَى إِلَيْكَ بِفَضْلِهِ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا.

مَعْرِشُ السَّادَةِ الْكَرَامِ :

وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ عَوْضًا عَنْ فَقْدِ وَالِدَيْهِ فِي ظِلِّ جَدِّهِ شَيْبَةِ الْحَمْدِ، وَخَصَّه بِمَقَامٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَعْمَامِهِ وَلَا لِوَاحِدٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَكَانَ يَوْضَعُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فَرَّاشَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ أَبْنَاؤُهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فَرَّاشِهِ حَتَّى يُخْرَجَ إِلَيْهِ لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ، يَقُولُ ابْنُ اسْحَقَ:

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي وَهُوَ غَلَامٌ جَفَرٌ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤْخِرُوهُ فَيَقُولَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: - دَعُوا ابْنِي فَوَ اللَّهُ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا.

وَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ مِمَّنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَمْ يَسْجُدْ لَصَنَمٍ قَطُّ، إِذْ كَانَ عَلَى دِينِ الْحَنِيفِيَّةِ الْأُولَى، وَكَانَ سِيَاسِيًّا مُحَنِّكًَا، سَاسَ قُرَيْشًا مَدَّةَ طَوِيلَةٍ قَدَرَتْ بِأَكْثَرِ مِنْ سِتِينَ سَنَةً، فَلَمَّا بَلَغَ خَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ وَوَصَّاهُ بِأَمْرَيْنِ:

الأول: أن يكون سيد قريش من بعده.

الثاني: أن يكون الطفل اليتيم في كنفه وتحت رعايته دون أعمامه الباقين.

وأعمام النبي ﷺ تسعة:

سيدنا العباس وسيدنا حمزة، وعبد مناف (أبو طالب)، والزبير، والحارث،
وحجل، والمقوم، وضرار، وعبد العزى (أبو لهب).

وعماته ست:

السيدة صفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة.

هكذا تفرّس عبد المطلب في ولده أبي طالب فكانت فراسته صادقة، وكانت يد
القدرة تلاحق الشيخ الجليل سيد قريش فإذا به يموت على فراش المرض، فيجلس
رسول الله يبكي خلف سريره، بل لم يبق واحد بمكة وما حولها إلا يبكي عبد
المطلب، ونصبت الخيام في الأسواق أياماً، ولم يبع ولم يشتري حزناً على سيد البطحاء،
وخرجت قريش خلف نعش سيدها وخرج رسول الله يتبع جنازته وهو يبكي بكاءً مرّاً
حتى دفن في الحجون.

إخوتي في الله :

كان وقع وفاة عبد المطلب على الطفل اليتيم شديداً، إذ جعلت رسول الله يذوق
مرارة اليتيم مرة ثانية، فإنه ﷺ لم ير أباه، ولم ينعم بعطفه وحنوّه، فكان الشعور بفقدته
شعوراً عقلياً تقليدياً، وكان الشعور بفقد عبد المطلب شعوراً حسيّاً تجريبياً ، والفرق
بينهما واضح.

إخوة الإيمان :

تعرفون أن أبا طالب ليس أكبر إخوته سنّاً إلا أنه كان خير خلف لخير سلف،
ورغم فقره وكثرة أولاده إلا أنه كان أنبل إخوته وأكرمهم في قريش مكانة واحتراماً، ولا
عجب أن عهد إليه عبد المطلب بكفالة الطفل اليتيم، إذ كان أبو طالب ممن حرم

على نفسه الخمرة أيضاً، ولم يكن يئد البنات، ولم يكن يفعل ما يفعله غيره من ضلالات قريش، وصدقت فراسة عبد المطلب في ولده أبي طالب:

إذ كان أبو طالب لا يأكل ولا يدع أولاده يأكلون حتى يجلس على المائدة ابن أخيه سيدنا محمد ﷺ، وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم:

لا تقربوا الطعام حتى يأتي ولدي محمد.

فيأتي رسول الله فيأكل معهم فيفضل من طعامهم شيء، وإن كان لبناً شرب رسول الله أولهم ثم يشربون جميعاً فيقول له أبو طالب: إنك مبارك.

وكان الصبيان يصبحون شعناً (شعورهم متفرقة) رمصاً (على أعينهم أثر النوم)

ويصبح رسول الله دهيناً كحياً كأنه القمر (صلوا عليه).

وشبَّ محفوظاً من الله تعالى، بعيداً عن أقدار الجاهلية وعاداتها، - فكان أفضل قومه

مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأشدَّهم حياءً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والبذاءة، وأعظمهم أمانة، حتى ما أسموه في قومه إلا الأمين، وكان واصلاً للرحم، مكرماً للضيوف، عوناً على البر والتقوى.

يروى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وابن عساكر عن أبي بن كعب، أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال:

« يا رسول الله، ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟ »

فاستوى رسول الله جالساً، وقال: - لقد سألت أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: - أهو هو؟ قال: نعم.

فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي، لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه. فأضجعاني بلا قسر ولا هصر (بلا إجبار ولا ثني ظهر)، وقال أحدهما لصاحبه:

. افلق صدره. ففلقه فيما أرى بدون دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغلّ والحسد.

فأخرج شيئاً كهينة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة. فإذا مثل الذي يشبه الفضة، ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى فقال: أغدّ وأسلم. فرجعت بها أغدوا رقة على الصغير ورحمة للكبير . (فصلوا عليه).

وكان ﷺ قد طهره الله من دنس الجاهلية وهو في الصغر، فلم يعظّم صنماً لهم في عمره قط، ولم يحضر مشهداً من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع ويعصمه الله تعالى.

وفي الحديث عن سيدنا علي أن النبي ﷺ قال:

. ما عبدت صنماً قط، وما شربت خمرأً قط، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر.

فسيدنا محمد ﷺ هو كما قال حسان بن ثابت:

خلقت مبرأً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وكانت قريش كلها تعرف هذا الفضل لسيدنا رسول الله ﷺ ، فقد أصابها قحط وجذب، في بداية عهد أبي طالب، وذلك ما ذكرته كتب السيرة من أن الناس دعا بعضهم بعضاً ليسألوا اللات والعزى أن تسقيهم فقال قائل آخر:

. بل اسألوا مناة الثالثة الأخرى.

فقال شيخ وسيم سديد الرأي: - أنى تؤفكون (أي كيف تصرفون عن الحق)، وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل. قالوا: كأنك عنيت أبا طالب. قال: نعم.

فقاموا جميعهم وجأؤوا إليه وطلبوا منه السقيا، فدعا أبو طالب الطفل اليتيم الذي بلغ عشرًا أو أكثر بقليل، وخرج به مع الناس إلى الكعبة، وألصق ظهره بها، وإذا بالطفل يشير بإصبعه نحو السماء، ورأى الناس السماء وما فيها قطعة سحاب، فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا ونزل المطر واغدودق، وانفجر الوادي بالماء، وأخصب النادي والبادي. فقال أبو طالب قصيدة يمدح بها سيدنا النبي في أكثر من ثمانين بيتاً:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةً للأرامل

فمن أراد أن تقضى له حاجاته فليتوجه إلى الله بالدعاء وليستشفع برسول الله ﷺ.

جاء رجل أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يرد عليّ بصري. فقال إن شئت دعوت لك فصبرت، وإن شئت أعلمك ذلك، فقال: بل يرد الله عليّ بصري. فقال له ﷺ: قم فتوضأ وأحسن الوضوء ثم صل ركعتين ثم قل:

« اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا رسول الله أتوجه بك إلى الله في حاجتي هذه أن تقضي لي اللهم فشفعه فيّ » أو كما قال.

ففعل الأعمى ذلك فردَّ الله عليه بصره لساعته .

فيا رب بجاه نبيك فرِّج عن هذه الأمة ما أهمها وما أغمها وخذ بنواصينا لما تحبه وترضاه.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

الحلقة (٥)

في تجارة قريش

الحمد لله الذي تجلّى على قلوب أحبائه بالأنس والرضوان، وأسبغ عليهم نعمه الوافرة بمحض الفضل والإحسان، فسبحانه من إله متفضل محسن منان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الخلائق من الإنس والملك والجان.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين الكرام، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فما أن شبَّ سيدنا محمد ﷺ وقوي ساعده حتى اتجه إلى العمل فرعى الغنم، وفيه كسب شريف، وتربية نفسية، وترويض على العطف على الضعفاء، وسياسة للأوابد، واستنشاق للهواء الصافي النقي وتقوية للجسم، وفوق ذلك كله فهو اتباع لسنة الأنبياء، ففي الصحيح: « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم » .

وحين بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغا بصرى، وهناك اجتمعوا بالراهب بحيرا، وبشر أبا طالب بأن لابن أخيه شأناً أي شأن، وحذره من اليهود، فباع أبو طالب تجارته في بصرى وعاد إلى مكة أم القرى.

وفي سنِّ الخامسة عشرة إلى سن الخامسة والثلاثين تروي لنا كتب السيرة كيف شارك الرجال في حنكتهم التجارية والسياسية والعسكرية، فشارك في حرب الفجار (وسميت كذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم)، وشارك في حلف الفضول مع قبائل مكة حيث تحالفوا جميعاً ألا يجدوا في مكة مظلوماً إلا ونصروه.

بل حكم بين القبائل في أمر كاد أن يكون فتنة وتندلع الحرب بسببه، فكان من حكمه العادل وحنكته الفذة أن جعل هذه الفتنة تنطفئ أوارها قبل أن تشتعل الحرب وتشتد، فوضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة في ثوبه وحمل كل زعيم قبيلة من طرف حتى رضعه بنفسه بين أحجار الكعبة المشرفة، والقصة مشهورة بين الورى تروى، وحين بلغ سن الخامسة والعشرين:

أُرْسِلَتْ إليه السيدة خديجة بنت خويلد سيدة نساء عصرها شرفاً ونسباً، ليعمل لديها بالتجارة، وهذه السيدة كانت تلقبها قريش: بالسيدة الطاهرة. وكان يلقبها الرومان بإمبراطورة الصحراء، لِمَا كان لها من القوافل التجارية التي تجوب الصحراء شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

كانت هذه السيدة القرشية قد نشأت في بيت مجد ورياسة، وتخلقت بأرفع الأخلاق وأكرمها فكانت معروفة بالحزم، وجودة الرأي، ورجاحة العقل، والعفة والطهارة، وبالعطف على فقراء مكة وما حولها، وبعد كل هذا هي ذات مال عظيم وثروة ضخمة، تعدّ قوافلها بعشرة آلاف من الجمال تتاجر بالعطور والديباج والحرير في الهند واليمن وبلاد الفرس.

هذه هي السيدة خديجة التي أرسلت إلى الأمين سيدنا محمد ﷺ ليعمل في تجارتها وقالت له:

- إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظيم أمانتك، وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.

قَبِلَ سيدنا محمد ﷺ هذا العرض من السيدة الطاهرة، وسار مع خادمها الخاص ميسرة يقودان معاً هذه القافلة العريضة إلى بصرى الشام، وراح ميسرة يرقبه كيف يبيع ويشترى، لأن التاجر - أيها الاخوة - عليه أن يتصف أولاً بصفات منها:

حرف التاء: من كلمة تاجر وهي تقي.

وحرف الألف: من كلمة تاجر وهو أمين .

وحرف الجيم: من كلمة تاجر وهي جريء.

وحرف الراء: من كلمة تاجر وهي رحيم.

كان ميسرة ينظر إلى أمين مكة فيجده يتصف بهذه الصفات، وجده صادقاً في بيعه، أميناً في شرائه، وسيدنا النبي يقول: التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (ت-ص).

وجد ميسرة سيدنا محمداً لا يحلف في بيعه، ولا ينفق سلعته في الحلف الكاذب، لأن سيدنا النبي يقول: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم (كررها ثلاثاً) فقال الصحابة: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ فقال: المسبل (إزاره)، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

وقال ﷺ التاجر هم الفجار.

قالوا: يا رسول الله! أليس الله قد أحلّ البيع؟

قال: بلى. ولكنهم يلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون.

و«إن التاجر يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلا من اتقى وبرّ وصدق».

كانت هذه الكلمات تسري في سلوك سيدنا محمد ﷺ فميسرة رآه وسمعه ينصح كل مشتر، ويبين له البضاعة التي بين يديه، لأن شعاره «من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار»، و«من باع بيعاً لم يبينه لم يزل في مقت الله، ولم تزل الملائكة تلعنه».

ذهل ميسرة من هذا التصرف الراقى، فلم ير على ممر خدمته لتجارة السيدة خديجة،

مثل هذه الأمانة والصدق في المعاملات التجارية.

فتعلم ميسرة أسلوب التجارة من سيدنا محمد ﷺ أربعة أمور وشعار، أما الأمور الأربعة: فالأول: ألا يثني على السلعة ولا يمدحها بما ليس فيها.

والثاني : ألا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً.

والثالث: ألا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً.

والرابع: ألا يكتم من سعرها ما لو عرفه المشتري لامتنع عن شرائها.

وأما شعاره في التجارة فهو: رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى (خ).

أيها الاخوة:

لم يكن ميسرة وحده الذي كان يراقب سيدنا محمداً ﷺ في بيعه وشرائه، ولكن راهباً من بعيد راح يتأمله، وما أن انتهى من بيعه البضاعة في سوق بصرى حتى أتى إليه وقال لسيدنا محمد ﷺ :

- عرفت فيك علامات كثيرة عن رجل نقرأ عنه في كتبنا خلا علامة واحدة، فأوضح لي عن كتفك، فكشف له رسول الله كتفه فإذا هو بخاتم النبوة يتلأأ، فأقبل عليه الراهب يقبله وهو يقول:

- أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر به عيسى بن مريم.

شهد ميسرة هذا كله بأم عينه، ودونه في ذاكرته، وجهاز القافلة لتعود أدراجها إلى أم القرى، ثم سبقها ليزف إلى سيدته الطاهرة خير أرباح التجارة أضعافاً مضاعفة، بل حدثها عن الغرائب التي شاهدها على ابن عبد الله، وعن المستقبل المشرق الذي ينتظره، وقال لها:

لقد اشتد علينا وهج الشمس في الصحراء المحرقة، مما جعلنا نضيق بالحياة ذرعاً رغم أننا أبناء هذه الصحراء، وقد ألفنا هذا الفح المحرق، فنظرت إلى الأمين محمد

لأرى مدى تأثيره في موجة الحر فراعني الأمر، واستولى عليّ الدهش، فقد رأيت
سحابه تظلل من الشمس حيث سار وحيث أقام.

فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

صلوا على الهادي البشير المنذر صلوا على أهل الكمال المسفر
ينجح لكم أعمالكم ويغفر يوضح لكم سبل الهدى والخير

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية للسيد الأعظم،
وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

وَسَلِّمْ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ



الحلقة (٦)

شأنه وزواجه

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً وصهراً، وسلَّط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الحرّاة جبراً، ثم عظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحثَّ عليه استحباباً وأمرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مدح أوليائه وأنبياءه فقال لأشرف رسله: ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد من أرسله الله بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام:

كان فرح ميسرة بنجاح تجارة السيدة خديجة كبيراً، حيث سبق القافلة قبل وصولها ليزفّ البشري إلى سيدته ويحدثها عن هذه الرحلة الموفقة، ويثني على اختيارها للأمين سيدنا محمد ﷺ ليرأس قوافلها، فانقلب فرحها بربح تجارتها حباً وتقديراً وإعجاباً بهذا الفتى العربي الأمين.

فما هو إلا أن استأذن عليها سيدنا محمد ﷺ ليدخل عليها فيسلمها ما ربحته القافلة من هذه الرحلة المباركة:

ورأتَه خديجةً والتقى والزُّ	هْدُ فيه سجيّةً والحياءُ
وأتاها أن الغمامة والسّر	حَ أظلتَه منهما أفياءُ
وأحاديثُ أن وعد رسول الله	بالبعث قد حان منه الوفاءُ

فدعته إلى الزواج و ما أحسنَ ما يبلغُ المنى الأذكاءُ

معشر السادة:

جلس الصادق الأمين أمام السيدة خديجة يحدثها عن تجارتها وهو مطرق الرأس،
مما

مكّن السيدة خديجة أن تتفرس في هذه الشخصية الفذة:

شاب يافع ممتلىء رجولةً وجمالاً، في سنّ الخامسة والعشرين، ليس بالطويل الممتد
ولا بالقصير، وسطاً بين القوم، مسرّح الشعر، ليس بالعظيم الجسم ولا المستدير
الوجه في صغر، أبيض البشرة والوجه، مشرّب بحمرة، أسود العينين، طويل أهدابها،
جليل عظام رؤوس المفاصل، عريض ما بين الكتفين، دقيق شعر الصدر الممتد إلى
السرة، غليظ الكفين والقدمين، إذا مشى لم يثبت قدميه، كأنما يمشي فيما انحدر من
الأرض، إذا أراد أن يلتفت التفت بكلّ جسمه، أجود الناس كفاً، وأجراً الناس
صدراً، حسن العشرة، من رآه الأولى هابه، ومن خالطه أحبه، يتلألاً وجهه تلالؤ
القمر ليلة البدر، بين كتفيه خاتم النبوة :

رحمةٌ كلّهُ وحزْمٌ وعزمٌ	ووقارٌ وعصمةٌ وحياءٌ
كُرِّمَتْ نفسُهُ فما يخطر السوءُ	على قلبهِ ولا الفحشاءُ
وسِعَ العالمينَ علماً وحلماً	فهو بحرٌ لم تعيه الأعباءُ
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً	فهو البحر والأنام إضاء
كلّ فضل في العالمين فمن	فضل النبي استعاره الفضلاءُ

راحت السيدة خديجة تتأمل وتتفرس في سيدنا محمد ﷺ وحديثه الفصيح البليغ،
وهي تراه مطرق الرأس أشد حياءً من العذراء في خدرها، يحب الحلواء والعسل،
ويعجبه اليقطين، يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن ويشرب ثلاثاً، يحب الطيب،
ويكره الريح الكريهة، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يحب التيامن في شأنه كله، يتفقد

أصحابه، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، (يا سعد من صلى عليه).

أيها الأحبة والصحب:

كل تلك الصفات الحيرة رأتها السيدة خديجة في سيدنا محمد ﷺ ، وما هو إلا أن ولّى حتى أرسلت إلى أعزّ صديقاتها؛ وهي السيدة نفيسة بنت منبه، وتحدثت إليها عن رغبتها بالزواج من الأمين محمد ﷺ .

إخوتي في الله: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى حيث سيدنا رسول الله ﷺ ، تخطبه سيدة قريش الطاهرة، إذ أن السيدة نفيسة ذهبت وسيطاً لتمهد لهذا العقد المبارك دون أن تريق ماء وجه السيدة خديجة، فدخلت على سيد الخلق وحبيب الحق وقالت له:- ما يمنعك أن تتزوج؟.

قال:- ما بيدي مما أتزوج به.

قالت:- فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟!.

قال:- فمن هي؟.

قالت نفيسة بكلمة واحدة: خديجة.

قال: كيف لي بذلك. قالت: عليّ ذلك.

وعادت نفيسة تحمل الخبر السار إلى صديقتها الحميمة، فلم تبطئ السيدة خديجة إذ حددت الساعة التي يحضر فيها سيدنا محمد ﷺ مع أعمامه لعقد الزواج، ثم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوّجها، فحضرت جميع أطراف العقد، وضمّ المجلس سادات قريش في هيئة وجلال، ثم جاء السيد الأعظم برجولته ونوره وهو في الخامسة والعشرين يشع وجهه كأنه القمر، ومعه عمه سيدنا حمزة وأبو طالب ورؤساء مضر.

ووقف أبو طالب خطيباً فقال:

« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا حضنة بيته وشوكة حرمة، وجعل لنا بيتاً محفوظاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكماء على الناس.

ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح، وإن كان في المال قل فالمال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد ممن عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق، وإني يا معشر قريش أشهدكم على ذلك.

ولما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل، فقال:

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردُّ أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبتنا في الاتصال بجليلكم وشرفكم، فاشهدوا علي معاشر قريش بأني

قد: زوّجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمئة دينار .

وهنا بدأت صفحة مشرقة جديدة من حياة الأمين سيدنا محمد ﷺ ، حيث تَكشَّفَ للسيدة خديجة رضي الله عنها أشرف الأزواج شعوراً، وأصدقهم قولاً، وأجلهم خلقاً، وأشدَّهم لصوقاً بالفضيلة، مجلسه مجلس أنس وحلم وحياء وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تذكر فيه النساء، مجلس تواضع وتوقير للكبير، ورحمة للصغير، رأته وهو يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم كريم كلِّ قوم، يعفو ويصفح، لا يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، لا يخير بين أمرين إلا اختار أيسرها ما لم يكن إثماً.

يقول عنه أصحابه: ما مسسنا ديباجاً قط ولا حريراً ألين من كف سيدنا محمد

ﷺ

ولا شممتنا رائحة قط أطيب من رائحة سيدنا محمد ﷺ.

لقد وجدت السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الرؤوف الرحيم أباً شقيقاً وصديقاً رفيقاً، وزوجاً مواسياً.

وتتوالى الأيام والأشهر والسنون على هذا الزواج الموفق، فإذا حصاده أطفال كاللؤلؤ المنتور وراح هذان الزوجان يتعهدان هذه الرياحين النضرة بالحب والعطف والرعاية، وهم ستة أولاد على الترتيب: القاسم (وبه كان يكنى ومات طفلاً)، ثم زينب ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة، وعبد الله (وكان يلقب بالطيب والطاهر) رضي الله عنهم جميعاً.

ومن هذا النسل الطاهر الشريف خرج آل البيت المحمدي، كان منهم سادة وقادة وأئمة في العلم والدين والجهاد والزهادة.

وبارك الله تعالى بنسل السيدة فاطمة فنشأ من سيدنا (الحسن والحسين) سيديا شباب أهل الجنة جيل مبارك كان قبلة أهل المشرق والمغرب.

وكل أولاده ﷺ توفوا قبله إلا السيدة فاطمة فإنها تأخرت بعده ستة أشهر.

وحب آل البيت فرض على كل فرد من هذه الأمة يقول تعالى آمراً رسوله الكريم أن يقول للصحابة ومن بعدهم:

﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أي أن توادوا قرابتي.

وروى الطبراني في الأوسط عن سيدنا الحسن بن علي أن سيدنا النبي ﷺ قال:

« إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفس محمد بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمودتنا » .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ :

« لا ييغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار » .

لذلك كانت عقيدة أهل السنة حب القرابة واحترام الصحابة اللهم أمتنا عليها واحشرنا عليها، واجعلنا من خيار أهلها.

أيها الإخوة:

أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس
فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة
والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (٧)

البعثة وإرهاصاتها

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قمر الهداية، وكوكب العناية الربانية، مصباح الرحمة المرسله وشمس دين الإسلام، من تولاه مولاه بالحفظ والحماية والرعاية السرمدية، وأعلى مقامه فوق كل مقام. وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين ذوى المراتب العلية، فكان للأولين مبدأً وللآخرين ختام.

وأشهد أن الله فرد يعبد، وأن خير خلقه محمد رسوله المتمم المجدد، وكلّ من صدّقه مخلّد بغير شك في جنان الخلد.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً وعلى آله وصحبه الهداة أنجم السماء، وتابعيهم وجميع العلماء وكلّ هاد في الورى ومهدي وسلم تسليماً.

أما بعد: فكانت العناية الإلهية تتابع في تربية سيد الأنبياء والرسل الكرام، ولد والعناية ترعاه، ورضع وعين الله تكلؤه، وشبّ فأينعت ثماره، وبدت إشارات اصطفائه على الخلق أجمع، سميت عند العلماء بالإرهاصات أو بمقدمات النبوة، فكان لا يرى رؤيا منامية إلا وتحققت عند اليقظة وجاءت مثل فلق الصبح، وحبّب الله تعالى إليه العزلة والخلوة، يخلو شهراً كاملاً في السنة وهو شهر رمضان، وكان لا يمر بحجر ولا بشجر إلا سلم عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله.

طوعاً لأحكام القضا خطا	على الثرى خطو اليتيم المعدم
متجرّداً من كلّ جاه ظاهر	وبغير جاه الله لم يستعصم
حتى اصطفته خديجة وهي التي	عزّت على كم من ثري مغرم
صلّى عليه الله نوراً هادياً	متعبّداً في غاره لم يسأم

حتى أتى الروح الأمين يضمه ضمّاً على رهبوتِه المتبسّم
اقرأ نبي الله وابتهل وبذكر ربك يا نبي ترمّم
اقرأ وربك ملهم سبحانه قد علم الإنسان ما لم يعلم

ونزول الوحي - معشر السادة - كان عندما بلغ رسول الله أربعين من عمره، والدنيا واقفة على شفا حفرة من النار، والإنسانية تخطو بخطا سريعة نحو الانتحار، فجاءه جبريل وهو يتعبّد في غار حراء سنة ٦١٠ ميلادية في السابع عشر من رمضان على ما هو معروف ومشهور فعاد إلى البيت ترتعد فرائضه وهو يقول: زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي . فاستقبلته السيدة الطاهرة قائلة: لا تخشى لن يخذلك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم، وتكرم الضيف، وتعين على نوائب الدهر (فصلوا عليه).

ويغطّي رسول الله من شدّة البرد، فيستغرق في نوم مطمئن هادئ، وتسرع السيدة خديجة رضي الله عنها إلى عالم مكة ورقة بن نوفل، وكان نصرانياً، وتذكر له ما سمعت من رسول الله فيبشرها بأنه نبي هذه الأمة، وأن الذي جاءه من الوحي هو سيدنا جبريل.

فتعود السيدة الطاهرة إلى بيتها لترى وجه زوجها وقد بلله العرق وثقل تنفسه، يقوم ليستمع إلى الملك يوحى إليه:

﴿يا أيها المدثر ، قم فأنذر، وربّك فكبر وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربّك فاصبر﴾ .

بهذه الكلمات التي تمتلئ نوراً وهداية أمر رسول الله أن يبدأ عهد الدعوة إلى الله، فكانت أولى المدعوات السيدة خديجة، وكان أولّ المسلمات السيدة خديجة رضي الله عنها. وهذا طبيعي فقد جربت عليه طول حياته الأمانة والصدق وعلو النفس وحبّ البرّ والرحمة، ولكنها أحبت أن تتأكد أن هذا ليس شيطاناً يأتيه، فطلبت إليه متى جاءه الملك أن يخبرها، فلما رآه أخبرها فألقت خمارها فإذا هو لا يراه، فلم يبق عندها ريبٌ في أنه ملك كريم.

وعلمه سيدنا جبريل الوضوء وصلاة ركعتين عند الصباح وركعتين عند المساء.

وأمن به ولده من التبني زيد بن حارثة، وبناته ﷺ ، وأما سيدنا علي فقد دخل على سيدنا النبي والسيدة خديجة- وكان يعيش في كنفهما- فرآهما يصليان، فأنكر عليهما ذلك، ولما أتتا صلاتهما سأل: - لمن تسجدان؟.

فأجابه رسول الله: إنما نسجد لله الذي بعثني نبياً وأمرني أن أدعو الناس إليه، وأنا أدعوك إلى الإسلام.

فقال سيدنا علي: هذا أمر لم أعهده، وعليّ أن أستشير أبا طالب.

فلما كان اليوم التالي دخل عليّ فأعلن إسلامه أمام سيدنا النبي ﷺ ، فقال له رسول الله: - هل استشرت أبا طالب؟.

فقال سيدنا علي- وكان عمره يومئذ عشر سنين- : لا لم أستشره.

فقال سيدنا النبي: ولم؟!

فأجابه: لأن الله عندما خلقني لم يستشر أبا طالب.

إخوة الإيمان :

كان إسلام هؤلاء شهادة أقرب الناس إليه، وأعرفهم به وبصدقه وإخلاصه وحسن سيرته، وأهل البيت . كما يقولون . أدرى بما فيه.

أما أصدقاء سيدنا النبي فكان منهم رجلٌ له منزلته في قريش، معظمٌ فيها، وهو محطٌ مشورتها لا يقضون أمراً من دونه، لعقله واعتداله ومروءته، رجلٌ محبٌ لقريش، سهلٌ، عالمٌ بأنسابها وبأخبارها، ومعروفٌ بتعبير الرؤيا، كان ولد سنة ٥٧٣ م، بعد عام الفيل بثلاث سنين، إنه شيخ تجار مكة عبد الله بن عثمان الذي عرف فيما بعد باسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان في تجارة له في اليمن حين بُعث رسول

الله، فنزل على شيخ يقرأ الكتب، فقال له: أحسبك حرمياً؟ فقال أبو بكر: قلت: نعم.

قال: وأحسبك قرشياً؟ فقال أبو بكر: قلت: نعم.

قال: وأحسبك تيمياً؟ فقال أبو بكر: نعم.

قال: بقيت لي فيك واحدة. قال أبو بكر: وما هي.

قال: تكشف لي عن بطنك. قال أبو بكر: لا أفعل أو تخبرني عن ذلك؟! .

قال الشيخ: أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبياً يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل، أما الفتى فخواض غمرات ودقّاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة، وما عليك أن تربني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي عليّ.

يقول الصديق: فكشفت له عن بطي فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال:

- أنت هو وربّ الكعبة.

فلما أراد أن يودّعه قال له الشيخ: أتحمل عني أبياتاً إلى ذلك النبي؟ قال أبو بكر: نعم. فذكر أبياتاً.

يقول الصديق: فقدمت مكة وقد بعث ﷺ ، فجاءه صناديد قريش: فقال لهم:

- ظهر فيكم أمر؟. قالوا: أعظم الخطب ! يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به، والكفاية فيك.

قال سيدنا أبو بكر: فصرفتهم على أحسن شيء، وذهبت إلى النبي ﷺ ، فقرعت عليه الباب فخرج إليّ فقلت: يا محمد قدّخت منازل أهلك، وتركت دين آبائك. فقال: إني رسول الله إليك وإلى الناس كلّهم فأمن بالله. قلت: وما دليلك؟ قال: الشيخ الذي لقيت باليمن.

وفي رواية أصح من هذه الرواية أنه لما دعاه للإيمان قال له مباشرة: مُدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله.

وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه أول من جهر بالدعوة، فدعا كبار قريش ليسلموا، فأسلم على يديه سيدنا عثمان بن عفان، والزيير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله وهم من المبشرين بالجنة.

وتتابع إسلام كبار الصحابة أمثال سيدنا أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وكان السابع ممن أسلموا « ولعل واقف هذا المسجد (الجراح) من نسله فرحمه الله ورضي عن أبي عبيدة بن الجراح » .

ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى انتشر ذكر الإسلام في مكة. وظن قساة مكة أن حديثه لن يزيد على حديث الرهبان والحكماء، وأن الناس لا محالة عائدون إلى دين آبائهم وأجدادهم، وأن هبل واللات والعزى وإسافاً ونائلة ومناة وباقي الثلاثمائة والستين صنماً في مكة، وما حولها ستكون آخر الأمر صاحبة الغلبة، ناسين أن الإيمان الصادق إذا دخل القلب لا يغلبه غالب، وأن الحق قد كُتب له الفوزُ أبداً.

وبعد ثلاث سنوات من الدعوة سراً أمر الله رسوله أن يظهر ما خفي من أمره، وأن يصدع بما جاء منه، فنزل الوحي:

«فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»

«وأنذر عشيرتك الأقربين»

«وقل إني أنا النذير المبين»

فخرج رسول الله ﷺ فصعد على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته صيحة معروفة مألوفة عند العرب إذا أحس إنسان بخطر عدو يغير على بلد أو قبيلة على غفلة

منهما، نادى: يا صباحاه؟!، فلم تتأخر قريش في تلبية هذا النداء، وخاصة أن الذي ينادي:

هو الصادق الأمين محمد بن عبد الله، (ياسعد من صلى عليه).

واجتمعوا إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث إليه رسوله، فقال رسول الله:

- يا بني عبد المطلب!، يا بني فهر!، يا بني كعب!، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟! .

وكان العرب واقعين عمليين، إنهم رأوا رجلاً جربوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة، قد وقف على جبل يرى ما أمامه، وينظر إلى ما وراءه، وهم لا يرون إلا ما هو أمامهم، فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا المخبر الأمين الصادق، فقالوا جميعاً: نعم.

ولما تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين ، قال رسول الله ﷺ:

. فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فسكت القوم، ولكن أبا لهب (تبت يداه) قال: تباً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟. فإذا بعض قريش ينفرون من دعوته حين تكلم أبو لهب بمثل ما تكلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ تبت يدا أبي لهب و تبت . ما أغنى عنه ماله و ما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ﴾.

وهكذا أجمع نفرٌ من قريش خلاف سيدنا رسول الله وعداوته، ولكنَّ أبا طالب منعه وقام دونه، فحملت قريش لواء المعارضة فأكثرت ذكر رسول الله وظنت إن فعلت ذلك أن عمَّه أبا طالب سيلين، وأن رسول الله سيرضخ لو أنهم جمعوا كلمتهم وجابهوه، فإذا برسول الله يقول قولته المشهورة:

«يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر
ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» . أو كما قال .

فهل تخلّى عنه عمه أبو طالب؟، لقد كان جواب عمه قوياً عظيماً، موجزاً بليغاً
لن ينسى الله له هذه الوقفة ﴿وما كان ربك نسياً﴾ حيث قال:

. اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

هكذا على المسلم أن يكون قوياً في دينه، قوياً في إيمانه لا يتخلى عن دينه لأجل
امرأة، ولا لأجل رئاسة منصب، ولا لأجل شيء في الوجود.

اجعل برّك كلَّ عزّك	يسـتـقـرّ ويثبـت
فإن اعتزّزت بمن يـمـو	ت فإنَّ عزّك ميّـت

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى السيد الأعظم
وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٨ و ٩)

طرق قريش في مكافحة الدعوة الإسلامية

الحمد لله الذي يؤيد من شاء بنصره، ويجعل الذل والصغار والغضب على أهل كفره، فسبحانه من إله يطلع على سرّ العبد وجهه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، إله قال في محكم كتابه:

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله القائم بأمر الله ونحيه، المنزل عليه قول ربه:

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه حقّ قدره، وسلم تسليماً.

أما بعد : فيا أيها الإخوة الكرام :

كان إسلام الرعيل الأول من الصحابة أمثال الصديق وعثمان وابن عوف ابتداءً عهد جديد للدعوة، فقد ابتداءً كبير الأنزال أبو جهل وأعوأته يحسّون بالضربات تقمع رؤوسهم وتدفع كثيرين منهم على زيادة اضطهاد المؤمنين لما يرون من نزول الكارثة على الشرك واستعلان الإسلام وازدياد المؤمنين به، ثم وقوف المسلمين صفوفاً مجتمعين بعد أن كانوا فرادى متفرقين، حتى بلغ العدد تسعة وثلاثين.

وتذكر كتب السيرة أن فتى قارب الثلاثين، طويل جسيم، أصلع الرأس، شديد الحمرة، طويل اللحية، يسرع في مشيته متجهاً إلى بيت على الصفا ليلقى رسول الله ﷺ، ويترك الباب فيخرج إليه رسول الله وقد عرف أنه عمر بن الخطاب، وقبل أن يستمر بكلامه أمسك رسول الله بمجامع ثوبه وحمايل السيف، وقال له: ألسنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال، اللهم اهدِ عمر بن الخطاب، اللهم أعزِّ الدين بعمر بن الخطاب.

وبهذه الهزة تساقط من عمر كلُّ جزء من الإشراك والكفر، فإذا به ينزع عنه لباس الكفر ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله (الله أكبر، الله أكبر)، هكذا كبر فكير المسلمون في الدار تكبيرة سمعت بطرق مكة المكرمة.

وعندها قال سيدنا عمر رضي الله عنه:

. يا رسول الله! ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟.

قال: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم.

قال عمر: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن إلى البيت الحرام .

قال: فخرج رسول الله بين صفيين حمزة في أولهما (وكان قد أسلم قبله بثلاثة أيام)، وعمر في أول الصف الثاني، ودخلوا المسجد الحرام وهم ينادون: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فتحفظت قريش لكي تقوم فرأوا سيدنا حمزة وسيدنا عمر أول الصفيين، ونادى سيدنا عمر: من تحرك منكم لا مكنن سيفي من عنقه، فطاف رسول الله ﷺ وصحبه حول الكعبة ونظرت إليهم قريش فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. فسماه رسول الله "الفاروق" فرق الله به بين الحق والباطل.

وهكذا ظهر الإسلام، وسارت به الركبان، بل بشر به الإنس والجان والحيوان. فقد روى الترمذي بإسناد حسن، وصاحب الإصابة وأسد الغابة في تراجم الصحابة أن ذئباً

غار على نعاج فاخطف نعجة، فأسرع الراعي واستردها منه، فإذا بالذئب يقعى على ذيله ويقول:

. عجباً تأخذ مني رزقاً ساقه الله إلي .

فقال الراعي: ذئب يتكلم !، هذا أعجب ما رأيت اليوم؟!

فقال الذئب: أدلك على أعجب من ذلك؟.

قال الراعي: وما هو؟.

قال: رسول الله بين أظهركم ولا تؤمنون به !؟.

فقال الراعي في نفسه: يا ليتني أجد من يحرس الغنم لأذهب إلى هذا النبي.

فأنطق الله الذئب وقال: اتركهم، فأنا أحرسهم لك.

فذهب الراعي إلى مكة وسأل عن رسول الله فدلوه عليه، فلما دخل على رسول الله

قال له النبي:

- أين تركت غنمك؟ إنه راع أمين.

فقال الراعي: أشهد أنك رسول الله وما سمع هذا إلا أنا والغنم.

فلما عاد الراعي إلى الغنم وجد الذئب يحرسها فأعطاه نعجة مكافأة له. (فصلوا على رسول الله).

هذا لمن أراد الله له الهداية فإنه ينطق له الصخر ليهتدي، أما كفار قريش فكان الحال مختلفاً، إذ أنهم حاربوا الشريعة السمحة بطرق ثلاث مع اضطهادهم للمؤمنين:

الطريق الأولى: محاولة استمالة النبي المصطفى ليمنعوه من الجهر بدعوته.

الطريق الثانية: محاولة إعجازه أو إظهار أنه ضعيف فيما يدعو إليه.

الطريق الثالثة: الشكوى منه لعمه أبي طالب.

على الرغم من أنهم يعلمون حق العلم أن ما جاء به رسول الله هو حق وصدق من

عند الله لا مرية فيه، فهذا هو النضر بن الحارث يقول:

. يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتهم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم.

وقلتهم كاهن، والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم.

ثم قلتهم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها.

ثم قلتهم مجنون، ما هو بمجنون، فما هو بخلطه ولا وسوسته، ولا تخليطه، فانظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

معشر السادة : هذا الكلام كانت قريش تعرفه وتحسّه ، فهم لبُّ العرب وكبارهم

وفصحائهم، لأجل هذا اجتمعوا وتداولوا وأرسلوا من ينوب عنهم ليلقى النبي الكريم ليسمع منه ويعرض عليه ما تلين به قلوب أهل الدنيا ويرضاه أنذال الكفر:

١- عرضوا عليه الشرف، ليكون السيد المطاع فيهم.

٢- وعرضوا عليه الملك ليكون ملكهم والمتصرف في أمرهم.

٣- وعرضوا عليه الأموال والكنوز ليكون أكثرهم مالاً .

وكما تعلمون يكفي أن يعرض أحد هذه الأمور الثلاثة على واحد في هذا العصر ليترك كل شيء في سبيل هذا اللاشيء لأنه عرض زائل وأمر حائل.

ولكن سيدنا رسول الله رفض كل ذلك، فظنوا أن في عقله خبل لأن هذا لا يرفضه عاقل (بمنطقهم المادي)، فعرضوا عليه أن يأتوه بالأطباء ليعالجوه، فلما انتهوا تلا عليهم رسول الله الآيات التالية التي نزلت عليه ساعتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين..﴾ حتى وصل إلى قوله تعالى:

﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ .

فإذا برجل من كفار قريش يضع يده على فم النبي ويقول: أسألك الرحم يا محمد لا تفعل، أسألك الرحم كفّ عن هذا.

أرأيتم . أيها الاخوة . إنهم يعلمون مدى صدق رسول الله، فخافوا أن ينقذ ما يتهدّدهم به.

وهكذا كانت الآيات تنزل تترى متتالية كالحمم تفرع رؤوس الوثنية واحداً واحداً.

وضاقت قريش بهذا فاجتمعوا ثانية ، وبعثوا إليه ليقدم عليهم هذه المرة وليجادلوه جدالاً عقيماً ليظهروا عجزه أمام العرب. وأسرع رسول الله وهو يظن أن قد بدا لهم أمر ليؤمنوا وكان على رشدهم حريصاً، وقد أنزل عليه ربه:

﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ .

وجلسوا إليه مجلساً التفت من حولهم قريش، ثم قالوا له:

- يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت العقول والأحلام، فإن كنت إنما جئت بهذا تطلب مالاً جمعنا لك لتكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد مُلكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجن بذلنا لك أموالنا في الطب حتى نبرئك أو نعذر فيك.

قال ﷺ: - ما بي ما تقولون، ما جئتمكم بما جئت به أطلب أموالكم والشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم فإن قبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي الأمر فالله يحكم بيني وبينكم.

- قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل ما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق منا بلاداً، ولا أقل ماءً، ولا أشدَّ عيشاً، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق. وليبعث لنا من مضى من آبائنا، ففسألهم عما تقول أحق هو أم باطل، فإن صدّقوك وصنعت ما سألناك صدّقناك وعرفنا منزلتك من الله.

فقال ﷺ: ما بهذا بعثت إليكم.

فسأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر ففرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما، فقال رسول الله: اشهدوا.

فقال كفار قريش: سحرهم ابن أبي كبشة.

فقال رجل منهم: إن كان محمد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر، فأتوهم فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. فقالوا: سحر مستمر.

قالوا: فأسقط علينا كِسْفًا (قطعاً) من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ذلك.

فقال رسول الله: ذلك إلى الله إن شاء فعله بكم.

قالوا: يا محمد لقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن، وإننا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً.

فقال عبد الله ابن عمته عاتكة (والذي أسلم قبل فتح مكة):

- لم يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم؟! ثم سألك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنني أصدقك.

أترون- أيها الاخوة- جدل وخصام وتعجيز. بل قال جماعة من كفار قريش:

- يا محمد هلم فلنعبد معاً (تعبد أنت آلهتنا يوماً، ونعبد نحن إلهك يوماً)، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى فيهم:

﴿ قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. (أي الآن). ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد (فيما بعد) لكم دينكم ولي دين ﴾ .

ثم قام عنهم سيدنا النبي وهو يدعو عليهم: « اللهم ابعث عليهم سنين سبعاً كما بعثتها على قوم يوسف ». وأنزل الله تعالى عليه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ، فكانوا في قحط وجذب سبع سنين.

وبعد أن غادر رسول الله ﷺ مجلس كفار قريش قام كبير الأندال أبو جهل وقال:

- يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحمالنا وآرائنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر لا أطيق حمله فإذا سجد في صلاته ضربت رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

قالوا:- والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً ثم جلس ينتظر سيدنا رسول الله، فلما جاء صلى إلى بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، ووقف يصلي، ووقفت قريش تنظر أبا جهل ما هو فاعل.

فما أن سجد رسول الله حتى احتمل أبو جهل الحجر ورفع له ليلقيه فتيست يده وامتنع وجهه وقذف الحجر بعيداً وأسرع منهزماً مرعوباً، فتداركه رجال قريش قائلين:

- ما بالك وقد عزمت يا أبا الحكم؟.

فقال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم فإذا بفحل (من الإبل) ما رأيته مثله فتح فمه

يريد أن يأكلني.

فقال العاص بن وائل:- دعوه يا رجال قريش فإنه أبتّر (لا عقب له) وإذا مات استرحتم منه.

فأنزل رب العزة جل وعلا: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

فقال الصحابة: وما الكوثر الذي أعطاك الله يا رسول الله؟.

قال: نهر ما بين صنعاء إلى بصرى عليه آنية بعدد نجوم السماء وَعَدَنِيهِ رَبِّي.

وفي رواية: «من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً» .

اللهم ارزقنا شربة منه لا نظماً بعدها أبداً، فمن هو الذي يرد حوض المصطفى؟.

اسمعوا الحديث وصلوا على الحبيب :

« إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة».

فصلّوا عليه وسلّموا تسليماً .





الحلقة (١٠)

الحصار وموت النصيرين والهجرة إلى الحبشة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً. ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً. خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحققها بالملكاه وأخرجهم إلى دار الامتحان ليلوهم أيهم أحسن عملاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفیه وخلیلہ، وأمینہ علی وحیہ، وخیرتہ من خلقہ، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على عباده أجمعين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، صلاة دائمة دوام الليل والنهار كما صلى الله عليه في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن ملف البعثة النبوية يجعل النفوس تشرق والقلوب تبتهج، والصدور تنشرح، وما هذا إلا لأن ذكرى الرسول العربي تعيد للنفوس اليائسة الأمل، وتطرد عنها اليأس، ونحن أمة العرب والإسلام على الخصوص - ولا سيما في هذه الظروف الحالكة السيئة التي تمر بها الأمتين الإسلامية والعربية إننا بأمس الحاجة إلى أن نعيد النظر بدقة وتأمل في

تاريخ منقذ العرب ورسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ لنأخذ من هذه السيرة المشرفة العظة والعبرة، ولنستلهم منها العزم والصمود، ونطرح اليأس والاستسلام.

معشر الإخوة الكرام :

إن قائدنا الأعظم لم يضعف ولم يستكن، بل لم ترهبه قریش كلها، بل لم ترهبه دول الأرض إذ ذاك، وقد وقفت من وراء قریش تناهض دعوته وتعاود رسالته، وتؤذي المؤمنين.

وفي مثل هذا الموقف الثابت الصامد تتميز الأمم والشعوب، ويظهر سرّ العظمة في الزعماء والقادة، وما أجددنا، ونحن ندرس سيرة المصطفى ﷺ - أن نستمد العظمة والعزة والقوة من سيد الزعماء وبطل الأبطال وصانع القواد سيدنا محمد ﷺ .

إننا في القسم الثاني من ملف السيرة، وفي الصفحة الثانية من ملف البعثة، فقد:

سعدت ببعثة أحمد الأزمان وتعطرت بعبيره الأكوان
والشرك أنذر بالنهاية عندما جاء البشير وأشرق الإيمان

هَبَّ رسول الله ليصدع بأمر ربه وينشر تعاليم دينه، ووقف وحده: أهله وعشيرته على خلاف ما جاء به، والفرس والروم وكل شعوب الأرض ترى مالا يرى .

هذا هو موقف النبي الكريم، وموقف العالم تجاه دعوته.

أما رسول الله فكان يوقن تماماً بأنه لا بد لهذه الدعوة من رجال مخلصين مؤمنين بها ويخلصون لها، ويكافحون في سبيل نشرها وتبليغها، لذلك بذل كل ما في وسعه من جهد في إقناع أهله الأقربين بصدق دعوته، وصحة رسالته، وهنا- وكما تفعل الكلمة الطيبة- بدأت القلوب الصافية الطاهرة، تشعر بهذا الحق الأبلج وشعرت العقول السليمة بصحة هذه التعاليم السامية. أليس هو يدعو إلى الإيمان بالله وحده، أليس هو يدعو إلى تحرير الإنسان من عبادة الإنسان، أليس هو يدعو إلى مكارم الأخلاق،

إنها دعوة بريئة من كل مصلحة، إنه لا يريد أن يرشح نفسه لمنصب رئاسة أو وزارة، بل الهدف هو المؤاخاة بين الناس دون تفريق بين أبيض وأسود، وشامي وحجازي، وحليبي ودمشقي، من غير تمييز بين أمير ومأمور، وحاكم ومحكوم وغالب ومغلوب، والهدف هو الله، والله وحده.

وكانت عقب هذه العملية عملية التآخي بين كل المؤمنين بعضهم مع بعض حتى نزول الفوارق بين أصحاب البيت المسلم.

يقول ابن عبد الله: « كانت المؤاخاة مرتين : مرة بين المهاجرين خاصة، وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار ».

وهنا تبدأ معاقل الكفر والوثنية مناهضتها، فمنعت الطعام والشراب عن النبي وصحابته بل وبني هاشم أجمع، ومنعت البيع والشراء معهم، وأعلنت عليهم قريش حرباً أهلية لا ترحم، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علّقت في جوف الكعبة، بل أبعدتهم إلى أرض لأبي طالب كانت تسمى شُعب أبي طالب، ليتم الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

عانى المسلمون - ومعهم أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها - من الحر والقرّ والجوع والعري حتى مضغوا الجلود، لكنهم بقوا صامدين، لم يبالوا بمنع المواد التموينية عنهم، ولا بظلم كفار مكة ومشركيها، لأن الإسلام علّمهم: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ... ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ .

وبعد ثلاث سنوات فشل الحصار أمام ذلك الإيمان الراسخ، وانتصرت القلة المؤمنة الغزلاء أمام جبروت الوثنية وجموع القرشيين ذوى العدد والعدة.

وجاء الإذن بالهجرة إلى الحبشة فهاجر من هاجر، وحاولت قريش إعادتهم إلى مكة من الحبشة لكنها فشلت كما فشل الحصار من قبل وخاب مسعاها في ذلك ﴿والله غالب على أمره﴾.

وغادر قسم إلى بيوتهم في مكة، ومن هؤلاء الذين غادروا السيدة الطاهرة التي تذوقت مع سيدنا النبي أهوال الحصار المنهك، وراحت تكافح الوهن الذي أخذ يدبّ إلى جسمها منذ أن جاوزت الستين، وهكذا وبعد الحصار عادت إلى بيتها، وقد نال منها الإعياء واستنفذ الاضطهاد والعذاب ما أبقى لها من قوة، وكانت قد بلغت الخامسة والستين، وجلس رسول الله إلى جانبها لا يفارقها حتى أسلمت الروح بين يديه، وراحت دموع النبوة تسيل على خديه حزناً على هذه المرأة المخلصة التي كانت وزيرة صدق على الإيمان ثم أنجبت أولاده كلهم، ثم هي التي أرسل إليها رب العالمين السلام مع سيدنا جبريل فقال (ق): « اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » .

وهي أول من آمن به ﷺ وشهد لها رسول الله ﷺ فقال: (ق).

« كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » و « خير نساء الأرض والسماء مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد » .

مرت هذه الفضائل كلها في ذهن السيد الأعظم وهو يشيع السيدة الأولى في الإسلام إلى مثواها الدنيوي، بينما أعلنت جنان الفردوس طوائرها لاستقبال زوجة سيد النبيين وإمام المرسلين، وفي مدفن الحجون في مكة نزل رسول الله في حفرتها ودفنها بيده الشريفة ﷺ .

وكان وفيّاً لذكراها حتى وبعد تزوجه من نسائه جميعاً، ولم ينقطع عن صلة صديقاتها بعد وفاتها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يرسلها إلى صديقاتها، وربما كان لا يخرج حتى يذكرها ويحسن الثناء عليها فتغضب السيدة عائشة، فيقول لها: إني رزقت حبها.

وربما أدركت السيدة عائشة الغيرة فتقول: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها، فيغضب رسول الله ثم يقول:

- لا والله ما أبدلني الله خيراً منها؟ آمنت لي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً.

فكانت هذه الصفات العظيمة للسيدة خديجة مدعاً لاسكات السيدة عائشة حتى قالت: فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً.

وكانت يد القدرة تلاحق عمه أبا طالب بعد انفكاك حصار الشَّعْب ، وجلس رسول الله إلى فراشه وراح يعرض عليه الإسلام مرة تلو مرة، لكن زعماء الشرك لم يتركوه يفعل، ورسول الله يقول له : قل الشهادتين أحاجج عنك بهما يوم القيامة، قلها ولو في أذني.

ولكن أجله لم يمهل فمات دون أن ينطق بالشهادتين.

وحزن رسول الله على موت النصيرين وحَزَنَ الصحابة عليهما حتى سمي هذا العام العاشر بعام الحزن، لاشتداد الأذى على المسلمين الذي ما كان زمن أبي طالب، فقد كانت الدعوة تسير في ظل حمايته، بل إنهم تناولوا على السيد الأعظم حيث اعترضه بعض سفهاء قريش فصَبَّ على رأسه تراباً حتى اختلط بثيابه وشعره، فدخل بيته وراح ينفض عنه آثاره ورأته ابنته فراحت تساعدته وهي تبكي، والنبي يهدئ من روعها ويقول لها:

- لا تبكي يا بنية فإنَّ الله مانع أباك.

لكن الدعوة- أيها السادة- لم تتوقف بموت النصيرين، ولعلها حكمة ربانية ليظهر حقيقة واحدة أن الحماية والتأييد والنصر لا يكون إلا من الله تعالى الذي أنزل على رسوله ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون ﴾.

وليس معنى النصر والدعم والتأييد ألا يتعرض رسول الله مع أصحابه أثناء سير الدعوة إلى محن وفتن واستهزاء من كفار قريش، لأنَّ طريق الدعوة محفوف بالأشواك والمكاره وهذه سنة الله في الدعوة.

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ .

وليكون عَزَاءُ أهل الدعوة أَنهم يذوقون مما ذاقه رسول الله، وأنهم يسيرون في الطريق ذاتها التي أُوذِيَ فيها رسول الله، ولكن في النهاية سيكون النصر حليفاً للمسلمين، مهما جرى، ومهما طال الزمن لأن ربَّ العزة حكم وكتب ﴿ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ . فهو الذي يقول:

﴿ ولقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ﴾ .

فليعلم العالم، ولتعلم الدنيا أن العاقبة للمؤمنين، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

إخوتي في الله :

بعد انتهاء فترة الحداد على النصيرين، وبقاء أولاد سيدنا النبي ﷺ بدون أم ترعاهم تقدّمت الصحابية الجليلة خولة بنت حكيم السُّلمية وسعت إليه ذات مساء متلطفة مترفقة تقول: - يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك حُلَّةً (حاجة) لفقد خديجة؟!

فأجاب رسول الله: أجل، كانت أمّ العيال ورَبَّةَ البيت.

وهنا فاتحته في الزواج ليجد الرعاية والراحة، ولتجد طفله اليتيم السيدة فاطمة وأخواتها الرعاية والخدمة ، فنرى خولة تقترح عليه الزواج بأرملةٍ عجوز كسيرة الفؤاد هي السيدة سودة بنت زمعة القرشية العامرية، أرملة السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو من بني عامر، وكان زوجها من أوائل الذين هاجروا إلى الحبشة بعد اشتداد العذاب على المسلمين، ثم عادوا إلى مكة بعد أن وُشِّيَ إليهم بإسلام أهل مكة، فإذا بهم يجدون أن قريشاً زادت من وطأة العذاب على المسلمين.

ويموت زوجها السكران، وتبقى سودة مهیضة الجناح، معرّضة للنكال من قبل أبيها الذي كان على الشرك، فلا سند ولا معيل.

سودة بنت زمعة التي عانت من محنة الاغتراب إلى الحبشة، ومحنة الترميل ومحنة التعذيب من أهلها، فكان واجب المسلمين المستضعفين أن يضم رجل مسلم مثل هذه الأرملة المهتدة في دينها ، المطعونة في طمأنينتها، المستوحشة بفقدان عشيرتها، فكان أولى الناس بضم مثلها مَنْ لا زوجة له مثل سيدنا رسول الله ﷺ .

إخوة الإيمان :

تذكروا هذا أن رسول الله ﷺ تزوجها لتكون مدبرة لبيته ومربية لأولاده، لا لتكون متعة حسن ولذة مضجع، تزوجها لتكون في كنفه، وتنعم بظله وعطفه، ولتجد في هذا الزواج من سيدنا الرسول شرفاً وعزاً، وعاصماً من النكال والردة، ولتحل بين أبناء دينها الجديد أرفع مكانة تصبو إليها المرأة المسلمة «مكانة أم المؤمنين» .

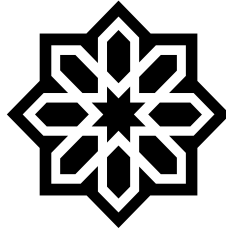
ونزل سيدنا جبريل على السيد الأعظم ومعه قطعة حريرية وقال له : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة، ففتح رسول الله القماش فإذا هي صورة السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وكانت صغيرة، فقال رسول الله ﷺ إن يك هذا من عند الله يحضه أي ينفذه بسرعة.

أيها السادة :

في هذا الزواج يتبين لنا أن رسول الله بقي على زواج واحد من سن الخامسة والعشرين إلى سن الخمسين، وهو لم يتزوج على السيدة خديجة حتى توفيت، وها هو يتزوج ثانية من امرأة تناهز الخمسين لتربي أولاده.

وفي هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه من المبشرين والمستشرقين وعبيدهم الذين يسرون في درهم ينعمون بما لا يسمعون، ويحاولون أن يصوروه في صورة الرجل الشهوان الغارق في لذة الجسد، العازف في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح.

ولو كان كذلك لكان أخرى به أن يستجيب للوטר والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي ما بين سن العشرين إلى الخمسين، ولكنه خلال هذه الفترة لم يتزوج إلا امرأة واحدة فهو الطاهر المطهر والطيب المطيب الذي وصفه ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾. فصلوا عليه وسلموا تسليماً.



الحلقة (١١)

الإسراء والمعراج

الحمد لله الذي أسرى بعبدہ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وشق له صدرًا، وعرج به إلى ما شاء الله وأراه من الآيات الكبرى ما لا يعد ولا يحصى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال في محكم كتابه: ﴿ ثم دنى فتدلى فكمان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمدًا عبده ورسوله المنزل عليه ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين صدّقوه واتبعوه ففازوا بالبشرى وسلم تسليمًا .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

بذل رسول الله ﷺ كل ما أوتيّه من حكمة في الدعوة إلى دين الله، وفي إنقاذ قومه مما هم فيه من ظلام الوثنية وأوضاع الجهالة، وكان بقي لديه شعاع ضئيل من أمل في أهل الطائف، فذهب يدعوهم إلى الإسلام، وكان معه ولده من التبني سيدنا زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه. ولكنه مع الأسف لم يجد منهم إلا الغلظة والقسوة وإلا الصد والإعراض، بل إنهم أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويقذفونه مع أتباعه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، فأوى رسول الله مع صاحبه إلى بستان ابني ربيعة وقد بدا عليه الحزن والتأثر.

فقد عزّ عليه أن يأتي قومه برسالة السماء، وبسيادة الأرض، وبمفاتيح العالم وكنوز الدنيا ثم لا يلقى منهم إلا الكره والشتيم والإساءة، عزّ عليه ذلك، وأهمه أمر أمته

فالتجأ إلى الله يشكو إليه ويستنصره بكلماته البليغة المستغيثة ، فقال يخاطبه مخاطبة العبد العاجز

الخاضع المتذل بين يدي مولاه:

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

فنزلت نجدة السماء إذ بعث الله إليه ملك الجبال فاستأذنه في أن يطبق عليهم جبلي الطائف، فما كان من أمر رسول الله؟ هل رضي؟ هل انتقم لنفسه؟ لا، أيها الاخوة، بل قال قولة الرؤوف الرحيم: « بل أرجو أن يخرج من أصلاحهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً». (صلوا عليه).

وتحركت شفقة ابني ربيعة على هذا المشهد المؤثر فأمرأ غلاماً لهما نصرانياً يدعى عداس أن يقدم لهما قطفاً من العنب، فمدّ يده رسول الله وقال: بسم الله. ثم أكل صاحبه، فتعجب عداس لهذه الكلمة التي لا يقوها إلا أهل التوحيد، وأخذ يتجاذب أطراف الحديث مع رسول الله حتى عرف أنه من نينوى في الموصل. فقال رسول الله: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: ما يدريك من هو؟ فقال له: ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي. فأكبَّ عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. وهنا تعانقت النصرانية الصحيحة مع الإسلام، لأنَّ الدِّينَ الصحيح من الدين الصحيح كالأخ من أخيه، إلا أن نسب الإخوة الدم، ونسب الدين العبودية لله تعالى.

فكانت المكافأة على هذا الصبر وتحمل الشدائد من جهتين:

الجهة الأولى : أنه أثناء عودته إلى مكة قبيل الفجر وقد قام يصلي مرّ به نفر من الجن استمعوا للقرآن فأمنوا به وولوا إلى قومهم منذرين، لأن الجن عباد مكلفون منهم الذكور ومنهم الإناث، ولا ينكرهم إلا كافر لأنه يكذب بصريح القرآن الكريم الذي كان من آياته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وكانت المكافأة الثانية: دعوة الله سبحانه لنبيه الكريم في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وقبل الهجرة بسنة أي سنة ٦٢٢ م، هذه الدعوة المعزّة المنظمة من رب العزّة التي انفرد بها سيدنا محمد ﷺ من بين جميع الأنبياء ليظهر فضله ويعلي شأنه ويريه من آياته الكبرى وعجائب مخلوقاته العظمى، حيث أتاحه الأمين سيدنا جبريل كما في رواية الإمام أحمد ومسلم:

«ففرج صدره الشريف ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره ثم أطبقه. ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البراق باحتفال مهيب قام به النبيون والمرسلون والملائكة المقربون كلهم قاموا على أرض المسجد الأقصى صفوفاً صفوفاً يستقبلون القادم العظيم، ويحيطون به إحاطة الشهب بالبدر أو كالجند بالعلم.

فكأن الله سبحانه يقول لمصطفاه: تعال إلينا لنريك ما لم نره أحداً من العالمين، تعال إلينا لمنحك ما لم يحصل عليه غيرك من المقربين، يا حبيبنا لا تحزن مما نالك من الجاهلين، فإذا كان هؤلاء لا يعرفون قدرك ويحقدون عظمتك ويتمارون في تصديقك فإن أهل السماء هم أعرف بك من أهل الأرض، لا تحزن فلا بد لدعوتك أن تتم، ولا بد لرسالتك أن تنتشر، ولا بد لدينك أن يظهر ولو كرهت الدنيا كلها، وقد وعدنا رسلنا بالنصر، وأنت من أكرم هؤلاء الرسل، وسيتم الوعد ولن يخلف الله وعده رسوله.

فالإسراء والمعراج من أكبر معجزات سيدنا النبي ﷺ بعد القرآن الكريم فقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على أن الإسراء «وهو السير ليلاً» قد حصل لسيدنا النبي، وأسري به من مسجد مكة؛ وهو المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أي بيت المقدس كما قال تعالى في افتتاح سورة الإسراء:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ .

إخوتي في الله : الإسراء إذاً من المعجزات والخوارق للعادات لذلك افتتح الله سبحانه هذه السورة بكلمة "سبحان" التي هي للتنزيه والتعجب، لكي يؤمن المشركون ويُسَلِّمَ الشاكِّون، ويفرح المؤمنون بهذا المجد العالي، وبهذا الشرف السامي، فأراد الله تعالى أن يسري به إلى حضرته ويخصّه بجمال وجهه، وجلال رؤيته، فأرسل إليه رسوله الروح "وهو سيدنا جبريل الأمين" فوافى الحبيب المصطفى ﷺ في مكة وقد نامت عيون العالمين، فشق صدره الكريم، ومأله من الحكمة والإيمان ما ثبت به قواه البشرية وهيباً لمناجاة رب العالمين ورؤية ذاته العلية، ثم ركب البراق إلى بيت المقدس، وصلى فيه بالرسول إماماً فكان لعقد نظامهم مسكاً وختاماً.

ثم رقي من بيت المقدس إلى العالم العلوي على المعراج، وآيات المعراج ذكرها الله تعالى في سورة النجم، النجم الإنساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في المعجزة، فجاب الآفاق بجسده وبروحه كما ثبت عند جمهور العلماء فرأى من الآيات الكبرى ما لا يعد ولا يحصى يقول تعالى:

﴿والنجم إذا هوى. ما ضلّ صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيّ يوحى، علّمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾

وهناك حيث لا زمان ولا مكان مشى على بحر النور حيث سمع قائلاً يقول:
أجلسوه وزجوه في بحري، فجلس جلسة التحيات وشعر بالتجلي الإلهي يحيط به من
كل جانب فقال: التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله، فخطبه ربه مجيباً:
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال ﷺ : السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين، فسمعت الملائكة هذا الحوار النوراني فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمداً رسول الله.

وهناك حيث لا زمان ولا مكان فرضت الصلاة، معراج المؤمن إلى الله تعالى
ليشهد ما حصل لرسول الله في المعراج المبارك، وهناك كانت المناجاة بين الحبيب
وحبيبه، وهناك نال رسول الله لقب الحبيب الأعظم، وجرت بينهما المكاملة المباركة.
فقال له رسول الله ﷺ : اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلّمت موسى
تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً وسخرت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت
سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجن والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح
وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته
يرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم
يكن للشيطان عليهما سبيل.

فأوحى إليه رب العزة:

وقد اتخذتك خليلاً وحبيباً، وأرسلتك للناس كافة بشيراً ونذيراً وشرحت لك
صدرك ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت
أمتك لا تجوز لهم خُطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواماً
قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقاً، وآخرهم بعثاً وأولهم يقضى له، وأعطيتك
سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام والهجرة والجهاد
والصلاة والصدقة وصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحاً
وخاتماً».

وفي هذه الليلة المباركة فرض الله على المسلمين عبادة الصلاة، فرضها خمسين صلاة، فما زال رسول الله يسأل الله أن يخففها حتى أصبحت خمس صلوات في كل يوم وليلة من أداها إيماناً واحتساباً كان له أجر خمسين صلاة.

وهذا فضل الله على أمة سيدنا محمد ﷺ . وقد نزل سيدنا جبريل فعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها.

اخوة الإيمان :

انتشر خبر الإسراء بين قريش فأنكره جبابرة قريش واستعظموه وكذبوه واستهزؤوا به. وقالوا مستبعدين؟ إنا نضرب أكباد الإبل شهراً مصعداً وشهراً منحدراً ثم تزعم أنك سریت إليه في ليلة واحدة ثم أصبحت بين ظهرانينا!!

وأما المؤمنون الصادقون فقد ازدادوا إيماناً مع إيمانهم. ومن هؤلاء سيدنا أبو بكر فقد أتى إليه بعض كفار قريش ليردوه عن الإسلام وأخبروه بخبر الإسراء ليروا موقع ذلك عنده. فقال: - والله لئن كان قاله فقد صدق. فسمي بالصدّيق رضي الله عنه.

فكان مكافأة النبي لصاحبه الصديق عقده على ابنته السيدة عائشة عقداً فقط ليكون ملقباً بلقبين الصديق وعم النبي من زوجه السيدة عائشة رضي الله عنهما.

وهكذا- **معشر الاخوة**- يسمي رسول الله أصحابه بالألقاب الحميدة دلالة على مكانتهم عند الله تعالى، لقب سيدنا عمر بن الخطاب بالفاروق، و لقب سيدنا أبا عبيدة بن الجراح بأمين هذه الأمة، وها هو يلقب سيدنا أبا بكر بالصدّيق رضي الله عنهم أجمعين من أبغضهم لا تصح الصلاة خلفه عند المالكية والحنابلة وتكره عند بقية المذاهب، ومن أحبهم فحب الله ورسوله أحبهم.

اللهم ارزقنا حبك وحباً من يحبك وحب عمل صالح يقربنا إلى حبك.. هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله ﷺ الصلاة والسلام عليك .

الحلقة (١٢)

بيعتا العقبة الأولى والثانية ثم الهجرة

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد. وجعلها دليلاً على وحدانيته لذوي البصائر إلى يوم المعاد، وشرع شرعاً اختاره لنفسه وأنزل به كتابه، وأرسل به سيد العباد، واختار له أتباعاً هم الخيار من العباد فبايعوه فشهد لهم ربّ العزة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِهِمْ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله شهادة ندخرها ليوم التناد.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه صلاة زكية بلا نفاذ، وسلم تسليمًا.

أما بعد : فيا معشر السادة الكرام :

فقد لاقى رسول الله من كفر قريش جحوداً وتكبّراً عن قبول دعوة الرسول للإسلام، فهيأ الله له قبيلتين ترجعان في أصلهما إلى اليمن، نزح أجدادهما منها في الزمن القديم وسكنوا يثرب، ولا غرابة فرسول الله مدح أهل اليمن فقال عنهم إنهم «أرق أفئدة وألين قلوباً». وهاتان القبيلتان: هما الأوس والخزرج .

كان رسول الله يعرض نفسه في موسم الحج كل عام على الحجاج، فقدم رجال من هاتين القبيلتين والتقوا بالسيد الأعظم في مكة، وكان اليهود في المدينة يفاخرون القبيلتين ويقولون: "إنه قد آن أوان نبي آخر الزمان" فلما سمعوا بالسيد الأعظم دخلوا في الإسلام ووعدوه أن يأتوا بإخوان لهم في العام المقبل، حيث لاقوه ثانية في العقبة

الأولى فبايعوه على التوحيد والتعفف من السرقة والزنا وقتل الأولاد، والطاعة في المعروف» وأرسل معهم سيدنا مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويصلي بهم ويعلمهم الإسلام، فكان يسمى بالمقرئ .

وانتشر ذكر رسول الله في يثرب. ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، وخاصة بعد أن أسلم سيدنا سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدان من الأوس، بل أسلم بنو عبد الأشهل جميعهم.

وفي العام المقبل قدم سيدنا مصعب بن عمير إلى مكة في موسم الحج ومعه جماعة من الأنصار، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فاجتمع بهم السيد الأعظم ومعه عمه العباس (وكان على دين قومه)، وتمت بيعة العقبة الثانية.

وهنا ترد الإجابة عن السؤال الذي يخطر في أذهان كثيرين؛ لماذا استقر رسول الله في المدينة المنورة بعد فتح مكة، ولم يعد إلى سكنه في مكة، فهذا درس في الوفاء لا مثيل له، لأن الأنصار الذين بايعوه على أن: يمنعوه مما يمنعون به نساءهم وأبناءهم سألوه: «إذا نصره الله تعالى ألا يدعهم ويرجع إلى قومه» واستوثقوا منه حتى قال لهم:

- أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم.

كان هذا العهد منه ﷺ سبباً في سكنه المدينة واستقراره فيها، وتعليماً لنا لكي نفني بعهودنا ووعودنا، ونكون عند حسن ظن نبينا بنا.

وهنا تبدأ الهجرة في سبيل الله تعالى إلى يثرب، بعد أن بدأت إلى الحبشة من قبل، ولكن بنسبة أكبر، حيث أذن النبي الكريم لصحابته بالهجرة ليلحقوا بإخوان لهم من الأنصار، وهرباً من أذى كفار قريش المناهضين للدعوة. فكان الواحد منهم لا يحبذ البقاء في مكة ولو اضطر أن يترك امرأته وابنه وماله كله في سبيل الله تعالى، كما فعل سيدنا صهيب لما أراد أن يهاجر قال له كفار قريش:

- أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك!!.

- فقال أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟.

قالوا: نعم. قال: هو لكم.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيبي، ربح صهيبي.

وهاجر كثير من الصحابة، وخلّفوا أموالهم ويوتهم في مكة، وكانوا يهاجرون خفية، أما سيدنا عمر رضي الله عنه فعندما أراد أن يهاجر وقف بجوار البيت الحرام وأعلن على

الملا: - إني مهاجر، فمن أراد أن تشكله أمه، ويستم أولاده فليلقني وراء هذا الوادي.

فلم يتخلف في مكة مع سيدنا رسول الله ﷺ إلا المحبوس والمفتون وسيدنا الصديق وسيدنا علي رضي الله عنه، فلما وصل الأمر إلى هذا الحد عقدت قريش مؤتمر الحرب في دار الندوة، فاجتمعوا ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين على أن يجمعوا من كل قبيلة رجلاً ليقضوا على الدعوة في شخص سيد الأنبياء، فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل.

وكان الله لهم بالمرصاد إذ أمر نبيه بالهجرة وأن يصحب معه الصديق. وأمر ﷺ سيدنا علياً أن ينام في فراشه وأن يسجى ببردته، وطمأنه بأنهم لن يخلصوا إليه بشيء يكرهه، وأمره برد الودائع لأهلها التي كان مؤتمناً عليها من قبل القرشيين.

وخرج رسول الله ﷺ، وهم على بابهم ينتظرون خروجه لصلاة الفجر، وتلا عليهم آيات من كتاب الله فأعمى الله أبصارهم عنه، وانطلق إلى غار ثور، والصديق يمشي تارة أمامه، وتارة خلفه خوفاً عليه، والتفت رسول الله ﷺ إلى مكة، فتدفقت عاطفته الإنسانية، وحبه الإيمان لها فقال يخاطبها:

- ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك.

وتابعا سيرهما حتى وصلا إلى غار ثور ودخلاه، فأرسل الله العنكبوت فنسجت بين

الغار والشجرة التي كانت قرب الغار، فسترت رسول الله وصاحبه، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا حتى وقعتا بين الغار والشجرة.

روى أن الله تعالى قال لسيدنا جبريل وميكائيل:

« إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فمن يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة. فقال لهما:

- هلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد فأثره على الحياة وفداه بنفسه، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فهبطا إلى الأرض ووقف جبريل عند رأسه وميكائيل عند قدميه يحرسانه حتى الصباح، وهما يقولان:

- بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، فإن الله يباهي بك ملائكته » .

وحين أفاق القوم من غفلتهم التي ألقاها الله عليهم نظروا من شق الباب فرأوا سيدنا علياً مسجىً يُبُرد رسول الله فظنوه رسول الله ﷺ فدخلوا عليه ورفعوا الغطاء فوجدوا سيدنا علياً نائماً فخرجوا وانقلبوا خائبين وركبوا سروجهم وانطلقوا في البحث عنه، حتى وصلوا إلى الغار فرأوا العنكبوت والحمامتين فأعمى الله أبصارهم عن الغار، وحبس الصديق أنفاسه خوفاً لا على نفسه ولكن على السيد الأعظم، ورأى رسول الله الخوف في عينيه فقال له:

- يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. فأنزلها الله آية في كتابه الكريم:

﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

ومكثا في الغار ثلاث ليال، وكانت السيدة أسماء بنت الصديق تأتيهما بالطعام وأخوها عبد الله يأتيهما بأخبار كفار مكة.

وجعلت قريش حين يئست من العثور عليه ﷺ لمن يرده مئة بعير، فحمل سراقه بن مالك بن جعشم الطمع على أن يتبعه حتى وجده مع صاحبه، ومعهما عامر بن فهيرة

ودليل من المشركين، فكان كلما اقترب منهم تغوص به فرسه في الأرض مرة بعد مرة حتى أيقن أن رسول الله في حماية الله تعالى وأنه ظاهر لا محالة، فطلب الأمان من رسول الله فكتب له عامر بن فهيرة أماناً في عظم أو رقعة.

وهنا تقع معجزة من معجزات سيدنا النبي ﷺ إذ نظر رسول الله ﷺ إلى اليوم البعيد الذي يطأ فيه أتباعه تاج كسرى وعرش قيصر ، ويفتحون خزائن الأرض فتنبأ في هذا الظلام الحالك والقوم يطاردونه ويتبعون آثاره بهذا النور الباهر، فقال لسراقة: - كيف بك إذا لبست سواري كسرى.

وصدق رسول الله ﷺ ففي عهد الفاروق جيء إليه بسواري كسرى فلبسهما فقال له عمر: « قل الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم). وراح يرددّها وهو يطوف في المدينة والناس من حوله، وكان يوماً مشهوداً .

وهكذا- أيها الاخوة- ترى عين النبوة البعيد قريباً لأن ﴿الله لا يخلف الميعاد﴾ .

سار رسول الله ﷺ مع صاحبيه ودليل المشركين على أرض الصحراء ليبارك بخطاه هذه الأرض والتي طابت بلقيا رسول رب العالمين، ولتحل البركة في ديار كل من يلقاه، فكان ممن لقيه أم معبد الخزاعية فاستسقاها فلم تجد ما تسقيه فقالت له: ما عندنا إلا هذه الشاة خلفها الهزال والجهد عن الغنم.

فمسح رسول الله ﷺ بيده الشريفة ضرعها وسمى الله ودعا فدرت الحليب بإذن الله تعالى فسقاها وسقى أصحابه حتى رووا ثم قال: ساقى القوم آخرهم شرباً. فشرب، ثم حلب الشاة ثانية بيده المباركة، وتركها متجهاً إلى قباء أولى منازل من يثرب التي ستسمى المدينة المنورة حينما ينورها سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام بإقامته فيها.

فلما رجع أبو معبد ورأى الإناء مليئاً بالخليب استغرب وتعجب، فسألها فقالت:
إنه مرّ بنا رجل مبارك كان من شأنه كذا وكذا، فقال: والله إني لأراه صاحب قریش
الذي تطلبه.

معشر السادة :

"إن الهجرة ليست هرباً من الشدائد، ولا من مواجهة الأخطار، إنما هي فتح جديد
في حياة النضال والكفاح واعداد مركز لدحر الظالمين، وقمع المعتدين، ورحم الله
القائل:

سأصرف وجهي عن بلاد أرى بها لساني معقولا وقلبي مقفلا
وإنّ صريح الحزم والرأي لا مرئ إذا بلغته الشمس أن يتحوّلا»^٢

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم
وتحيتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.



(^٢) من كتاب مولانا الشيخ أحمد المحاميد من وحي المنبر ص ٧٦

الحلقة (١٣)

الأيام الأولى دروس من الهجرة في يثرب

الحمد لله على جزيل نعمائه، أحمده على جليل آلائه، وأشكره على جميل بلائه.

وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أعدّها يوم لقائه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله سيد رُسله وخاتم أنبيائه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأصفياه، وسلم
تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

كانت الهجرة إلى يثرب فرجاً للمسلمين مما يلقونه في مكة من المشركين من ألوان
الهزء والسخرية، ولكنها كانت أيضاً امتحاناً صعباً اجتازه المسلمون بنجاح باهر حيث
تركوا وطنهم الأم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم في سبيل الهجرة إلى الله تعالى.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار
الإسلام، من دار يعصى الله عز وجل فيها إلى دار يطاع فيها رب العزة، من دار لا
يستطع المسلم فيها أن يقيم الشعائر الإسلامية إلى دار يقوم فيها بالطاعات والعبادات
بكل حرية ويقيم فيها حكم الله في الأرض.

إنّ الهجرة إلى يثرب تعني وجوب نصره المسلمين بعضهم بعضاً مهما تباعدت
ديارهم وبلادهم ما دام ذلك ممكناً ، لأن فقهاء الإسلام بينوا في الأحكام الفقهية
الجهادية أن على المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين من إخوانهم في الأرض

ثم لم يفعلوا ذلك فقد باؤوا بإثم كبير وذنب عظيم. يقول أبو بكر بن العربي في كتابه أحكام القرآن:

«إذا كان في المسلمين أسرى أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددها يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم من ذلك».

إخوتي في الله : إن من دروس الهجرة أنه لا قيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال وأن الله عز وجل جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء.

أما الأنصار رضي الله عنهم الذين نصرُوا وآووا المهاجرين في يثرب فإنهم لم يتبرموا بإخوانهم المهاجرين ، بل إنهم فرحوا بهم وبالهداية التي دخلت كل دار من دور الأنصار، وزاد من فرحهم ونشوتهم أنهم سمعوا أن سيدنا رسول الله قد توجه نحو ديارهم فكان لفرط حُبهم لهذا النبي الكريم ينتظرون مجيئه كلَّ يوم حتى تغلبهم الشمس فيدخلون بيوتهم من شدة الحر، فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته خرج على أثرها الأنصار من دورهم وهم لا يملكون أنفسهم من شدة فرحهم بلقيا السيد الأعظم قائد الأمة، فراحوا يلتفون حوله وحول الصديق لا يعرفون أيهما رسول الله، فانتبه سيدنا أبو بكر، فرفع رداءه يظله من حرّ الشمس، فأقبلت الناس تزدهم على سيدنا رسول الله ﷺ.

وخرجت العواتق من فوق البيوت يترأينه يقول سيدنا أنس فما رأينا منظرًا أبهى منه. (أحمد). وزاد الدارمي عنه: «فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا».

وراح الناس من شدة فرحهم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد،

الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد (خ).

يقول البراء بن عازب - وكان حديث السن: قدم النبي فما رأيت أهل المدينة فرحوا
لشيء في حياتهما كفرحهم بقدوم رسول الله، وكانت بنات الأنصار ينشدن في سرور
ونشوة:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادع الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع

وأقام رسول الله في قباء أربعة أيام أسس فيها مسجداً، وخرج يوم الجمعة فأدركته
الصلاة في بني سالم بن عوف فكانت أول جمعة صلاها هناك.

ومرَّ سيدنا رسول الله في سكك المدينة وكان المستقبلون يطلبون منه الإقامة لديهم،
ويعسكون بزمام الناقة، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

وحين مرَّ في بني النجار سمع الجواري يضربن بالدفوف ويقولن:

نحن جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

حتى بركت الناقة بجوار بيت سيدنا أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد، فأقام عنده
في الطابق الأرضي ثم العلوي، وهو لا يملك نفسه من شدة الفرح بما أنعم عليه من
هذه النعمة الكبرى.

وتكشف لنا كتب الحديث والسيرة شدة محبة سيدنا أبي أيوب الأنصاري وزوجه
لسيدنا رسول الله حيث كان يرسل له الطعام فيأكل منه سيدنا رسول الله ثم يرد فضله
إليهما، فكانا يتيممان موضع أكله ﷺ وآثار أصابعه يتغيان البركة، وقد روى البخاري
ومسلم صوراً كثيرة من تترك الصحابة بآثار رسول الله والتوسل بها للاستشفاء أو
التوفيق من الله تعالى:

إذ كانت السيدة أم سلمة تحتفظ بشعرات لسيدنا رسول الله في قارورة لها فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عين أو أذى أرسل إليها إناءً فيه ماء جعلت الشعرات في الماء، ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك.

وعند الإمام مسلم: كان سيدنا رسول الله حين ينام على فراش إحدى محارمه وهي أم سليم يعرق ويسقط عرقه على قطعة جلد على الفراش، فتأتي أم سليم لتنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، فأفاق مرة رسول الله ﷺ ، فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟.

ف قالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت.

بل كان الصحابة أنفسهم فيما يرويه الشيخان: يستبقون إلى فضل وضوئه للتبرك به.

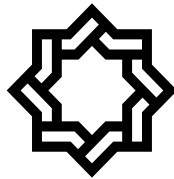
فإذا كان هذا شأن التوسل بآثاره الحسية فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله جل جلاله.

« اللهم إنا نتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا سيدي يا رسول الله نتوجه بك إلى الله في أن يفرج عن جميع المسلمين في أصقاع الأرض أجمعين » .

فما هي الأمور الهامة التي قام بها سيدنا رسول الله القائد الأول لهذه الأمة عند مقدمه

إلى يثرب التي أصبحت تسمى المدينة المنورة حينما نورها رسول الله بوجوده؟.

هذا سؤال أتركه لوقفه أخرى على منبر سيدنا رسول الله ﷺ ، وأدعكم لتستغفروا رب العزة لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.



الحلقة (١٤)

اللبنة الأولى

بناء المسجد

الحمد لله الذي رفع منار الإسلام بما أقامه في الأرض من شعائر الإسلام، وجعل منها المساجد، بما يذكر الله وحده آناء الليل وأطراف النهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأبرار ، وما حي الكفر والكفار ، قال لنا: « من بنى لله مسجداً كمفحص قطاه بنى الله له بيتاً في الجنة ».

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

كانت هجرة السيد الأعظم إلى المدينة المنورة بدء عهد جديد لدولة الإسلام الأولى بقيادة القائد الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، وبعد أن استقرّ في بيت أبي أيوب الأنصاري سارع إلى أمور ثلاثة هي من الأمور الهامة لبناء الدولة:

أولها وأهمها: بناء المسجد.

وثانيها: دستور ينظم العملية الحياتية.

وثالثهما : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

فلم تكن الناقة بوقوفها أمام دار أبي أيوب لكي ينزل رسول الله عنده فقط، بل كانت إشارة لبناء المسجد النبوي في تلك البقعة المباركة ، لذلك كان رسول الله يقول للأَنْصار حين يمسكون بزمامها: دعوها فإنها مأمورة.

بركت الناقة بجوار مرید للتمر اتخذهُ أسعد بن زرارة مصلي يصلي فيه مع أصحابه قبل الهجرة النبوية، فدعا رسول الله صاحبي المرید وهما غلامان يتيمان أردا أن يهبها المرید لله ورسوله ، فأبى الرسول الكريم إلا أن يشتريه منهما، فكان ثمنه عشرة دنانير. وقد اشتراه رسول الله منهما وهما صغيران ليسا أهلاً للتصرف لأنه ولي المسلمين جميعاً وسيدهم والمتصرف بأمر الله تعالى فيهم.

وقد علم رسول الله أنَّ أواصر المحبة بين المسلمين لا تكون إلا بتلاقيهم مرات يومياً لتتساقط فيما بينهم فوارق الجاه والمال، ولتشيع بينهم روح المساواة والعدل في أحوالهم وشؤونهم، ويقفوا مصطفىين في محراب العبودية راعين وساجدين، ولا يكون ذلك إلا في المسجد حيث تقام شريعة الله، ويجتمع فيه المسلمون لتعلم أحكام الله، ويتمسكون بنظام الإسلام وعقيدته وآدابه.

فكيف تمَّ هذا البناء المقدس؟ هذا السؤال الذي علّقته الجمعة الماضية لأجيب عنه اليوم.

إخوة الإيمان : كان في هذه البقعة المشتراة شجر غرقد ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين، فأمر رسول الله بالقبور فنُبشت وبالنخيل والشجر فقطّعت ووضعت في قبلة المسجد التي خطها رسول الله، وأخذ حجراً فوضعه ثم قال:

- يا أبا بكر خذ حجراً فضعه إلى حجري بالمحاذاة.

ثم قال: يا عمر خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر أبي بكر يا ذا العُزيرة.

والتفت إلى الناس فقال: ليضع كلّ رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط، وأجره على الله.

فكان رسول الله ينقل اللَّيْن، واقتدى به المسلمون، وهم يتجزون:

اللهم إنّ الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فبنى رسول الله المسجد من اللَّيْن ، وجعل عمدته من الجذوع، وسقفه من جريد النخل، فقليل له: ألا نسقفه؟.

فقال: عريش كعريش موسى: حُشيبات وثمان، الشأن أعجل من ذلك.

أما أرضه فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء.

هكذا كان مسجد سيدنا رسول الله ﷺ ، قام على مربد للتمر وبعض القبور للمشركين درست وانمحت ومع ذلك نُبِشت القبور وأزيل تراجمها، ولا يعنى ذلك أنه يجوز بناء المسجد في المقبرة- كما يتوهم بعضهم- لأمر منها:

١. أنّ الأرض كانت ملكاً لأحدهم، ويعود ملكه إليه بعد أن تدرس القبور ويمحى أثرها.

٢- أنّ الأرض لم تكن موقوفة على الدفن، بل لم يكن الوقف معروفاً في وقتها، لأنه شرع (الوقف) بعد ذلك.

أما اليوم فلا يجوز بناء مسجد على مقبرة قد وقفت للدفن كما حدث في بعض المناطق بدمشق، وإذا بني هذا المسجد وجب هدمه، فإن لم يهدم حرمت الصلاة فيه، وكل من صلّى فيه فهو آثم، وتجب إعادة الصلاة عند الحنفية، ولا تصح الصلاة عند الحنابلة.

إخوتي في الله :

إذا قمنا بمقارنة المسجد النبوي بمساجدنا اليوم وجدنا الفرق واضحاً، فلا زخرفة ولا نقوش ولا تخطيط آيات قرآنية على الجدران، ولا شيء من مظاهر الدنيا.

ذلك لأن حكم الزخرفة والنقش في المساجد بين الكراهة والتحريم فإن مما لا شك فيه أن المال الموقوف لعمارة المساجد يحرم إنفاقه على شيء من الزخرفة والنقش، أما إذا كان المال المصروف على ذلك من الباقي نفسه فهو مكروه فقط.

والحكمة من ذلك أن الزخرفة والنقوش تصرف قلوب المصلين عن الخشوع والتدبر إلى الانشغال بمظاهر الدنيا، على حين أن القصد من المساجد تفرغ القلوب من زينة الدنيا ومتاعها. وفي البخاري عن سيدنا عمر أنه أمر ببناء مسجد فقال: «أكره الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس» .

وما يفعله الناس اليوم حيث ينصرفون إلى تزيين المساجد ونقشها وإضفاء مظاهر الدنيا عليها، حتى لا يكاد يشعر الداخل بأي معنى من معاني ذلّ العبودية لله تعالى. لقد كان الفقير في زمن الصحابة يدخل المساجد فيعزّي نفسه بما يراه في بيت الله من البساطة وتذكر أمور الآخرة.

أما اليوم فإنّ الفقير ينظر في المساجد فتزداد تعاسته لهذه الأموال التي تبذل على الزخرفة والنقش وزيادة المآذن والقباب التي لا تجدي نفعاً ولا تقدم عطاءً.

معشر السادة : راح الصحابة يستحثّ بعضهم بعضاً على سرعة الحركة والنشاط في

بناء المسجد النبوي وهم ينشدون:

لئن قعدنا والنبي يعملُ فذاك منا العملُ المضللُ

وكان السيد الأعظم يحثّ الصحابة رضي الله عنهم على بناء المسجد، فكان يقول: «من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة» .

وها هو يقول: « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاه (كعش طائر) بنى الله له بيتاً في الجنة» .

وراح الصحابة يبذلون الجهد كلَّ حسب وسعه لأُهم علموا أنّ الله جلّت قدرته
يبني لكلّ من ساهم وعاون وعاضد وسعى في بناء المسجد بيتاً في الجنة، ولو كان
يسيراً على قدر طاقته ، فلا تشح ولا تبخل أيها المسلم ، يقول ابن العماد:

«إنّ الله تعالى يبني لكلّ واحد من الشركاء في بناء المسجد بيتاً في الجنة، كما إذا
اشتركوا في عتق رقبة، فإنهم يعتقون من النار».

وقد شهد الله بالإيمان لكلّ من يشارك في إعمار المساجد وكفى بالله شهيداً:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ ﴾.

فطوبى لمن وفّقه الله للسعي والعمل والمساهمة في بناء وتشيد بيت من بيوت الله،
لأن كلّ من يصلّي في هذا المسجد يكتب له في صحيفته، وكلّ علم يتعلّمه فيه في
صحيفته، وكلّ ذكر فيه وكلّ صدقة وكلّ اعتكاف وكلّ دعاء وكلّ عمل صالح هو في
صحيفته يوم القيامة، فيا سعادة من هيأه الله تعالى لإعمار المساجد كم يقضي الله
حاجته وينجح مقصده ويرد عنه البلاء ويحسن ختامه عند مجيء أجله.

وحين تمّ هذا البناء الطاهر على أيدي السيد الأعظم وأصحابه خلال فترة ثمانية
أشهر مكثها رسول الله عند أبي أيوب الأنصاري.

وأصبح هذا المسجد متعبداً لهم ومكان عظمتهم ومدرستهم ودار تعليمهم يقيمون
فيه الشعائر الدينية كما صار مبعث جيوشهم، وندوة مؤتمراتهم، يرشدون الناس فيه إلى
دين الله، أي أن المسجد بعُرف عصرنا كان مقرّ القيادة العامة الإسلامية، فبالله كم
تغيرت أحوال الأمة اليوم.

أيها الإخوة:

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، من المسجد تخرجت سادات الأمة أمثال الصديق
والفاروق وذي النورين وحيدر ونالوا جميعاً البشارة بجنة عرضها السموات والأرض.
الجالس في هذه المدرسة عليه أن يؤدّي التحية إلى السيد الأعظم، وتحيتنا إليك
ياسيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (١٥)

اللجنة الثانية والثالثة

الدستور

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف رحمته دوماً وامتناناً، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ونزع من صدورهم الغِلَّ والحسد فبقوا في الدنيا أصدقاء وخلائاً، وفي الآخرة رفقاء ندعان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً رسول الله المنزل عليه : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبهم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً، وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام

قلت لكم في الأسبوع الماضي إنني سوف أتحدث عن أهم الأمور التي قام بها السيد الأعظم حينما قدم يثرب، وكان أهم الأعمال بناء المسجد النبوي الشريف .

ويليها في الأهمية لبنتان هامتان :

الأولى : الدستور الذي وضعه السيد الأعظم لينظم العملية الحياتية الاجتماعية بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وبين المسلمين وغيرهم من الأمم .

الثانية: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

إذ أن كتب السيرة تروي أنه لم تمض سوى فترة وجيزة في يثرب حتى أسلم أغلب أهلها، من الأنصار إلا اليهود، فكتب رسول الله بينه وبينهم العهود والمواثيق لينظم العملية الحياتية للمجتمع الجديد إذ أن الإسلام دين يشمل جميع شؤون الحياة، لا وجود فيه للفصل بين الدين والدولة، بل هما معاً الإسلام، الإسلام الذي راح ينمو سريعاً وبشكل متكامل.

أبها السادة : كانت هذه الوثيقة أو الدستور يشتمل على بنود أربعة أساسية هي أهم بنوده، تحدد الطبيعة التي بين المسلمين و بين اليهود بشكل عادل:

١ و ٢ جعل فيه المسلمين أمةً واحدة مهما كانت أجناسهم وبلادهم، متكافلون ومتضامنون بعضهم مع بعض، لا يحل لأحد أن يخفر ذمة واحد من المسلمين، جوارهم محفوظ ومنزلتهم مكرمة لا يمسه أذى ، بل لا يحل لأحد أن ينتهك جزءاً منها رجالاً أو نساءً .

البند ٣ . لليهود دينهم وللمسلمين دينهم إلا من ظلم فإنه لا يهلك إلا نفسه .

البند ٤ . فإن جرى خلاف بين الأمتين الإسلام واليهود ترجع فيه إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فهما الحكم العدل، لا يحل لأحد أن يتركهما بحثاً عن حلٍّ آخر، فإن فعل حلٍّ عليه عذاب الله .

روى أنه اختصم يهودي ومنافق إلى سيدنا رسول الله فحكم لليهودي. فقال المنافق: تعال نحتكم إلى عمر بن الخطاب- وكان يعرف أنه يكره اليهود- فقدما على سيدنا عمر، فتكلم اليهودي فقال: احتكما إلى محمد بن عبد الله فحكم لي، فقال سيدنا عمر: أحق ما قال؟ قال المنافق: نعم. فقال سيدنا عمر. انتظرا لأحضر لكما الحكم الفصل. فدخل سيدنا عمر وأخرج سيفه وضرب رأس المنافق وقال: هذا حكم من لم يرض بحكم رسول الله.

هذه هي أهم بنود الوثيقة السياسية التي وضعها السيد الأعظم منذ ألف وأربعمئة وأربع عشرة سنة، قررت في مجملها: حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة المنورة، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وتحريم الجريمة.

هذا هو الدستور الذي اتبعه الصحابة من المهاجرين والأنصار فأنزل الله تعالى فيهم مدحاً : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾.

أما اللبنة الثالثة التي رسخها رسول الله ﷺ في قلوب المسلمين فهو التآخي بين المهاجرين والأنصار، التآخي على :

١ - الإيثار.

٢ - وعلى أن يرث الواحد منهم أخاه بعد وفاته حتى نزلت الآية الكريمة ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾. فنسخت هذه الآية التوارث إلا لذوي الرحم.

ففي البخاري: « كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمة للأخوة التي آخى النبي بينهم » .

وكانت هذه الأخوة بين المسلمين ترسخ دعامة وحدة الأمة الإسلامية، وما هي إلا نتيجة الإيمان القوي الذي نما وترعرع في قلوب الأنصار حتى أصبح لا ينفك عن العقيدة.

وطبق الأنصار هذه الأخوة تطبيقاً عملياً ، وراحوا يتسابقون في تدعيمها، فشاركوا المهاجرين في بيوتهم وأثاثهم وأموالهم وأرضهم وكرومهم ويؤثرونهم على أنفسهم، وقد يقول الأنصاري: - انظر شطر مالي فخذ، وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها.

ويقول المهاجري :

- بارك الله في أهلك ومالك، ودلّني على السُّوق.

فكان من الأنصاري الإيثار، ومن المهاجري التعفُّف وعزّة النفس.

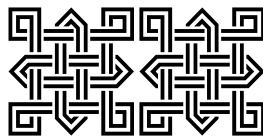
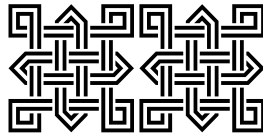
فالأخوة إذاً ليست شعاراً فارغاً لا طائل تحته، بل كان حقيقياً لإخوانهم المهاجرين، لمواساتهم لأنهم تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم، ونزلوا ضيوفاً على الأنصار، فأرسل الله إليهم مدحاً يتلى في كتابه إلى يوم القيامة:

﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .

وهكذا غدا المسلمون كالبنيان الواحد يشدُّ بعضه بعضاً، وأصبحوا جسماً واحداً سرت فيه روح واحدة- هي روح الإيمان- فكان كل فرد يشعر بشعور الآخر.

فما أحوجنا في هذه الظروف التي فقدنا فيها معنى الأخوة والإخاء والتآخي، ما أحوجنا أن نحیی في نفوسنا هذه المعاني التي توحیها هجرة السيد الأعظم، وأن نطبق هذا المنهج الذي سار عليه المسلمون الأولون، إننا إذا فعلنا ذلك فسرى المعجزة تتجدد، والأمل والنصر يتحققان بإذن الله تعالى.

هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى السيد الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (١٦)

الأذان

والسنة الأولى من الهجرة

الحمد لله بما هو أهله وكما ينبغي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا

إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

هذا النداء الخالد.

– الله أكبر الله أكبر: أي الله أعظم ثم الله أعظم وأجلّ ، ومعناه:

الله أعظم وعمله أوجب فاشتغلوا بعمله وتركوا الاشتغال بالدنيا.

– أشهد أن لا إله إلا الله: أشهد أنه واحد لا شريك له. ومعناه:

إن الله أمركم بأمر فاتبعوا أمره فإنه لا ينفعكم أحد إلا الله، ولا ينجيكم من عذابه أحد إن لم تؤدوا إليه أمره.

- أشهد أنّ محمداً رسولُ الله أرسله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوه، ومعناه:

أنه أمركم بإقامة الجماعة فاتبعوا ما أمركم به.

- حي على الصلاة: أي أسرعوا إلى أداء الصلاة، ومعناه:

حان وقت الصلاة فأقيموها ولا تؤخروها عن وقتها، وصلوها مع الجماعة.

- حي على الفلاح: أي أسرعوا إلى النجاة والسعادة: ومعناه:

أن الله قد جعل الصلاة سبباً لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه.

- الله أكبر الله أكبر: أي وحده لا شريك له ، ومعناه:

أخلصوا صلاتكم لوجهه سبحانه وتعالى.

بهذه الكلمات الخالدات نودي للصلاة في السنة الأولى للهجرة في يثرب دار الهجرة النبوية، وكان الصحابة قد عَسَرَ عليهم معرفة أوقات الصلاة، وحصل لهم مشقة بسبب عدم ضبط الوقت، وقد اهتمَّ الرسول الأعظم ﷺ بكيفية جمع الناس للصلاة، فقليل له:

- انصُب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذَنَ- أي أعلم- بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك.

- فذُكر له البوق، فلم يعجبه ذلك وقال: هو من أمر اليهود.

- فذكر له الناقوس فقال:- هو من أمر النصارى.

فانصرف عبد الله بن زيد رضي الله عنه وهو مهتم لهم سيدنا النبي ﷺ فأري الأذان

في منامه، قال:

طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت:- يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟.

قال: وما تصنع به؟.

فقلت: ندعو به إلى الصلاة.

فقال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟.

فقلت: بلى.

قال: تقول: الله أكبر الله أكبر إلى آخر الأذان المعروف.

ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: إذا أقمت الصلاة تقول: الله أكبر الله أكبر بزيادة

قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة بعد حي على الفلاح.

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن بما رأيت فإنه أندى صوتاً منك.

فلما رفع صوته بالأذان سمع بذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه، فقال: - يا رسول والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما أري.

فقال رسول الله ﷺ: فله الحمد. رواه أبو داود والترمذي

إخوة الإيمان : الأذان كلام جامع لعقيدة الإيمان، وهو بألفاظه الجزلة، ومعانيه

القوية المعبرة، ليحتل في القلوب المؤمنة المكانة المرموقة:

إنه: إشعار بالوقت، ودعوة إلى الله والصلاة، وفيه إثبات الذات الإلهية وما يستحقه من الكمال والتنزيه، وفيه إثبات للوحدانية ونفي ضدها، وفيه إثبات للنبوة والشهادة بالرسالة، وفيه دعاء إلى الصلاة والفوز والفلاح.

لذلك وردت فيه أحاديث كثيرة- في فضل الأذان والمؤذن- منها:

حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه فيما يرويه البخاري ومسلم قوله ﷺ :

« لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا » .

وحديث ابن عمر يرويه الإمام أحمد بإسناد صحيح. قال رسول الله ﷺ :

« يغفر للمؤذن منتهى أذانه، ويستغفر له كل رطب ويابس سمعه » .

وحديث أبي سعيد الخدري فيما يرويه ابن خزيمة في صحيحه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له » .

وفي صحيح مسلم: « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » .

وفي السنن مرفوعاً: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين» .

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سعد بن وقاص رضي الله عنه أنه قال:

«سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين، وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله تعالى في دمه » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد » .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

« لو كنت مؤذناً لكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار » . سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثاً » .

فقلت: يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد بالسيوف (أي على الأذان).

قال ﷺ : كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار: لحوم المؤذنين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: « ثلاثة يعصمهم الله تعالى من عذاب القبر: المؤذن والشهيد والمتوفى يوم الجمعة أو في ليلة الجمعة » .

وهكذا- أيها السادة- صار أهل يثرب جميعاً يسمعون منذ الفجر كل يوم دعوة إلى الإسلام والصلاة مرتلةً ترتيلاً حسناً بصوت رطب جميل يوجهها سيدنا بلال مع كل ربح إلى كل النواحي، ويلقي في أذن الحياة نداءه الخالد:

الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن سيدنا محمداً رسولُ الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.





الحلقة (١٧)

المنافقون وغدر اليهود ومؤتمر الطوائف

الحمد لله الذي يجب أن تُشكر نعمته، ويتعين أن تُحذر نعمته، ويتحتم أن يُخاف عذابه وسطوته، من قابل إحسانه بالإساءة نادى عليه شقوته. أحمدته حمداً تقتضيه قدرته، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا لعل أن تعمنا رحمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكيف يشاركه شيء وكلّ الأشياء خليقته.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ختم الله النبوة والرسالة بنبوته ورسالته. بشر بطاعته المتقين وأندر بمعصيته المجرمين حتى قامت على الخلائق حجته، ولم يزل ﷺ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرض على ذلك لتمثيل أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأدم ذلك يامولاي بمدد لا تنقضي مدته، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد استقرّ الرسول الكريم وأصحابه في يثرب، وبدأ الإسلام يعلو في سماء الجزيرة وينتشر، وجعل المسلمون يقيمون فرائض الإسلام مجتمعين، ويقيمونها فرادى، وإذ ذاك بنى سيدنا محمد ﷺ بالسيدة عائشة بنت الصديق، وكانت في العاشرة أو الحادية عشرة، وكانت نامية نوماً حسناً، وسكنت إلى جوار المسجد النبوي في غرفة إلى جوار

مسكن السيدة سودة الزوجة الوفية للسيد الأعظم، وكان السيد الأعظم لا يمنع السيدة عائشة أن تلهو وتلعب بلعب أباها الإسلام.

وفي السنة الثانية للهجرة أيها الاخوة فرضت الزكاة وفرض الصيام وأقيمت الحدود وتمكنت يثرب شوكة الإسلام.

وظهرت لأول مرة بادرة النفاق التي يتظاهر أصحابها بأنهم أسلموا وحقيقة أمرهم غير ذلك ليطلعوا الإسلام من خلف وقد وصفهم القرآن الكريم في آيات كثيرة، بل سُميت سورة في كتاب الله تعالى هي سورة "المنافقون".

وكان على رأس هؤلاء المنافقين الذين كانوا خليطاً من الأوس و الخزرج و اليهود عبد الله بن أبيّ بن سلول، وسبب ظهور هذه الطائفة أنهم اتفقوا بعد حرب بُعث على أن يتوجوا هذا المنافق ويولوه الرئاسة، وحين جاء الإسلام وانصرف عنه معظم الذين كادوا أن يبايعوه، ودخلوا في دين الله، فكرهته هذه الطائفة ورأى عبد الله بن أبيّ بن سلول أن سيدنا رسول الله قد استلبه ملكاً كان وشيك الظهور، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام أسلم كارهاً مصرّاً على النفاق، وكان هو وأعوانه مغتاضين من الأوس والخزرج كيف يقدمون محبة الإسلام على الآباء والأبناء والأزواج، فصاروا يكيدون له ويتربصون به الدوائر.

وساعد المنافقين على ذلك أن اليهود بعد أن كانوا على الحياد بدأوا يميلون إلى الجبهة المعادية، واليهود بشكل عام قوم غدر وخديعة وحسد، والقرآن الكريم كشف ذلك في آيات كثيرة ذكر فيها تاريخ اليهود المليء بمحاربة الأنبياء والاجتراء على قتلهم وافتراءهم على الله وحبهم للمال وأخذهم الربا وقد نكسوا عنه، وتحريفهم التوراة وحبهم

الزائد للحياة، وغير ذلك مما ذكر به القرآن^(٣) ، فكانت هذه الفضائح اليهودية سبباً في أنهم ناصبوا الإسلام العداء الخفي والسافر.

بل إن اليهود ازدادوا سخطاً وغيظاً بإسلام بعض أحبار اليهود وعلمائهم كعبد الله ابن سلام وأهله، الذي ما إن علم بوجود رسول الله في المدينة المنورة حتى أسلم وأمر أهل بيته جميعاً فأسلموا معه، وخشي عبد الله أن يقول اليهود فيه إذا علموا بإسلامه أنه لا قيمة له عندهم، فطلب إلى النبي أن يسألهم عنه: ما شأنه فيكم قبل أن يعرف أحد منهم بإسلامه.

فسألهم فقالوا عنه: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا، فخرج عليهم عبد الله وأعلن إسلامه ودعاهم إليه، فإذا بهم ينقلبون عليه ويذيعون عنه قالة السوء على عادتهم الخبيثة .

وبدأت الحرب بين أمة الإسلام من المهاجرين والأنصار، وبين اليهود والمنافقين بأسلحة المكر والخداع وحاولوا الإيقاع بينهم أكثر من مرة فلم يفلحوا، وقد قدم إلى سيدنا الصديق اليهودي يدعى فنحاص، فأخذ الصديق يدعوه إلى الإسلام، لكن فنحاص أراد بمجيئه أن يفتن الصديق رضي الله عنه فأجابه بصفق ووقاحة بقوله:

- والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه أغنياء وما هو عنا بغني، ولو كان غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ ، وهو ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا.

وهنا غضب الصديق وضرب وجه فنحاص اليهودي ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا لضربت رأسك يا عدو الله، وأنزل الله على نبيه:

(٣) انظر كتابنا قضايا إيمانية (ج ٢) القضية الرابعة والخمسين .

﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾.

وكانت فتن اليهود لا تتوقف حتى إنهم حاولوا أن يفتنوا السيد الأعظم ﷺ فقد أتى إليه أحبارهم وزعماءهم وقالوا له:

« إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا، وإنا إن اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا، وإن بيننا

وبين بعض قومنا خصومة فنحتكم إليك فتقضي لنا فتبعك ونؤمن بك » .

فنزل فيهم قول ربنا عز وجل:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ .

ومما كَبُرَ على اليهود أكثر استقبال الكعبة المشرفة بدل بيت المقدس الذي بقي المسلمون يصلون إليه مدة (١٦) ستة عشر شهراً.

وقد كان السيد الأعظم وصحابته يحبون أن تكون قبلتهم قبلة إبراهيم وإسماعيل فنزلت الآية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ .

فجاءه اليهود ليفتنوه ثانية بقولهم:

- إنهم يتبعونه إذا هو رجع إلى قبلتهم الأولى.

فنزل قوله تعالى:

﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .. إلى أن قال:

﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ .

معشر السادة الكرام :

لكن الأمر لم يقف على هذا الحد بل حاول النصارى أن يعيقوا تقدم الإسلام أيضاً إذ :

شهدت يثرب في هذه الآونة أول وأعظم مؤتمر روحي عقد بين الإسلام والنصرانية واليهودية، لم يكن هدفه الاقتصاد والمال ولا المطامع السياسية والسيطرة على العالم كما تفعل هيئات كثيرة في العالم اليوم للسيطرة على دول العالم الثالث، بل كان هدفه إنساني روحي بحت، فقد قدم وفد نصارى نجران إلى يثرب وعدّتهم ستون راكباً طمعاً في أن يُريدوا الخلاف بين الإسلام واليهودية ليقضوا على دعوة الإسلام الفتية، فقامت بين الإسلام والنصارى واليهودية ملحمة كلامية عنيفة:

فأما اليهود فكانوا ينكرون رسالة سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ويزعمون بأن عزيزاً ابنُ الله، وأما النصارى فكانوا يقولون بالتثليث وألوهية عيسى.

فما الذي دعاهم إليه السيد الأعظم ﷺ ؟

إن السيد الأعظم لم يفعل كما فعل بعض من يتصدى اليوم ليؤلف بين الطوائف الثلاث فقال لهم:

- لا يوجد فرق بين النصارى والمسلمين أبداً، فنحن نقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، وهم يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس، ثم قال لهم: نحن نقول مجدده، وهم يقولون: برغل وعدس ورز".

أسمعتكم كفراً أعظم من هذا، وللأسف هذا الشخص يدّعي اليوم مشيخة الإسلام في العالم العربي، فليسمع هؤلاء الذين يدّعون تأليف القلوب حول المعاني الإنسانية ماذا فعل السيد الأعظم. لقد قال لأعضاء المؤتمر الأول: أما نحن فنقول:

﴿آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

وأنكر السيد الأعظم عليهم أحوالهم المخالفة للتوحيد ودعاهم جميعاً فقال لهم:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

هل ترون . أيها الاخوة . هذه الدعوة الخالصة لوجه الله تعالى، ليس وراءها مطمع في جمع الأموال وشراء الأراضي وجمع المريدين. إنها دعوة تتلخص في أمرين:

١- ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً.

٢- ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

ولهذا الكلام وَجَّه بعض أعضاء الوفد- إلى رفيق له باقتناعه بما يقول الصادق عليه السلام فلما سأله رفيقه:- فما يمنحك منه وأنت تعلم هذا؟.

فكان جوابه: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم (يعني ملوك النصارى) جعلونا شرفاء وموالي وأكرمونا، هذا وهم لا يريدون إلا خلاف هذا الرجل فلو فعلت واتبعت هذا الرجل نزعوا منا كل ما ترى؟! .

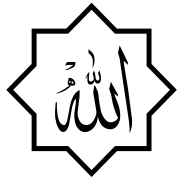
ولكن اليهود والنصارى لما أبوا الإذعان لهذه الدعوة دعاهم رسول الله إلى المباهلة، فقد أنزل عليه الله تعالى:

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ .

وهنا تشاور أعضاء المؤتمر اليهودي النصراني بعضهم مع بعض ثم أعلنوا أنهم رأوا ألا يباهلوه وأن يتركوه على دينه ويبقوا على دينهم.

وهكذا جاء الحق وزهق الباطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال!!؟ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى السيد الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.





الحلقة (١٨)

غزوة بدر الكبرى

الحمد لله الذي يؤيد من يشاء بنصره ، ويجعل الذل والصغار على أهل عصيانه وكفره. فسبحانه من إله يطلع على سرّ العبد وجهه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أمره.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بتأييده وقهره.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وحزبه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فبعد أشهر من إقامة المسلمين في يثرب، بدأوا يحنون إلى بلدهم الأول مكة المكرمة، وبدأت ذكرتهم تعيدهم إلى الزمن الذي كانوا في مكة، ولم يستطيعوا أن ينسوا الموطن الأول الذي ترعرعوا فيه وتغذوا من ثمراته، وذاقوا من ألوان الاضطهاد فيه.

وبدأت المحاولات الأولى لبسط نفوذ المسلمين حول يثرب، إذ أرسل رسول الله ثلاثاً من السرايا عدد أفرادها قليل هدفها الأول إفهام قريش أن من مصلحتهم التفاهم مع المسلمين لسلامة تجارتهم على طريق الشام.

هذه التجارة التي كانت حمولتها تزيد على ألفي بعير، دعت قريشاً أن تجهز عددها وعُددها حين علمت أن رسول الله وأصحابه علموا بقافلة أبي سفيان التي تتجه إلى مكة على طريق الشام مكة ، وأنه ينوي الاستيلاء عليها مع أصحابه ليستردوا بعض ما استولت عليه قريش من أموالهم وديارهم.

لكن الله تعالى أبى لعباده إلا أن تكون غنيمة أكبر ونصراً أعظم وعملاً أشرف، فأبدلهم بالغير نفيراً ونصراً وتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وهذه التربية الإلهية لنفوس المسلمين تتجلى في قوله تعالى لنبيه:

﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ .

معشر الإخوة الكرام : كانت هذه الغزوة في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وسميت بغزوة بدر الكبرى، بدر التي تقع على بعد ١٤٥ كم من الجنوب الغربي للمدينة المنورة، والتي سمّاها الله في كتابه : «يوم الفرقان » لأنها كانت فتحاً مبيناً، وانتصاراً مصيرياً، يقول تعالى:

﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ .

والجمعان هو جمع قريش التي نادى فيها الصريخ أهل مكة، أن أدركوا تجارتكم قبل أن يستولي عليها محمدٌ وأصحابه، فنهضوا مسرعين لم يتخلف أحد من أشرافها، وحشدوا القبائل من حولها وجأؤوا على حمية وغضب وحنق.

والجمع الثاني هو جمع المسلمين من المهاجرين والأنصار، الذين استشارهم رسول الله بالحرب والقتال بعد أن نجت غير أبي سفيان وسلكت طريق الساحل وابتعدت عن مرمى الحرب، فقام المهاجرون فتكلموا فأحسنوا الكلام، ثم دعاهم مرة ثانية وثالثة للاستشارة ففهمتم الأنصار أنه يعينهم، فبادر سعد بن معاذ فقال:

- "يا رسول الله! كأنك تعرّض بنا، لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها

ألا تنصرك إلا في ديارهم، إني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم، فاطعن حيث شئت، وصلّ جبل من شئت، واقطع جبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعط ما شئت، وما أخذت منا كان أحبّ إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر

فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك " .

وقال المقداد بن الأسود: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ .

فلما سمع رسول الله مقالتهم أشرق وجهه، وسرّ بما سمع أصحابه وقال: سيروا وأبشروا.

فكان عدد المسلمين ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، وبلغ عدد الكفار ألفاً أُويزيد منهم صناديد قريش وسادتها وأبطالها حتى قال رسول الله: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها.

وقدم رجل يعرف الناس منه جرأة ونجدة ليقاتل مع المسلمين ، ففرح أصحاب النبي حين رأوه ، قال الرجل : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله ﷺ : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » . قال : لا . قال : فراجع ، فلن أستعين بمشرك . ومضى الرجل ثم عاد والنبي يردّه لأنه ليس من المسلمين ويقول له : ارجع فلن أستعين بمشرك . فعاد الرجل الثالثة وأعلن إسلامه أمام النبي فضمّه الله لكتيبة الجيش (م) .

ونزل رسول الله بجانب بدر، فجاءه الحُباب بن المنذر وقال له: هذه أرض لا تصلح للحرب، وأشار عليه بأرض أخرى، وأن يبنى حوض ماء، ويغور بقية الآبار بالتراب حتى تجفّ فيشرب المسلمون ولا يشرب الكفار، وهنا أعلن الرسول الكريم موافقته لهذا الرأي وأنه بشر مثلهم وأن الرأي شورى بينهم وأنه لا يقطع برأيٍ دونهم، وأنه في حاجة إلى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم.

وأُنزل الله تعالى في تلك الليلة ليلة الجمعة مطراً كان على المشركين وإبلاً شديداً ومنعهم من التقدم، وكان على المسلمين رحمة، حيث صلب الرمل وثبتت الأقدام وربط الله على قلوبهم، وهو قوله تعالى:

﴿ وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ﴾.

وأقبل سيدنا سعد بن أبي وقاص يشير على النبي الكريم أن يبني له عريشاً يدير المعركة منه خوفاً عليه وحباً به، فوافق الرسول الكريم صلوات الله وسلاماته عليه.

وفي هذه الأثناء اندفع الأسود بن عبد الأسد المخزومي من بين صفوف قريش إلى صفوف المسلمين يريد أن يهدم الحوض الذي بنوا، فعاجله سيدنا حمزة بضربتين أجهزت الثانية عليه دون الحوض.

وبرز ثلاثة من صناديد قريش للقتال إنهم عتبة وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة ، وطلبوا المبارزة من أكفائهم المهاجرين فخرج سيدنا حمزة وسيدنا علي وسيدنا عبيدة بن الحارث، فما هي إلا برهة حتى قُتل شيبه والوليد بيد سيدنا حمزة وعلي ثم أعانا عبيدة الذي أصيب. وهنا تراحف الجمعان صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان المكرم.

ونظر رسول الله إلى قلة المسلمين وكثرة الكفار، فاستغاث بالله العظيم الذي لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ وراح يشفع للكتيبة المؤمنة القليلة العدد، الفقيرة في العدد، فقال. «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم إن تملك هذه العصابة (الجماعة) لا تعبد بعدها في الأرض».

وراح يهتف بربه عز وجل ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه، وجعل سيدنا أبو بكر يشفق عليه من كثرة الابتهاال ويقول: يا نبي الله كفى مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك.

وبقي السيد الأعظم يتوجه إلى الله ويتضرع له ويستعين به حتى أنزل عليه ربه:

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾.

ومن هذه الآية المباركة رأى رسول الله نصر الله وراح يقول للصدّيق في فرح غامر: «أبشر يا أبا بكر أذاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على النقع».

وراح ينادي الصحابة: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» .

سرت هذه الكلمات النورانية بين صفوف المسلمين فقوّت من عزيمتهم حباً بالموت وضاعفت من قوتهم فعدل الواحد منهم عشرة فرسان. وراح رسول الله يشدُّ من أزهرهم ويناديهم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فسمع هذه الكلمات عمير بن الحمام الأنصاري وكان يتقوى بتمرات فرمى بها وقال:

لئن حييت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، ثم قاتل حتى كان أول قتيل.

وأخذ رسول الله حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: شأهت الوجوه، ثم نفحهم بها وقال: شدّوا عليهم.

وقام رسول الله ﷺ ، يقاتل مع أصحابه قتلاً شديداً حتى صار أقرب الناس من العدو، واشتد وطيس الحرب، وثار النقع وامتأّ الجو بالغبار، وجعلت هامات قريش تطير عن أجسادها، والمسلمون يصيحون: أحدٌ أحدٌ.

وأنزل ربّ العزّة على نبيه: ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

وكان المسلم يرفع سيفه ليقطع رأس الكافر فإذا هو يهوي عن جسده تسبقه إليه الملائكة .

يقول تعالى: ﴿ إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان ﴾ .

إخوتي في الله : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى إذاعة خارجية منقولة من موقعة بدر الكبرى: المعركة على أشدها، ها هو سيدنا عبد الرحمن بن عوف وإلى جواره فتيان حديثا السن يقول له كل واحد منهما في أذنه:

- يا عم أربي أبا جهل فلقد عاهدت الله تعالى إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه.

فما هو إلا أن أشار إلى أبي جهل وسط المعركة، حتى شدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى سقط صريعاً، فانهزم الجمع وولّوا الدبر.

ونادى المسلمون: الله أكبر، الله أكبر، سقط فرعون هذه الأمة، الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

وأنزل الله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾.

معشر السادة :

قتل يوم بدر سبعون من رؤوس الكفر، وأسر سبعون، واستشهد من المسلمين ١٤ شهيداً ستة من قريش وثمانية من الأنصار وعاد الأبطال إلى ديارهم ، كما ستعودون إلى بيوتكم من هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدى التحية إلى قائد الأمة وسيد الخلق وحبيب الحق، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي:

الصلاة والسلام عليك

الحلقة (١٩)

أسرى بدر الكبرى

الحمد لله الملك القهار العظيم الجليل، الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته، فحسبنا الله ونعم الوكيل، جعل الدنيا دار زوال ورحيل، وجعل الآخرة دار نعيم أو عذاب وبيل، وكلّ ميسر لما خلق له، وعلى الله قصد السبيل، أحمده على إحسانه الشامل الجزيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا عديل.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات التنزيل، والمصون دينه عن التحريف والتبديل.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً يبلّغان قائلهما نهاية التأميل، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد كان نصر الله لنبيه نصراً مبيناً لم تتوقعه قريش ولا أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين، الذين دخل الرعب قلوبهم حيث تغلبت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة الكافرة، وسطرّ الله هذا النصر في كتابه الخالد فقال جل وعلا:

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾.

وألقيت جثث القتلى في بئر بدر ودفنت فيه بأمر من النبي ﷺ وهذا موقف إنساني لا يفعله إلا أصحاب الرسالة، فطالما أهانوه وسبوه، ولكنها إنسانية الإسلام تعلو ولا يعلو عليها. وقام رسول الله على ضفة البئر، وراح ينادي القتلى: « أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله.

هل وجدتم ما وعدم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

فقال سيدنا عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله:

- والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

وهذا يدل على أن الموتى تبقى أرواحها تحوم حول الأجساد، ولأن الراجح أن نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معاً، وهذا العالم يسمى عالم البرزخ ، والله أعلم بكيفيته^(٤).

وما أن وصل النذير إلى مكة وأخبر أهلها بالهزيمة ونزل عليهم كالصاعقة من السماء وكان أشدهم غيظاً وكمداً أبو لهب الذي لم يمكث إلا ليال حتى رماه الله بمرض قضى عليه وكان هذا المرض تتقيهِ قريش لأنه من الأمراض المعدية ، فتركه أبناؤه بعد موته ثلاثاً حتى أنتن ثم غسلوه قذفاً بالماء من بعيد واحتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار ثم ردموا عليه الحجارة ليموت مؤتة شنيعة جزاء ما فعل لرسول الله ﷺ .

وجمعت الغنائم من أرض المعركة، وراح المسلمون يتساءلون عنها، وماذا يفعلون بها، فأنزل ربّ العزة: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ .

وقسّمها رسول الله بينهم كلّ بحسب بلائه في المعركة ، كما قسم لأسر الشهداء الأربعة عشر ، وهذا غاية في الإنصاف والعدل وبذلك سبق إلى رعاية أسر الشهداء وذويهم قبل أن يعرف ذلك أحد من العصور المتأخرة وجاء سيدنا جبريل فقال: يا محمد! إنّ ربي بعثني إليك وأمري ألا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟ فقال النبي ﷺ نعم (هق)

وأسرع البشيران إلى المدينة زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ليزفا البشرى إلى أهل المدينة، فما هي إلا ساعات حتى أطلّ السيد الأعظم وخلفه الأسرى من صناديد قريش يسوقهم شقران مولى رسول الله والنبي يقول: «استوصوا بالأسرى خيراً» ،

(٤) انظر كتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية ج ٤ : القضية ١٦٦ . ١٦٧ .

ودخل الجيش المنصور بين تهليل المهللين وتكبير المكبرين وضرب الولايد بالدفوف وترديد أهازيج النصر .

وكان من بين الأسرى العباس عم سيدنا النبي وابن عمه عقيل بن أبي طالب، وأبو العاص زوج بنت سيدنا النبي ﷺ ولما أمسى رسول الله ﷺ والأسارى موثقون بالوثائق بات النبي ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه الكرام : مالك لاتنام يا رسول الله فقال : سمعت أنين عمي العباس في وثاقه ، فأطلقوه فسكت ، فأمرهم رسول الله أن يفعلوا بالأسرى كذلك ، فنام رسول الله ﷺ ، فما الذي حدث؟.

إخوة الإيمان : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة لأنقل لكم

نموذجاً عن حيرة الصحابة في شأن الأسرى متمثلاً في شخصيتين عظيمتين من عظماء الإسلام هما سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنهما.

المكان: في المدينة المنورة .

والزمان: بعد دخول المسلمين المنتصرين عقيب غزوة بدر.

وهاهو سيد الخلق يستشير المسلمين في الأسرى ويترك لهم الخيار. وسمعوا إلى الصديق وهو يتحدث إلى قائد الأمة (صلوا عليه)، يقول له:

- يا رسول الله! بأبي أنت وأمي ، قومك، فيهم الآباء والأبناء والعمومة وبنو العم والأخوان، وأبعدهم منك قريب، فامنن عليهم من الله عليك، أو فادهم يستنقذهم الله بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين، فلعل الله أن يقبل بقلوبهم.

وسكت القائد الأعظم ﷺ فلم يجبه.

فقام الصديق، وجاء الفاروق فجلس مجلسه وقال:

- يا رسول الله، هم أعداء الله، كذبوك، وقتلوك، وأخرجوك، اضرب رقابهم، هم رؤوس الكفر وأئمة الضلالة، يوطئ الله بهم الإسلام ويُذل بهم أهل الشرك.

وكان ﷺ قد قتل أسيرين منهم أثناء عودته مع الجيش إلى المدينة لأخهما كانا أكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وإيذاء للنبي والمسلمين وهجاء له ﷺ ولم يأمر النبي بقتل أحد من الأسرى غيرهما .

وسكت القائد الأعظم صلوات الله وسلاماته عليه، ثم دخل قَبْتَهُ فمكث ملياً ثم خرج فشاهد الناس على رأي الصديق ورأي عمر مختلفين، فضرب لهم في الصديق وفي الفاروق مثلاً فقال:

إن مثل أبي بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برضا الله وعفوه عن عباده، ومثله في

الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألين على قومه من العسل ، قدّمه قومه إلى النار وطرحوه فيها فما زاد على أن قال: ﴿ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وأن قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ومثله في الأنبياء كمثل عيسى إذ يقول: ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

ثم قال: «ومثل عمر في الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسُّخْطِ من الله والنقمة على أعداء الله، ومثله في الأنبياء كمثل نوح إذ يقول: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾، وكمثل موسى إذ يقول: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ » .

ثم اختار السيد الأعظم رأي الصديق لما فيه من الرأفة والرحمة اللتين جبل عليهما رسول الله ﷺ ، فكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ألف للرجل الواحد ، أو تعليم عشرة من صبيان الأنصار الكتابة والقراءة.

وراح الأسرى يفتدون أنفسهم بالأموال ، فافتدي العباس وعقبه ابن عمه، وبعثت زينب ابنة النبي تفتدي زوجها بقلادة أهدتها لها والدتها السيدة خديجة رضي الله عنها ، فلما رآها السيد الأعظم رقّ لذلك وقال: إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا، واتفق مع أبي العاص على أن يفارق السيدة زينب رضي الله عنهما لأنه بقي على الكفر.

وجيء بالسيدة زينب إلى المدينة، غير أنّ أبا العاص تاجر بمال قريش مما دعاه أن يعود إلى مكة فردّه لهم ثم ما لبث أن أعلن إسلامه ثم قال لهم: والله ما منعي من الإسلام عن رسول الله إلا مخافة أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم. وعاد إلى المدينة ورد عليه النبي السيدة زينب رضي الله عنهما.

إخوتي في الله :

وأما أهل مكة فقد دخل الحزن كلّ بيت فيها وهم لا يصدّقون ما حلّ بهم وأصابت بعضهم الحمى، ومن أصابته أبو هلب الذي ما لبث أن مات بعد سبعة أيام، وناحت نساء قريش على قتلها شهرًا كاملاً، فجززن شعر رؤوسهن إلا هند بنت عتبة التي قتل أبوها وأخوها وعمها فأبت إلا الثأر.

غير أنّ ربّ العزة جلّ وعلا أنزل عتاباً لرسول الله في فعله من افتداء الأسرى ومؤيداً رأي سيدنا عمر^(٥)، إذ أن الفاروق فيما- يرويه الإمام مسلم- دخل على سيد الخلق وحبيب الحق وكان معه الصديق فرآهما يبكيان، فقال:

(٥) انظر كتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية ج ٢ / القضية ٦١ في بيان قضية الأسرى وما يجب اعتقاده فيها .

. يا رسول الله من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟! فقال رسول الله: أبكى للذي عَرَضَ عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة فقال تعالى:

﴿ ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إنّ الله غفور رحيم ﴾ .

أيها الأحبة : لقد رضي الله عن أهل بدر وقال فيهم السيد الأعظم (ق) : « لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ونبه على فضل الشهداء أمثال سيدنا حارثة وكان غلاماً يوم بدر فجاءت أمه تسأل رسول الله عن منزلته وهل هو في الجنة أم لا ؟ (خ) فقال لها حبيب الله تعالى : «أوهبلت (ثكلت) أَوْجَنَّةً واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس ... إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى .. » .

أيها الإخوة:

كانت بدر فتحاً عظيماً للمسلمين، وهذا الفتح سوف يحققه الله تعالى لهذه الأمة اليوم إن هي عادت إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه، ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴿ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب الأعظم ﷺ وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

وَسَلَامٌ
عَلَيْهِ
وَعَلَىٰ آلِهِ
وَعَلَىٰ رَحْمَتِهِ



الحلقة (٢٠)

غزوة أحد في السنة الثالثة

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، فجعلهم أعراضاً لسهام الأقدار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من عذاب النار ، مبنية من شهد بها دار القرار.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بآمين شعار وأنور منار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه آناء الليل وأطراف النهار، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

كان قتل بعض صناديد قريش وسادتها في ذاكرة قريش حَدَثًا لا يمكن نسيانه، بل ما تزال نساء مكة عندما تذكر قتلاها تتوجع عليهم وتبكي وتولول، فاتفقت كلمة قريش على أن تباع غير قافلة أبي سفيان التي كانت سبب موقعة بدر، ويردّ أرباحها على جيش يجهز بها لقتال المسلمين، كما اتفقت كلمتهم على استنفار القبائل ليشاركوا في أخذهم بالثأر، وأصرّت النسوة من قريش على أن يسرن مع الغزاة لتحريضهم على القتال.

ولكنّ سيدنا العباس عمّ رسول الله - والذي حضر مؤتمر الثأر - بعثته حميته لابن أخيه أن كتب كتاباً لرسول الله أخبره بما تنوي قريش فعله.

ووصل كتاب العباس، وبلغ الخبر المسلمين في المدينة فبات أهلها شاكي السلاح بالمسجد خوفاً على النبي وحُرست المدينة كلها طيلة الليل، وخاصة حينما اقتربت طلائع ألوية قريش.

وجمع رسول الله الناس واستشارهم فكانوا على رأيين:

الأول: أن يَمَكُثُوا في المدينة ويتحصَّنوا بها ويدافعوا عنها، وهو رأي رسول الله وأكابر الصحابة، ورأي المنافقين وعلى رأسهم ابن أبي بن سلول.

الرأي الثاني: أن يخرجوا إليهم فإذا أظفرهم الله بعدّوهم فذلك الذي أرادوا، وإن هم انهزموا واستشهدوا كانت لهم الجنة، وقام خيثمة، فقال: عسى الله أن يظفرنا بهم أو تكون الأخرى فهي الشهادة، ولقد قدّمت ولدي في وقعة بدر وكنت عليها حريصاً، وقد رأيته البارحة في النوم وهو يقول: إلحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، لقد كبرت سني ودقّ عظمي وأحببت لقاء ربي .

فاهتَزَّ الناس لهذا الحديث ونزل رسول الله عند رأيهم فصلّى بالناس الجمعة وأمرهم بأن يتجهزوا للمعركة، ودخل بيته ولبس درعه وتقلّد سيفه.

وهنا لام القوم أنفسهم على مخالفتهم رأي رسول الله بالبقاء في المدينة، فلما خرج إليهم بعد العصر طلبوا منه أن ينزلوا على رأيهِ، فقال رسول الله: «ما كان لنبي إذا لبس لأُمتَه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

وتجهَّز الناس وكانوا قد بلغوا ألفاً كلهم يقولون لا إله إلا الله، سار بهم رسول الله إلى ظاهر المدينة بعد أن عقد لهم ثلاثة ألوية فوجد حلفاء ابن أبي بن سلول من اليهود يريدون أن ينضموا إلى جيش المسلمين، فقال ﷺ: إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ما لم يسلموا. فانصرف اليهود وعادوا إلى المدينة فلما رأي المنافق ابن أبي بن سلول ما فعل النبي الكريم انخزل مع كتيبته من أصحابه قبل المعركة، فعاد المسلمون

سبعمئة فقط، ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي كلهم موتور من يوم بدر ، وكلهم على ثأره حريص. لقد ثبت الله قلوب المؤمنين وعصمهم من أن تثبط همهم عن الجهاد ، كما قال عز وجل ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ (خ) فلما بلغوا أحداً (وهو على بعد ٣ كم شمال المدينة) وكان الوقت منتصف شوال من السنة الثالثة للهجرة راح رسول الله يصفُ المقاتلين، فوضع خمسين مقاتلاً من الرماة على شعب في الجبل وقال لهم: احموا ظهورنا فإننا نخاف أن يحيئونا من ورائنا، والزموا مكانكم، لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نُهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تُقدِّم على النبل.

تلك هي . أيتها الإخوة . البراعة العسكرية النادرة التي جهزه بها ربّ العزة جلّ وعلا، إنها نظرة النبوة أو الوحي ، لكأنما تكشف له ما سيحدث فيما بعد ، فراح يؤكّد ويوصي ويأمر: لا تغادروا الجبل نُصرنا أم هُزمنا.

إخوة الإيمان :

اسمحو لي بالانتقال معكم إلى هناك، حيث ساحة المعركة لنرى بقلوبنا صورة حية عما فعل أسلافنا في سبيل الله، لنرى القلّة المؤمنة ماذا فعل الله بها مع الكثرة الكافرة.

وقعت غزوة أحد في الخامس عشر من شوال عام ثلاث للهجرة:

الزمان ١٥ شوال، والمكان جبل أحد.

جبل أحد الذي وقف عليه النبي الكريم وكان معه الصديق والفاروق وذو النورين، فإذا بالجبل يهتزّ فقال له الحبيب المصطفى: « اثبت أحد فإن فوقك نبياً وصديقاً وشهيدين ».

إنّ غزوة أحد أنزل الله فيها ستين آية من سورة آل عمران في أول قوله تعالى ،
﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ ، إلى قوله
تعالى : ﴿ والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ .

ها هو جيش الكفرة ومعهم النساء يضربن بالدفوف، ها هو قائد الميمنة خالد بن
الوليد، وقائد الميسرة عكرمة بن أبي جهل.

ها هو القائد الأعظم من الأزل إلى الأبد يخطب بالمقاتلين المسلمين، وقد رفع يده
بالسيف ، اسمعه وهو يقول: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام رجل اسمه أبو دجانة
وقال: وما حقه يا رسول الله، فقال النبي الكريم: حقه أن تضرب به في الله حتى
ينحني. فقال أبو دجانة: أنا لها يا رسول الله.

وأخرج أبو دجانة عصاة حمراء، وكان إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل حتى
الموت، فاعتصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفيّين فنظر إليه رسول الله وهو يقول:
إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن.

إنها افتخار بعزة الإسلام على أعدائه، إنها معنى من معاني الحرب النفسية التي
ينبغي أن لا تفوت المسلمين أهميتها.

وقدم حنظلة بعد أن سمع نداء الجهاد ، وكانت ليلة زفافه ، فجاهد حتى استشهد
فقال النبي : إن حنظلة تغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ، فاسألوا زوجته فقالت خرج
وهو جنب حين سمع الصيحة للجهاد ، فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسلته الملائكة»
فكان يسمّى مغسّل الملائكة (هب . حا) .

يا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

كانت صيحة القتال الأولى قد صدرت على لسان أسد الله وسيفه حمزة بن عبد المطلب: يا منصور، أمثْ أمثْ. واندفع إلى قلب جيش قريش يطير الهامات من على الأجساد، وبادر سيدنا علي إلى حامل اللواء فضربه ضربة فلقت رأسه ، فكبر المسلمون وصاحوا: أمثْ أمثْ ، وراح سيدنا علي يطيح برؤوس المشركين حتى بلغ عدد الذين قتلهم تسعة قوَّاد.

واشتد أوار المعركة وثارث نيران الثَّار لقتلى بدر، وبادر كلَّ عبد من عبید قريش ليأخذ بثَّار مولاہ على أن يعتق، ومنهم وحشي الحبشي غلام مطعم وكان ثَّارہ حمزة أسد الله وسيفه البتار. رآه وهو يطيح برؤوس المشركين يمَّنة ويسرة.

وقاتل الصديق والفاروق وحيدر المشركين وقلَّ من عزائمهم ، وقاتل سيدنا عبد الله بن جحش المشركين حتى انكسر سيفه فأعطاه النبي عسيباً من نخل فرجع في يده سيفاً قاتل به (هق) .

واستبسل المسلمون على أرض المعركة، ورأوا الجنة خلف ظلال سيوفهم التي راحت تلمع بالدماء، وتراجع أمامهم أبطال قريش وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء حتى إنه أحيط بنسائهم.

ودوى الإيمان الصادق وارتفعت كلمة الحق على أرض المعركة لم ترهبها قوة مادية مهما عظمت ولم تضعع من عزمتها كل قوات الباطل وإن اجتمعت، وفخرت القيادة المحمدية إلى جانب الرماة وقوة الفكر العسكري وقوة العقيدة، فتمزقت قوة المشركين وأوشكت المعركة على الانتهاء، وراح المسلمون يلاحقون فلول الجيش المنهزم.

وكانت هذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي نصر الله بها المسلمين نصراً مؤزراً، وفيها يقول مولانا عز وجل:

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّوهم بإذنه ﴾ تستأصلوهم عن آخرهم استئصالاً ثم ماذا؟.

ترأى للرماة انتهاء المعركة وشاهدوا الغنائم وما أكثرها فصرّهم ذلك عن ملاحقة عدوهم ابتغاء عرض الحياة الدنيا، فتركوا أماكنهم وناشدتهم أميرهم أن يطيعوا أمر رسول الله فعصاه أكثرهم.

وهنا اهتبلها فرصة خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين، فدار برجاله وراء جيش المسلمين، وأثنى الجراح منهم وهو يصيح صيحة القتال ليردّ المنهزمين، فعادوا إلى المعركة، ورأى المسلمون ذلك فألقوا ما بأيديهم وقبضوا على سيوفهم وراحوا يقاتلون بقوة مبعثرة، وصاح صائح بالناس: إنّ محمداً قد قتل.

فوهنت العزائم وازدادت الفوضى وعظمت البلبلة، وتدافعت قريش إلى الناحية التي فيها رسول الله كلّ منهم يريد قتله أو التمثيل به ليفاخروا به الأجيال.

وهنا -أيها الاخوة- بدأت المرحلة الثانية إذ أحاط المسلمون بنبيهم ﷺ، وحبّب الله إليهم الموت، وهون عليهم الحياة الدنيا، وزادهم إيماناً واستماتة أن رأوا الحجارة تقذفها قريش فتصيب السيد الأعظم فتقع عليه فتصيب رباعيته ويشج في وجهه وتجرح شفته، وتدخل حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته، وتمالك رسول الله وسار مع أصحابه من حوله فإذا به يقع في حفرة حفرها حافر ليقع فيها المسلمون.

واستبسل المسلمون، واخرجوا نبيهم من الحفرة، واستلّت أمّ عمارة سيفاً وتركت سقاء الجرحى وقامت تباشر القتال وترمي عن القوس، وترس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله، وراح سعد بن أبي وقاص يرمي بالنبل دونه، ورسول الله يناوله النبل ويقول له: ارم فداك أبي وأمي.

وصار الناس يصعدون الجبل بعيداً عن ساحة المعركة فرآهم أنس بن النضر فأخبروه خبر مقتل رسول الله فقال لهم: وما تصنعون بالحياة بعده، قوموا موتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل قتالاً منقطع النظر حتى ضرب سبعين ضربة، واستشهد ولم يعرفه أحد إلا أخته عرفته من بنانه، وانتهت الجولة الثانية ولم يسمها القرآن هزيمة إنما قال فيها:

﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون (أي النصر) منكم من يريد الدنيا (أي الغنائم) ومنكم من يريد الآخرة (وهم الذين أطاعوا رسول الله وثبتوا على أرض المعركة) ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ .

انتهت الجولة الثانية بالثبات الأكيد، ولم يفر أحد، وظلوا صابرين صامدين.

وبدأت الجولة الثالثة، بالبلاء العظيم يوم أحد، وانتشرت القتلى على أرض المعركة، واشتدت وطأة الكفار على المسلمين، وتفرقت الصفوف وتمزقت الوحدة.

وراحت امرأة تبحث بين القتلى عن سيدنا النبي فتري في طريقها زوجها مقتولاً، وأباها مقتولاً وأخاها مقتولاً وولدها مقتولاً ، وهي تسير لا تلوي على أحد حتى دخلت إلى مؤخرة الجيش فوجدت رسول الله حياً، فقالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنت حي، لا أبالي إذا سلمت بمن قتل.

ونادى كعب بن مالك بين المسلمين: إن رسول الله حي. فاندفع المسلمون نحوه يصعدون جبل فأدركهم أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. وكان أبي يلقي رسول الله في مكة فيقول له: إن لي فرساً أعلقه كل يوم فرقاً من ذره أقتلك عليه ، فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله . وحانت ساعة أبي ، فاندفع رسول الله نحوه بحربة صماء طعنه بها جعلته ينقلب من على فرسه ويعود أدراجَه ليموت في الطريق وهو يقول: قتلني محمد والله لو بصق عليّ لقتلني حتى مات في الطريق.

ولم يقتل رسول الله غيره طول حياته، ولذلك ورد عنه ﷺ : «شر الناس من قتل نبياً أو قتله نبي» .

وراح بعض الصحابة يضمّدون جراح رسول الله ، ونزع أبو عبيدة حلقتي المغفر بأسنانه من وجه رسول الله فسقطت ثنيتاه، ونظر رسول الله فلم ير سعد بن الربيع فطلبه بعض الأنصار فوجده جريحاً في القتلى فقال له رسول الله يسأل عنك. فقال له: فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له إنّ سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام قل لهم: إنّ سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عينٌ تطرف.

الله أكبر متى يبلغ حب المسلمين اليوم لنبيهم هذا الحب إنهم إن فعلوا سينتزعون انتصارهم من بين شذقي الموت ، وسيتغلبون على أعدائهم مهما كانت العقبات والسدود!!!.

إخوتي في الله : وقف أبو سفيان عند انصرافه أسفل الجبل وصرخ بأعلى صوته: إن الحرب سجال يوم بيوم اعلّ هبل.

فقال سيدنا النبي ﷺ : قل له يا عمر: الله أعلى وأجل، لا سواء ، فقتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال سيدنا النبي: أجيئوه : الله مولانا ولا مولى لكم.

الله مولانا ولا مولى للكافرين مهما ضعفت الأمة، ومهما استكانت الأنفس،
ومهما جرى وحدث في فلسطين وفي أفغانستان وفي البوسنة والهرسك وفي كل مكان.
الله مولانا ولا مولى للكافرين.

أيها الاخوة: تذكروا هذا وارفعوا رؤسكم عالياً بالإسلام، فالله مولانا، الله ناصرنا
هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن
يؤدّي التحية إلى السيد الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.





الحلقة (٢١)

دروس وعبر من غزوة أحد

الحمد لله الذي تفرّد بالبقاء وكتب على غيره الزوال، وجعل الدنيا منتقلة لا تدوم على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال، فكم ممن يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال، وكم ممن يفجؤه النوال ولم يكن يخطر له ببال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على خيرتك من خلقك خاتم الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الأصفياء ، نعم الصحب وحبذا الآل.

أما بعد : فيا أيها الاخوة:

قبل أن أقوم بالتعليق على غزوة أحد أريد أن أبين حقيقة هامة، هي أن غزوة أحد لم تكن هزيمة بل كانت نصراً. إن يوم أحد لا يسمى هزيمة لأن الهزيمة أركانها أحد ثلاث:

١- إما اغتصاب الأرض والاستيلاء عليها، والمدينة لم تمسّ بأيّ سوء ، ولم تؤخذ الأرض.

٢- وإما أن تغير عقيدة الجيش ، والمسلمون قد بقوا على مبدئهم وعقيدتهم وما زالوا يقولون لا إله إلا الله.

٣- وإما أن يقضى على الجيش.

علينا أن نعرف هذه الحقيقة ، إنّ الهزائم لا تنزل على المؤمنين الصادقين ، لأنّ ربّ العزة يقول: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ و ﴿إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا...﴾ بل تنزل الهزائم على المعاندين المكابرين، تنزل على المنافقين على الذين يحاربون الله تعالى.

يقول جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنه (ح . وأقره) : « مانصر النبي ﷺ في موطن كما نُصر يوم أحد قال : فأنكر الناس ذلك . فقال : بيني وبينكم كتاب الله ﻋَﻠَﻴْﻜِﻞ يقول عن يوم أحد ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه ﴾ (آل عمران ١٥٦) والخس: القتل .

إخوة الإيمان :

هدأت الحرب حول جبل أحد، وانحسر المشركون منصرفين، وقد زهوا بالنصر الذي أحرزوه، وهرع الناس إلى قتلاهم، واستشهد من المسلمين يوم أحد سبعون أكثرهم من الأنصار، وكان فيهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب واليمان وأنس بن النضر ومصعب بن عمير، وعمرو بن الجموح.

عمرو بن الجموح الذي جاء إلى النبي الكريم يستأذنه بالقتال يوم أحد وكان عمرو أعرج، فقال له سيدنا النبي: إن الله قد وضع عنك الجهاد، فقال عمرو: ولكني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فلا تمنعني، وينزل عمرو الميدان يوم أحد، فيقتل من المشركين ما يقتل ثم يخرّ شهيداً، ويعلم الحبيب بموته فيقول: إن صاحبكم قد وقع اليوم شهيداً، وإنني أراه الآن يرتع في رياض الجنة بعرجته.

ورأت هند زوجة أبي سفيان سيدنا حمزة وكانت مع نسوة يمثلن بالقتلى ، فبقرت بطنه وأخرجت كبده فمضعتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

وأقبل الناس على قتلاهم، ورأى رسول الله ما فعل بشهداء المسلمين وخاصة بعمه حمزة سيد الشهداء.

فقال: « لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا، والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لأمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب » .

فماذا كان ردُّ ربك على ناشر الهدى وواسع الندى، لقد أرسل الأمين جبريل سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء ، أرسله ربك ببرقية عزاء عطرة في حمزة ، اسمعوا نصها كما نزلت : ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

ونزلت هذه البرقية على قلب سيدنا النبي برداً وسلاماً وقال: بل أرضى وأصبر يارب.

فعفا رسول الله وصبر، ونهى عن المثلة.

وأمر النبي الكريم بدفن الشهداء بدمائهم، ولم يصلِّ عليهم، ولم يغسلوا، وأخذ يجمع بين الرجلين من القتلى في قبر واحد ، ثم يقول: قدموا في اللحد أيهما أكثر أخذاً للقرآن.

وجاء سيدنا جابر ليجد والده قد استشهد وغطي ، فصار كلما كشفه بكى وبكت عمته معه ، ويقدم رسول الله فيرى هذا المشهد فقال : تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه «(ق) .

ثم التفت إلى سيدنا جابر وقال (هب) : ألا أخبرك ، ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً (بدون حجاب) وقال له : يا عبدي سلني أعطك ، فقال : أسألك أن تردني إلى الدنيا لأقتل فيك ثانية ، فقال تعالى : إن سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون ، فقال سيدنا عبد الله : فأخبر من ورائي ، فأنزل تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون

فرحين ويستبشرون بالذين يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ... ﴿١٤٢﴾ .

وجاء سيدنا قتادة بن النعمان وقد أصيبت عينه ووقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده. يقول قتادة: فكانت أحسن عيني وأحدهما.

أيها السادة:

ما أن وصلت أخبار الغزوة إلى المدينة حتى بدأ المرجفون من أهل النفاق واليهود يظهرن سرورهم بما أصاب المسلمين، وراحوا يفتخرون بانحذالهم عن المعركة قبل بدئها، ويقولون: لو أطاعونا ما قتلوا.. وكاد سلطان المسلمين يتضعضع بيثرب لولا ضربة جريئة قام بها السيد الأعظم خففت من وقع الهزيمة، وردت إلى المسلمين قوتهم المعنوية، وأدخلت إلى روع اليهود والمنافقين الرهبة، فقد بلغ السيد الأعظم أن بعض المشركين قالوا لبعضهم:

- إنكم لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكة القوم ثم تركتموهم ولم تبتروهم.

فأمر القائد الأعظم في اليوم التالي للمعركة أن يخرج الناس في طلب العدو، وأمر ألا يخرج أحد إلا من حضر المعركة ، وما من المسلمين إلا جريح وثقيل، فخرجوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد، حتى انتهوا إلى مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة تدعى حمراء الأسد، فلما بلغ ذلك كفار مكة ظنوا أن المسلمين قد جاءهم مدد جديد، فخافوا لقاءهم، بل أن يهزموا بعد هذا النصر الذي حققوه، فبعث أبو سفيان رجلاً يبلغ السيد الأعظم أنه سوف يلتقي به ويجدد القتال معه، ثم ارتد عائداً إلى مكة، وبقي المسلمون يوقدون النار ليلاً طيلة ثلاث ليال متتابعة وينتظرون القتال.

وهنا رجع السيد الأعظم إلى المدينة، وقد استرد كثيراً من مكانة تزعزعت على إثر المعركة، وأثنى الله على ذلك وخلد ذكره، فقال:

﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

إخوتي في الله :

كانت هذه المحنة التي وقع فيها المسلمون تمحيصاً لهم وتربية، فلا ثقة بجماعة عاشت على سرور انتصار ونشوة الفتح وحلاوة الظفر، دون أن تذوق مرارة المصائب والخسائر، فإنها إذا أصيبت بذلك في يوم من الأيام، غرّها ذلك واضطرب إيمانها، وفي ذلك يقول عز وجل:

﴿فأتائبكم غمّاً بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم، والله خير بما تعملون ﴾ .

ولقد كان نبأ وفاة السيد الأعظم وشهادته تهيئة من الله تعالى لنفوس المسلمين وليثبتوا على العقيدة، والدعوة إلى الجهاد في سبيلها، والوفاء لها في حياته، وبعد حياته فلا يجبنون ولا يتخاذلون ولا يهنون ولا يستكينون.

فقال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

أيها الإخوة :

وهكذا قضيت مع حضراتكم دروساً عدّة في الجهاد وهناك فاسمحو لي أن أعود بكم من هناك من المدينة المنورة إلى هنا، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية للسيد الأعظم ﷺ ، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (٢٢)

يوم الرجيع

الحمد لله على كل حال رفي كل حال، والحمد لله حمداً يستدعي مزيد الإفضال،
حمداً يليق بماله من العظمة والجلال، حمداً يصعد مع الكلم الطيب، ويرفع في عليين
صالح الأعمال، حمداً تزين به من الأيام البكور والآصال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله خاتم سلسلة الإرسال.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه في كل
حال ومآل ، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

كانت موقعة أحد دلالة واضحة على ما تفيض به أفئدة المشركين من غل وحقد
على الإسلام، وتطورت عندهم إلى مرحلة أخرى، مرحلة الغدر والخيانة ابتغاء إطفاء
غليل أحقادهم.

وقد سطرّت السيرة النبوية مواقف كثيرة من هذه المرحلة، إذ قامت بعض القبائل
تحرّض على مهاجمة المدينة، منها قبيلة بني أسد، معتقدين أن غزوة أحد قد ضعفت
من قوة المسلمين، فوصل الخبر لحضرة سيدنا النبي ﷺ ، فعقد سرية تبلغ عدّها مئة
وخمسين وجعل عليهم أميراً أخاه من الرضاعة، أبو سلمة بن عبد الأسد، وكان قد
أصيب في أحد بجرح كاد أن يندمل، وأمرهم بالسير ليلاً والاستخفاء نهاراً حتى يتمكنوا
من عدوهم. فنقذ أبو سلمة ما أمر به ، وأخذ بالقوم على حين غرة، وعادوا ظافرين
إلى المدينة ليقتسموا الغنائم وينالوا رضى ربنا عز وجل.

على أنّ أبا سلمة لم يعيش طويلاً بعد السرية، فقد أصيب جرحه من جديد في هذه السرية ففُضِيَ نَحْبُهُ، وأمر رسول الله زوجته أم سلمة أن تصبر وتحتسب وتردد: اللهم أوْجِرني في مصيبي وعوضني خيراً منها، فكانت تقول: ومن هو خير من أبي سلمة. ثم حاولت قبيلة بني لحيان أن تعدّ لقتاله، فجهّز رسول الله سرية عليها عبد الله بن أنيس فعدا على زعيم القبيلة بنخلة ، فاحتال عليه حتى خلا به فقتله بالسيف، فهذأت بنو لحيان وأضمرُوا الثأر لزعيمهم.

فقدمت قبيلة مجاورة لهم من عضل والقارة على رسول الله يذكرون الإسلام وأنهم بحاجة لمن يعلمهم شؤون هذا الدين، فبعث رسول الله نفراً من أصحابه على رأسهم عاصم بن ثابت وخبیب بن عدي وزید بن الدثنة.

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة - خ - تبعهم مئة رام من بني لحيان ليأخذوا بثأر زعيمهم فلاحقوا بهم فلجؤوا إلى مكان يدعى فدغد، فأحاطوا بهم وقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم أحداً. فقال أميرهم عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، لأنه رأى أنه إذا سلم نفسه فسيقع أسيراً في أيديهم، وإنه ليترفع عن أن يجري عليه حكم الكفار. فقاتلوهم وقتلوهم. وبقي خبيب وزيد وثالث معهم قتلوه لأنه أبى أن يسلم نفسه. أما أميرهم عاصم فأرادوا قطع شيء منه ليُعرف أنه قتل فبعث الله عليه الدبابير مثل المظلة فحمته فلم يقدرُوا منه على شيء .

أما خبيب وزيد فانطلقوا بهما إلى مكة وباعوهما لمن يريد الثأر منهما.

فمكث خبيب عند بني الحارث، وكان قد قتل أباهم، فحبس حتى أجمعوا على قتله، تقول بعض بنات بني الحارث: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه ومعه موسى، فأخذه فوضعه على فخذه، ففزغت فرعة عرف ذاك مني فقال: أتحشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

لقد كانت هذه فرصة غالية للمساومة على حياته، أو ليغدر بالطفل كما غدروا به، لكن الأم رآته يلاعبه كأنه أب شفوق، هكذا ربي الإسلام أتباعه.

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من حُبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب،

وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق بالحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله.

إخوة الإيمان : إليكم الدرس الثاني، ليس درساً في الجهاد أو في الطهارة والصلاة، إنه درس في الصبر والمصابرة، في عزة وكبرياء المسلم، إن الدرس الثاني هو درس قلّ نظيره إذ أن بعض بني الحارث خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين، فلما انصرف إليهم قال: لولا أن تروا أنني جزعت من الموت لأطلتكما، فكان أول من سن الركعتين قبل القتل، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. فماذا كانت المكافأة؟.

لقد أراد القوم بعد قتله وصلبه أخذ جزء منه علامة على قتله لأهل مكة، فبعث رسول الله رجلاً ليأتيه بخبره، فجاءه فوجده شهيداً، فحلّ وثاقه من على خشبة القتل فوقع على الأرض، فلما أتى القوم، تركه واختبأ غير بعيد، وهنا حدثت الحماية الإلهية، إذ أن الأرض ابتلعت جسد خبيب ولم يستطع أحد أن يعرف مكانه، فكانت هذه الكرامة لهذا العبد الصالح تمثيلاً مع القاعدة التوحيدية: ما كان معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي.

أيها الاخوة:

أما زيد فهو درس آخر من نوع آخر، إنه درس في الحب، فكلنا يحب الله ورسوله، ولكن عندما يمتحن ترى أنّ دعوى الحب تتلاشى وتذوب أمام الاذى الذي يلحقه

من جراء حبه لله ورسوله ، وربما يتخلى عن هذا الحب لأجل حبيبته أو لأجل النفاق أو الجاه أو رئاسة منصب.

أما حبّ الصحابة لله ورسوله فهو حبٌّ صادق؟ إذ خرجت رجالات قريش وفيهم أبو سفيان بزيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، وهنا بدا لأبي سفيان أن يختبر أصحاب السيد الأعظم ﷺ .

فقال: أنشدك بالله يا زيد أتحبّ أنّ محمداً الآن في مكانك وأنت في أهلك معافى؟!

فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

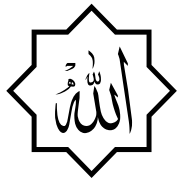
أتسمعون أيها السادة- إنه حبٌّ فريد عملي لا نظري، إنه تطبيق لقوله ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " (م) .

فأين هذا التطبيق اليوم؟!

من أجل ذلك صرّح أبو سفيان بإعجابه بتربية سيدنا محمد ﷺ لأصحابه فقال:

- "ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمد محمداً".

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية للسيد الأعظم ﷺ .
وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٢٣)

بئر معونة

الحمد لله مدبر الملك والملكوت، المنفرد بالعزة والجبروت، بيده مقاليد الأرض
والسموات ومصابير جميع المخلوقات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صفوته من
السادات، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

فقد حزن المسلمون حزناً شديداً لما أصاب أصحاب أصحابهم الستة الذين استشهدوا في
سبيل الله بغدر هذيل بهم، وأرسل حسان بن ثابت أشعاره يرثي فيها حبيباً وزيداً أحر
الثناء:

ما بال عينك لا ترقى مدامعها	سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا	لا فـشـل حين تلقاه ولا نـزـق
فاذهب خبيبُ جزاك الله طيبة	وجنة الخلد عند الحور في الرفق

وقال فيهم:

صَلَّى إِلَهِ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا	يَوْمَ الرِّجْعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثْبِتُوا
رَأْسَ السَّرِيَةِ مَرْتَدُّ وَأَمِيرِهِمْ	وَابْنُ الْبَكْرِ إِمَامُهُمْ وَخَبِيبُ
وَابْنُ لَطَارِقٍ وَابْنُ دُثْنَةَ مِنْهُمْ	وَأَفَاهُ ثُمَّ حَمَامُهُ الْمَكْتُوبُ

والعاصم المقتول عند رجيئهم كسب المعالي إنه لكسوب

وأخذ المسلمون يحذرون أن تتكرر مثل هذه الأمور فتستخفُّ بهم العرب، ولا شيء أقتل لهيبك من استخفاف غيرك بشأنك.

إخوة الإيمان:

لم تكد نفس رسول الله ونفوس أصحابه تهدأ قليلاً من ألم هذا الحادث حتى أصابهم حادث أشدّ وأنكى في صورة من صور الغدر، إذ قدم على سيدنا النبي أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فعرض سيدنا النبي عليه الإسلام فلم يقبل ولم يظهر للإسلام عداوة، بل قال:

- يا محمد: لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

وهنا تفكر السيد الأعظم وخشي عاقبة الغدر - كما غدر بأصحابه من قريب - ولم يقتنع ولم يجب طلب أبي براء حتى قال: أنا لهم جار، فابعثهم يدعون لأمرك.

وكان أبو براء رجلاً مسموع الكلمة في قومه، لا يخاف من أجاره عادية أحد عليه. فبعث سيدنا رسول الله المنذر بن عمرو من بني ساعدة في سبعين رجلاً من أصحابه

على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد في السنة الرابعة من الهجرة، فساروا حتى نزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، ومن هناك بعثوا حرام بن ملحان إلى عامر ابن الطفيل بكتاب السيد الأعظم يدعوه وقومه إلى الإسلام، فلم ينظر عامر الكتاب، بل عدا على الصحابي فقتله برمح في صدره، فلما طعن وانتضح الدم في وجهه صاح:

- فزت وربّ الكعبة.

واستصرخ ابن الطفيل بني عامر كي يقتلوا المسلمين فأبوا أن يخفروا ذمة أبي براء وجواره، فاستصرخ قبائل بني سليم عصبية ورعل وذكوان فأجابوه، وأحاطوا بالصحابة وأعملوا فيهم السيوف عن آخرهم إلا رجلين ترك الأول وبه رمق، وفر الآخر فلقي رجلين من بني عامر فأخذهما على حين غفلة فقتلتهما ثأراً لأصحابه، وتابع سيره إلى المدينة وأخبر الرسول الكريم بما صنع، فإذا معهما عقد جوار من رسول اقتضاه أن يؤدّي ديتهما.

وتأثر سيدنا النبي لقتلى بئر معونة أشدّ التأثر وحزن أعظم الحزن وقال:

- هذا عمل أبي براء، لقد كنت كارهاً متخوفاً .

وشق على أبي براء اخفار عامر بن الطفيل إياه، ودفع ابنه ربيعة فطعن عامراً بالرمح انتقاماً منه لأبيه.

وكان تأثر المسلمين بليغاً لهذه الكارثة التي أصابت إخوانهم، وإن آمنوا جميعاً بأنهم استشهدوا وأن لهم جنة الخلد.

أيها الأحبة والصحب :

كانت هذه الموقعة توضّح بجلاء المعنى الإيماني في الاستسلام لقضاء الله وقدره، حيث صبر الصحابة واحتسبوا وعلموا أن طريق الدعوة شائكة، وأن الله عز وجل يمتحن صبرهم وعزيمتهم، فازدادوا دفاعاً عن الاسلام، وأكدوا المبايعة الإيمانية التي بايعهم بها رب العزة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۚ ﴾ .

أيها السادة:

إن المستعرض للسيرة النبوية يجد أنه منذ غزوة أحد بدأت تظهر العداوة للمسلمين بأسلوب الغدر بهم والثورة عليهم من اليهود والمنافقين والمشركين، ومن أعراب البادية يتحينون الفرص ويتربصون بهم الدوائر، والمسلمون بين هؤلاء وهؤلاء في حذر وخوف.

أما رسول الله: فكان دائم اليقظة والترقب لا يكاد يحسّ بطائفة تجمع له وتؤلب عليه إلا بادرها بوقية قبل أن يجتمع أمرها، ويتفاقم خطرها، فكان كربان السفينة الماهر - إن صح التشبيه - أحاطت به الأمواج واضطرب به البحر فهو يحاول بكل ما أوتي من مهارة وحذق أن يجنب سفينته الهلاك وأن يصل بها وبمن فيها إلى البرّ سالمة.

إخوتي في الله:

مكث السيد الأعظم نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه في بئر معونة وفي الرجيع، كلما صلى دعا عليهم، بما يسمي في الفقه بقنوت النازلة، ويقول في دعائه:

"اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم إعن الحيان ورعاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين".

حتى أنزل الله عليه قوله تعالى:

﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾.

فسكنت نفسه وانقشع عنه حزنه.

ولكن نفوسنا لم تسكن، وحزننا لم ينقشع، والسيوف في رقاب إخوة لنا في أذربيجان وأفغانستان والبوسنة والهرسك والقفقاص وفلسطين من قبل الملحدن والأرمن والجورجين واليهود عصوا الله ورسوله فاللهم:

اشدد وطأتك على اليهود، واشدد وطأتك على الملحدين، واشدد وطأتك على الأرمن والجورجيين عصوا الله ورسوله، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين في فلسطين وأفغانستان والقفقاص والبوسنة والهرسك، وأيدهم بتأييدك وبسلطانك وقدرتك وخذ بأيديهم وانصرهم على أعدائك ، ووحدهم كلمتهم وشد على عزيمتهم وامددهم بملائكتك وجنودك يا قوي يا متين، يا رب العالمين.

أستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

أستغفر الله العظيم



الحلقة (٢٤)

إجلاء بني النضير

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين. وقدوة للعاملين، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعله هادياً ورسولاً وبشيراً ونذيراً وكتب السعادة لمن كان من أتباعه وأتبع هديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه ورحمة للعالمين أرسله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وأحسن الله ختامي وختامكم وختام المسلمين أجمعين.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

حديثنا اليوم عن صورة من صور الغدر والخيانة المتأصلة في نفوس شعب اشتبهوا بهاتين الصفتين ، وقد فضح الله تعالى هذا الشعب، وسجل لعنته عليهم في كتابه الكريم فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

هذا الشعب هو شعب اليهود وقتلة الأنبياء، فهم الذين قتلوا سيدنا يحيى، وهما بما

لم ينالوا بقتل سيدنا عيسى فرفعه الله إليه، ولأبدأ معكم منذ البداية.

الزمن: شهر ربيع الأول سنة أربع للهجرة.

المكان: خارج المدينة عند يهود بني النضير.

الحدث والشخصيات: خروج حضرة النبي ﷺ في عشرة من كبار المسلمين ؟ بينهم الصديق والفاروق لدفع دية القتيلين من بني عامر، اللذين قتلتهما عمرو بن أمية خطأ.

إخوة الإيمان :

تذكرون المعاهدة التي عقدها رسول الله مع اليهود عندما قدم المدينة أن لهم دينهم ولنا ديننا، وأنهم ينزلون بجوار المدينة لهم الجوار والعهد، من هؤلاء يهود بني النضير، حلفاء بني عامر قبيلة المقتولين. وقد سار إليهم رسول الله ليساعدوا في ديتهم، فكلّمهم فوافقوا وقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت.

وخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر، وقال أحدهم : فاقعد حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به .

وجلس رسول الله مع صحبه الكرام إلى جنب جدار من بيوتهم .

- أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة.

وكان رسول الله واقفاً إلى جنب جدار البيت.

فقال سلام بن مشكم اليهودي: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما همتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

وبينما هم يأتمرون بالغدر به، نرى السيد الأعظم يقوم فجأة مسرعاً كأنه يريد حاجة، ويتوخه إلى المدينة فيدخل مسجده ﷺ وخرج اليهود في طلبه فلم يجده ، فقال رجل منهم :

. هل تدرون لم قام محمد .

. قالوا : والله ما ندري وما تدري أنت .

. قال : والله أخبر بما همتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم وإنه لرسول الله .

واستببطأه أصحابه، فقاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة عرفوا منه أنه قد دخل المدينة وقصد توأ إلى المسجد.

فعاد الصحابة إلى المدينة ودخلوا المسجد، فرأوا الحبيب الأعظم فقالوا: قمت ولم نشعر بك يا رسول الله. فقال:

- "هت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقامت)،".

وأمر صحابياً بالتوجه إليهم وإخبارهم بما هموا، وأنهم قد نقضوا العهد، وأنه يتوجب عليهم الجلاء عن ديارهم، وأمهلهم عشراً، وإلا ضرب أعناقهم بعد ذلك. وأخذ اليهود يتجهزون للرحيل، وإذا برأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول يرسل إليها:

- لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم فإن ألفين يقاتلون عنكم.

فتحصن الغادرون في حصونهم، وأبوا الجلاء، ووثقوا بأمانى المنافقين، وعظمت عزتهم ومنّاهم الشيطان الظهور، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله .

إنا لانخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك .

فأمر الرسول بالإعداد للحرب، وسار إليهم وإذا بابن أبي يخذلهم فلم ينفذ وعده معهم، وبقي رسول الله محاصراً لهم عشرين ليلة، أمر خلالها بقطع بعض أشجار النخيل وحرقتها أمام أعينهم، فراحوا ينادونه من وراء جدر:

- قد كنت تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ .

فأنزل رب العزة:

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾

فلما ملأ اليأس قلوبهم رعباً سألوه أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذرائعهم حتى يخرجوا، فصالحهم على أن يخرج كل ثلاثة منهم على بعير يحملون عليه ما شاؤوا إلا السلاح، وأسلم منهم رجلان فقط فأحرزا أموالهما.

وكان الرجل منهم يخلع عتبة داره ليضعها مع متاعه، وهذا معنى قول ربنا:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

إخوتي في الله :

لم تعتبر هذه الأرض أسلاب حرب، ولذلك لم تقسم بين المسلمين بل كانت لله ورسوله خاصة يضعها حيث شاء، وقد قسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار بعد أن استبقى قسماً خصصت غلته للفقراء والمساكين، وأعطى من الأنصار رجلين فقط لفقرهما.

وأنزل الله تعالى سورة بكاملها حول هذه الغزوة هي سورة الحشر، وانقمع المنافقون في جحورهم، وانسدّ باب من أبواب الفتن التي كان يشجعها يهود بني النضير، وفي ذلك يقول عز من قائل :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ

أُخْرِجْتُمْ لِنُخْرِجَنَّهُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، وَالْهَ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنِ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ، لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

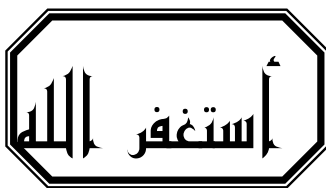
أيها السادة :

كان كاتب سر النبي إلى حين جلاء بني النضير عن المدينة من اليهود، ليتسنى له أن يبعث من الرسائل العبرية والسريانية ما يريده، فلما جلا اليهود خاف سيدنا النبي أن يستعمل في أسراره غير مسلم، فأمر فتعلم زيد بن ثابت من شبان المدينة المسلمين اللغتين المذكورتين وأصبح كاتب سر النبي في كل شؤونه.

وهكذا- أيها الإخوة- قويت نفوس المسلمين واستردوا هيبتهم أمام المجتمعات من حول المدينة، وزالت أول شرذمة من شراذم الغدر والخديعة.

وأما نحن اليوم، فنسأل الله أن تزول شراذم اليهود من فلسطين الحبيبة، وأن يقوّي الله إخواننا الفلسطينيين على أعداء الأمة والدين ، لتعود هيبة الأمة من جديد، وما ذلك على الله بعزيز.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.





الحلقة (٢٥)

غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة هـ

الحمد لله الذي قصّ لنا من آياته عجباً، وأفادنا بتوفيقه إرشاداً وأدباً، وجعل القرآن دافعاً عنا مقتناً وغضباً، أنزله هدى ورحمة وعيداً ورهباً، وأرسل فينا رسولاً كريماً نجبا، أطلعه على الحقائق ففاق أحاً وأباً، وعرضت عليه الجبال ذهباً فأعرض عنها ونأى وأبى، وخصنا بشريعته القويمة وحبا، فآمننا وصدقنا، وله الفضل علينا وجبا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة سبباً.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المجتبي، أشرف البرية حسباً وأطهرهم نسباً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته السادة النجبا ، الذين سادوا الخليقة عجماً وعرباً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

اطمأنت المدينة بعد إجلاء بني النضير، فلم يعد المسلمون يخشون من المنافقين فيها، واغتبط المهاجرون الأولون بما وزع عليهم رسول الله من غنائم اليهود وأراضيهم، وكانت فترة هدوء استراح فيها المهاجرون والأنصار جميعاً.

حتى إذا مر شهر ونصف تقريباً غزا رسول الله ﷺ مع أصحابه غزوة سميت غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة للهجرة.

إذ أن سيدنا النبي الكريم رأى كثرة الغدر بأصحابه من قبائل نجد ، كان آخرها مقتل أصحابه السبعين، فخرج السيد الأعظم إلى نجد وجعل على المدينة سيدنا أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.

وما أن سمعت القبائل بمسير السيد الأعظم حتى ألقى الرعب في قلوبهم ، فتفرقوا
شذر مذر بعيداً عن عسكره، لذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول: "نصرت
بالرعب مسيرة شهر".

ولكن الصحابة رضي الله عنهم أثناء الطريق إلى نجد أصيبت أقدامهم وسقطت
أظافرها، فكان الصحابة الستة أو السبعة يتعاقبون على البعير الواحد، كل واحد يركب
جزءاً من الطريق حتى تلفت أقدامهم لكثرة ما اصطدمت بالحجارة والصخور، وهذا إن
دل على شيء فإنما يدل على فقر الصحابة وقلة ذات يدهم، ورغم ذلك لم يمنعهم هذا
من المشاركة في الغزوة، وتحملوا كل ألوان المحن ووعثاء الطريق، لأنهم باعوا أنفسهم
وأموالهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا واستهانوا بكل شيء لإرضاء الله
ورسوله متمثلين قول ربنا جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّهُمْ لِيَوْمَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ .

هذه الآية نفذها الصحابة في كل حركة وسكنة من حركاتهم وسكناتهم، وإليك
الدليل:

روى الامام أحمد رضي الله عنه عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: (هق - ابن
هشام ، « خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع فأصيبت امرأة من المشركين،
فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً وجاء زوجها وكان غائباً، حلف أن لا ينتهي حتى
يريق دمًا في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر سيدنا النبي، فلما نزل منزلاً لينام قال:

- من رجل يحرسنا في هذه الليلة؟

قال: فقام رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله.

قال: أمكننا بفم الشعب.

فلما خرج الصحابييان إلى فم الشعب اتفقا أن يبدأ الأنصاري بالحراسة واسمه عباد
ابن بشر فقام يصلي من الليل.

وجاء زوج المرأة يريد الثأر لزوجته وشاهد الصحابي عبداً بن بشر قائماً يصلي فرماه بسهم أصابه في جسمه، ولكن عبداً لم يقطع صلاته ولا قراءته للقرآن، فنزع السهم وثبت قائماً يصلي وقرأ القرآن، فلما رأى الرجل أنه بقي ثابتاً قائماً رماه بسهم آخر أصابه، فنزعه ثانية وراح يتابع صلاته وجرحه يسيل منه الدم، فرماه الرجل بسهم ثالث نزعه الأنصاري ثم ركع وسجد وأيقظ صاحبه بجانبه وقد سالت منه الدماء وقال له : - استيقظ فقد أصبت (أُثِّبْتُ).

فوثب الصحابي إلى صاحبه، فلما رآهما الرجل عرف أنه قد أصبح في خطر ففر هارباً، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال:

- سبحان الله! أفلا أيقظتني أول ما رماك.

قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها، فلما ثابر على الرمي ركعت فأذنتك ، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطع صلاتي .

هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يجاهدون في الله حق جهاده، وهم في جهادهم الصادق يقيمون عبادتهم ولا يتركون صلاة الليل لأنّ نبينا عليه الصلاة والسلام علمهم أن قيام الليل شرف المؤمن، لذلك وقف الصحابي عباد ينادي ربه ويعبده ببضع ركعات أثناء قيامه بحراسة الشعب يتوجه بها إلى الله تعالى ويناجيه بتلاوة كتابه الكريم لذلك لم يبال بما أصابه، لأنه كان مع الله فنسي نفسه وهو يتلو القرآن الكريم، ولما انتهى من تلاوته أحس بالألم يعتريه وبالدماء تسيل على جسده ، ولولا أنه خاف أن يموت قبل أن يخبر رفيقه بهذا الخطر الداهم لما أيقظه ولبقي يتابع صلاته.

هؤلاء- أيها الاخوة- هم الذين فتحوا الدنيا لأنهم كانوا صادقين مع الله تعالى فهو

الذى يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

إن هذا الدرس الذي أعطاه لنا هذا الصحابي الجليل عباد بن بشر في غزوة ذات الرقاع درس هام جداً إنه جهاد يرتبط بالصلاة، فلن نتنصر إلا إذا عدنا إلى الله وتمسكنا بحبله المتين "أعني بالصلاة" وهذا كان ديدن حضرة النبي ﷺ ، "كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة".

وإذا أردنا اليوم أن نتنصر على أعدائنا علينا أن نربط أنفسنا مع الله بالصلاة، أن نرجع إلى الله ونحافظ على الصلاة، يجب علينا أن يكون في كل مدرسة من مدارسنا مسجد، وفي كل مؤسسة من مؤسساتنا مسجد ، هذا المسجد الذي يربط الأرض بالسماء ، ويربط المخلوق بالخالق ، ويربط العبد برافع السماء بلا عمد .

أيها السادة:

إن رسول الله ﷺ وهو في أشد حالات الحرب مع القبائل لم يترك الصلاة، بل إنه في هذه الغزوة قَسَم أصحابه عند الصلاة قسمين:

قسم يرابطون تجاه العدو، وقسم صَلَّى بهم ركعة واحدة، حتى إذا وقف رسول الله في بداية الركعة الثانية، أسرعوا وأتموا الركعة الثانية ثم سلموا وذهبوا إلى مكان إخوانهم والرسول الكريم واقف، فأتى القسم الثاني واقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم بالركعة الثانية وجلسوا للتشهد، ثم قاموا يأتون بالركعة الثانية حتى أدركوا النبي الكريم في التشهد فسلم وسلموا معه.

فرسول الله كان يمكن أن يأمرهم فيصلي كل واحد منهم بمفرده، وكأنه وجد أنه بحاجة إلى توحيد الصف، وفضيلة الجماعة عظيمة جداً، لذلك جمعهم، ولم يترك الصلاة وهو في أشد حالات الخوف من العدو، لذلك سميت هذه الصلاة بصلاة الخوف.

وصدف في إحدى المعارك أن المعركة استمرت وقتين الظهر والعصر ولم يصل الصحابة هذين الوقتين لالتحامهم مع العدو، فلما وقفت المعركة دعا عليهم وقال:

- ملأ الله قبورهم ناراً لقد شغلونا عن الصلاة.

إن المجتمع الإسلامي اليوم يريد أن ينتصر بدون المحافظة على الصلاة، لذلك هم اليوم مخذولون لا شوكة ولا هيبة لهم، رغم أن سيدنا النبي ﷺ حذرنا مغبة ترك الصلاة فقال: "العهد الذي بيننا وبينهم (أي الكفار) الصلاة من تركها فقد كفر".

إخوة الإيمان :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى حيث الحبيب الأعظم !لأنقل لكم هذا المشهد الفريد من الغزوة، إذ كان النبي الكريم عائداً إلى المدينة المنورة وفي الطريق نهاراً أدركهم حرّ الظهيرة، فأراد رسول الله أن يقيّل، أي أن يرتاح بالاضطجاع بين الضحى والظهر ، وتسمى عندنا بالقلولة إذ أنه كان يأمر أصحابه بها ويقول لهم: "قلوا فإن الشياطين لا تقيل".

ونزل الصحابة رضي الله عنهم يستظلون بالشجر في وادٍ كثير الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه.

يقول الإمام البخاري فيما يرويه عن سيدنا جابر رضي الله عنهما:

فنمنا نومه، فإذا رجل يقف فوق سيدنا النبي وقد استولى على سيفه. فاستيقظ السيد الأعظم فشاهد الرجل شاهراً السيف يريد أن يضرب به السيد الأعظم وهنا قال الرجل: - من يمنعك مني يا محمد؟ .

فقال سيدنا رسول الله ﷺ كلمة واحدة: الله.

فإذا بالسيف يهتّز من يد الأعرابي ويسقط على الأرض، وهنا يأخذ رسول الله السيف ويشهره في وجه الرجل ويقول له: من يمنعك مني.

ولكن رسول الله، ما كان لينتقم لنفسه، لأنه الذي قال فيه ربنا عز وجل:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وقدم الصحابة فشاهدوا هذا الموقف وعرفوا
ماكان، وشاهدوا السيد الأعظم وهو يقول للأعرابي: اذهب أنت حر لوجه الله.

اخوتي في الله :

كانت هذه الحادثة هي معنى قول ربنا جل جلاله لنبيه الأعظم:

﴿والله يعصمك من الناس﴾.

يعصمك ويحفظك هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي
الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم



الحلقة (٢٦)

غزوة بني قينقاع

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أنّ لا إله إلا هو ولي الصالحين.

وأشهد أنّ سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

الوقوف أمام الحبيب الأعظم ومحاطبته تبعث الأنوار في القلوب، وقفت أمام جدي سيدي رسول الله ﷺ ورحمت أتدلل وأتذلل.

يا حبيب القلوب أنت الحبيب أنت أنسى وأنت مني قريب

يا طيباً بذكره يتداوى كل ذي سقم فنعم الطيب

وراحت عيناى تجيل النظر حول أطهر بقعة على وجه الأرض، والتي ضمت بين جوانبها سيد الخلق وحبيب الحق، وقرأت على باب الحجرة:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والألم

روحي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وراحت الكلمات مع الدموع تجري على اللسان بعفوية:

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله جئناك زائرين، وبك مستشفعين، جئناك تائبين من جميع ذنوبنا فاستغفر لنا يا حبيب الله.

فيا سيدي إن تكلمت فعنك أتكلم، وإن خاطبت ففيك أخاطب الناس، أتنفل من تشريعك إلى سيرتك، فمنك وعنك أصدر، وإليك أعود، سيدي أبا القاسم يا رسول الله.

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وذكرك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وكنت حديثي بين جلاسي
وحين ودّعنا الحبيب الأعظم ، خاطبته ألسنتنا: يا رسول الله:

إن قيل زرتم بم رجعتم يا أكرم الخلق ما نقول
فسمعنا الجواب يصل إلى قلوبنا وعقولنا:

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول
اخوة الإيمان :

ما زلنا في حضرة الحبيب الأعظم وفي رحابه، فقد نزل عليه في السنة الخامسة آية عظيمة كانت خيراً كثيراً على المسلمين والمسلمات، هذه الآية هي قوله تعالى:

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

هذه الآية تسمى عند العلماء (بآية الحجاب) للمرأة الشريفة العفيفة، وليس حديثي عن الحجاب ولا عن دليله، لأنّ الحجاب لا ينكره إلا أعمى القلب وأعمى البصيرة ومن طمس الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً^(٦) .

ولكنني أريد أن أسطر لكم اليوم تتمة السيرة العطرة وهي غزوة بني قينقاع وكان سببها نزع حجاب امرأة عربية.

(٦) انظر أدلة الحجاب وصفاته في كتابنا قضايا تربوية .

وبنو قينقاع قوم يهود ، قوم مكر وخديعة وشر، لا يعبأون بالقيم الأخلاقية ولا الدينية.

أيها السادة :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى حول المدينة المنورة حيث تقطن هذه الشرذمة من الشر ، ها هي قريتهم محاطة بالأسوار من كل جانب، وها هو سوق بني قينقاع داخل القرية، وها هي امرأة من العرب تُقَدِّمُ بجلب لها لتبيعه بالسوق، فجلست إلى صائغ يهودي، فجعل الصائغ مع صحبه اليهود يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى عمل مشين قذر؟ إذ عقد طرف ثوبها من ظهرها وهي لا تشعر، فلما قامت انكشف عن جسمها فضحكوا منها فصاحت المرأة مستغيثة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله لساعته، فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فاجتمعوا ، ووقع شر عظيم بينهم ، ووصل الخبر إلى سيدنا رسول الله فأمر بالجيش فأعد ، وسار إلى بني قينقاع التي تحصنت بحصونها بعد نقضها العهد فحاصروهم رسول الله خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم الله ورسوله، واستشار النبي الكريم صحابته فأشاروا عليه بقتلهم، وهنا تدخل مولاهم عبد الله بن أبي المنافق فقال:

- يا محمد إنهم من موالي وأنا رجل أخاف الدوائر، فأحسن في موالي .

وما زال يكرر مقالته حتى وهبهم له دون أموالهم، ونفاهم رسول الله إلى أطراف الشام إلى أذرعات.

ونزل قوله تعالى في أمثال عبد الله بن أبي:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ..

إخوتي في الله :

في هذه الغزوة درس عظيم لنساء عصرنا، لكل مسلمة تخشى الله ورسوله، وتحب أن تكون مسلمة حقاً ، وهو درس للفاسقات اللواتي كشفن عن رؤوسهن وأجسامهن يتحدين الله ورسوله. وكما سمعتم كاد رسول الله أن يأمر بقتل اليهود الذين انتهكوا حجاب المرأة العربية. علينا اليوم أن نصغي بأسماع أفهامنا وننقل هذا الكلام إلى بيوتنا.

إن رسول الله أنشأ غزوة بكاملها إلى بني قينقاع لأجل هتك حجاب امرأة، وفي هذا

ردّ على من يقول: إن الحجاب من العصر العباسي، أو من عصر الانحطاط، أو من غير هذه الترهات، إن رب العزة أصدر قراره الذي لا رجعة عنه ورسول الله حي والقرآن ينزل عليه:

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾.

لذلك كان الحجاب فرض على جميع المؤمنات الحرائر البالغات، وهو كفرض الصلاة والصوم، هو من أركان الدين للمرأة.

لذلك اسمع إلى أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها وهي تصف نساء الأنصار عندما نزلت هذه الآية، فقد قالت:

"إنهن خرجن وكان على رؤوسهنّ الغربان من أكسية سود يلبسنها".

هذا الكلام كان مطبقاً مسلماً وحرباً ، اسمع معي إلى مدى تقوى وصلاح الصحابيات:

هذه امرأة مؤمنة طاهرة من نساء الصحابة استشهد ولدها في إحدى الغزوات مع سيدنا رسول الله "فجاءت المرأة تبحث عن ولدها بين القتلى وهي منتقبة، فقيل لها:

- تبحثين عن ولدك وأنت منتقبة؟ .

فأجابت: لأن ارزأ ولدي فلن ارزأ حيائي.

أسمعت: لأن تصيبني مصيبة بفقدي ولدي خير لي من أن أصاب في ديني .

أيها الأحبة والصحب :

إنّ الدعوة إلى هتك الحجاب ونزعه لم تتوقف عند هذا اليهودي الخبيث، فإن أعداء الإسلام كانوا في كل يوم يحاولون مثل محاولة هذا اليهودي، بل إن بعض الملوك قاموا بإصدار قوانين لمنع الحجاب يا ويلهم من الله تعالى ، على رأسهم:

أتاتورك لعنه الله تعالى وكان يشنق كل من يضع الحجاب بتركيا.

ورضا بهلوى في إيران، ومحمد أمان لا أمنه الله من عذابه في أفغانستان، وكذلك في اسبانيا وروسيا وتركستان، وتيتو في يوغسلافيا.

وهؤلاء قتلة ومردة من الدين ، حاربوا الإسلام ، فماذا فعل الله بهم، لقد ماتوا وبقي الإسلام خالداً أبداً الدهر ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ .

لكن الأمر العجيب أن يكون رجل من أبناء جلدتنا ويحمل هوية مسلم وترى على أيدي علماء الأزهر يقوم بالدعوة إلى هتك الحجاب تحت شعار تحرير المرأة المسلمة، ومما يذكر أن هذا الرجل كانت امرأته تخرج بحجابها الكامل.

والأعجب منه أن يقوم أحد القواد العرب من المسلمين الذين حاربوا الاستعمار وهو عربي ومسلم يقوم بيده بهتك حجاب المرأة في أحد البلدان العربية، إذ نفته بريطانيا إلى جزيرة سيشل فترة، وغسلت دماغه وأعادته إلى بلده لتولي رئاسة مجلس الوزراء وتوقع معه معاهدة ليكون احتلال بريطانيا لبلده بشكل خفي،

وإليكم المأساة:

هيء الجو لاستقبال هذا القائد المنحوس وأقيم لاستقباله سرادقان أحدهما للرجال والآخر للنساء المحجبات، ونزل المنحوس من الباخرة وأمام اهتافات توجه إلى سرادق النساء فدخل عليهن بعد اتفاق استعماري مع امرأة لعينة خبيثة مشهورة في تاريخ ذلك البلد في الدعوة إلى نزع حجاب المرأة، بدعوى تحررها من الأسر الإسلامي، فماذا حدث: اسمعوا المأساة:

لقد مدَّ هذا المأفون الخبيث يده إلى حجاب هذه المرأة ونزعه عن رأسها، فقامت هذه الخبيثة بالضحك والتصفيق لما فعله هذا القائد، وإذا بالنساء في ذلك السرادق ينزعن حجابهن ويصفقن لهذا التعس.

ومن ذلك اليوم أسفرت " نساء ذلك البلد العربي المسلم، استجابة لهذا المنحوس وأصبح الحجاب نشازاً في حياة المرأة المسلمة في ذلك البلد.

لقد فعل هذا المنحوس ما فعله اليهودي بيده، أما اليهودي فقد كلفه ذلك دمه وحياته، وأما هذا القائد المنحوس وأمثاله ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فقد قال عنه رب العزة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾.

والله سميع عليم هناك . و هنا في عصر النبوة أو عصرنا وما أدراك ما هناك ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أدن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٢٧)

غزوة بني المصطلق

وتعدد زوجاته ﷺ

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهرراً، وسلّط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً، وعظّم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرأً ، فقال جل وعلا:

﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته صلاة وسلاماً لا يستطيع لها الحساب عدأً ولا حصراً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيقول الله تعالى لنبه الأعظم ﷺ :

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك، وبنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك، وبنات خالاتك، اللاتي هاجرن معك، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ .

﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم، وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾. صدق الله العظيم.

أيها السادة :

بلغ السيد الأعظم ﷺ في شعبان من السنة الخامسة أن بني المصطلق وهم الذين ساعدوا قريشاً في حرب المسلمين في أحد، بلغه أنهم يجمعون جموعهم مع رئيسهم الحارث بن أبي ضرار، فخرج إليهم في سبعمئة من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.

وكانت راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنه، وراية الأنصار لسعد بن عباد، فدهمهم عند ماء لهم يسمى المريسيع وهم غافلون يسقون أنعامهم.

فنادى سيدنا عمر بن الخطاب فيهم: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبوا، فتراموا بالنبل، ثم أمر النبي الكريم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد شعارهم يومئذ: يا منصور أمت أمت.

فأكرمهم الله تعالى بالنصر، وقتل من بني المصطلق عشرة، وأسرت باقي القبيلة وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة.

إخوتي في الله :

كان بنو المصطلق من أعز العرب داراً، وأشرفهم نسباً، وهم بطن من خزاعة. وكان من السبايا ابنة الحارث السيدة جويرية وقعت عند توزيع الغنائم لسيدنا ثابت بن قيس فكاتبتها على نفسها، فأنت النبي الكريم وقالت له: - يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس فكاتبته على نفسي وجئت أستعينك على كتابتي.

وهنا نظر النبي الكريم بعين الوحي أو النبوة، ورأى هذه المرأة العربية الكريمة تلوي في الذل والمهانة وهي المرأة الشريفة ، سيدة نساء قومها ، رآها تلوذ به من مهانة السبي وعار الرق فقال لها:

- أدلك على خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟! قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك. فقالت بفرحة غامرة: نعم.

وهنا أسلمت السيدة جويرية وتزوجها النبي الكريم ﷺ .

وخرج الخبر إلى المسلمين وفشا بينهم، وكان المسلمون عند حسن ظن نبيهم ويُعد نظره ، فانظروا ماذا فعلوا؟.

جويرية من بني المصطلق، وبنو المصطلق بعد زواج النبي الكريم منهم أصبحوا أصهار رسول الله ﷺ ، لذلك الصحابة عرفوا ماذا يريد رسول الله منهم بهذه الإشارة، فقالوا جميعاً:- أصهار رسول الله تحت أيدينا أرقاء.

والله لا يكون ذلك أبداً.

اسمعوا حب الصحابة لسيدنا رسول الله، انظروا الذين اختارهم الله ليكونوا أصحاب النبي الأعظم !.

إنّ الصحابة جميعاً أطلقوا كل ما بأيديهم من بني المصطلق أحراراً لوجه الله تعالى، فماذا كان جزاء هذا العمل من بني المصطلق .

إن العربي الأبني لا يحتمل أن يرى الكرم واللطف والأخلاق من أحد إلا ويرد عليه بأحسن، إن بني المصطلق- أيها الإخوة- أعلنوا دخولهم في الاسلام جميعاً. وكانوا زهاء مئة عائلة، لذلك كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول:

- ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، لقد اعتق بتزوجها من رسول الله مئة (أهل) بيت.

إخوة الإيمان :

كانت السيدة جويرية الزوجة الثامنة التي دخلت بيت النبوة، وكما ترون هذه الحكمة العظيمة التي نتج عنها تزوج سيدنا النبي منها، لقد فعل هذا الزواج ما لم يفعله السيف في سلسلة المعارك، وكان باستطاعة سيدنا النبي أن يجعلها ملك يمينه بشرائها، ولكن الأهم من ذلك انتشار الإسلام بالألفة والمحبة.

إن وراء كل امرأة تزوجها النبي الكريم حكمة وتربية وهدفاً، وكلهن تزوجهن بعد أن تجاوز عمره الشريف الخمسين سنة.

أيها الأحبة والصحب :

إن المستعرض لسيرة هذا النبي الكريم يجد أنه قضى شطر عمره في العزوبة مدة خمسة وعشرين عاماً، كان فيها مثلاً للفتوة الإنسانية العربية السليمة، ومتحلياً بأفضل صفات الفروسية والرجولة التي تفاخر بها العرب، ثم تزوج السيدة خديجة وبينه وبينها في السن خمس عشرة سنة لم يتزوج عليها أحداً مدى ثمان وعشرين سنة، بقى معها سعيداً لم يفكر بسواها، وحينما بلغ سن الخمسين انتقل إلى مرحلة الثالثة تزوج فيها السيدة سودة بنت زمعة وهي تكبره بالسن كثيراً. وكانت أرملة رجل من السابقين للإسلام الذين احتملوا في سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة هرباً وقراراً بدينهم، وكانت سودة قد هاجرت مع زوجها ولقيت مع زوجها ما لقيت، فلما مات زوجها، ضمها رسول الله ﷺ إلى بيته لتربي أولاده الذين تيتموا بوفاء والدتهم السيدة خديجة رضي الله عنها.

وفي هذه الأثناء وفي مكة المكرمة نزل ملك من السماء ومعه قماشة حريرية عليها صورة فتاة وقال للنبي الكريم: هذه صورة إحدى زوجاتك في الدنيا والآخرة، فإذا هي صورة السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها (خ) .

أبيها السادة :

ماهي أعظم مكافأة يقدمها صديق لصديقه ووزيره ومن فداه بنفسه وبماله؟

إن أعظم مكافأة له أن يصاهره على عادة العرب، لذلك وامثالاً لأمر الله تعالى خطب السيدة عائشة من أبيها الصديق، وكافاً سيدنا عمر صاحبه ووزيره الثاني بزواجه من ابنته حفصة لما توفي زوجها، وكافاً سيدنا عثمان صاحبه الثالث بأن زوجه ابنته السيدة رقية، وصاهر سيدنا علياً مكافأة له أيضاً، فزوجه من السيدة فاطمة رضي الله عنها ، هؤلاء هم أخص أصحابه ﷺ .

وحين مات زوج السيدة حفصة بنت الفاروق عمر. جاء سيدنا عمر إلى أبي بكر طالباً منه أن يتزوج حفصة، فأبى الصديق، فعرضها سيدنا عمر على سيدنا عثمان فأبى هو الآخر، فذهب شاكياً إلى سيدنا النبي صاحبه، فلما رأى النبي الكريم اهتمام سيدنا عمر بتزويج ابنته قال له:

- يتزوج عثمان من هو خير من حفصة، ويتزوج حفصة من هو خير من أبي بكر.

قال: من يا رسول الله؟. قال: أنا.

الله أكبر روعي فذاك يا رسول الله، هكذا نطق قلب سيدنا عمر رضي الله عنه وقفز من فوره حينما علم بهذه البشارة.

يا أمة الحبيب الأعظم :

ألا ترون؟! لقد تزوجها من أجل خاطر سيدنا عمر ومكافأة له، ولقد اعترف الفاروق بهذا يوماً لابنته قائلاً: والله لولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ

فهو إذاً لثمتين أواصر الألفة والمحبة بين هذين الصاحبين الكريمين تزوج من سودة ليعلم المجاهدين المسلمين أنهم إذا استشهدوا في سبيل الله، فلن يتركوا وراءهم نسوة وذرية ضعافاً يخافون عليهم الفقر أو العيلة، ولقد شاهدنا ذلك في زواجه أيضاً من

السيدة زينب بنت خزيمة التي كانت زوجة سيدنا عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر فترملت زوجته، ولم تكن ذات جمال وإنما عرفت بطيبتها وإحسانها إلى الفقراء حتى لقبت بأُم المساكين، وكانت قد تخطت سن الشباب فلم يك إلا سنة أو سنتين بعد زواجهما حتى قبضها الله تعالى إليه.

ثم كانت السادسة التي دخلت بيت النبوة السيدة أم سلمة هند بنت حذيفة زوجة أبي سلمة المجاهد وهو أخو النبي الكريم من الرضاعة وابن عمته، الذي توفي على فراش موته متأثراً بجرح بليغ في أحد، ثم برأ ثم كان أميراً على سريره التي عقد لها رسول الله وعاد منها ظافراً ثم مات على إثرها، وتذكرون أن النبي الكريم علّم السيدة أم سلمة كلمات نورانية لتردها: اللهم أوجرني في مصيبي وعوضني خيراً منها.

فلما انتهت عدتها تقدم إليها النبي الكريم خاطباً لجبر خاطرها وإعالة أولادها فاعتذرت بكثرة العيال وأنها تخطت الشباب وأنها امرأة غيور، لكن السيد الأعظم قال لها:

- أما العيال فعلى الله، وأما الغيرة فأدعو الله تعالى أن يذهبها عنك.

هل ترون - أيها الاخوة - مدى عظمة هذا النبي الكريم، هكذا كان رسول الله نبيا ورسولاً وأباً لجميع المسلمين، لكل مسكين ومحروم وضعيف ويائس وعاجز، وأباً لكل من فقد أباه شهيداً في سبيل الله تعان.

أما السيدة زينب بنت جحش فإن زواجه منها يعدُّ من مفاخر السيد الأعظم، محاً الله به تقاليد الجاهلية وعاداتها، وأقر به تشريعاً جديداً أنزله الله تعالى هدى ورحمة للعالمين.

إذ أن السيدة زينب هي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، كانت صغيرة رباهها رسول الله على عينه وبعنايته، وكانت بمقام البنت والأخت الصغرى له، شهدها تحبو من الطفولة إلى الصبا وإلى الشباب، وهو الذي أراد مكافأة زيد بن حارثة - ولده

بالتبني - فزوجه إياها، رغم معارضة أخيها عبد الله لأنه ليس من عادة العرب أن يتزوج عبد من قرشية هاشمية شريفة، بل هو عار عند العرب.

أيها الاخوة:

إن نبينا الأعظم مشرّع حدثنا عن تشريعه ربّ العزة فقال : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾

إنه يضع تشريعاً جديداً اسمعوا التشريع وأنتم تصلّون عليه، إنه:

"لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

"إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

لذلك أراد ربّ العزة بزواج النبي من السيدة زينب أن يلغي عادات جاهلية كانت عند العرب، كما شرّع تشريعات أخرى.

فأولاً : ألغى رب العزة التبني ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (ادعوهم لأبائهم).

ثانياً: ألغى منع التزوج من زوجة الابن المتبنى بعد طلاقها: (وما جل أدعياكم أبناءكم) .

فلما تزوجها سيدنا زيد راحت السيدة زينب تتفاخر على زيد بنسبها وبأنها حرة شريفة لم يجر عليها رق، فاشتكى زيد لحضرة النبي على السيدة زينب وما تفعل به، والنبي يصبره عليها.

وأنزل ربّ العزة على نبيه وحياً بأن زيداً سوف يطلق زينب وتزوجها أنت.

وخشي النبي الكريم أن تقول العرب: إنّ محمداً تزوج من زوجة ابنه بالتبني.

ويأتي زيد ثانية وثالثة يشتكى من السيدة زينب والنبي الكريم يصبره عليها ويقول له:

- أمسك عليك زوجك واتق الله.

ولكن زيداً لم يحتمل فطلق زوجته السيدة زينب.

وهنا نزلت الآيات من قبل الحق عز وجل تعاتب النبي الكريم على فعله ذلك:

﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه (من أنك ستتزوج من زينب بعد تطليق زوجها لها) وتخشى الناس (أن تقول تزوج زوجة ابنه بالتبني) والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطراً (أي وطلقها) زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾.

وبهذه الآية نتبين أن الذي زوج السيدة زينب من رسول الله هو رب العزة (زوجناكها). وأنا أسأل من هو هذا الدّعي الكافر الذي يعترض على أوامر رب العالمين؟ لتسمع الدنيا إن مولانا يقول: (زوجناكها) صلوا على الحبيب الأعظم.

معشر السادة :

كل الزوجات اللواتي تزوجهن رسول الله بعد السيدة خديجة وعددهن عشر نسوة، تزوجهن في عشر سنين، ما بين سن الخمسين إلى الستين، وكل واحدة تزوجها رسول الله من قبيلة، لأنه أراد بهذا الزواج على عادة العرب أن يربط بالألفة والمصاهرة القبائل لكي تدخل في الإسلام أولاً، ولتدافع عنه ثانياً .

وإنني في هذا المقام أريد أن أصحح دعوى باطلة يروج لها المستشرقون، وهي أن النبي ﷺ تزوج أكثر من أربع بينما لم يسمح لغيره من المسلمين أن يتزوج أكثر من هذا العدد.

إننا إذا نظرنا في تاريخ التشريع الإسلامي وجدنا أن القرآن الذي أنزل على النبي الكريم وفيه قوله:

﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ .

إنّ هذه الآية قد نزلت في أواخر السنة الثامنة للهجرة بعد أن كان النبي الكريم قد بنى بأزواجه جميعاً وعددهن إحدى عشرة امرأة، نزلت هذه الآية لتحديد عدد الزوجات بأربع، وقد كان إلى حين نزولها لا حدّ له، وفي هذا رد على من يقول بأن النبي الكريم أباح لنفسه ما حرم على الناس.

ليسمع الأقاكون الذين يروجون الأكاذيب لقد كان بوسع أي مسلم أن يتزوج أكثر من أربع خلال السنوات التي تزوج فيها رسول الله ﷺ نساءه، ثم نزل بعد ذلك التحديد بأربع، والنبي الكريم وحرصاً على أن يكون أسوة وقدوة فقد توقف عن التزوج بعد نزول هذه الآية، ولم يتزوج النبي الكريم أي امرأة بعد نزول هذه الآية.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ﴾ .

أيها الاخوة:

أردت من ذكر تاريخ بعض زوجات سيدنا النبي أن أستعرض طرفاً من حياته الخاصة في بيته، فكيف كان سيدنا النبي في بيته؟ كيف كانت أخلاقه مع زوجاته، هل كان عظيماً داخل بيوتات أمهات المؤمنين كما هو عظيم خارج هذه البيوتات وكما هو مع صحابته الكرام؟.

أعلق الإجابة عن هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة بإذن الله، لأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٢٨)

الحكمة من تعدد زوجات سيدنا النبي ﷺ

وذكر أخلاقه معهن

الحمد لله الذي فضل نبينا ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين، وفضل أمته على جميع الأمم السابقين واللاحقين، ورفع نساء النبي على نساء العالمين، وأنزل فيهن مدحاً يتلى إلى يوم الدين: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولمط الصائغ.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد العالمين القائل:

"أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم (امرأة فرعون)." .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته البررة المتقين، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا أيها الاخوة:

خاض العابثون الحاقدون على هذا الدّين بتمويه الحقائق لتشويه الإسلام، وبالطعن على رسول الله بسبب تعدّد زوجاته. وهذه عادة اليهود والنصارى، الذين يفترون الكذب والبهتان بقولهم: (إن هذا التعدد ليس إلا لقوته الجنسية وحبّه للشهوة واللذة والمتعة النفسية".

وهذا أسلوب يقلب الحقائق إلى أباطيل مع أنبائها وخاصة الذين يدّعون بالثقافة الأوروبية يصدّقون هذه الآراء، حتى إن أحدهم وهو من المسلمين يقول بحق تعدد الزوجات: (بديهي أن تعدد الزوجات احتقار شديد للمرأة) .

ولو علم هذا الأفاك أن كلامه يعارض نص القرآن الكريم، وفيه اتهام لرب العزة أنه لا يعلم ما فيه مصلحة العباد والبلاد، ولو أنه قصد هذا لكفر، والعياذ بالله تعالى.

أيها الاخوة: ما أنصف هذا المتجرىء على حدود الله وأحكامه:

لأن تعدد الزوجات نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على الإسلام، لأن بيوتات أمهات المؤمنين تحولت إلى مدارس للمؤمنين والمؤمنات بعد وفاة سيدنا النبي ، بل وفي أثناء حياته وإليكم الدليل:

يروى الإمامان البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها: "أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من الحيض، فأمرها أن تغتسل، ثم قال: خذي فرصة (قطعة قطن أو خرقة) من مسك فتطهري بها.

قالت الأنصارية: وكيف أتطهّر بها؟ قال رسول الله ﷺ : تطهري بها !! . قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري ! . قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها إلي وقلت: تتبعني بها أثر الدم "

فاستحى رسول الله ﷺ أن يصرح لها بموضع القطن المطيبة وهو المكان الذي كان يخرج منه دم الحيض فأفهمتها السيدة عائشة ذلك.

أيها السادة : هل يكفي النساء الصحابييات أن تعلمهن امرأة واحدة، أو أربعاً أو خمساً أو عشرًا.

إن أمهات المؤمنين كن يعلمن الأحكام الشرعية للصحابييات كأحكام الزواج والحيض والنفاس وقضايا الجنبات والطهارة.

وقد تجرأ أحد من المنافقين أن يقول كلاماً ما أنزل الله به من سلطان على حضرة النبي فقال:

كيف يحرم رسول الله على أصحابه أن يتزوجوا أكثر من أربع زوجات، ثم يتزوج هو أكثر من أربع؟

هذا هو نص السؤال، أما الإجابة عنه فنقول: إن هذا الكلام لا يجوز أن يقال، والذي يقول هذا الكلام غبي أو معاند. لأننا يجب أن ندرس التشريع الإسلامي قبل أن نسأل هذا السؤال، يجب أن ندرس تاريخ الأحكام الشرعية، لأن هذا الدين ديننا، نزل علينا لأجلنا.

إخوة الإيمان : وتاريخ التشريع الإسلامي يقول لنا:

إن تحريم التزوج بأكثر من أربع جاء في أواخر السنة الثامنة للهجرة، يعني أنه كان باستطاعة أي مسلم أن يتزوج ما شاء من الزوجات قبل السنة الثامنة للهجرة أي فترة / ٢١ / سنة منذ بعثة نبينا ﷺ ، وكل الزوجات اللواتي تزوجهن رسول الله وعدادهن إحدى عشرة زوجة وأربع جوار تزوجهن قبل نزول عدد الزوجات، وبعدها نزلت الآية القرآنية لتحديد عدد الزوجات لجميع المسلمين: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ .

وهذا العدد خاص بالمسلمين لا بالنبي ﷺ ومع ذلك لم يتزوج رسول الله بعد هذه الآية أية امرأة. وكان قد بلغ الستين من عمره.

أيها الأحبة والصحب : إن المبغضين للإسلام ولنبي الإسلام ينسون أو يتناسون أن تعدد الزوجات ليس تشريعاً جديداً انفرد به الإسلام، بل هو قديم، وقدم التاريخ، إنه من زمن سيدنا سليمان وأبيه سيدنا داود، حيث أن سيدنا داود كان له مئة زوجة، وكان لنبي الله سليمان كما جاء في التوراة سبعمئة زوجة من الحرائر وثلاثمئة من الجوارى، وبقي الأمر هكذا لا تحديد في عدد الزوجات إلى زمن نزول هذه الآية الكريمة، وكان المسلمون يتزوجون عشرة نسوة أو أكثر أو أقل، فهذا غيلان الصحابي حين أسلم كان تحته عشر نسوة.

فهو إذاً نظام قائم وموجود منذ العصور القديمة، ولكنه كان فوضى فنظمه الإسلام، وكان تابعاً للهوى وللاستمتاع باللذائذ فجعله سبيلاً للحياة الفاضلة الكريمة.

إخوتي في الله : إن إباحة تعدد الزوجات مفخرة من مفاخر الإسلام لأنه استطاع أن يحل مشكلة عويصة من أعقد المشاكل وهي عدم التوازن بين الرجال والنساء، وإن نبينا الأعظم ﷺ حدّث أنّ من أمارات الساعة كثرة النساء وقلة الرجال، فإذا كان كذلك فماذا نصنع حين يختلّ التوازن ويصبح عدد النساء أضعاف أعداد الرجال؟!

أتحرم المرأة من نعمة الزوجية ونعمة الأمومة ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرديلة كما حصل في أوروبا؟!، أم نحل المشكلة بطرق شريفة فاضلة نصون فيها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع؟ أيهما أكرم وأفضل لدى العاقل أن ترتبط المرأة برباط مقدس تنضم فيه مع المرأة امرأة أخرى تحت حماية رجل بطريق شرعي شريف ، أم نجعلها خدينة وعشيقة لذلك الرجل وتكون العلاقة بينهما علاقة إثم وإجرام؟.

أيها السادة :

إن أماننا حلاً من حلول ثلاثة:

الحل الأول: أن يتزوج كل رجل امرأة، وتبقى اثنتان لا تعرفان في حياتهما رجلاً ، ولا بيتاً ولا طفلاً ولا أسرة.

والحل الثاني : أن يتزوج كل رجل امرأة، فيعاشرها معاشرة زوجية، وأن يتخذ عشيقات لتعرف كل واحدة منهن رجلاً دون أن تعرف البيت أو الطفل، فإذا عرفت الطفل عرفته عن طريق الجريمة، وحملت ذلك العار والضياح.

والحل الثالث: أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة، فيرفعها إلى شرف الزوجية وأمان البيت، وضمانة الأسرة، ويرفع ضميره عن لوثة الجريمة، وقلق الاثم، وعذاب الضمير، ويرفع المجتمع عن لوثة الفوضى واختلاط الأنساب وفاحشة الزنا والعياذ بالله.

معشر السادة :

أنشدكم الله تعالى أي الحلول أليق بالإنسانية، وأحق بالرجولة، وأكرم للمرأة ذاتها وأنفع؟

أليس هو الحل الثالث؟ وهذا هو الذي قرره ربّ العزة ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ .

أيها الاخوة: إن ربنا جل جلاله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه، والذي هو أعلم بمن خلق قد قرر هذا القرار الأزلي الأبدي بشروطه التي ذكرها عند التعدد على لسان نبيه ﷺ وهي: النفقة والبيتوتة.

فإن لم يمكن للرجل أن يساوي بين زوجاته بالنفقة عليهن بالتساوي وأن يبيت عند كل واحدة بدورها، فهو آثم مرتكب للكبائر، إن لم يسامحه على عدم العدل بينهما لذلك ورد في الحديث الشريف:

"من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه مائل" (أي مشلول) أو كما قال والعياذ بالله تعالى.

ولهذا يقول ربّ العزة: ﴿ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾

أي لوجود حب القلب وميله لإحدى نسائه، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يدعو

ربه تعالى: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤخذني فيما لا أملك".

يا أحباب رسول الله :

كانت حياة السيد الأعظم مع زوجاته حياة تقشف وإيثار وقناعة لا يطيقها كبار الزهاد في القديم والحديث، حتى إنه كان يمضي الشهر والشهران لا يوقد نار في بيت رسول الله ، وما كان غذاؤه مع نسائه إلا الأسودان التمر والماء، حتى إن بعض زوجاته اجتمعن معه في مجلس واحد وراحت كلّ واحدة منهن تتذمر من هذه الحياة، وتسأله التوسع في المعيشة والنفقة ، فإذا بالآيات القرآنية تنزل تترى لتدافع عن الحبيب الأعظم: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾.

فاخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن.

إذاً التذمر لم يكن من أخلاق سيدنا النبي ﷺ ، فلم يكن كما يفعل الناس اليوم-
يدخل عابساً ويخرج غاضباً، بل كان عادلاً في النفقة والبيتوتة، وكان إذا بات عند
واحدة في غير ليلتها يدور على نسائه جميعاً .

وكان في منزله بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، تقول عنه
السيدة عائشة أم المؤمنين: كان ألين الناس وأكرم الناس وكان ضحاكاً بساماً. يقول
عنه سيدنا أنس: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله، ويقول عنه أصحابه:

"ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه. وما ضرب بيده خادمًا قط
ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما خير بين أمرين إلا
اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه،).

إنه قال عنه البوصيري:

محمد سيد الكونين والثقلين	خير الفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم وفي كرم
فهو الذي تم معناه وصورته	ثم اجتباه حبيباً بارئ النسم
لا طيب يعدل تراباً ضمَّ أعظمه	طوبى لمنتشق منه وملثم



الحلقة (٢٩)

حديث الإفك

الحمد لله الذي يدافع عن أوليائه المتقين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته الغر الميامين، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

إن هذه الدار دار امتحان وبلاء يبتلى فيها المؤمن حسب دينه ، وقد شاء المولى عز وجل أن تمتحن أم المؤمنين السيدة عائشة في السنة الخامسة للهجرة بحديث أهل الإفك بالزور والبهتان ، أثناء عودة سيدنا النبي من غزوة بنى المصطلق.

وقد وردت الأحاديث الثابتة الصحيحة في تبيان هذه القصة، منها ما رواه الإمام أحمد رضي الله عنه، ذكر أن السيدة عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله معه.

تقول السيدة عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، وخرجت معه، فلما قفل، أي انتهى من الغزوة ونصره الله، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش (لقضاء الحاجة) فلما قضيت شأني

أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاءؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعير لي الذي كنت أركب، وهم يحسبون أنني فيه.

تقول السيدة عائشة: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشّهن اللحم، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن.

فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش فجئت منازلهم ليس بها داء ولا مجيب، فimmel منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فممت. وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأدلى، (وكان سبب تأخره أنه كان إذا رحل الناس في الغزوات قام يصلي ثم تبعهم، فما سقط منهم شيء إلا حملة حتى يأتي به أصحابه)، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأي، وكان قد رأي قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلبابي، تقول السيدة عائشة:

- والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطىء

على يدها فركبتها.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدها نزل موغرين في نحر الظهيرة.

وراح الناس ومنهم زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول يثيرون الفتنة بين المسلمين وأن بين أم المؤمنين السيدة عائشة وصفوان بن معطل علاقة محرمة والعياذ بالله تعالى. ومرضت السيدة عائشة شهراً، ومكثت في بيتها والناس يتكلمون بحديث الإفك وهي لا تشعر بشيء من ذلك.

وكان النبي الكريم يدخل عليها فيسلم عليها فقط ثم يخرج.

وما إن شفيَت السيدة عائشة وخرجت إلى قضاء الحاجة، (وكانوا يخرجون في الليل لقضاء حاجتهم) فانطلقت مع أم مسطح فتعثرت في طريقها فقالت أم مسطح: تعس مسطح. فقالت لها السيدة عائشة: بمسما قلت، تسبين رجلاً شهد بداراً.

فقالت مجيبة:- ألم تسمعي بخبر أهل الإفك، وأخبرتها وأنّ ابنها مسطح ممن يقول قولهم.

فاشتدت وطأة المرض أكثر على السيدة عائشة ، واستأذنت السيد الأعظم في الذهاب إلى أبيها فأذن لها، واستفسرت من أبيها فعرفت أنّهما على علم فراحت تبكي ليلة كاملة لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم.

تقول السيدة عائشة:

فدعا رسول الله علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، فقال سيدنا أسامة : يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر.

قالت: فدعا رسول الله بريّة فسألها فقالت:- والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمطه عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.

وتمضي الأيام والامتحان يشتد على أم المؤمنين.

وأما عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وحسان بن ثابت فراحوا يروجون لهذه الإشاعة.

وأما أم المؤمنين فيظن أبواها أن البكاء سوف يقضي عليها، حتى دخل عليهم رسول الله فسلم ثم جلس، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت:

- فتشهد رسول الله حين جلس ثم قال:

أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كُنت أَلَمْتَ بذنب فاستغفري وتوبِي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي وأمي:

- أجبيا عني رسول الله.

فقال سيدنا الصديق: والله ما أدري ما أقول لرسول الله. وقالت أمها السيدة أم رومان: مثل مقالة الصديق.

وهنا- أيها الاخوة- قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

- والله لقد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدّقتُم به، فلئن قلت: إني بريئة، والله يعلم أيّ منه بريئة لا تصدقونني، ولئن اعترفت بأمر- والله يعلم أيّ منه بريئة - لتصدقني، فو الله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.

تقول السيدة عائشة:- والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر. قالت:

- فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي. قالت:

- فسري عن رسول الله وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال:

- أبشري يا عائشة! أما الله فقد برأك.

فقالت لها أمها: قومي إليه.

فقالت السيدة عائشة: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور ١١ - ١٤)

معشر السادة :

هذه هي آيات براءة السيدة عائشة مما نسب إليها، والذي برأها ودافع عنها هو الله جلَّ في علاه. ولهذا أجمع العلماء رحمهم الله تعالى قاطبة على أن من سبَّ السيدة عائشة ورمأها والعياذ بالله بعد هذا الذي ذكره رب العزة فإنه كافر لأنه معاند للقرآن مكذِّب لكلام الله ، وفي ولأَنَّ قَذْفَ أَهْمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ طَعْنٌ فِي رَسُولِ اللَّهِ وَجَرَحَ لِمَكَانَتِهِ وَجَاهِهِ، وَمِنْ اسْتِبَاحِ الطَّعْنِ فِي عَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ. أما من لم يستبح الطعن في عرض رسول الله كحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمزة بنت جحش فإن الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلين ولا قاصدين الطعن بسيد المرسلين، وإنما

قالوا ما قالوا تقليداً، ومع ذلك جيء بهم جميعاً فجلدوا ثمانين جلدة حد القذف لقوله تعالى:

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ (النور ٤ . ٥) .

وأما الذي يقصد الطعن على أم المؤمنين لينال من سيدنا محمد ﷺ فهو كافر بلا تردد: يقول تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك ياسيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (٣٠)

غزوة الأحزاب أو الخندق

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ليظهره على الدّين كله ولو كره الكافرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفیه وخليله صاحب المعجزات التي بطول الزمان ذكرها ينشر.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم المحشر. وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

رغم أن سيدنا النبي قد أجلى عن الجزيرة بني قينقاع وبني النضير وكانت هذه العملية ضربة قاصمة لليهود، رغم ذلك لم تهدأ ثائرة بقية اليهود في المدينة، بل إنهم جمعوا أنفسهم وقدموا على قريش وغطفان وراحوا يحرضونهم على قتال السيد الأعظم ويزينون لقريش بأن الوثنية وعبادة الأصنام خير من دين سيدنا محمد ﷺ إلى أن أخذوا منهم وعداً بمحاربة المسلمين.

وبلغ رسول الله ما فعل هؤلاء الأحزاب، فجمع أصحابه واستشارهم فأشار عليه سيدنا سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة، فأعجب رسول الله الرأي، وخاصة بعد أن علم أن عدد الأحزاب بلغ أربعة وعشرين ألف مقاتل، وأنّ عدد المسلمين لا يتجاوز الثلاثة آلاف.

وراح المسلمون وعلى رأسهم السيد الأعظم يحفرون الخندق.

أيها السادة : إن الحبيب الأعظم ﷺ شارك في حفر الخندق مشاركة فعلية حتى أصبح ثوبه وقد اكتسى بالتراب والغبار، ليسمع ذلك العالم أجمع إن رسول الله لم يدشن حفر الخندق بضربة معول، ثم أدار ظهره للصحابة ليتابعوا هم الحفر، بل راح معهم يداً بيد يهيئون للحرب، لم ، لأن الإسلام دين العدالة والمساواة والألفة والمحبة والتعاون .

إخوتي في الله :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى شمال غرب المدينة المنورة، والصحابة رضي الله عنهم يحفرون الخندق كل عشرة منهم يحفرون أربعين ذراعاً، وها هو الخندق قد بلغ طوله خمسة آلاف ذراع وعمقه سبعة إلى عشرة أذرع، والعرض من تسعة إلى ما فوقها. يقول البراء رضي الله عنه:

. لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر.

ورغم شدة البرد وقلة الطعام نرى الأنصار والمهاجرين ينقلون التراب ويحفرون الخندق بهمة وعزيمة وهم يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً.

فكان السيد الأعظم ﷺ يجيبهم:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة.

يقول أبو طلحة عن يوم الخندق:

شكونا إلى رسول الله الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرتين.

ورأى سيدنا جابر هذا المشهد، فأسرع إلى بيته وأخبر زوجته وطلب منها طحن الشعير وذبح عنزة صغيرة كانت عنده لطبخها ثم جاء سيدنا جابر إلى حضرة النبي الكريم ليدعوه إلى هذا الطعام القليل، فإذا بالنبي الكريم ينادي المهاجرين والأنصار ويدعوهم إلى مائدة سيدنا جابر.

وأسرع سيدنا جابر إلى امرأته فقال لها: ويحك جاء النبي بالمهاجرين والأنصار ومن معهم.

فدخل رسول الله وغطى اللحم والتنور، ونادى أصحابه وراحوا يدخلون وهو يأخذ من اللحم والتنور ويقدم لهم ، وبعد أن أكل أهل الخندق جميعا بقي من الطعام بقية، فقال سيدنا النبي لجابر وزوجته: كلوا من هذا واهدوا منه فإن الناس أصابتهم مجاعة. وراح المسلمون يتابعون الحفر في هذا البرد القارص .

وفي خضم هذا الحدث الرهيب ظهرت بوادر عزّ المسلمين ونصرهم " إذ أنه عرض للمسلمين في الخندق صخرة عظيمة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوا ذلك إلى القائد الأعظم ﷺ فأخذ المعول وقال: بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها، وكبر رسول الله وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، ثم ضرب ثانية فكسر ثلثها الثاني وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ثالثة فقطع بقيتها وكبر وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة.

أيها الأحبة والصحب: وقدمت قريش وأحزابها، أربعة وعشرون ألف مقاتل يقودهم زعيم مكة أبو سيفان بن حرب ، وكان السيد الأعظم وصحبه على أتم الاستعداد لملاقمتهم، فأروا الخندق ولم يستطيعوا تجاوزه لما رأوا عرضه حوالي عشرة أذرع، فقرروا محاصرة المدينة المنورة، وزاد من بلاء المسلمين أن يهود بني قريظة نقضت عهدها مع النبي وانضمت لقريش، وراح بعض المنافقين يتركون مواقعهم عائدين إلى بيوتهم بأعدار واهية **﴿يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾**

وبعد طول حصار حاول بعض الكفار أن يقتحموا الخندق، ولكن المسلمين تصدوا لهم وقضوا على شوكتهم ، واشتدَّ البلاء والامتحان على المسلمين حتى قال أحد الصحابة لنبينا عليه الصلاة والسلام:

- يا رسول الله قد بلغت القلوب الحناجر فماذا نقول؟.

فقال له عليه الصلاة والسلام:- "قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا".

وأنزل الله تعالى وصفاً لحال الصحابة رضي الله عنهم:

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ .

ومن شدة ما ألمَّ بالصحابة من البلاء فانت النبي وصحبه صلاة العصر في هذه الموقعة لانشغالهم بأمر المعركة، فصلاها رسول الله قضاءً بعد المغرب ثم قال: "ملا الله قبورهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطى".

وهذا دليل على أنه يجب قضاء الصلاة إذا تركت عمداً أو سهواً، نوماً أو إهمالاً، وأنه لا يجوز تركها، وقد فضل الفقهاء حالات القضاء وهي بمجمل المذاهب ثلاثة أقوال: ١- أنه يقضي مع كل صلاة صلاتين.

٢- أو أن يقضي مع كل صلاة خمس صلوات.

٣- أن يقضي في كل يوم مدة ساعتين من الصلوات التي تركها.

أما رسول الله ﷺ فإنه في هذه الموقعة راح يدعو ربنا عز وجل في هذا الحصار الذي رافقه برد وجوع شديدين. بل إن الصحابة من شدة البرد والخوف كانوا لا يستطيعون أن يغادروا أماكنهم لقضاء الحاجة، فإذا بحضرة النبي ﷺ يجمع أصحابه فيقول لهم:

- ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟.

فسكت القوم ولم يجبه أحد، فكررها رسول الله ثلاثاً، فلم يقم أحد.

وكان من الصحابة رجل جليل يدعى حذيفة بن اليمان، وترتجف قدماه من البرد الشديد، فناداه رسول الله ﷺ .

يقول حذيفة:- ما إن دعاني رسول الله حتى شعرت كأني في حمام (أي ذهب عنه البرد)، فأمره رسول الله أن يأتي الأحزاب فيعرف ماذا يكيدون.

فذهب سيدنا حذيفة فشاهد القوم وهم يصطلون من شدة البرد، فعاد وأخبر السيد الأعظم.

وجاء نعيم بن مسعود الغطفاني مسلماً، وعرض على النبي الكريم تنفيذ أي أمر يريده. فقال له ﷺ :

- إنما أنت رجل واحد فينا، ولكن خذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

وقام رسول الله مع صحابته يدعون الله على الأحزاب:

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

وجاء نعيم بن مسعود يحرض القبائل على بعضها لأخذ رهائن قبل بدء المعركة،

ويخوفهم من انتقام سيدنا محمد ﷺ إن هم ولوا الأدبار فخرج إلى قريش وأخبرهم بأن اليهود قد ندموا على نقضهم العهد وأتحم سوف يطلبون منهم رهائن من أشrafهم يسلمونهم إلى سيدنا محمد ﷺ ليضرب أعناقهم، وذهب إلى قبائل اليهود فقال مثل مقالته عن قريش .

وأرسل الله رجلاً هوجاء مخيفة على الأحزاب جعلت تطرح القدور والخيم، وقام أبو سفيان يأمر الأحزاب ببدء الحرب، فرفضت اليهود حتى يسلمهم رجالاً من أشrafهم أماناً للعهد، وهنا أدرك أبو سفيان صدق ما قاله نعيم بن مسعود، فطلب هو منهم رهائن، وقامت الواقعة بينهم، وأرسل الله رجلاً صرصراً عاتية اقتلعت الخيام والقدور، فلما رأى ذلك أبو سفيان أمر قريشاً بالرحيل، وعادت كل قبيلة من القبائل إلى وطنها:

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ الأحزاب .

وعاد نعيم بن مسعود ليخبر النبي الأعظم، وفي أثناء عودته لقي فوارس يرتدون العمام البيضاء، فإذا بقائدهم يتقدم إلى نعيم ويقول له:

- قل لصاحبك إن الله تعالى قد كفاه الأحزاب.

وقدم نعيم بالبشارة على رسول الله وأخبره الخبر، فقال ﷺ :

- ذلك جبريل، نزل بجنود من الملائكة، لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم ، وصدق الله العظيم.

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم رجاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾.

فاللهم كما نصرت نبيك على الأحزاب فانصرنا على أعداء الدين ، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم يا قوي يا متين.

وإلى أن يأذن الله بميلاد فجر جديد لهذه الأمة أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليكم .

صلى الله
عليه وسلم



الحلقة (٣١)

غزوة بني قريظة

الحمد لله مُسهِّل ما صَعُب من الأمور الكائنات، فاتح فاتحة الفتوح الميسَّرات ،
المتقدِّس عن الحدث والنقصان والآفات، المستحقُّ لكمال النعوت والصفات، المسبِّح
بصنوف اللغات، المحمود على جميع الأفعال والحالات.

أحمده على ترادف نعمه السابغات، حمداً دائماً على ممر الأوقات والساعات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزَّهة عن الشبهات.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً
عبده ورسوله استخرجه من أشرف الآباء والأمهات، وابتعثه بالمعجزات البالغات،
والآيات والحجج الواضحات، وختم به النبوة والرسالات.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات الطاهرات. وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد كانت غزوة الأحزاب نصراً لدين الله ونبيه، كانت معركة أعصاب لا معركة
سيوف ورماح، كانت امتحاناً لعزائم الصحابة واختباراً لقلوبهم، وحينما أظهر المسلمون
الصدق مع الله ورسوله رأوا الفرج ينبثق من وراء هذه الشدة.

لكن الذي أقلق مضاجعهم غدُرُ بني قريظة أثناء الحصار التي ضربته الأحزاب حول
المدينة، لأنهم يعرفون مداخل ومخارج المدينة، فكأن العدو قد باغتهم من خارج المدينة
ودخلها، فكاد هذا أن يحدث في صفوف المسلمين خلخلة واضطراباً، لولا حكمة

النبي ﷺ إذ أنه بعث رجلاً يستفسر إن كانت يهود بني قريظة قد غدروا أم لا؟ وأمره أن يحدثه بالإشارة لا بالعبارة. فلما عاد الصحابي قال له:

. عضل والقارة. أي أنهم غدروا كما غدر بأصحابنا عضل والقارة.

وهنا قال النبي مشجعاً صحابته ومتفائلاً: أبشروا بالنصر من الله تعالى.

وأصيب قي هذه الغزوة سيدنا سعد بن معاذ سيد الأوس، وسأل الله تعالى أن يحياه حتى يرى انتقام الله في بني قريظة.

وما أن انتهت الغزوة بالمعجزة الربانية التي أرسلها على الأحزاب، حتى جاء سيدنا جبريل إلى حضرة النبي ﷺ فقال له:

. أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟.

قال: نعم.

قال سيدنا جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، إنَّ الله عز وجل يأمرك بالمسير

إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم.

فبعث رسول الله سيدنا بلالاً ينادي في الناس:

. من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلِّ العصر إلا في بني قريظة.

وبادر المسلمون إلى تلبية النداء، فلم تأت صلاة العشاء حتى كان المسلمون جميعاً قد اجتمعوا عند حصون بني قريظة بكامل عدّتهم وعددهم: ثلاثة آلاف راجل وستة وثلاثون فارساً، ورفضت بنو قريظة أن تنزل تحت حكم رسول الله ﷺ ، فتحصَّنوا بحصونهم خمسة وعشرين ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب فطلبوا من النبي الكريم أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم وما حملت الإبل كما فعل ببني النضير، فأبى عليهم ذلك، ثم

طلبوا أن يخرجوا بلا مال ولا سلاح، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه. فأمرهم زعيمهم أن يدخلوا في الإسلام، وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوّة سيدنا محمد ﷺ فلم يقبلوا.

فلما اشتدّ عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وهنا قدمت الأوس وقالوا: إنهم مواليّنا.

فقال رسول الله: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجال منكم. قالوا:- بلى. قال رسول الله: فذاك إلى سعد بن معاذ. فأرسل إليه. فلما قدم قال سيدنا رسول الله للأوس:- قوموا إلى سيدكم.

هل ترون . أيها الاخوة . عظمة نبينا ﷺ إنّه يعلمنا أن نحترم علماءنا والصالحين بالقيام إليهم، رغم أن النبي ﷺ نهاهم مرة أن يقوموا له عندما دخل، ولكن سيدنا حسان بن ثابت بعد أن خرج رسول الله من مجلسهم رفع سيفه عليهم وقال للصحابة: إن دخل النبي ولم تقوموا له علوتكم بسيفي هذا.

فقالوا:- ألم تسمع ما أمرنا به رسول الله. فقال لهم: دعوه لي.

فإذا بالنبي الكريم يدخل فيقوموا له، فقال لهم:- ألم أنهكم عن القيام؟.

فالتفت الصحابة إلى سيدنا حسان وقالوا له: أجب عنا رسول الله. فقال سيدنا حسان للنبي ﷺ :

قيامي للحبيب عليّ فرض	وتترك الفرض أنى يستقيم
عجبت لمن له عقل ولبّ	يرى هذا الجمال ولا يقوم

فتبسّم رسول الله وأقره على فعله.

إخوة الإيمان :

واسمعوا إلى قول سيدنا النبي للأوس: قوموا إلى سيدكم (سيدكم).

الغريب أن بعض الناس عندما يذكرون الملوك والرؤساء والأمراء يقولون السيد فلان، سيادة فلان ، جلالة فلان، وعندما يذكرون اسم السيد الأعظم ﷺ تراهم يقولون محمد هكذا بتجريده عن السيادة، النبي يعلمنا الأدب ويقول عن سيدنا سعد إنه سيد، فمن هو أعظم سيدنا محمد ﷺ أم سيدنا سعد، من هو أعظم: الملوك والأمراء والرؤساء أم سيدنا محمد؟ لذلك إذا ذكرت سيدنا محمداً ، عليك أدباً وتوقيراً وتعظيماً واحتراماً أن تقول: سيدنا، وهذا التوقير والاحترام في كتاب الله عز وجل أيضاً في موضعين اسمع إلى الموضوع الأول :

﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي تنصروه وتعظموه، ويقول في آية أخرى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَارًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

أي أنك إذا كنت تنادي صديقك أو أخاك يا أبا فلان، فلا تنادي رسول الله أبا القاسم بل تناديه وتقول: يا سيدي يا أبا القاسم، يا سيدي يا رسول الله، وإذا كنت تنادي صديقك يا فلان، فلا تنادي السيد الأعظم إلا بسيدنا محمد، هذا هو الأدب، وكل شخص يتخلّى عن هذا الأدب عمداً ناوياً إهانة النبي الكريم بمناداته باسمه المفرد المجرد عن السيادة قال عنه رب العزة: إنه محبط لثواب الأعمال ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ .

الموضوع الثاني : في قوله تعالى عن سيدنا يحيى ﴿سَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ وكلنا درسنا في العقيدة : وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فملاً عن الشقاق. فإذا قال رب العزة عن سيدنا يحيى إنه سيد ، ونبينا أفضل منه فهو من باب أولى أن يلقب بالسيد.

وهذا ليس خاصاً بالنبي الكريم بل وبورثته أعني العلماء، لا نناديهم بأسمائهم المجردة ولا بألقابهم (أبو فلان) لأنهم ورثة النبي ﷺ لذلك قال للأوس يعلمهم احترام سيدهم: قوموا إلى سيدكم.

فلما قام الأوس إليه ذكروه العهد والولاء الذي بينهم وبين اليهود، فلما جلس وأمره رسول الله بالتحكيم، قال سيدنا سعد: أحكم فيهم:

« أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال، وتسبى الذراري والنساء » .

وهذا - أيها الاخوة- جزاء الغدر والخيانة، وكلّ شخص مهما كان مسلماً أو كافراً .

- يخون الله ورسوله ويغدر بالإسلام جزاؤه القتل ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ .

وهنا قال رسول الله: لقد حكمت فيهم بحكم الله.

وجيء برجال بني قريظة فحفر لهم الخندق ثم ضربت أعناقهم ودفنوا في الخندق، وسبيت الذرية والنساء وقسّمت أموالهم بين المقاتلين، وأرسلت طائفة من السبايا إلى نجد فاشتري بها خيلاً وسلاحاً لتقوية المسلمين، ووقع في سهم رسول الله سبية تدعى ربحانة، عرّض عليها رسول الله الإسلام وأسلمت، وأصرّت أن تبقى ملك يمين فلم يعتقها رسول الله حتى ماتت.

إخوتي في الله :

كانت هذه العقوبة الصارمة درساً للعابثين بالعهود والمخالفين ونكالاّ بها، وكان هذا آخر حصن من حصون اليهود في المدينة، وحُقّت بعد ذلك صوت المنافقين، فلم يعد يسمع لهم أعمال أو أقوال تناقض إرادة النبي وأصحابه الكرام .

وما هو إلا أن نَقَذَ حكم سيدنا سعد بن معاذ في اليهود حتى رفع يديه داعياً الله تعالى وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إلي من أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإن بقي في حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجر الدم حتى سال من خيمة سعد ومات على أثره رضي الله عنه.

معشر الإخوة :

كان دعاء سيدنا سعد صادقاً مخلصاً من قلبه لذلك استجاب الله له مباشرة، فيا ترى هل نحن ندعوه صادقين مخلصين، من أجل أن يسقي البلاد والعباد، ومن أجل أن ينصرنا الله في أماكن يقتل فيه المسلمون ويُذبحون على ملاء من العالم في البوسنة والهرسك وجورجيا والقفقاز؟! .

الحقيقة - أيها الأحبة - أنه يجب علينا أن نخلص بالدعاء إلى الله تعالى، وأن نصدق معه في توبتنا إليه لعله أن يفرج عن المسلمين ويغيثهم بالمطر والغيث والنصر، فلنتوجه إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة من قلب مخلص، واستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

استغفر الله العظيم



الحلقة (٣٢)

صلح الحديبية وبيعة الرضوان

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي ذلّ كل شيء لعزته، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا راد لحكمه وإرادته.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيماً وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد السادات الذي أكرمنا الله تعالى باتباعه ومحبته.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته، وسلم تسليمًا.

أما بعد : فيا أيّها الإخوة :

انقضت ست سنوات منذ هجرة سيدنا النبي ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة المنورة، والإسلام يزداد انتشاراً وقوة ومنعة، رغم الجهاد المستمر للنبي الكريم مع أعداء الإسلام كفار قريش وما حولهم.

وكان المسلمون قد بدّلوا قبلتهم من بيت المقدس إلى المسجد الحرام الذي كانت العرب معتادة على حجه كلّ عام في الأشهر الحرم ، فمن دخله كان آمناً، وأما قريش فكانت تمنع المسلمين عن دخول مكة، ويصدّونهم عن المسجد الحرام وقد بلغ بهم الشوق مبلغه للطواف في البيت العتيق، وخاصة المهاجرين الذين اعتادوا كلّ حين الطواف حوله، وقد صور مولانا عز وجل ذلك في كتابه الكريم فقال:

﴿وما لهم ألاّ يعذّبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه، إنّ أولياؤه إلاّ المنتقون ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾.

وكان سبب منع قريش المسلمين من الطواف بالبيت خوفهم الشديد إن جاء المؤمنون بالله وهم من صميم أهل مكة أن يتعلّق بهم أهل مكة فتثور حرب بين أهالي المسلمين وبين كفّار قريش.

وفي غمرة هذا الانقطاع عن الطواف بالبيت يبرق الأمل من جديد، إذ بوجه الحبيب الأعظم يطلّ على أصحابه ذات صباح فينبئهم بأنّه رأى في المنام - ورؤيا الأنبياء حق وصدق - أنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون.

وهنا تعالت أصوات الصحابة بالحمد له تعالى، وانتقلت رؤياه سريعاً بين المسلمين. حتى إذا جاء شهر ذي القعدة أدّن رسول الله ﷺ بالناس بالعمرة، واجتمع من المسلمين عدد كبير، كلّ منهم يريد أن يأتّم برسول الله في فريضة العمرة، لاسلاح معهم إلا سيوفهم في أغمادها.

وخرجت معه من أزواجه السيدة أمّ سلمة رضي الله عنها.

وخرج رسول الله بمنّ معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب غير المسلمين، وبلغت عدّتهم ألفاً وأربعمئة وساق معه الهدي سبعين بدنة.

ولما بلغ ذا الحليفة أحرم بالعمرة وأحرم الناس معه، فأعلن بهذا أنه لا يريد قتالاً ولا حرباً، بل الطواف في بيت الله تعالى، ورغم ذلك امتلأت قلوب قريش بالمخاوف يحسبون أن ما فعله حيلة ليدخل مكة، فعقد لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل على جيش يبلغ فرسانه وخدمهم مئتين، وما أن وصل خبر فعلهم هذا إلى رسول الله حتى قال: «يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب». «

وهنا نادى رسول الله في الناس: «مَنْ رجل يخرج بنا إلى طريق أخرى؟!». فخرج رجل يسلك بهم طريقاً وعرّاً في الشعاب والأودية حتى وصلوا إلى الحديبية من أسفل مكة، فبركت ناقّة النبي الكريم القصواء، ولم تتحرك من مكانها، وظنّ المسلمون أنّها جهدت، فقال رسول الله ﷺ:

- إنّما حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها.

وأمر أصحابه بالنزول فقالوا له:- يا رسول الله ما بالوادي ماءً تنزل عليه، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً نزل به إلى بئر هناك فغرز فيه ففار الماء وارتفع في البئر، وهنا اطمأن الناس ونزلوا.

وراحت قريش تتفكر بالحرب، لكنها تفكرت لو انتصر المسلمون عليهم فإنّها القاضية عليهم، ووقف المعسكران كل يفكر في خطة، فرأت قريش أن توفد إليه من رجالها من يتعرّف قوته من ناحية، ويصدّه عن الدخول إلى مكة من ناحية أخرى.

إخوة الإيمان : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى الحديبية حيث السيد الأعظم ﷺ ها هي رسل قريش تتعاقب وتحاول إقناع السيد الأعظم بالجدل العقيم، لكن رسل قريش رأّت عجباً، لتسمع الدنيا كيف كان أصحاب النبي الأعظم يعظمون نبينا ﷺ: اسمعوا ماذا قالت رسل قريش، قالوا:

- والله ما تنحّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له. ويقول أحد رسل قريش:

- أي قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيتم ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدي فاقبلوها.

إخوتي في الله :

هذه صورة حقيقية لمدى محبة أصحاب رسول الله له، وإن دلّت على شيء فإنها تدلّ على أنه لا إيمان برسول الله بدون محبة له، فالإيمان برسول الله واجب ومحبة واجبة ﷺ وهو ثمرة من ثمرات الحب، الحب الذي ينسكب في المشاعر والقلب والعقل معاً، وهذا معنى ما وصفه رسل قريش.

لأن التبرك معناه طلب الخير والتوسل بقرب رسول الله إلى الله، وبرحمته الكبرى للخلق وبهذا المعنى توسل الأعرابي الأعمى فيما أخرجه الترمذي بسند صحيح والنسائي والبيهقي أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي ﷺ ومعه أصحابه فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصبر. فقال: ليس لي قائد وقد شق عليّ فقد بصري. فقال: إئت الميضاة فتوضاً ثم صل ركعتين ثم قل:

«اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني توجّهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ». .

وفي بعض الروايات: فإن كان لك حاجة فمثل ذلك. قال راوي الحديث سيدنا عثمان بن حنيف: "فو الله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا فكان بصيراً ﷺ".

وكيف لا يتبرك بآثار رسول الله ﷺ ورائحته أطيب من المسك، بل كان جلّ ماله ينفقه في الطيب، لم يكن يأكل ثوماً أو بصلاً أو أي طعام يتأذى الناس من رائحته، وكان يسرح شعره ويتعهد فمه وأسنانه، وربما أبصر صفرة في أسنان بعض جلسائه فيتوجه إلى أصحابه بنصيحة عامة ونقد رفيق قائلاً: «ما لكم تأتونني قُلْحاً لا تتسوكون».

هذا هو سيدنا محمد ﷺ سمو أخلاق ، ورقة شعور ، وشفافية ذوق ، وإحساس نبيل (فيا سعد من صلى عليه) .

فالويل كل الويل لمن لا يحب رسول الله، وليهنأ أصحاب رسول الله على هذا الحب لنبيهم، على هذا الشرف والفخر الذي استبدَّ بقلوبهم لرسول الله فراحوا يترجمونه بالترك والتمسح بعرقه وبصاقه وما يتساقط من شعره وما يتقاطر من ماء وضوئه، فإنما هذا هو لغة الحب.

وإني لأعلم أن أناساً اليوم لو رأوا الحبيب الأعظم يمشي على الأرض لهاجت قلوبهم حباً ولخروا على الأرض يلحقون التراب الذي مشى عليه الحبيب الأعظم ﷺ أنا والله منهم. وفي لغة الحب يقول الصادق المصدوق ﷺ (م) : « من أشدَّ أمتي حباً لي ناس يكونون من بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله » .

سئل الإمام مالك رضي الله عنه: لماذا لا تركب على دابة في المدينة المنورة فيأني أراك تمشي مشياً؟ فأجابهم: إني لأستحيي أن تدوس دابتي على تراب مسته قدم رسول الله ﷺ.

أترون هذا الاحترام الشديد والحب القوي للسيد الأعظم، أتعرفون ماذا كانت نتيجة عند الإمام مالك؟ لقد قال الإمام مالك رضي الله عنه: ما نمت ليلة إلا ورأيت النبي ﷺ .

أيها الأحبة :

كلّ هذا التعظيم لنبينا ﷺ واحترامه وتوقيره لم تره قريش أثناء مفاوضاتها على أنه دليل الإيمان ، فحسمت موقفها وقالت: والله لا يدخل محمد علينا عنوة أبداً ولا تتحدّث بذلك عنا العرب.

فأرسل رسول الله سيدنا عثمان إلى رؤساء قريش ليعين لهم موقف سيدنا النبي وصحابته، لكنهم أصروا أن يعود رسول الله في هذا العام، ولما كان لسيدنا عثمان مكانة في قريش قال لهم سادتها:

- يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله، فأجابت قريش الثالثة ورابعة: بأنها أقسمت لن يدخل محمد مكة هذا العام عنوة.

يا أحباب النبي ﷺ : ما زلنا هناك في الحديبية، وقد طال احتباس سيدنا عثمان عن المسلمين وتناهى إلى سمعهم أنّ قريشاً قتلته غيلة وغدراً في الشهر الحرام، وبلغ رسول الله الخبر فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم.

ودعا أصحابه إليه وقد وقف تحت شجرة في بطن الوادي، وراح يبايعهم ويباعونه على ألا يفروا من المعركة حتى الموت، وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان، ورضي الله تعالى عن هذه البيعة وأنزل ذلك في كتابه الكريم:

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾

فلما أتم المسلمون البيعة ضرب رسول الله بإحدى يديه على الأخرى بيعة لسيدنا عثمان وكأنه حاضر البيعة رضي الله عنه.

واهتزّت السيوف في أعمادها، وتبدى للمسلمين أن الحرب آتية لا محالة، وما هي إلا ساعات إذ بسيدنا عثمان يطل بنفسه عليهم، فأبلغ النبي الكريم ما عزم عليه قريش.

وأرسلت قريش سهيل بن عمرو فصالح رسول الله صلح الحديبية على:

١ - أن يرجع هذا العام ويأتي في العام المقبل يقيم في مكة ثلاثة أيام.

٢- وأنّ من أحبّ من العرب الانضمام إلى النبي أو إلى قريش فلا جناح عليه.

٣- وأنّ من أتى النبي الكريم من قريش مسلماً ردّه إليهم، وأنّ من أتى قريشاً من المسلمين مرتداً لا يسلمونه إليه.

٤- وأنّ مدّة الصلح عشر سنوات.

وهنا استبد الضيق بسيدنا عمر وبعض الصحابة رضي الله عنهم، فأتى سيدنا عمر سيدنا النبي ﷺ ، فقال: أأست نبي الله حقاً؟ قال: بلى.

فقال عمر: أألسنا على حق وعدونا على باطل. قال: بلى.

فقال عمر: أليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار. قال: بلى.

فقال عمر: فلماذا نعطي الدنيّة في ديننا إذن. فقال رسول الله ﷺ :

- إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري.

فقال عمر: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به. قال: بلى، فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا، فقال عمر: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على سيدنا النبي ﷺ فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها. فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو؟. قال: نعم. فطابت نفس عمر رضي الله عنه (ق). وهنا تجلّى للصحابة أنّ احتمالهم لتلك الشروط كان عين النصر لهم، وأنّ المشركين ذلّوا من حيث تأملوا العز ، وقهروا من حيث أظهرها القدرة والغلبة، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ .

أبيها السادة : إنّ صلح الحديبيه يعني أن المسلمين لن يستطيعوا أن يؤدّوا العمرة، وهذا معناه في الفقه : الإحصار، إذ أن الإحصار أن يحبس المسلم عن أداء عبادة العمرة أو الحج بأي حابس من مرض أو خوف عدو، أو ضياعه والعياذ بالله تعالى، بحيث لا يتمكن من أداء العبادة بكل وجه.

ولذلك عندما ينوي العبد الحج أو العمرة يقول في نيته مثلاً:

"اللهم إني نويت العمرة وأحرمت بها فتقبلها مني وحللي (تحللي) حيث حبستني وإذا مرضت تحللت لبيك اللهم بعمرة لبيك".

فإذا قالها وأحصر، تحلل من الحج ولا ذبح عليه عند الشافعية بل عليه فقط الحلق.

ولهذا أمر النبي أصحابه بالتحلل بنحر الإبل وحلق الشعر، لكنهم في غمرة اندهاشهم وقلقهم من أنهم لن يدخلوا مكة لم ينقذوا أمر النبي الكريم، وكادوا يقعون في شرّ عظيم وإثم مبین من مخالفتهم أمر النبي الأعظم، حتى أنقذت السيدة أم سلمة رضي الله عنها الموقف فقالت:

- يا رسول الله انحر واحلق رأسك إيداناً بالتحلل من العمرة فإذا رأوك تحللوا .

ففعّل رسول الله ما أشارت به فرأى الناس صنيع النبي الكريم فتواثبوا ينحرون الإبل ويحلقون أو يقصّرون فدعا لهم النبي الكريم: اللهم ارحم المخلقين ثلاثاً، ثم قال في الرابعة والمقصّرين.

معشر الإخوة الكرام : كانت هذه المعاهدة أو الصلح فتحاً مبيناً للمسلمين فقد اعترفت قريش لأول مرة بالدولة الإسلامية وبحقها بزيارة البيت الحرام، واطمأنّ المسلمون في بلادهم، وبدأ الإسلام ينتشر بقوة أكبر وأنزل ربّ العزة على نبيه:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .



الحلقة (٣٣)

رسائل سيدنا رسول الله إلى ملوك وأمراء العرب

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وجعله هادياً مهدياً ، وأرسله بشيراً ونذيراً ، وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتباعه هديه إلى يوم الدين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أوحى الكتاب إلى نبيه وأمرنا بقوله : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
نبي أتانا بعد يأس وفترةٍ من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فخّذنا ناراً وبشّر جنّةً وعلمنا الإسلام فالله نحمد
وشق له من اسمه ليحمله فذوا العرش محمود وهذا محمد

فنوره أنور ، وبرهانه أظهر ، وصورته أجمل ، ودينه أكمل ، ولسانه أفصح ،
ودعاؤه أنجح ، وعلمه أرفع ، ونداؤه أسمع ، ونصره مؤيد ، واسمه محمد

وانسب إلى ذاته ماشئت من شرف وأنسب إلى قدره ماشئت من
فإن فضل رسول الله ليس له حدّ عظم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر فيعرب عنه ناطق بفهم
وأنه خير خلق الله كلهم وأنه خير خلق الله كلهم

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته
وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

بقيت الدعوة الإسلامية في مرحلة دفاعية عن الإسلام مدّة تسعة عشر عاماً، حتى قام صلح الحديبية واطمأنت أفئدة المسلمين واستراحوا من متاعب قريش ومناوشاتهم، ودخلت في مرحلة جديدة لا بدّ منها في عمر الدعوة إلى الله تعالى، وهذه المرحلة تجلت في محورين:

المحور الأول: دعوة الأمم والدول في الجزيرة العربية وما حولها بالحكمة والموعظة الحسنة، وإرسال الكتب إلى ملوك العالم وأمراء العرب.

والمحور الثاني: قتال أولئك الذين بلغتهم الدعوة فوعوها وفهموها، ولكنهم استكبروا عن الدخول في الإسلام والإذعان له حقداً وعدواناً.

وحدثنا اليوم إن شاء الله تعالى سيكون عن المحور الأول لهذه المرحلة الجديدة.

معشر الإخوة:

كان صلح الحديبية فتحاً وأي فتح لقلوب العباد قبل فتح البلاد، ولهذا سمّاه ربّ العزة ﴿فَتْحاً مَبِيناً﴾ أي عظيماً كبيراً وجليلاً، فإنّ الناس أمن بعضهم بعضاً واختلط المسلمون بالكفّار، ونادوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وأظهر دينه من كان يخفي الإسلام، ولقد دخل في سنتين مثل من كان قد دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، وكان على رأسهم سيدنا خالد بن الوليد القائد العربي وبطل المعارك العظيمة، بل دخل في الإسلام أحد دهاة العرب وكبار القادة والأمراء وهو سيدنا عمرو ابن العاص رضي الله عنه.

ولكن رسول الله ﷺ بدأ يرنو بناظره إلى أبعد من ذلك، إلى صحراء العرب ليدعو ملوك الدنيا إلى الإسلام، وفعلاً نفذ هذه الدعوة فأرسل في أوائل العام السابع للهجرة الموافق سنة ٦٢٧ م إلى كلّ ملك أو أمير رسولاً يعرف لغته ولغة قومه ، لكنّ الصحابة طلبوا من سيدنا النبي ﷺ أن يتخذ خاتماً يختم فيه رسائله على عادة ملوك الدنيا الذين

كانوا لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم، فصاغ خاتماً له ﷺ فصّه حلقة فضة ونقش فيه محمد رسول الله، وكان يضعه رسول الله في خنصر يده اليمنى .

فأرسل إلى أمراء العرب ومنهم المنذر بن ساوى من بني تميم صاحب البحرين (الاحساء اليوم) وإلى جيفر بن الجلندا وأخيه عبد الأزددين صاحبي عمان، وإلى هوزة بن علي صاحب اليمامة وكان نصرانياً، فأسلم المنذر بن ساوى وجيفر وعبد ابنا الجلندا، وأما هوزة بن علي فطلب من رسول الله أن يجعل له بعض الأمر فأبى ومات على إثر ذلك.

وأرسل كتاباً إلى نجاشي الحبشة (أي ملك أثيوبيا) وكانت الحبشة مقررّاً لملكة سبأ وسكنها اليهود بعد خراب هيكل سليمان، - ثم استولى عليها النصارى سنة ٥٢٥ م وأصبحت دولة مستقلة، وملك الحبشة يلقب دائماً بالنجاشي أرسل إليه رسالة يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى،

أما بعد:

"فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس المؤمن المهيمن.

وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك:

١- إلى الله وحده لا شريك له.

٢- والموالاتة على طاعته.

٣- وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله.

وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل.

وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى". (طبقات ابن سعد ١٥/٣).

فما أن أتم رسول الله ﷺ الكتاب حتى قام النجاشي فأخذ كتاب رسول الله فوضعه على عينيه احتراماً وتوقيراً بل نزل عن سرير الملك وجلس على الأرض تواضعاً لله تعالى ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ثم قال: لو كنت أستطع أن آتيه لأتيته.

وأرسل رسول الله ﷺ كتاباً إلى المقوقس عظيم القبط وهو حاكم الإسكندرية والنائب العام للدولة البيزنطية في مصر، كتب له كتاباً قال له فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط:

"يا أهل الكتاب! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

١- أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً،

٢- ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون (المواهب ٣ / ٢٤٧) .

وما أن انتهى الرسول من قراءة كتابه إلا أعلن المقوقس أدبه مع رسول الله وأكرمه
بهدايا منها جارتان كانت إحداهما السيدة مارية أم سيدنا إبراهيم ابن سيدنا رسول الله
ﷺ.

وكتب سيدنا رسول الله ﷺ كتاباً إلى كسرى فارس:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله.

وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً.

أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس (طبري ٣ / ٩٠).

لكن هذا الكافر أمر بتمزيق رسالة النبي ﷺ ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ما فعل
فقال: "مَزَّقَ الله ملكه".

وأمر كسرى حاكمه على اليمن (باذان) بأن يبعث إلى المدينة المنورة من يأتيه
بسيدنا النبي ﷺ ، فلما قدم رسول حاكم اليمن المدينة وأخبر النبي الكريم برغبة كسرى
أجابه رسول الله: ارجع إلى ربك فقل له إنَّ ربَّ محمد سلط على كسرى ابنه شيرويه
فقتله، فرجعا إلي باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

وهكذا بدأ تمزيق ملك كسرى بقتل الأكاسرة واحداً بعد واحد ، حتى لقد تعاقبت
خلال أربع سنوات عشرة ملوك على فارس، واضطرب أمر الدولة الفارسية الكسروية
حتى انقرضت تماماً على أيدي أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب في ظرف ثماني
سنوات. وصدق رسول الله ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده (م. الشافعي)
وملَّك الله المسلمين إيران، وهدى أهلها إلى الإسلام، فكان منهم أئمة العلم والدين

ببركة دعاء سيدنا النبي ﷺ : "لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس " (أحمد).

وبعث رسول الله رسولاً إلى عظيم بصرى من قبل الروم فإذا به يقتله، وهو الوحيد الذي قتل من الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ .

أما هرقل قيصر الروم الذي كان ينافس الدولة الكسروية وانتصر عليها واستولى على القدس ثانية، فقد ورد إليه كتاب رسول الله ﷺ يقول له فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى "هرقل" عظيم الروم:

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (الأتباع).

"ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم:

١- ألا نعبد إلا الله،

٢- ولا نشرك به شيئاً،

٣- ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " . (خ).

إخوة الإيمان : كان هرقل خبيراً بتاريخ الديانات وخصائص الأنبياء وسيرهم، فأراد أن يتثبت من أمر سيدنا النبي ﷺ وصدف أن أبا سفيان كان في تجارة له في غزة

فاستدعاه إليه .

إخوتي في الله : اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى الوطن السليب ، إلى المسجد الذي بارك مولانا حوله ، إلى القدس حيث أبو سفيان واقف في حضرة هرقل ، ولنستمع معاً إلى هذه المحاورة بينهما، يقول هرقل لأبي سفيان:

هرقل: كيف نسبه فيكم؟. أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

هرقل: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل كان من آبائه من ملك؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

هرقل: أيزيدون أم ينقصون؟. أبو سفيان: بل يزدون.

هرقل: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟. أبو سفيان: لا.

هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟. أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل يغدر؟. أبو سفيان: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

هرقل: فهل قاتلتموه؟. أبو سفيان: نعم.

هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟. أبو سفيان: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

هرقل: ماذا يأمركم؟ أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم ، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة.

قال أبو سفيان: والله ما يمنعني من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه، إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ ولا يصدقني، حتى ذكرت قوله ليلة أسري به، قلت: - أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعرف أنه قد كذب.

قال: وما هو؟. قلت:

- إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا الحرم في ليلة فجاء مسجداً هذا مسجد إيلياء، ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح.

قال: وبطريق إيلياء عند رأس قيصر، فقال: قد علمت تلك الليلة.

قال: فنظر قيصر وقال: وما علمك بهذا!!؟

قال: إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق باب المسجد، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي، فاستعنت عليه عُمالي ومن يحضرنني كلهم فعالجته فلم نستطع أن نحركه، فكأنما نزاول به جبلاً، فدعوت النجاجة (ج نجار) فنظروا إليه، فقالوا: هذا باب قد سقط عليه النجاف أو البنيان، فلا نستطع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى عليه. فرجعت وتركت مفتوحاً، فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب، وإذا فيه أثر مربوط الدابة. فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي، وقد صلّى الليلة في مسجدنا.

فقال قيصر: - يا معشر الروم أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً ييشركم به عيسى، وهذا هو النبي الذي بشر به عيسى فأجيبوه إلى ما دعا إليه.

فإذا بأعوان قيصر ينفرون ويبادرون إلى الأبواب وهم ساخطون، فلما رأى هرقل منهم ذلك وأيس منهم قال:

- إني قلت مقالتي أختبركم كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه.

وهكذا - أيها الاخوة - أثر هرقل الملك على الهداية، فكان ذلك سبب خراب ملكه فيما بعد .

وهكذا كل إنسان يؤثر الدنيا على الآخرة يشئت الله شمله، ويجعل الفقر بين عينيه وصدق مولانا عز وجل ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ ، قال : ربّ لمّ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم





الحلقة (٣٤)

غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرّف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله.

أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله نصره الله بالرعب مسيرة شهر وبعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة داعياً. اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتقيائه وأصفيائه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد قلت لكم في وقفتي معكم في الجمعة الماضية إنّ مرحلة جديدة دخلتها الدعوة إلى الله تعالى وأنها كانت على محورين:

١- المحور الأول: دعوة الملوك والأمراء العرب إلى الإسلام.

٢- والمحور الثاني: قتال أولئك الذين بلغتهم الدعوة وفهموها ولم يؤمنوا بها حقداً وعدواناً، ولتنفيذ هذا المحور توجه رسول الله إلى شمال المدينة، إلى خيبر وفدك، ووادي القرى وتيماء وجُلّها من اليهود.

وكان في مقدّمة هذه القرى حصون خيبر التي تبعد عن المدينة سبعين ميلاً، يسكنها اليهود يترّصّرن بالمسلمين الدوائر، وكادوا يزعمون على قتال السيد الأعظم باتحاد هذه القرى الأربع، ولم يعتبروا بإخوانهم اليهود الذين طردوا من الجزيرة العربية وزال حكمهم عنها، لكنهم كانوا يعتمدون على قوة حصونهم ﴿ووطنوا أنفسهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب﴾.

إخوة الإيمان :

اسمحوا لي بالانتقال بكم إلى هناك إلى شمال المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأتم التسليم، وها هو القائد الأوحده لهذه الأمة يخرج بجيش عدته ألف وأربعمئة مقاتل أو يزيدون.

اسمعوا - أيها الاخوة . كيف كانت الجيوش والغزوات التي كان قائدها سيدنا محمد ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا غزا لم يذكر وجهته التي هو متوجه إليها، وإذا أراد أن يغزو قوماً جمع الضعفاء والفقراء وقال لهم : إنّنا قادمون على قتال فادعوا الله لنا أن ينصرنا، وكان يقول وقوله الحق: إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم، وكان إذا غزا قوماً لم يغزهم ليلاً حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك عن غزوهم.

فلما وصل ليلاً بات حتى إذا أصبح ولم يسمع أذاناً من الحصون ركب وركب الصحابة فاستقبلوا عمال خيبر ومعهم المحارف والقفف فلما رأوهم قالوا: محمد والخميس!؟ (الجيش) فأدبروا هرباً، وهنا كبر الحبيب الأعظم ﷺ وقال: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» .

يا أحباب النبي الأعظم : تعالوا بنا لنرى مجرى العمليات العسكرية، صدرت الإشارة ببدء القتال من القائد العام للقوات المسلحة سيدنا رسول الله ﷺ ، وبدأت المعارك مع اليهود، وبدأ حصار هذه الحصون واحداً بعد واحد، وراح النصر يتلو النصر للمسلمين، وثبت الله أقدام المسلمين وأنزل على قلوبهم السكينة، واستماتت

اليهود في الدفاع عن حصونهم إيماناً منهم بأن هزيمتهم أمام السيد الأعظم هي القضاء الأخير على بني إسرائيل في جزيرة العرب.

أيها السادة :

ما زلنا هناك، تعالوا بنا لنر ونفهم القواعد العسكرية في قتال الكافرين، على يد سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، نحن الآن في ميدان القتال أرى الآن أصحاب النبي يحيطون بحصن من حصون خيبر وقد اهتم الصحابة لفتح هذا الحصن، وها هو الصديق يقود المسلمين لفتح هذا الحصن، فلم يفتح له، ثم تعطى الراية لسيدنا عمر فلم يفتح له، وإذا بناشر الهدى وواسع الندى ، إذا بالحبيب الأعظم يقول:

. لأعطين الراية غداً لرجل يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه.

وهاجت قلوب الصحابة وماجوا ليلتهم ، كلٌ منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذه الراية، وما أن أصبح الصباح حتى سأل السيد الأعظم عن سيدنا علي. فقالوا: إنه يشتكي عينيه يا رسول الله.

فأتى به ووقف بين يدي طبيب القلوب (صلوا عليه) وبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرئ، بإذن الله حتى كأن لم يكن به وجع. (اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلم).

وهنا نشط سيدنا علي وقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال رسول الله ﷺ : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

إخوتي في الله :

ما زلنا هنا ، واسمعوا معي كيف حدثت المعجزة، حصن من أكبر الحصون، رجاله من أقوى الطوائف الإسرائيلية بأساً وأوفرها مالاً وأكثرها سلاحاً، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم وضربه رجل من اليهود فطرح ترس سيدنا علي من يده، فإذا بسيدنا علي يتناول باباً عند الحصن ، فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ، ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها إلى داخل أبنية هذا الحصن ، ونصر الله المسلمين، لكن حصنين من حصون اليهود الباقية استعصيا على المسلمين مدة طويلة، وقلّت المؤونة عند المسلمين ، وأذن لهم رسول الله في أكل لحوم الخيل، وطال الأمر على اليهود خاصة ، حتى استولى الناس عليهم وخاصة بعد أن منع عنهم المسلمون المؤونة فطلبوا الصلح، وحاز النبي الكريم أموالهم وحقن دماءهم، وطلبوا منه أن لا يجلبهم عن الجزيرة وأن يبقوا في الأرض يزرعونها على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر، وهذا معروف في الفقه بالمساقاة ، وهي أن يعامل مالك الأرض غيره على ما فيها من شجر ليتعهدها بالسقي والتربية على أن تكون الثمار بينهما ، وهذا مذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم.

ووافق النبي الكريم على هذه الطريقة، ولكنه شرط عليهم أنه إذا أراد بعد ذلك أن يخرجهم من الجزيرة أخرجهم، ولذلك لما اعتدت اليهود على أنصاري فقتلوه واعتدوا على عبد الله بن عمر حكم فيهم الفاروق بإخراجهم من الجزيرة ، وكفى الله كيد اليهود.

وما أن انتهت الغزوة حتى قدم بعض المهاجرين من الحبشة وعلى رأسهم سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا النبي ففرح به رسول الله فرحاً عظيماً وتلقاه بالتقبيل والبشر وقال: والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

وقدمت لسيدنا النبي شاة مشوية ليأكل، وكان يحب الذراع، فما أن أراد وضع لقمة منها في فمه حتى لَقَظَها وقال: إن هذه الذراع تخبرني بأنها مسمومة، وجيء بالمرأة اليهودية التي أهدتها له، فسألها فقالت:

- قلت إن كنت كاذباً استرحنا منك، وإن كنت صادقاً لم يضرك، وكان يأكل معه بشر بن البراء فمات على أثر السم، فلما مات جيء بالمرأة اليهودية فقتلت به قصاصاً.

أيها الأحبة :

هذه معجزة ثانية من المعجزات التي ظهرت للسيد الأعظم في هذه الغزوة، وكون الشاة المشوية أن تكلم الحبيب الأعظم ليس بأمر غريب أو عجيب، فلا يوجد ذرة في الوجود إلا وتحب سيدنا محمداً ﷺ، كل الجماد والحيوان والحجر والشجر وبني الإنسان وكل من يسمع بسيدنا محمد ﷺ تراه يحبه بمجرد السماع، فما بالك بالشاة وقد أمسك بها الحبيب الأعظم بين يديه وشعرت بحنان يدي سيدنا النبي ﷺ .

وليس ببعيد عنا جذع الشجرة التي كان يقف عليها الحبيب الأعظم يخطب، فلما اتخذ منبراً وترك الجذع سمع الصحابة من داخل الجذع أنيناً وكأن صيماً يبكي حتى نزل الحبيب الأعظم فضمه إلى صدره وراح يكلمه حتى سكت، فلما سئل بماذا حدثته قال: وعدته أن يكون معي في الجنة.

بل صرح رسول الله مرة وهو يقف على جبل أحد فقال: أحد جبل يحبنا ونحبه.

وجاء جمل يشكو إلى الحبيب الأعظم الضرب والأذية من أصحابه، فطلب رسول الله منهم أن يطلقوه، ففعلوا وإذا بالجميل يمرغ خدييه على قدمي المصطفى شكراً للجميل وحباً للرسول ﷺ .

أما الجمال في الأعياد فكانت تسرع إليه وتسلم نفسها له ليذبحها فتشرف بتلك
اليد الشريفة.

وأما ناقته العضباء فكانت تبث حبها للسيد الأعظم، وكانت الوحوش تبتعد
عنها كرامة للحبيب الأعظم، وكانت الثمار والأوراق تتدلى من الأشجار عليها لتأكل
منها كرمى عين الحبيب الأعظم، رأى ذلك الصحابة رؤى العيان، فلما توفي الحبيب
الأعظم لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت حزناً على خير البرية.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله.

روحي بحبك في الضياء قهيم والشوق مني في هواك عظيم
والقلب مسرورٌ بذكر محمد في ذكره نور وفيه نعيم

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي إلى الحبيب الأعظم عطر
اللهم روضه الكريم بأزكى صلاة وسلام وتحية ورضوان. اللهم صل وسلم وبارك عليه.
فصلوا عليه فإن صلاتكم لكم نور ونجاة ودليل وبرهان على الإيمان وحب سيد ولد
عدنان. فيا رب صل عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأزواجه وعترته الطاهرة الهاشمية
وسلم وبارك وعظم على مشرف العوالم والأكوان، وعطر اللهم روضته الشريفة النبوية
بأزكى صلاة وسلام وتحيات ورضوان .



الحلقة (٣٥)

عمرة القضاء في السنة السابعة

الحمد لله ثم الحمد لله .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وما توفيقني واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله.

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة سيدنا أبي القاسم ، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي اصطفاه من أشرف السادات وأعرق البيوتات .

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله، عمّ الكون نوره ، وانتشر ضياؤه ، وزينت البلاد والأرض والسموات .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد أكرم مولود وأشرف مخلوق عند الملك المعبود ، ونعمة الله على كل موجود وعلى آله وصحبه وأتقيائه وأصفياه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فكانت غزوة خيبر ذات أثر بليغ على القرى الثلاثة من حول حصون خيبر، إذ أنها استسلمت لشروط الإسلام وصالحوا كما فعلت يهود خيبر.

وغنم المسلمون أموالاً كثيرة ، وتحققت بذلك بشارة رب العزة لأصحاب بيعة الرضوان ؛ حين وعدهم بالفتح القريب والمغانم الكثيرة، فقال مولانا يخاطب نبيه

الكريم: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.

ومضى بعد ذلك عام كامل والمسلمون ينتظرون عمرة القضاء، حتى نادى النبي يوماً في الناس كي يتجهزوا لأداء العمرة قضاءً عن العام الماضي، وكان هذا النداء الذي أرسله المصطفى برداً وسلاماً، ملأ قلوب الصحابة وخاصة المهاجرين سروراً وغبطة، فقد تركوا مواطنهم منذ سبع سنوات، ولأجله زاد عدد الصحابة المعتمرين إلى ألفين، بعد أن كانوا ألفاً وأربعمئة، ليس معهم إلا سلاح الراكب في غمده تنفيذاً لعهد الحديبية، ولكن السيد الأعظم خشي غدر كفار قريش بأصحابه، فجهز مئة فارس جعل على رأسهم القائد محمد بن مسلمة، أحاط هو ورجاله حول حرم مكة بانتظار إشارة من النبي الكريم.

وساق المسلمون أمامهم ستين بدنة، وساروا يتقدمهم الحبيب المصطفى على ناقته القصواء، فأحرم من ذي الحليفة بالعمرة، لأن الإحرام ركن والإتيان به من الميقات واجب وكل من جاوز الميقات بدون إحرام وجب عليه ذبح دم .

فعلمهم النبي الكريم كيف يحرمون بالعمرة أن يقولوا: نويت العمرة وأحرمت بها الله تعالى لبيك اللهم بعمرة لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك.

وأذنك لو تسمع هذا النشيد السماوي، يملأ صحراء الجزيرة بالتوحيد، والشوق بملأ الصحابة لدخول أم القرى، والطواف ببيت الله الحرام وزيارة البقعة التي ولدوا فيها والبيت الذي شبَّ فيه، والأصحاب الذين تركهم، ويشم من جديد هواء الوطن المقدس.

وأما الأنصار فكانوا مشتاقين لأداء هذا الفرض الشريف وليروا بإجلال وإعزاز الأرض التي أنجبت الرسول الأعظم، والأماكن التي نزل فيها القرآن الكريم أول ما نزل.

إنني وأنا أتحدّث عن وصف هذا المشهد لأعرف تماماً الفرح العظيم الذي يملأ قلوب المعتمرين تحت راية سيد الخلق وحبيب الحق. تعالوا لنشارك الصحابة هذا الفرح الغامر، فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، نشاهد هذه التظاهرة الفذة من نوعها إنها ليست مظاهرة ضد الحكم، ولا مظاهرة ضد الظلم، ولا مظاهرة لأجل ترشيح لمجلس الشعب، ولكنها مظاهرة إيمانية بحتة، جذب إليها بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، بيت الله الذي جذب الناس إليه أذان سيدنا إبراهيم الخليل حين أمره ربّ العزة: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

عندها قال الخليل لخليله: أي ربّ وما يبلغ صوتي، فقال ربّ العزة:
عليك الأذان وعليّ البلاغ.

ووقف الخليل ينادي: يا أيها الناس إنّ الله قد كتب عليكم الحج فحجوا.

هذا النداء الخالد سرى في كل المؤمنين عبر التاريخ منذ سيدنا إبراهيم، فراحوا يهتفون بأفئدتهم نحو بيت الله وهم يرفعون أصواتهم:

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» .

انظروا إلى هذا الطرب الذي أصاب صحابة النبي وهم يسيرون فرحين آمنين ينفذون مشيئة مولانا عزّ وجل:

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلن المسجد الحرام إنّ شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ .

وتسامعت قریش هذا النداء حين بلغ الصحابة الحرم المكي، فخرجت من الحرم وصعدت إلى التلال ورؤوس الجبال المجاورة للحرم وفوق جبل أبي قبيس وحراء، وراحوا ينظرون بأم أعينهم إلى المؤمنين الصادقين وهم يسرون خلف سيد المرسلين يحيط به كبار الصحابة الكرام، يتجهون نحو الكعبة لا يصدّهم أحد عنها، وهم ينشدون نشيد التلبية الخالد مع من بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴿وَكفى بالله شهيداً محمد رسول الله﴾.

إنك لتقدّر يا أخي المسلم هذا المشهد العظيم وأرجاء الحرم المكي المباركة تمتز بهذا النداء. وارفع رأسك عالياً لترى على التلال أشدّ الكافرين صلابة وعناداً وعبدة الأصنام، انظروا إليهم. أيها الاخوة . كيف انجذبوا إلى الإسلام، إلى نداء التوحيد وهم يشاهدون ويسمعون الصوت المنبعث من القلوب يدوي:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك..

كان هذا النداء يخترق آذانهم ويصل إلى شغاف قلوبهم فيهرّها هزاً، وراح بعضهم يقول لبعض: سترون الآن أناساً أصابتهم حمى المدينة وأمراضها.

وإذا بالحبيب الأعظم ينبئه العليم الخبير بما قالوا، فيقول وقد بلغ الكعبة وأراد الطواف، إذا به يضطبع بردائه ويخرج كتفه الأيمن ثم يقول: - رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة.

وأمرهم رسول الله بالطهارة للطواف كالصلاة فقال لهم: «الطواف كالصلاة إلا أن الله أذن لنا فيه بالكلام» .

واستلم الحجر الأسود وقال: بسم الله والله أكبر..

وراح يهرول ويهرول أصحابه خلفه ثلاثة أشواط، فلما رأى كفار مكة المعاندين ذلك وبّح بعضهم بعضاً وقالوا: أهؤلاء الذين أصابتهم حمى المدينة.

ثم مشى النبي الكريم الأشواط الأربعة الباقية، وهو كلما وصل إلى الركن اليماني متوجهاً إلى الحجر الأسود يقول:

- ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وعَلَّمَ النبي الكريم أصحابه أن يقولوا: لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

وكانت هذه الأدعية والأذكار يصل صداها إلى أعالي التلال، وكأنها تدعو الكافرين إلى التوحيد بطريق غير مباشر، لذلك كان الصحابة يرفعون أصواتهم بها، وتجاوبت أصداء وجنات وادي أم القرى وسمعتها القريب والبعيد.

ولما أتم النبي الكريم الطواف سبعة أشواط حول الكعبة، صَلَّى وصلى أصحابه أيضاً ركعتي سنة الطواف خلف مقام إبراهيم، تنفيذاً لقوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ .

وراحت عيون قريش ترقب ولأول مرة هذه العبادة التي فيها الخضوع والسجود لله تعالى، وقلوبهم يزداد نقاؤها من الشرك شيئاً فشيئاً.

ثم انتقل المسلمون خلف نبينا ﷺ إلى الصفا والمروة للسعي بينهما، فرقي على الصفا وهو طرف جبل أبي قبيس، واستقبل البيت ودعا وكَبَّرَ ثلاثاً وقال:

« الله أكبر الله أكبر الله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ».

ونزل المسعى، فلما وصل إلى الميلين الأخضرين سعى سعياً شديداً وقال داعياً:

- رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم اجعلها عمرة مبرورة وذنباً مغفوراً وسعيّاً مشكوراً وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفور، وفعل مثل ذلك على المروة، وأتم سعيه سبعة أشواط.

ثم أمر رسول الله بالإبل فنحرت عند المروة وحلق شعر رأسه الشريف وتسابق الصحابة على شعرات سيدنا النبي كلّ يريد أن يحظى بشرف الاحتفاظ بشعراته الطاهرة والتبرك بها.

وفعل الصحابة مثل فعله ﷺ فنحروا الإبل وحلقوا.

وهكذا تمت العمرة، وأدى بذلك فرائض العمرة وهي:

الإحرام والطواف والسعي والحلق.

وصلّى النبي الكريم الأوقات الخمسة كلها في المسجد الحرام ، وأعلن على الصحابة رضي الله عنهم أن صلاةً في المسجد الحرام تعدل مئة ألف صلاة.

وراح المسلمون يستقبلون الكعبة مؤتمنين بالإمام الأوحـد لهذه الأمة والمشرع لدينها، وفي الصباح التالي وبعد صلاة الفجر دخل السيد الأعظم الكعبة المشرفة وبقي فيها حتى صلاة الظهر.

وكان الصحابة يصلّون في الحرم ويطوفون رغم الأصنام التي كانت حول الكعبة وكان قد بلغ عددها ٣٦٠ صنماً، وكان سيدنا بلال الحبشي يقف على ظهر الكعبة ويرفع صوته بالأذان لكل صلاة: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فترج لأذانه جنبات الحرم المكّي، وترتعش قلوب وأفئدة المؤمنين، وتبكي أعينهم فرحاً وسروراً بهذا الفتح المبين.

وأقام المسلمون في مكة ثلاثة أيام لا يصيبهم فيها أذى ولا يعترضهم أحد بسوء، زاروا فيها بيوتهم مراتب صباحهم وتفقدوا البلد الأمين، وزاروا فيه البقعة الطاهرة التي ولد فيها الحبيب الأعظم ﷺ والنبي ينتقل بينهم أباً محباً ورسولاً هادياً يصبرهم ويعددهم بأن العاقبة للمتقين.

إخوة الإيمان :

كان المشهد لا يصدق، وأحسّت قريش كم هي على باطل في عبادة الحجارة التي لا تضر ولا تنفع ، ونظرت إلى أخلاق الإسلام، نظرت إلى الصحابة فرأته لا يأتون منكراً ولا يشربون خمرًا ولا يغريهم طعام ولا شراب، رأته متحابين، أسودهم وأبيضهم، سادتهم وعبيدهم، يوقر الصغير الكبير، ويرحم الكبير الصغير، وكلهم يعظمون نبينا وسيدنا محمد ﷺ .

هذا المنظر أسر قريشاً والعرب وجعل قلوبهم تلين، وكان لهذه المشاهد الإيمانية المتتابعة أبلغ الأثر في فتح مكة بدون قتال، بعد ذلك بشهور يسيرة.

وفي هذه الفترة تزوج رسول الله السيدة ميمونة التي أسرها هذا المنظر فأحببت الإسلام، وتكلمت مع زوج أختها سيدنا العباس لكي تطلب الزواج من حضرة النبي ﷺ فكلمه سيدنا العباس فقبل وأصدقها أربعمئة درهم، وبني بها في سرف خارج الحرم المكي وكان عمرها ٢٦ سنة، وعمرت بعده خمسين سنة، ودفنت في سرف حيث تزوجها رسول الله ﷺ .

إخوتي في الله :

ما زلنا هناك ولكن في مشهد آخر، إنني أدعوكم لأسجل للإسلام هذا الحدث العظيم، تعالوا معي لتروا ماذا فعل الإسلام بالقلوب القاسية، ماذا فعل بالعرب الذين كان بعضهم يئد البنات، أريد اليوم أن يشهد العالم كله الذين قال فيهم ربّ العزة:

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب سوء ما يحكمون ﴾ .

تعالوا لنشهد ماذا فعل الإسلام. المكان خارج الحرم المكي، الزمان السنة السابعة للهجرة، الأشخاص: سيدنا علي وسيدنا زيد وسيدنا جعفر، الحدث: خروج ابنة سيدنا حمزة من مكة وهي تنادي: يا عم يا عم فيتناولها سيدنا علي ويأخذ بيدها إلى سيدة نساء أهل الجنة سيدتنا فاطمة ويقول لها: دونك ابنة عمك.

وهنا حدثت حبكة الحدث: إن الصحابة الثلاثة آل بيت رسول الله اختصموا أيهم يأخذ البنت، فقال سيدنا علي: - أنا آخذها وهي بنت عمي.

وقال سيدنا جعفر: - ابنة عمي وخالتها تحتي.

وقال سيدنا زيد: - ابنة أخي.

هذا هو ما فعله الإسلام كل منهم يريد أن يحرز شرف تربية ابنة سيد الشهداء وبدأت حبكة الحدث تنحل حينما رفع الخلاف إلى واسع الندى وناشر الهدى، إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ، فقضى بها لسيدنا جعفر وقال: الخالة بمنزلة الأم، ولكي يبعث الرضى في قلوب الثلاثة علّق على صدر كل منهم وسام الاستحقاق الإسلامي في تكريم البنات:

فقال لسيدنا علي: أنت مني وأنا منك.

وقال لسيدنا جعفر: أشبهت خلقي وخلقي. فقام يرقص فرحاً وطرباً ويحجل على
رجله.

وقال لسيدنا زيد: أنت أخونا ومولانا.

أيها الاخوة الكرام: علينا أن تعتنز بالإسلام هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا
مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤذي التحية إلى الحبيب، وتحيتنا إليك
يارسول الله : الصلاة والسلام عليك.





الحلقة (٣٦)

غزوة مؤتة

الحمد لله الملك القهار، الجليل الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته، فحسبنا الله ونعم الوكيل. جعل الدنيا دار زوال ورحيل، وجعل الآخرة دار نعيم أو عذاب وبيل.

فكل ميسر لما خلق له، وعلى الله قصد السبيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير له ولا عدل.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات التنزيل، المصون دينه عن التحريف والتبديل.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يبلغان قائلهما نهاية التأميل. وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فكان صلح الحديبية معاهدة حكيمة من سيدنا النبي ﷺ ، فقد كانت أماناً لجنوب المدينة المنورة من أن يأتيهم عدو مفاجئ من قبلها ، لذلك بدأ رسول الله يتجه بنظره إلى شمال المدينة، إلى البلاد الشامية ، ويحب أن ينتشر فيها الإسلام ويأمن بذلك الشمال والجنوب، لذلك لما أرسل رسوله الحارث بن عمير الأسدي إلى عامل هرقل على بصرى الشام ودعاه فيها إلى الإسلام، فقام ذلك العامل بقتل رسول سيدنا النبي، واته الفرصة لإعداد جيش لقتاله، وخاصة أنه ليس من عادة الملوك والأمراء أن يقتلوا الرسل، وكان الحارث بن عمير الوحيد الذي قتل من الرسل. فأمر النبي الكريم في جمادى الأولى في السنة الثامنة للهجرة سنة ٦٢٩ م بتجهيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للذهاب إلى بصرى الشام لتأديب هذا القاتل النصراني، وانتصاراً للحارث بن عمير الشهيد.

وكان أمير هذا الجيش سيدنا زيد بن حارثة، وقال سيدنا النبي يوصي الجيش:
"إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة".
وخرج في هذا الجيش لأول مرة سيدنا خالد بن الوليد - وكان قد أسلم حديثاً-
ليدل على حسن إسلامه.

وخرج الصحابة مع سيدنا النبي حتى أطراف المدينة وهو يوصيهم:
« اغزوا باسم الله، قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في
الصوامع معتزلين فلا تعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً، ولا شيخاً فانياً ولا
تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناءً.. » .
وأوصاهم أن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله
وقاتلوهم.

حتى وصلوا إلى أطراف المدينة ، وراح الصحابة يودعونهم. صحبكم الله ودفع
عنكم وردكم إلينا سالمين.

فقال عبد الله بن رواحه:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات قرع تقذف الزبداء
أو طعنةً بيدي حرّان مجهزة	بحربةٍ تنفذ الأحشاء والكبداء
حتى يقال إذا مروا على جدثي	أرشده الله من غارٍ وقد رشدا

ومضى الصحابة رضي الله عنهم، وهم يفكرون في الخطة التي تجعلهم ينتصرون
على عدوهم، فإذا بالأخبار تأتيهم بأن جيش هرقل قد نزل أرض مآب في مئة ألف
من الروم وانضم إليه مئة ألف أخرى من متنصرة العرب.

فمكثوا ليلتين في منطقة معان وهم يتشاورون فيما بينهم:

إن عدو المشركين والروم قد بلغوا مالا يقل عن خمسين ضعفاً من عدد المسلمين، وإن معهم من العدة والسلاح مالا يحصى، بينما هم سرية صغيرة تعد ساقية أمام هذا البحر الهائج الخضم، فلو أنهم التفوا حولهم لما خرج منهم مخبر. فقال قائل منهم:

- نكتب إلى رسول الله فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره .

فقام سيدنا عبد الله بن رواحة شاعر الرسول ﷺ فقال:

- يا قوم! والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما نصر وإما شهادة.

فسرت هذه الكلمات الإيمانية في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فبعثت الحماسة في نفوسهم وبدت الجنة بين ظلال السيوف ليس بينهم وبينها إلا الشهادة في سبيل الله تعالى.

فسار المسلمون جميعاً والإيمان يدفعهم حتى بلغوا مؤتة (الكرك اليوم) فتحصنوا بها ورأوا أنها خير بلد للقتال.

معشر الاخوة الكرام

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى مشارف المعركة ، إنها هنا بقربنا على أطراف الأردن، هاهو جيش المؤمنين ككوكبة من الفرسان يرى أولها وآخرها، وهما هو جيش الكفار يرى أوله ولا يرى آخره، جيشان يقول الناظر إليهما: أنها لحظة من النظر وينتصر جيش العدو.

أيها الاخوة: أنتقل بكم إلى موجة الحق، إلى الناطق الرسمي الصادق المصدوق (صلوا عليه)، فإن الحبيب الأعظم، زوى له مولانا عز وجل الأرض، وكشف الغطاء فيما بينه وبين المعركة، فرأى القلة المؤمنة والكثرة الكافرة، وها هو رسول الله يقف على المنبر في المدينة يصف المعركة لأصحابه.

وقد بدأت المعركة حامية الوطيس، ولا تصدّق أبداً ما تنظر إليه، فقد اندفع الصحابة نحو العدو، وكأن خلف كل واحد منهم كتيبة من الفرسان قوامها ألف مقاتل، لقد أذهل الروم قوة الإيمان كيف تندفع وتطيح بالهامات، إنها كتيبة الموت، ولماذا لا يكون ذلك، فالرومي يقاتل بدون هدف وهو يعلم عندما سيموت سيكون جيفة قدرة، أما المسلم فإن روحه سوف تتلقاها الملائكة لترفعها إلى جنة الخلد.

ومما زاد اندفاع الصحابة التكبيرات التي كانت في المعركة، وبسالة القوادر الثلاثة فقد كان حامل اللواء والراية سيدنا زيد بن حارثة يطيح بسيفه بمنة ويسرة وكلما طاح به أطار رأس كافر منهم، وكان يندفع إليهم يهزمهم بسيفه هزاً، مقبلاً غير مدبر بين عينيه الشهادة في سبيل الله تعالى حتى لقي ضربات من الروم جعلته في عداد الشهداء.

فتناول الراية سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا النبي ﷺ وهو يومئذ شاب في الثالثة والثلاثين وراحت صيحات التكبير تجلجل أرض المعركة، وقتل من الروم مالا يحصى فأحاطت مجموعة فرسان بسيدنا جعفر فنزل عن فرسه فعفرها واندفع وسط الروم منطلقاً كالسهم وهو يردد:

يا حـبـذا الجـنة واقتـرابـها طـيـبة وبارداً شـرا بـها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إن لا قيتها ضرابها

ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، فقد تجمع عليه فرسان العدو فقطع أحدهم يده اليمنى فأخذ اللواء بشماله فأهوى آخر على يده اليسرى فقطعت، فاحتضن اللواء بعضديه، والدماء تنزف منهما ولسان حاله يقول: لا يسقط لواء رسول الله على الأرض أبداً ما دمت حياً. ولكن فارساً رومياً ضربه ضربة قطعتة نصفين، وهنا بكى رسول الله ﷺ وهو على المنبر يرثي أصحابه، ودمعت عيناه ثم قال: تناول الراية عبد الله بن رواحة. وقد تردد بعض التردد فصار يخاطب نفسه:

أقسمت يا نفسُ لتنزلنه لتزلين أو لتُكرِهَنَّه
إن أجلب الناس وشدوا الرِّنة مالي أراك تكرهين الجنة

ويقول:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا حِمَام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديت

وراح يقاتل ويشد على أعداء الله حتى لقي الشهادة كصاحبه، وهنا ورسول الله على المنبر يعني سيدنا عبد الله بن رواحة قال: ثم أخذ الراية سيوف من سيوف الله حتى فتح الله تعالى عليه. ثم قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ف قيل له على من سلمت يا رسول الله ؟ .

فقال: رفعت إلي أرواح الثلاثة على سرر من ذهب في الجنة فسلموا عليّ فرددت عليهم السلام ثم قال: وقد أبدل الله جعفر بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. لذلك- أيها الإخوة- سميت هذه السرية بغزوة مؤتة، فإن علماء السيرة اصطَلَحوا على أن كل مجموعة من الجيش لا يخرج معها رسول الله تسمى سرية، إلا هذه، لأن رسول الله وصفها على المنبر وكأنه كان معهم ﷺ .

إخوتي في الله :

كان سيدنا خالد بن الوليد كما قال عنه رسول الله ﷺ تماماً سيفَ الله المسلول، كان قائداً حكيماً ماهراً ومحركاً للجيوش قل نظيره، إذ أصدر أوامره للمسلمين حتى ضم صفوفهم وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله فوضع الجيشان السلاح حتى الصباح، وفي هذا الوقت أحكم سيدنا خالد خطته فبدل مواقع الجند، وأمر مجموعة منهم أن تحدث جلبة وضجة وقعقة سلاح مما أدخل في روع الأعداء أن مدداً جاء المسلمين، فقال الروم لبعضهم إذا كان ثلاثة آلاف مقاتل قد فعلوا بنا الأفاعيل، وقتلوا منا خلقاً كثيراً (حتى قال سيدنا خالد: إنه قد انكسر في يده يومها تسعة أسياف) فما بالك بهذا المدد. وهكذا تقاعس العدو عن مهاجمة سيدنا خالد إن هو لم يهاجمهم. وكانت خطته الانسحاب بالجيش راجعاً إلى المدينة لينقذ الجيش من هزيمة محققة، فظن الروم أنهم يُستدرجون إلى الصحراء فتوقفوا عن القتال، وكانت هذه الخطة نصراً حريماً للمسلمين، لذلك قال رسول الله ﷺ في رواية البخاري: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم».

إخوة الإيمان : سار سيدنا خالد بالجيش حتى قدم المدينة ، وما أن عرف المسلمون خبر الغزوة حتى راح الناس يقولون: يا فُرار فررتم في سبيل الله، فوصل الخبر إلى سيدنا النبي ﷺ فراح يستقبلهم ويقول: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

وهنا بدأ رسول الله ﷺ يواسي أهل الشهداء، فذهب إلى بيت سيدنا جعفر والأسي يعتصر نفسه، فدخل على زوجته أسماء بنت عميس وقال لها. ائتني ببني جعفر، فلما أتته بهم راح يَشْتُمُّهم وعيناه تذرفان بالدموع، حتى قالت أسماء زوجة جعفر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟.

فقال: نعم أصيبوا هذا اليوم وازدادت عيناه بالدمع تهتاناً، وهنا صاحبت زوجته صيحة جعلت رسول الله يبكي، ودموع النبوة تسيل على خديه.

ثم أخذ يمين عبد الله بن جعفر وراح يدعو ثلاثاً : « اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفقه يمينه » .

فذكرت السيدة أسماء يتمهم وضعفهم فقال لها: العيلة تخافين عليهن وأنا وليهم في الدنيا والآخرة - أحمد- .

ثم قال لأصحابه: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد شغلوا بأمر صاحبهم.

أيها الأحبة :

إن بكاء رسول الله ﷺ لا يتنافى مع الرضى بقضاء الله وقدره، فإن الدفعة رحمة، ورقة طبيعية فطر الله الإنسان عليهما، على ألا يصل إلى درجة النواح.

لذلك لما ازداد البكاء على سيدنا جعفر أمر رسول الله: أن يحشوا في أفواه الباقيات التراب، فما بالك بشق الجيوب وضرب الحدود بعد ألف عام أو يزيد، فهذا حرام حرّمه الشرع الحكيم.

يا أهل الإيمان : كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل، وإليك موجزها:

إننا لا نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتل بقوة الإيمان والدين، إننا أقوياء بالقدر الذي نتمسك فيه بديننا، ليست القوة بالبندقية ولا بالمدفع، بل نحن أقوياء بالوضوء والصلاة والصوم وتطبيق الدين والالتزام بشرع الله تعالى.

إننا لا نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتل بقوة الإيمان والدين.

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ .

الله ناصرنا هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.





الحلقة (٣٧)

فتح الفتوح مكة المكرمة

الحمد لله الذي تعاضم ملكه فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، الذي أعز من شاء ونصر، ورفع أقواماً بحكمته وخفض أقواماً آخر، نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل وقطرات المطر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم بما بطن وما ظهر.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ومجتباه من البشر نبي شق عن صدره وشق له القمر، رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر، حبيب أيده الله بمعجزات الآيات والصور.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه قادة الخير والبشر. وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

نظرت القبائل العربية المتاخمة للشام إلى فعال المسلمين يوم مؤتة بإعجاب شديد، مما زاد انتشار الإسلام بين القبائل العربية، ومهد لهذا اضطراب أحوال الدولة البيزنطية وإفلاسها، حتى دخل في هذه الفترة ألوف من العرب وحلفاء بني يهود، فكانت الغزوة فتحاً للمسلمين.

وظنت قريش أن انسحاب المسلمين من معركة مؤتة هزيمة قضت عليهم فأغررت بعض حلفائها للإغارة على قبيلة حليفة لرسول الله ﷺ ، فقتلوا منهم ونقضوا بذلك عهد الحديبية.

فما كان من حكماء قريش إلا أن سارعوا بإيفاد أبي سفيان يعتذر من رسول الله
ويسأله تأكيد العهد وعدم نقضه ومدّه إلى أجله.

ودخل أبو سفيان المدينة المنورة وسارع إلى ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ
واستأذن عليها فدخل إلى بيت رسول الله ﷺ .

إخوة الإيمان : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم ماذا يفعل الإيمان
الصادق بقلوب المؤمنين:

إننا في حجرة رسول الله وأرى أبا سفيان يريد أن يجلس على فراش رسول الله
فتسارع ابنته أم حبيبة فتطويه. قال لها: - يا بنية أرغبت بي عن الفراش أم رغبت به
عني. فقالت السيدة أم حبيبة حبيبة الايمان:

- هو فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس عليه.

وكانت صدمة ولطمة أعمت عقله، لم يفق منها حتى قال:

- يا بنية! والله لقد أصابك بعدي شر. وخرج مغضباً.

وراح يستجير بأصحابه القدامى ، جاء إلى الصديق والفاروق وسيدنا علي
والسيدة فاطمة بحضور علي وكلهم رفضوا إجارته حتى قالت له السيدة فاطمة الزهراء
رضي الله عنها:

- إنه لا يجير أحد على النبي ﷺ .

فعاد أبو سفيان بأشد خيبة.

وهنا أجمع رسول الله المسير إلى مكة، وخرج مع أصحابه لعشر خلون من رمضان
من السنة الثامنة للهجرة (على مارجحه الإمام البيهقي) ، وقد أخفى أمره وقال:

- اللهم خذ علي أبصار قريش فلا يروني إلا بغتة.

فحاول رجل يسمى حاطب بن أبي بلتعة أن يرسل خيراً برسالة إلى قريش مع امرأة لكن الله كشف أمره وأطلع عليه نبيه فجاء بالرسالة وبالرجل فقال سيدنا عمر:

- يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال ﷺ: - إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعلَّ الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: "اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ". فأنزل ربَّ العزة في شأن حاطب:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾.

وأرسل رسول الله إلى بعض القبائل أن يلاقوه في منطقة الظهران بين مكة والمدينة.

وسار رسول الله في عشرة آلاف مقاتل من جنود الله وهم صيام ، ثم أذن لهم بالفطر رحمة بهم ، وعقد لهم الألوية والرايات . حتى إذا بلغ الجحفة جاءه بعض أقاربه منهم العباس وأهله مسلمين، فسُرَّ رسول الله سروراً عظيماً، حتى إذا وصلوا إلى مرَّ الظهران اجتمعت القبائل به وأمرهم رسول الله أن يشعل كلَّ واحد منهم ناراً، فاشتعل الجبل ناراً، نيران عشرة آلاف مقاتل .

وأمر رسول الله أصحابه أن يفطروا تقوية لهم على دخول مكة المكرمة.

وخرج أبو سفيان بن حرب ومعه بُديل من ورقاء وحكيم بن حزام ليستطلعوا خبر الصحابة ، فلما وصلوا الظهران رأوا النيران المشتعلة بين ثنايا الجيش فقال أبو سفيان:

- ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً .

فسمعه سيدنا العباس فقال: أبا حنظلة ! ويحك هذا رسول الله في الجيش، فارتاع أبو سفيان وقال: فما الحيلة فذاك أبي وأمي.

فقال سيدنا العباس: أن تركب معي بغلة رسول الله حتى آتي بك فأستأمنه لك.

فسار به، فرآهما سيدنا عمر فصار يركض يريد أن يقتل أبا سفيان، فقال العباس وقد وصل إلى النبي: أنا أجرته يا رسول الله.

فقال له: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به.

وهنا أعلن بُديل بن ورقاء وحكيم بن حزام إسلامهما.

إخوتي في الله :

أريد اليوم أن أسطر عظمة الإسلام كيف كان قبل الهجرة وكيف صار بعد الهجرة، أريد أن أؤرخ للإسلام وهو لم يزل بعد في سنّهِ العشرين ربيعاً، أنتقل بكم إلى جوار مكة البيت الحرام، وقد بلغ القلق من أبي سفيان بن حرب سيد قريش مبلغه، ورأى في ليلته ما ملأ نفسه إعجاباً ؛ رأى المسلمين لما سمعوا الأذان انتشروا فتوضّؤوا، ثم اقتدوا بالرسول الأعظم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، فقال:

- يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟.

قال : نعم، والله ولو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه.

ورأى أعجب من ذلك: أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتسابقون على وضوئه يتبركون بمائه. فقال: يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر.

وفي الصباح: غدا به سيدنا العباس إلى رسول الله ﷺ فقال له:

- ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله.

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت

أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

فقال رسول الله ﷺ : - ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله.

فقال: أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيء.

فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك.

فقال أبو سفيان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال سيدنا العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً.

فرأى رسول الله ﷺ بنور قلبه وواسع عقله أن يحفظ دماء الناس ويؤمنهم فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن. ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. وذلك لأن رسول الله يكره سفك الدماء فكيف بالبلد الحرام؟!!

وأمر رسول الله العباس أن يوقف أبا سفيان حين تمر كتائب الجيش ليرى قوة الإسلام، وليكون نذيراً لقريش بالجنوح إلى السلام.

فحبسه حيث أمره، ومرت القبائل على راياتها، فكانت كلما مرت كتيبة سأل العباس: من هذه؟ فيقول العباس: هذه قبيلة كذا.

حتى مرت كتيبة لم ير مثلها فقال: من هذه؟ فقال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عباد مع الراية.

فقال سيدنا سعد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة.

فبلغت هذه الكلمة رسول الله فقال: بل اليوم يوم الرحمة، اليوم يعظم الله فيه الكعبة.

وأمر بنزع الراية منه وإعطائها لولده قيس تأدياً له.

ثم مر رسول الله ﷺ في كتيبتة الخضراء يحيط به المهاجرون، لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد، رأى وشاهد المنتصر العظيم وقد أحنى رأسه حتى كادت لحيته تمس ظهر الناقة يشكر الله تعالى معظماً ومكبراً، رآه وقد اعتَمَ بعمامة سوداء قد أرخى عذبتها بين كتفيه يتلو سورة الفتح (خ) يرجع في تلاوته لها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.. كان رسول الله ﷺ مستغرقاً في حالة شهود مع الله تعالى شاكرًا له أن أعاده إلى البلدة التي أخرجته، أعاده عزيزاً منصوراً مكرماً، وهو يتذكر قوله تعالى:

﴿إِن الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وقد صدق الله وعده، وردّه إلى مكة. رأى أبو سفيان هذه الكتيبة وهي تسير خلف القائد الأعظم (صلوا عليه) فقال:

- يا عباس من هؤلاء؟.

قال: هذا رسول الله في المهاجرين.

فقال أبو سفيان: ما لأحد بهؤلاء من قِيل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً!!.

فقال العباس كلمة واحدة: يا أبا سفيان إنها النبوة.

أي ملك هذا؟! لقد ألقى الملك والمال والجاه تحت قدميه يوم عرضتموها عليه .

"إنها النبوة" هذه الكلمة التي أنطق الله بها العباس، أصبحت الردّ الباقي المستمر إلى يوم القيامة على كل من يتوهم أنّ دعوة الرسول الأعظم كانت للملك أو الزعامة أو لأجل قومية أو عصبية، فعلى القادة اليوم والملوك أن تكون دعوتهم لله، وسوف يرون كيف يوحد الله الأمة من جديد، عليهم أن يكونوا تحت راية البيت الحرام لا

تحت راية البيت الأبيض ولا البيت الأحمر، إنها النبوة. هذه الكلمة: "إنها النبوة"، أيقظت أبا سفيان من غفلته الجاهلية، فأسرع إلى مسكنه نذيراً ينادي بأعلى صوته:

- يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

أيها الأحبة :

سار القائد الأعظم على رأس جيش قسّمه إلى أربع فرق، دخلت كل فرقة من جهة من جهات مكة، وذلك بغية تفويت فرصة القتال على أهل مكة في وقت يحبّ رسول الله ألا تراق نقطة دم على أرض الحرم، وقد شدّد ذلك على أصحابه، حتى حين علم أن سيدنا خالد بن الوليد قد قاتل بعض المقاومين وقتل منهم بضعة وعشرين اشتدّ غضبه، فلما علم أنهم هم البادئون سكن غضبه عليه الصلاة والسلام.

يا أحباب رسول الله : وفي أعلى مكة أمر رسول الله أن تضرب له قبة في منطقة الحجون فنزل بها، واغتسل وصلى ثماني ركعات، ودخلت عليه أثناءها أم هانيء ابنة عمه أبي طالب وقد أجارت رجلاً أراد سيدنا علي قتله، فقال ﷺ :

- قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء، فكان ذلك سبب إسلام الرجل.

ثم قصد رسول الله الكعبة - معشر السادة . أدعوكم لتشهدوا هذه اللحظات لتلمحوا النور المشرق من سيد الكائنات شمس في الأرض تعلوها شمس في السموات .

هذا رسول الله قادم من أعلى مكة في غير مخيلة ولا استكبار مردفاً خلقه على راحلته سيدنا أسامة بن زيد ، وتكاد لحيته تمسّ واسطة الرحل تخشعاً وتواضعاً وشكراً لله الذي أكرمه بالفتح الأكبر ، والناس حوله في تهليل وتكبير ، نجوم حول كوكبها المنير والملائكة بعد ذلك ظهر . ولما اطمأنّ الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته .

وأمر أن تزال الأصنام من حولها ومن داخلها، وكان وهو يطوف حول الكعبة يطعن الأصنام بعود في يده وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾.

فكانت الأصنام تنهار وتتهوى وكأنها على شفا حفرة إلى الأرض من غير رجعة، ورأت قريش بعينها الآلهة المزعومة الزائفة التي كانوا يعبدونها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً، تسقط وتهوي إلى الأرض، رغم أن علماء السيرة يذكرون أنها كانت مثبتة بالأرض بالرصاص والأحجار، ولماذا لا تنقلب لإشارته ﷺ ولا تتكسر، وقد قلب الله له جبروت قريش خضوعاً وذللاً، وجيء بمفتاح الكعبة ففتحت فدخلها وطمس الصور التي على جدرانها، ثم صلى ركعتين مع سيدنا بلال، وأمر سيدنا بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة، فقام سيدنا بلال على ظهرها ونادى نداء الحق:

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله. وارتجت مكة بصوته وهي تسمع نداء الحق لأول مرة، تردده الشعاب والجبال بل الشعوب والأجيال، وعندئذ هتف التاريخ ولا يزال: لاعزى ولا هبل بعد اليوم، وإنما العزة لله.

ومن الذي رفع الأذان؟ إن سيدنا بلال، بلال الذي طالما عذب في رمضان مكة على أيدي المشركين وكان يهمس: أحد... أحد... تحت أسواط العذاب، أراد الله أن يقف على ظهر الكعبة ليجلجل بصوته: الله أكبر.

واجتمع الناس مؤمنهم وكافرهم وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينتظرون ماذا يُصنع بهم، فأخذ مكاناً بجانب باب الكعبة وهم تحته، ووقف فيهم خطيباً، وقال:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة كانت في الجاهلية، أو دم، أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين.

يا معشر قريش؟: إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقام إن الله عليم خبير﴾ .

ثم التفت إلى الصحابة وقال: وكنت قد أذنت لكم بالاستمتاع من النساء، وإنّ الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن أحد فليسرهنّ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً .

وهنا نظر رسول الله إلى قريش، إلى الذين ائتمروا به ليقتلوه، وعدّبوه في المواقع الكثيرة في بدر وأحد والخندق وفي المواطن الكثيرة، ولو استطاعوا أن يمزقوه إرباً إرباً لفعلوا. نظر رسول الله إلى قريش وقد رأهم في قبضته وتحت يده، أمره نافذ في رقابهم، وحياتهم معلقة بين شفّتيه، وحوله ألوف مدججة بالسلاح لو أمرها أن تبيد مكة وأهلها في رجع البصر لفعلت، ولكنه سيدنا محمد، لكنه النبي، لكنه رسول الله ليس بجبار ولا متكبر ولا حاقد ومن أولى بالعفو من سيدنا محمد ، يقدر فعفاً، وهو فوق الحقد وفوق الانتقام وفوق كل إنسان، قال:

- يا معشر قريش ما ترون أبي فاعل بكم.

قالوا: خيراً ! أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

حبيبي رسول الله، يا أبا القاسم:

أتمثل الذكرى فيلمح خاطري	فيها بشير النصر للأحرار
يوم تحرر فيه بيت الله من	نصب ومن كفر ومن كفار
وهوت به الأصنام حائرة القوى	وعنت لتوحيد العلي الباري
سجدت ملائكة السماء لآدم	ليسجد الإنسان للأحجار
إني تحدّيت السموات العلى	بجميع ماضت من الأقدار
إن كان فيها مثل نور محمد	أو شبهه في رفعة المقدار
لو تحسد الفردوس يوماً بقعةً	حسدت مكاناً فاز بالمختار

أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن
يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٣٨)

على هامش فتح الفتوح

الحمد لله الذي عمت رحمته كل شيء ووسعت، وتمت نعمته على العباد وعظمت، ملك ذلت لعزته الرقاب وخضعت، وهابت لسلطوته الملوك وخشعت. كريم تعلقت برحمته قلوب الراجين فطمعت، بصير بعباده يعلم ما أكنّت الصدور وأودعت. نحمده على نعم توالى علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من النار يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيماً وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما ابتهلت وفود الرحمن في المشاعر ودعت. وسلم تسليماً.

أما بعد: فالظلم مهما طال وامتدّ أمدّه فنهايته إلى زوال، والغلبة دائماً للحق ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾. وقد قيل:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً	فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تمام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقد ضرب الله لنا مثلاً في ذلك كفار قريش الذين حاربوا الإسلام ظلماً وعدوان، وجحدوا الحق واستيقنته نفوسهم، صدّت عن سبيل الله، وهنا قال ربّ العزة كلمته ونمّد للظالمين مدّاً ومدّ الله لهم عشرين سنة، وهاهي صفحة الجاهلية تطوى، ويطوي

معها عاداتها وتقاليدها لتدفن في غياهب الماضي الذي أدبر، ولم يُبقي رسول الله من عادات قريش إلا سدانة البيت لبني شيبه وإلا سقاية الحجيج لعمة العباس بن عبد المطلب ﷺ .

إخوة الإيمان : سارت قريش في ركب الإيمان تباع رسول الله وتدخل في دين الله أفواجاً، وعفا رسول الله ﷺ عن أعدائه جميعاً إلا بضعة عشر رجلاً وامرأة أمر بقتلهم، وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة ؛ منهم من آمن ثم ارتد عن دينه، ومنهم من قتل مسلماً غيلة، ومنهم من كان يهجوهم، ومنهم من تعرض للسيدة زينب بنت سيدنا النبي حتى أسقطت جنينها. ولكن رغم فداحة الجرم المرتكب كان إذا جاء أحد من هؤلاء تائباً مسلماً عفا عنه وغفر له ﷺ .

منهم عكرمة بن أبي جهل الذي حاول الفرار إلى اليمن، وهمّ بركوب البحر لولا امرأته المسلمة أم حكيم بنت الحارث استأمنت له سيدنا النبي ثم جاءت زوجها قائلة: جئتك من عند أبر الناس وخيرهم، لا تهلك نفسك، وإني استأمنتك لك، فرجع معها، وما أن رآه رسول الله حتى وثب فرحاً به وقال:

- مرحباً بمن جاءنا مسلماً مهاجراً، وراح عكرمة يستغفر ويتوب إلى الله تعالى من عداوته السابقة للإسلام وحسن إسلامه، وكان الصحابة يسبون أباه أبا جهل أمامه فيتأذى، فنهاهم رسول الله قائلاً : « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » .

ياعباد الله : من كان يتخيل أن عكرمة بن أبي جهل على ما كان من كفره وعناده سيبلغ به الأمر أن يجاهد جيش الروم على باب حمص ، وهو يقول : . قاتلت في الجاهلية عن الأصنام وأقاتل اليوم في طاعة الملك العلام .

ثم يلقي بمهجته بين الحراب والأسنة حتى تفتح لروحه أبواب الجنة .

والثاني: وحشي بن حرب قاتل سيدنا حمزة، عزم على الفرار إلى الشام أو اليمن، ففعل له:

- إن النبي لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه.

فخرج حتى قدم على رسول الله بالمدينة، فقال له: أوحشي أنت؟ قال: نعم، ولولا آية أنزلت عليك لأسلمت، فقال: وما هي؟ قال:

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، ولا يزنون..﴾ وأنا قد أشركت وقتلت وزنيت.

فسكت رسول الله فأنزل ربّ العزة:

﴿إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ .

فقال وحشي: قد تبت وآمنت ولم أعمل عملاً صالحاً.

فأنزل ربّ العزة: ﴿إِنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

فقال وحشي: فإن كنت ممن لا يشاء؟.

فأنزل ربّ العزة:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إِنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً إِنَّه هو الغفور الرحيم﴾ .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتب علينا يا تواب.

أعلن وحشي إسلامه، وهنا قال له رسول الله ﷺ : غيب عني وجهك فلا أرينك، ففعل وحشي وغاب عن ناظره حتى لا يذكره بمقتل عمه حمزة، لكنه احتفظ بحربته ليوم يعز الله فيه الإسلام على يديه.

وأما الثالث : فكعب بن زهير الشاعر ابن الشاعر، كان ينشد شعراً في هجاء سيدنا النبي، فأسلم أخوه بجير، وجاء به بعد أن اعتنق الإسلام، واحتسمى بسيدنا الصديق فجاء به إلى حضرة سيدنا النبي ووقف بين يديه وقال له: يا رسول الله هذا رجل جاء يبائعك، فعرفه سيدنا النبي وعفا عنه وأراه سماحة الإسلام، فوقف كعب بن زهير أمام الصحابة يلقي قصيدة طويلة جميلة منها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يُفدَ مكبول
كلّ ابن أنثى وإن طالت سلامته	يوماً على آلهٍ حذاء محمول
أنبتُ أنّ رسول الله أوعدي	والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ	قرآن فيها مواعظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم	أذنّب ولو كثرت عني الأقاويل
إنّ الرسول لنور يستضاء به	مهتد من سيوف الله مسلول

وهنا سرّ رسول الله ﷺ سروراً عظيماً ، فقام وخلع بردته أو عباءته التي كان يرتديها وأعطاه لكعب سروراً بما وصفه به رضي الله عنه^(٧) .

وسميت هذه القصيدة بالبردة لأجل ذلك.

وهكذا - أيها الاخوة- نرى سيدنا النبي لا يستطع أن يهدر دم إنسان عظمت جرائمه ثم يأتيه مسلماً تائباً إلا عفا عنه لأنّ ربّ العزة قد وصفه بقوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ولهذا رأيناه يعفو عن عبد الله بن أبي السرح ، هذا الصحابي الذي علا مقامه في الإسلام حتى أصبح قائداً على ميمنة جيش سيدنا عمرو بن العاص ثم تولى صعيد مصر بل مصر كلها في خلافة سيدنا عثمان ثم نراه

(٧) طلب سيدنا معاوية شراء هذه البردة بعشرة آلاف درهم فأبى كعب أن يبيعها، فلما مات كعب اشتراها من أولاده بعشرين ألف درهم. قيل وهي البردة التي عند السلاطين (الزرقاني على المواهب ٣ / ٧٠).

يفتح أفريقيا حتى أسلم أنفاس الحياة وهو يسلم من الصلاة ، فما أن قال السلام عليكم ورحمة الله حتى فاضت روحه إلى الله تعالى .

وراح رسول الله يطوف بالبيت وخلفه الصحابة مع بعض من أسلم حديثاً أمثال فضالة بن عمير .

معشر الإخوة الكرام: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى المسجد الحرام، إلى جوار الكعبة المشرفة، وأرى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود يطوف بالبيت وخلفه الصحابة وخلفه فضالة بن عمير، فجاء خاطر لفضالة أن يهجم بقتل سيدنا رسول الله، فلما دنا من سيدنا النبي التفت عليه رسول الله فقال:

- أي فضالة؟ قال: نعم يا رسول الله؟ فقال: ماذا كنت تحدّث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله تعالى. فضحك سيدنا النبي ثم قال: استغفر الله. ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما أحدٌ من خلق الله شيء أحبّ إلي منه.

وأنتم -أيها الإخوة- ضعوا يديكم اليمنى على صدوركم وقولوا: يا ربّ اجعل حبك وحبّ نبيك أحبّ إلينا من كلّ شيء، وارزقنا اتّباعه على أحسن حال يا ربّ العالمين. وكان الصحابة إذا أسلم الواحد منهم حسنَ إسلامه وتَرَكَ المنكرات مباشرة، قال فضالة:

- فخرجت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها. (أي في الجاهلية) فقالت: هلم إلى الحديث - حديث الهوى والغرام - فقال:

- لا، ثم أنشأ يقول:

يأبي عليك الله والإسلام	قالت هلم إلى الحديث فقلت: لا
بالفتح يوم تكسّر الأصنام	لو ما رأيت محمداً وقبيله
والشرك يغشى وجهه الإظلام	لرأيت دين الله أضحى بيّناً

وهكذا- أيها الأحبة- يحول الإسلام حياة الإنسان حتى يصير إنساناً آخر، ولهذا كان من أثر عفو النبي الشامل عن أهل مكة، والعفو عن بعض من أهدر دماءهم أن دخل أهل مكة رجالاً ونساءً في دين الله تعالى أفواجاً ، لأن القبائل كانت ممتنعة عن الإسلام تنتظر قريشاً حتى تسلم، فلما دخل رسول الله مكة فاتحاً قالت القبائل: إنّ مكة لا يفتحها ملك جبار أو من يريد لها سوءاً إلا فعل الله به ما فعل بأصحاب الفيل، ويقولون لبعضهم: اتركوه وقومه فإنه إنّ ظهر عليهم فهو نبي صادق. فلما فتح الله لنبيه مكة وخضعت له قريش أقبلت القبائل تدخل في الإسلام أفواجاً أفواجاً .

وبث رسول الله سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة فكُسرت كلّها كالكالات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وراح مناديه ينادى ويقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره " وأرسل أصحابه إلى القبائل التي كانت حول الحرم فهدموا الأصنام جميعها.

وجاء سيدنا الصديق بأبيه يوم الفتح، وقد كُفَّ بصره، فلما رآه رسول الله ﷺ ، قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية ، فقال سيدنا الصديق: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت.

فأجلسه بين يديه فأعلن إسلامه، وبذلك أسلم كل أهل بيت الصديق جميعاً : أبويه وزوجه وأولاده رضي الله عنهم.

لكنّ نفرًا من كبار قريش منهم الحارث بن هشام وعُتّاب بن أسيد، وكانا مع أبي سفيان رفضوا أن يؤمنوا حتى يروا آية على صدق رسول الله، وكانوا جلوساً بفناء الكعبة، وحين صعد بلال فوق ظهر الكعبة قال عتاب:

- لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام:

- أما والله لو كنت أعلم أنه محق لاتبعته.

فقال أبو سفيان:- لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فطلع عليهم سيدنا النبي ﷺ فقال:- قد علمت الذي قلتم، ثم ذكره لهم.

فقال: الحارث وعتاب: نشهد أنك لرسول الله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك. وهكذا أعلننا إسلامهما واستسلامهما للإسلام.

معشر الإخوة: أقام رسول الله في مكة ثمانية عشر يوماً، كان يقصر في الصلاة ويفطر لأنه كان على سفر ولم يرد الإقامة، وكان إذا صلى، وصلى خلفه أصحابه وأهل مكة قال: يا أهل مكة صلوا أربعاً فإنا سَفَر. فبلغه أن بعض حلفائه اعتدوا على رجل مشرك فقتلوه ثأراً لرجل قتل في الجاهلية، فغضب وقام بين الناس خطيباً فقال:

أيها الناس: "إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يُعضدَ- يقطع- فيها شجرةً، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحلّ لأحد يكون بعدي، ولم تحلّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب".

ثم أمر بدفع دية القتيل.

فالبلد الحرام- أيها الاخوة- يحرم القتال فيه، ويحرم الصيد فيه، أو قطع شيء من نباته، ويحرم دخوله لغير المسلمين، ولا يدخل المسلم حرم مكة إلا بإحرام في العمرة أو الحج إذا كان ممن لا يتكرر دخوله كالتجار والخطابين وأمثالهما وجاز عند الشافعية دخوله بدون إحرام إذا كان لعمل أراد فيه .

إخوتي في الله : بهذا الفتح المبين سقطت دولة الأصنام والهيكل، وأصبحت الكعبة منارة التوحيد، وانتهى عهد الهجرة التي كانت واجبة من مكة قبل الفتح بعد أن أعزّ الله الإسلام، وثبتت أركانه ودعائمه، وأما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فهي باقية إلى يوم القيامة.

وشعر الأنصار أن سيدنا النبي سيبقى في مكة ، وأنه أدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته.

فقال بعضهم لبعض ذلك فنبأه العليم الخبير بما قالوا. فأتاهم فقال:

- يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله. قال: قلتُم أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته قالوا: قد كان ذلك.

قال: كلا ، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والحيا محياكم والممات مماتكم.

فأقبلوا جميعاً ليكون ويقولون: والله ما قلنا إلا ضناً بالله ورسوله (م).

وهنا عيّن سيدنا النبي أميراً على مكة عتّاب بن أسيد، وكان سنه عشرين سنة، وغادر مكة مع أصحابه الكرام.

أيها الإخوة: كان الفتح رحمة لقريش ولمن حولها من القبائل، كما قال ربّ العزة: (فتحاً مبيناً) وعزّاً لله ولرسوله وللمؤمنين ، عزّاً هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ، وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (٣٩)

غزوة حنين

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من أغضبه وآسفه، المتوحد في قهره، المنفرد بعز أمره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، ويّأه من كلّ دنس وعيب.

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها، وأنزلهم يامولاي من منازل الكرامة أعلاها، وسلّم تسليمًا.

أما بعد: فيا أيها الإخوة:

غادر النبي الكريم مكة المكرمة بعد أن فتح الله تعالى عليه هذا الفتح المبين، غادرها لا إلى المدينة المنورة بل إلى حنين، حيث تناهى إلى سمعه أنّ مالك بن عوف النصري قد جمع قبائل من هوازن وثقيف وغيرهما خوفاً من سيدنا النبي ﷺ أن يقتحم عليه دياره، فأراد النبي الكريم أن يرّد على العرب آخر سهم تريد رميه على الإسلام، فأمر أصحابه وقد بلغوا اثنا عشر ألفاً أن يتجهوا إلى حنين لمقاتلة هذه القبائل في شوال من السنة الثامنة للهجرة الموافق لعام ٦٣٠ م، واستعار دروعاً من أحد المشركين ليدعم فيها المقاتلين المسلمين.

وسارت كلّ قبيلة تحت رايتها وعلمها، وكلهم إعجاباً بهذه الكثرة التي لم تشهدا العرب من قبل، حتى قال قائلهم: إننا لن نُغلب اليوم من قلة.

وفي الطريق مرّ السيد الأعظم وصحبه الكرام بشجرة عظيمة يقال لها: ذات أنواط يدّبح لها أهل الشرك ويعكفون عليها، فتذكر بعض المسلمين جاهليتهم التي هجروها فقال بعضهم للنبي الكريم: - اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال: الله أكبر فلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون﴾ ، لتكبر سنن من كان قبلكم.

وبلغوا مكاناً يسمى حنيناً، والليل بدأ يرخي سدوله فباتوا ليلتهم، وما أن بدأ الفجر يطلع حتى بلغ النبي الكريم أن القبائل المتجمعة قد جاءت برجالها ونسائها وأطفالها وأموالها للحرب، فقال النبي الكريم: تلك غنيمتنا غداً إن شاء الله تعالى.

وأمر النبي الكريم بالمسير فركب بغلته، وما أن انحط في الوادي، واستقر الجيش به حتى رأوا جيشاً عظيماً قد شدَّ عليهم من مضايق الوادي وقمم حنين ففاجأ المقاتلين على حين غرة من سيرهم بالوادي، وراحوا يقذفونهم بالنبال، والوقت في عماية الصبح فاضطرب أمر بعض الجيش من المسلمين الذين أسلموا حديثاً، وأخذ الخوف والفرع من قلوبهم فأدبروا، فأدبر أكثر الجيش عن المعركة وتفرق شملهم.

وهنا بدأت تظهر الشماتة في صفوف من أسلم حديثاً، ورأى أبو سفيان بن حرب ما حل بالجيش الذي انتصر بالأمس فقال وهو يبتسم: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. وقال شيبة بن عثمان (وكان أبوه قد قتل يوم أحد) : اليوم أدرك ثأري من محمد.

وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم.

كل ذلك والجيش يضطرب ويهوج ويموج من هول المفاجأة، يفرُّ ويترك أرض المعركة رغم كثرتة الكاثرة، ولسان حال كل منهم يقول: ترى هل تخلص ربُّ العزة عن نبيه وترك نصره إياه؟ أليس قد وعده بالنصر في المواقع.

إخوة الإيمان :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك، فالخطب جلل والأمر عسير ، ولا ندرى ماذا فعل رسول الله.

ها هو القائد الأعظم وقد رأى ما حلَّ بالجيش على أرض المعركة وأدهشه ذلك، فأراد أن يعلم الصحابة درساً في الصبر في ساحات الوغى ، فاستقبل النبي الكريم الأعداء، وثبت في أرض المعركة ، وأحاط به جماعة من آل البيت ومن المهاجرين والأنصار، وهم يستقبلون الأعداء انقضوا كالصاعقة يظنون أنهم سيقضون عليهم في

لمحات خاطفة، لكنهم دهشوا حينما اصطدموا في المعركة برجال كأطواد الجبال، وراح بعضهم يتراجع حينما رأوا القيادة ثابتة الأركان راسخة العزائم.

أيها السادة : أرى الآن أمامي الحبيب الأعظم في قلب المعركة وابن عمه الحارث بن عبد المطلب ماسك بخنطام الناقة ، والعباس بجواره يصلون على الأعداء، إنني أرى الحبيب الأعظم غير هيَّاب ولا وَّجِل ، ينادي بأعلى صوته:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

أنا النبي لقد وعدني الله بالنصر ولا أكذب عليكم ، فعودوا إلى أرض المعركة ، أنا ابن زعيمكم عبد المطلب ، وأمر النبي الكريم عمه العباس أن ينادي بصوته العالي:

يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، يا للأنصار يا للمهاجرين..

أثارت هذه الكلمات نفوس الصحابة وبعثت في قلوبهم حب الوفاء بالعهد، ورأوا النبي الكريم ثابتاً مع بعض الصحابة، فعادوا جميعاً مندفعين نحوه: لبيك لبيك يا رسول الله. وناذى فيهم: من قتل قتيلاً فله سلبه.

وراح رسول الله يلتجئ إلى ربه عزَّ وجل:

اللهم نصرك، اللهم إن تشأ لا تعبد في الأرض بعد اليوم. يا حي يا قيوم.

ونزل المدد من السماء، ملائكة يؤيدهم ربُّ الأرض والسماء، واشتدَّت رحي الحرب، وبدت المعركة حامية الوطيس. فقال النبي الكريم: الآن حمي الوطيس. فأخذ قبضة من تراب فرمى بهنَّ وجوه الكفار ثم قال: انهزموا وربَّ محمد. فما خلق الله منهم أحداً إلا ملئت عينه تراباً من تلك القبضة.

وألقي الله في قلوبهم الرعب، وولوا مدبرين يتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون.

وفرَّ مالك ومن معه إلى الطائف ، وتحصَّنوا بها وتركوا نساءهم وأطفالهم وأموالهم، فما رجع الناس إلا والأسرى بين يدي رسول الله ﷺ.

ورأى رسول الله امرأةً مقتولة، قتلها سيدنا خالد بن الوليد، فنادى: الحقوا خالداً وقولوا له: - لا يقتلن وليداً ولا امرأة ولا أجيالاً.

وأمر رسول الله الصحابة أن يتابعوا فلول المنهزمين، لكنهم تحصنوا بالطائف، فأمر بحصارها بضعة عشر ليلة ، وهم يحاولون اقتحام أسوارها ولكن بدون جدوى، فاستعمل المنجنيق والدبابات الهجومية وحاولوا نقب الحصن فلم يفلحوا، فبدأ له عليه الصلاة والسلام أن يترك الحصن حرصاً على الدماء وخاصة بعد غزوة حنين، وقد كان من نتائجها فناء قبيلتين من المسلمين أو كادت تفنيان، وقد أصاب التعب المسلمين، ولعل الله تعالى أن يأتي بهم مؤمنين مهتدين فأمر الصحابة بالانسحاب. فقال أحدهم: يا رسول الله لقد آذونا وقتلونا منا، فادع الله عليهم. فقال الرؤوف الرحيم: اللهم اهد ثقيفاً واكفنا مؤنتهم.

إخوتي في الله :

هذا هو الدرس الثاني بعد مؤتة ، عنوان هذا الدرس ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ إنَّ الله عزيز حكيم ﴿﴾ إننا نذكر من عهد قريب درس بدر والخذق ومؤتة حينما كان العدو أضعافاً مضاعفة عن المسلمين، ومع ذلك كان النصر فيها للمسلمين، ونحن اليوم نشاهد درساً آخر، ولكن اليوم عدد المسلمين اثني عشر ألف مقاتل . النصر ليس بكثرة العدد والعدة، إنَّ النصر من عند الله تعالى، وفي هذا يقول مولانا عز وجل: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾.

إننا لا نقاتل بكثرة ولا عدد ولا قوة بل نقاتل بهذا الدين، إننا أقوىاء بقدر تمسكنا بديننا وعقيدتنا، إننا أقوىاء بالله، لذلك كرّر ربُّ العزة هذا في كتابه مرتين.

مرة في سورة آل عمران، ومرة في سورة الأنفال، وهو في كلّ مرة يقول لنا:

﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ إنَّ الله عزيز حكيم ﴿﴾. فاعتبروا أيها الناس، وخذوا العبرة ممن كان قبلكم، وقد قيل: من

جَرَّبَ المِجْرَبَ كَانَ عَقْلُهُ مَخْرَبٌ، وَكَفَانَا تَخْبِطاً فِي الْحُرُوبِ مَعَ الْيَهُودِ ، وَهَلَمَّ بَنَا نَعْدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ ﴾.

أَيُّهَا السَّادَةُ : وَقَدْ وَفَدَ مِنْ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ أُنْبَاءِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَاخْتَارُوا أُنْبَاءَهُمْ فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ ﷺ، وَأَمَرَ الصَّحَابَةَ أَنْ مِنْ طَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ فَلْيَفْعَلْ فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ جَمِيعاً أُنْبَاءَهُمْ تَأْسِياً بِالْقَدْوَةِ الْحَسَنَةِ ﷺ.

وَعِنْدَمَا تَمَّ ذَلِكَ سَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ رُئُوسِهِمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فَقَالُوا: هُوَ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ . فَقَالَ : أَخْبِرُوهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مِئَةَ مِنْ الْإِبِلِ. فَلَمَّا بَلَغَ مَالِكُ الْخَبَرَ رَكِبَ حُفْيَةً عَنْ قَوْمِهِ وَأَتَى النَّبِيَّ الْكَرِيمَ مُسْلِماً تَائِباً فَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَأَهْلَهُ وَأَعْطَاهُ مِئَةَ مِنَ الْإِبِلِ، فَانْطَلَقَ لِسَانَ مَالِكِ بِالْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِذَلِكَ أَلْفَ قَلْبِهِ لِلْإِسْلَامِ وَجَعَلَهُ سَيْفَاً مِنْ سَيُوفِ الْحَقِّ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ.

وَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْغَنَائِمِ أَمَامَهُ وَقَدْ أَحْصِيَتْ يَوْمَئِذٍ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفاً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنَ الشَّاءِ ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أَوْقِيَّةً مِنَ الْفِضَّةِ، وَأَمَّا الْأَسْرَى فَبَلَغُوا سِتَّةَ آلَافٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا حَدِيثاً لِيَتَأَلَّفَهُمْ بِذَلِكَ، وَرَأَى أَنْ يُعْطِيَ بَعْضَ مَنْ لَمْ يَسْلَمْ لِيُحِبِّبَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ النَّفُوسِ عَبِيدُ الْإِحْسَانِ، وَلَقَدْ قِيلَ: جَبَلَتْ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَلِهَذَا أَمَرَ رَبُّ الْعِزَّةِ أَنْ يُعْطِيَ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ سَهْماً مِنَ الزَّكَاةِ، فَكَانَ كَثِيرُونَ مِمَّنْ لَمْ يَسْلَمْوْا صَارُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ كِبَارِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَأَعْطَى أَبَا سَفْيَانَ وَوَلَدَيْهِ مَعَاوِيَةَ وَيزِيدَ كِلاًّ مِنْهُمْ مِئَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى مِثْلَهَا لِلْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَعَيْنِيَةَ بْنَ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، وَسَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو، وَالْعَبَّاسَ بْنَ مَرْدَاسٍ، وَحَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ، وَكَانَ كُلُّمَا أُعْطِيَ حَكِيماً مِئَةَ مِنَ الْإِبِلِ اسْتِزَادَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ الْحَبِيبُ الْأَعْظَمُ:

« يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بَوْرَكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ».

فأثرت هذه الموعظة بنفس حكيم حتى قال:

- والذي بعثك بالحق لن آخذ من أحد بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا.

فكان بعد ذلك الصديق والفاروق يعرضان عليه العطاء فلا يأخذه رضي الله عنه. وأعطى النبي الكريم الأشراف ورؤساء القبائل يتألف به قلوبهم، ولم يدع لأحد منهم حاجة إلا قضاها، حتى أثار هذا العطاء بعض المنافقين فقال رجل منهم يقال له: ذو الخويصرة من بني تميم:- يا رسول الله اعدل.

فقال سيدنا النبي : - ويلك ومن يعدل إن لم أعدل، لقد خبت وخسرت إذا لم أعدل.

فطلب سيدنا الفاروق أن يضرب عنقه فقال النبي الأعظم ﷺ :- معاذ الله أن يتحدث الناس أيّ أقتل أصحابي، دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، وَيَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ.

وهكذا كانت سياسة النبي الشرعية كما قال هو: إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأَكِلُ قوماً إلى ما جعل الله من قلوبهم من الخير والغنى. ولأجل ذلك لم يعط أحداً من الأنصار ما أعطى بقية الناس، فقال قوم منهم حديثوا السن: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم.

فرأى سعد بن عبادة أن ينقل هذه المقالة إلى سيدنا النبي، فأمره أن يجمع قومه في مكان واحد وأتاهم.

معشر الإخوة :

ما زلنا في الجِعْرانة حيث اجتمع الأنصار بعد توزيع الغنائم ، وأنا أنقل لكم هذا الحوار الذي جرى على الموجة الإيمانية للأنصار، يقول الحبيب الأعظم:

- يا معشر الأنصار! ما قَالَةُ بلغتني عنكم ، وَجِدَّةٌ وجدتها في أنفسكم، ألم آتكم ضلّالاً فهذاكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟.

فقال الأنصار: - بلى ، الله ورسوله أمّن وأفضل.

فقال السيد الأعظم: ألا تجيئونني يا معشر الأنصار.

فقالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ، ولله ورسوله المنّ والفضل.

فقال السيد الأعظم: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدّقتم ولصدّقتم؟ أتيتنا مكذباً فصدّقناك ، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً قآويناك، وعائلاً فأسيناك.

فقالوا: المنّ لله ورسوله.

فقال النبي الأعظم: « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاةٍ - شيء يسير - من الدنيا تألّفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

وتأثر النبي الكريم، وفاض من قلبه الحب كلّ الحب لهؤلاء الذين بايعوه ونصروه واعتزّوا به وأعرّوه، وراحت كلماته العذبة تضرب على أوتار قلوب الأنصار وتهزّ المشاعر وتستولي على الوجدان، حتى أبكاهم جميعاً ، ونزل الدمع على لحاهم وقالوا:

رضينا بالله رباً وبرسوله قسماً.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

والشوق مني في هواك عظيم	روحي بحبّك في الضياء تهيم
في ذكره نور وفيه نعيم	والقلب مسرور بذكر محمد
النساء وما ناحت على الأيك الحمائم	صلى عليك الله يا علم الهدى ماهبت

وهكذا- أيها الاخوة- أرضى رسول الله جميع صحابته، فظهر من عدله وبعد نظره وحسن سياسته، ما مكنه لأن يعود بهذه الألوف من العرب وكلهم راضية نفوسهم مطمئنة قلوبهم، مستعدون أن يهبوا حياتهم في سبيل الله تعالى.

أيها الأحبة :

لما وجد النبي الكريم نفسه عند ميقات العمرة- الجِعْرَانَة- أحرم بالعمرة إلى مكة، وترك فيها معاذ بن جبل ليفقه الناس ، وعتّاب بن أُسيد أميراً على مكة.

وعاد هو والأنصار والمهاجرين قافلين إلى المدينة المنورة.

فريثما يصل رسول الله إلى هناك ، أدعوكم لتصلوا على النبي هنا ، وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم



الحلقة (٤٠)

غزوة تبوك

الحمد لله الذي نصر نبيه الكريم في جميع المواقع والمواطن الجهادية. وأيده بالمعجزات والآيات الربانية، وأنزل عليه مدداً من ملائكته النورانية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه الكريم:

﴿إِلا تنصروه قد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي لا تحصى نعوته الشريفة الفاخر ، ولا تعدّ ولا تحصى آياته المنيفة العاطر .

فإنَّ فضل رسول الله ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطق بفم

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه بدور الكواكب السائرة ، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فلم تكن ناحية من نواحي شبه الجزيرة العربية إلا بدأت تحسُّ سلطان الإسلام، ولم تحاول طائفة أو قبيلة أن تقاوم هذا السلطان إلا بعث إليها سيدنا النبي قوة تحملها على الإذعان للإسلام، بدفع الخراج والبقاء على دينها، أو أن تدخل في الإسلام وتدفع الزكاة، وازداد المسلمون إحساساً بسلطانهم في كلِّ ناحية، وقد استتب الأمن في ربوع الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها وقد بلغت الغزوات حتى الآن ستاً

وعشرين غزوة وستين سرية، حتى تناهى إلى سمع النبي نبأ يؤكد أنّ الروم تهيئ جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية لينسي الناس انسحاب المسلمين الماضي في مؤتة، وينسي الناس ذكر العرب وسُلطان المسلمين الذي أصبح ينافس سلطان الروم والفرس، فلم يتردد رسول الله هنيهة في تقرير مواجهة قوى البغي والعدوان والقضاء عليها بإذن الله تعالى، فقد كان من سياسته الحكيمة إذا علم أنّ قوماً هموا بغزوه أن يبادئهم قبل أن يغزوه، وكان الوقت صيفاً وقد طابت ثمار المدينة، وكان المسير في الصحارى إرهاقاً وقتلاً، لطول المسافة بين المدينة وحدود الجزيرة في تبوك حيث تجمع الروم، إذ تبلغ ٧٧٨ كم، فكان لابدّ لسيدنا النبي أن يخبر الناس بوجهته حتى يتهيؤوا ويهيؤوا الزاد والماء لأجل ذلك، رغم أنه كان لا يعلن عن وجهته لأية غزوة غزاها حتى يفاجئ العدو.

وهكذا أمر سيدنا النبي ولأول مرة كل قادر على كل السلاح أن يتهيأ لمحاربة العدو، وبذلك طبق ولأول مرة مبدأ الحرب الشاملة، فاستنفر أهل المدينة وما حولها، وأهل مكة وما جاورها، واستنفر الأعراب الضارين في الجزيرة ممن أسلموا.

ولجى النداء أهل الإيمان الممتلئة قلوبهم هدىً ونوراً فسارعوا إلى تجهيز دوابهم وعتادهم، ولم يتخلف إلا النذر اليسير وهم الذين آمنوا رغباً ورهباً، فتشاقلوا وبدأوا يلتمسون الأعذار ويهزؤون فيما بينهم بهذه الدعوة الموجهة إليهم خاصة في هذا الجو المحرق، والبعد المهلك، هؤلاء هم المنافقون الذين نزلت في حقهم سورة التوبة، وفيها التخويف من عذاب الله يصيب من تخلف عن إجابة رسوله ﷺ: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبَكُم عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفَرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

وتناهى إلى سمع النبي الكريم أن داراً ليهودي تشبّط فيها العزائم، ويجلس فيها المنافقون يدعون إلى التخاذل والتخلف عن الجهاد ويقولون: "يغزو محمد بني الأصفر- الروم- مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب، ولكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الحبال".

فبعث النبي الكريم إلى هؤلاء المنافقين طلحة بن عبيد الله في نفر من الصحابة فحرّق عليهم هذه الدار وكاد من فيها يحترقون لولا هروئهم، ولكنه كان درساً بالغاً للمنافقين فلم يجرؤ أحد منهم أن يفعل مثل فعلهم ثانية.

إخوة الإيمان :

راح النبي الكريم يحثُّ أهل اليسار على النفقة في سبيل الله تعالى ويقول: « من جهّز جيش العسرة فله الجنة » .

وأقبل ذوو اليسار الأغنياء ينفقون النفقة العظيمة لتجهيز الجيش الذي أطلق عليه الحبيب الأعظم اسم "جيش العسرة" فأنفق سيدنا عثمان بن عفان ألف دينار وجهز "ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدّها ، وحين ألقى الألف دينار في حجر سيدنا النبي قال لأصحابه: ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم ، ثم رفع كفيه إلى الله تعالى وقال:

اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض.

وراح سيدنا عمر يريد أن يسابق الصديق بالنفقة فقال الآن أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فذهب واحضر نصف ماله، فقال له رسول الله: ما أبقيت لأهلك، فقال: أبقيت مثله.

وهنا شاهد سيدنا عمر سيدنا الصديق وقد أتى بكلّ ما عنده من مال، فقال له سيدنا النبي: ما أبقيت لأهلك. فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، وهنا أعلن سيدنا عمر أنه لن يسابق الصديق إلى شيء بعد الآن أبداً.

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمئة أوقية ذهباً، وجاء العباس وطلحة بمال كثير، وبعثت النساء ما استطعن من الحلي، وأنفق كل رجل في حدود طاقته.

وتقدم القادرون على القتال فزودهم رسول الله بعدة القتال، واعتذر إلى أناس فقال لهم: - لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فسموا بالبكائين، وتخلف أناس آخرون، فكان المتخلفون في غزوة تبوك أربعة أقسام:

١ . مأمورون مأجورون كسيدنا علي بن أبي طالب الذي خلفه رسول الله على أهله فقال له: أتخلفني في النساء والصبيان فقال له: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فرضي سيدنا علي ، وخلف محمد بن مسلمة الأنصاري أميراً على المدينة، وخلف ابن أم مكتوم الأعمى.

٢ - ومعذرون وهم الضعفاء والمرضى والمقفلون، وهم البكاؤون الذين قال فيهم الحبيب الأعظم: « إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم ميلاً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ » . قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر » .

٣ - وأما القسم الثالث فهم العصاة المذنبون وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

٤ - وملومون مذمومون: وهم المنافقون.

ورغم ذلك كله فقد اجتمع جيش عظيم فوق الثلاثين ألفاً من المسلمين تحت قيادة القائد الأعظم للقوات الإسلامية سيدنا محمد صلوات الله تعالى وسلاماته عليه وعلى آله وأصحابه، وجاء عبد الله بن أبي حقيق المنافقين بجيش من المنافقين فردهم رسول الله لأنه كان ضعيف الثقة به وبصحبة إيمانه.

يا أهل الإيمان : لو رأيتم هذا المنظر الهائل ، كان منظر الجيش يأخذ بالألباب ويشد الإيمان على قلوب المسلمين وهنا أعطى النبي الكريم إشارة التحرك في رجب من السنة التاسعة للهجرة، وثار النقع والغبار وسمع صهيل الخيل عالياً ، وارتقت النساء سقوف الدور لترى جيش الإيمان ينطلق راضياً بما سيصيبه في سبيل الله تعالى في هذه الصحراء المترامية ، ليواجه عدواً انتصر على الفرس في معاركه القتالية.

إخوتي في الله :

ترك النبي الكريم وراءه الذين تخلفوا عن الجيش مع القدرة على القتال، فلما انطلق الجيش تحركت مروءة بعض من تخلف، من هؤلاء أبو خيثمة الذي قدم إلى داره فوجد امرأته قد رشّت كل واحدة منهما عريشاً وبرّدت الماء وهيأت الطعام، فلما رأى ذلك قال: رسول الله في الحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم. هيئ لي زاداً حتى ألحق برسول الله. فلحق أبو خيثمة برسول الله في تبوك فقال الصحابة: هذا راكب على الطريق فقال رسول الله: كن أبا خيثمة. فقالوا هو والله أبو خيثمة يا رسول الله.

معشر السادة :

أريد أن أضعكم في صورة الموقف حتى تقدروا هذا الحدث الهام في تاريخ الإسلام، فالعرب قاطبة كانوا يخافون أن يغزوهم الروم في عقر ديارهم، وكانوا يرون أنفسهم أصغر بكثير من أن يقوموا هم بغزو الروم وكان الروم، قد انتصروا قبل سنتين على الفرس انتصاراً عظيماً لا مثيل له، وأما اليوم فإن المسلمين وأكثرهم من العرب يقومون ولأول مرة في التاريخ بغزو الروم، هذه الدولة العظيمة التي تعد كأمريكا اليوم، لذلك كان امتحاناً عظيماً على المسلمين غزو الروم لقلة الماء والطعام، وكان الرجال الثلاثة يتعاقبون على حمل واحد طوال الطريق، وأصاب الناس مجاعة فاستأذنوا أن يذبحوا بعض إبلهم فقال سيدنا عمر يا رسول الله بل أرى أن يأتوا بفضل أزوادهم ثم تدعو لهم بالبركة. فأمر النبي الكريم فجاء الناس بفضل أزوادهم، هذا يأتي بكف ذرة، وآخر

بكف تمر، وآخر بكسرة خبز حتى تجتمع طعام يسير، فدعا رسول الله بالبركة ثم قال لهم:

- خذوا في أوعيتكم.

فأخذوا حتى ما تركوا وعاءً إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت منه فضله. فقال رسول الله : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبداً غير شاك فتحجب عنه الجنة.

أيها الأحبة :

لما وصل رسول الله والصحابة إلى منتصف الطريق مر بمدائن صالح، وبها أطلال لقوم ثمود العصاة، الذين غضب الله عليهم وأنزل عليهم عذابه الشديد، هنالك أمر رسول الله أصحابه بالإسراع بالمشي بجوارها وغطى وجهه وتقنع بردائه وقال:

- إنكم بواد ملعون، لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين فيصيبكم ما أصابهم، ولا تشربوا من مائها ولا تستقوا من بئرها. وأمرهم أن يجاوزوها لينزلوا على بئر ناقة صالح فيستقوا منها.

فعجن أحدهم عجينه من مائها، فأمر رسول الله بإلقائه وإطعامه للدواب.

وسار الجيش تجاه تبوك، وعطش الناس عطشاً شديداً، فدعا رسول الله مولانا عز وجل فأنزل رب العزة عليهم مطراً فارتووا منه جميعاً ببركة دعاء سيدنا النبي ﷺ .

معشرة الإخوة :

وبلغ الروم انطلاق جيش المسلمين وعدد قوته، ورغم أن قوتهم الضاربة قد بلغت أربعين ألف مقاتل، فقد آثروا الانسحاب بجيشهم إلى داخل بلاد الشام، فلما وصل السيد الأعظم تبوك وعلم الخبر لم ير مجالاً لتتبعهم داخل بلادهم، ومكث عشرين يوماً يرسل أمراء الحدود فراسل صاحب العقبة، فجاء إلى رسول الله مدعياً للإسلام وعلى

صدره صليب من ذهب فقدم الهدايا والطاعة وصالح على دفع الجزية، وفعل مثل فعله عدة أمراء قرى ومدن، وكتب لهم رسول الله عهد وأمان، وبذلك حمى رسول الله حدود الجزيرة الشمالية ضد أي غزو من الروم أو الفرس.

وفي تبوك- أيها الإخوة- قل الماء في عين الماء، فأخبر النبي بذلك، فجاء فأخذ بيده الشريفة ماءً منها فمضمض بها فاه ثم بصقه في العين ففارت حتى امتلأت ، فهي كذلك إلى يومنا هذا - صلوا عليه.

معشر السادة : وقبل أن يعود رسول الله إلى المدينة المنورة أرسل سيدنا خالد بن الوليد على رأس خمسمئة فارس إلى أمير دومة الجندل وقال له: إنك ستجده يصيد البقر، فوجده كما قال ﷺ فأسره وقتل أخاه، وأخذ قباءً كان عليه مخصوصاً بالذهب وأرسله إلى رسول الله قبل مجيئه إليه. فلما رآه الصحابة راحوا يلمسونه ويتعجبون منه، فقال لهم رسول الله: أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.

وجاء سيدنا خالد يسوق الغنائم ومعها أكيدر صاحب دومة الجندل أسيراً فعرض عليه النبي الإسلام فأسلم وأصبح حليفاً له.

وفي طريق العودة إلى المدينة المنورة رأى رسول الله المدينة من بعيد وهو بجوار جبل أحد قال:

- هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه.

واهتز الجبل طرباً وحباً برسول الله ﷺ وكان بجواره سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان فقال له: - اثبت أحد فإنّ فوقك نبياً وصديقاً وشهيدين.

وما أن دخل رسول الله ﷺ المدينة حتى استقبله الناس وهم يرددون:

طلع البدر علينا.. من ثنيات الوداع.. وجب الشكر علينا.. ما دعا لله داع .

وجاء الذين تخلفوا عن الغزوة يعتذرون وأكثرهم يخلق الكذب، وأعرض عنهم رسول الله تاركاً حسابهم على الله تعالى ، إلا ثلاثة صدقوا الله ورسوله واعترفوا بتقصيرهم فأمر النبي الكريم بهؤلاء الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية أن يعرض عنهم المسلمون حتى إشعار آخر، لا يكلمهم أحد ولا تتصل بينهم وبين مسلم تجارة. وذهب الثلاثة مذهولين كأنما أصابهم صاعقة أو نازلة فانعزلوا عن الناس كالبعير الأجرب.

أيها الأحبة والصحب : أنتقل بكم إلى هناك إلى سطح بيت كعب بن مالك، وأراه يذكر الله تعالى وقد ضاقت عليه نفسه، وضافت عليه الأرض بما رحبت ، وقد فارقه الناس حتى زوجته فارقتة إلى بيت أهلها وهو على ذلك خمسين يوماً إذ سمع منادياً من أعلى جبل سلع يناديه: - يا كعب بن مالك أبشر.

فخر سيدنا كعب ساجداً سجود الشكر، وعرف أن قد جاءه فرج الله تعالى، وما أن جاءه البشير حتى خلع ثوبيه فكساهما إياه. ثم استعار ثوبين وانطلق إلى سيدنا رسول الله ﷺ فتلقاه الناس يهنئونه بالتوبة فقال له رسول الله ﷺ ووجهه طافح بالسرور:

- أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك.

قال كعب: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله.

قال: لا، بل من عند الله. وتلا عليه قول ربّ العزة في حقه وحق صاحبيه:

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾.

﴿وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضافت عليهم أنفسهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التواب الرحيم﴾.

وهنا قال كعب: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله
ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.

فقال كعب: يا رسول الله إنما نجاني الصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً
مابقيت.

وأنزل الله تعالى هناك: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ .

كونوا مع الصادقين هنا وهناك ، هنا في مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه
أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ﷺ ، وتحيتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام
عليك..

صلى الله
عليه وسلم

الحلقة (٤١)

آية النصر عام الوفود

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويمًا، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً. وجعلنا من أهله
تعلماً وتعليماً، حمد من عظمته رحمته وأفضاله، وغمرته أعطيته ونواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أستزيد بها وفور نعمه،
وأسترفد بها وفور كرمه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله الذي جمع بمبعثه شمل الحق بعد تفرقه، وقمع برسالته حزب الباطل بعد تطوقه.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعهم الذين سلكوا
طريق سننه وصوابه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيقول مولانا عز وجل: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي
اَثْنِينَ إِذْ هَمَّ فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ
وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

معشر الإخوة :

متى ولماذا؟ متى نزلت هذه الآية ولماذا؟.

وقد علّقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية وهو ما أثر غزوة تبوك على القبائل التي لم تسلم في الجزيرة العربية؟. وهكذا الأسئلة أسألها واستمد العون من مولانا عزل وجل في الإجابة عنها .

أيها الإخوة: هذه الآية التي صدرت بها حديثي معكم تسمى آية الهجرة، والسؤال الأول هو: متى نزلت؟ وأقول : نزلت في السنة التاسعة للهجرة .

والسؤال الثاني : لماذا تأخر نزول هذه الآية إلى ما بعد تسع سنوات من حادث الهجرة، وللجواب عن هذا السؤال أقول:

لأن الله تعالى أراد أن يعلم الناس أنه نصر نبيه الكريم في جميع الغزوات والسرايا التي خاضها الحبيب الأعظم ، وقد أنزلها بعد آخر غزوة وهي غزوة تبوك ورقمها ٢٧ في الغزوات، ففي سبع وعشرين غزوة وستين سرية كان النصر فيها للمسلمين تحت قيادة القائد الأعلى للقوات الإسلامية.

ولو نزلت هذه الآية بعد حادث الهجرة لقلنا إن الله تعالى نصر نبيه فقط في الهجرة من مكة إلى المدينة. أما وقد نزلت بعد جميع الغزوات والسرايا فلكي تفهم يا أخي أن مولانا عز وجل قد نصر نبيه الكريم في كل معركة خاضها ولم يهزم في معركة واحدة حتى في أحد كان رسول الله منصوراً.

إخوة الإيمان : كان هذا هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل.

تعالوا بنا نسأل هذا السؤال:

متى تتحقق الهزيمة؟.

متى يقال عن الجيش إنه قد انهزم؟.

متى يقال عن الدولة إنها قد انهزمت؟.

يحكم على الدولة أنها انهزمت بثلاثة أشياء أو بأحد ثلاثة أشياء:

الشيء الأول: إذا اغتصبت الأرض كما حدث في حرب العرب مع اليهود في ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧، إذا أخذ العدو من عدوه أرضاً حكم على الدولة بالهزيمة.

وأما في أحد فقد ظلت المدينة المنورة كما هي، بل إن المعركة دارت خارج المدينة عند جبل أحد على بعد ميل، هل تأثرت حدود المدينة المنورة فأخذ أبو سفيان وجيشه شبراً واحداً، لا، أما يوم النكسة فقد أخذوا سيناء والجلولان والضفة الغربية.

وإنني أذكر أن بعض المنافقين يومها أخذوا يطيبون خاطر بعضهم بعضاً ويقولون لا تخزنوا فقد هزم النبي يوم أحد، هزم النبي؟! كلمة لا تطاوعني نفسي أن أقولها.

لذلك كان بعض العلماء المجاهدين وقتها يعنفون من يقول هذه الكلمة، عجيب: كيف يشبهون الثرى بالثريا، وكيف يشبهون التراب بالسحاب، وكيف يشبهون مسابح الأسماك بمدارج الأفلاك، سبحانك هذا بهتان عظيم.

يوم أحد لم يأخذ المشركون شبراً واحداً من المدينة المنورة. ويوم النكسة أخذوا سيناء وأرض الجلولان ومرتفعاتها والضفة الغربية ومدينة القدس والمسجد الأقصى - مسجد إسرائ النبي سيدنا محمد ﷺ

الشيء الثاني: يقال عن الأمة إنها انهزمت عندما تغير عقيدتها، المسلمون عندما نزلوا إلى المعركة يوم أحد، كانوا يعرفون شعار لا إله إلا الله، هل كانوا مسلمين وانقلبوا كافرين بعد المعركة، لا، إن الله تعالى يقول: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾.

هل غيروا العقيدة، هل دخلوا المعركة مسلمين وعادوا بعد المعركة ماركسيين، هل دخلوا المعركة يقولون لا إله إلا الله وعادوا بعد المعركة يقولون لا إله والكون مادة؟!!

إن الصحابة كانت عقيدتهم كالجبال لا تتزعزع عن قلوبهم الطاهرة.

الشيء الثالث: القضاء على الجيش، إذا قضى على الجيش كانت هذه هزيمة، فهل قضى على جيش الحبيب المصطفى في أي معركة خاضها، لم يحدث ذلك، وخاصة في أحد، لأن عدد المسلمين كانوا في أحد سبعة، وكان عدد القتلى في نهاية المعركة سبعين شهيداً، سبعون من سبعة، أعتبر هذه هزيمة ؟ وكان عدد الكفار ثلاثة آلاف.

ثم أيقال على جيش قائده سيدنا محمد إنهم هزموا ؟ لا، لأن الله تعالى يقول:

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ، ألم يكن النبي مؤمناً ؟ وإذا كان كلام المنافقين حقاً فقولوا: وكان حقاً علينا نصر الكافرين.

لم تؤخذ الأرض، ولم يغير المبدأ، ولم يُقضى على الجيش، فمن أين تأتي الهزيمة ؟ إن الهزائم لا تنزل على المؤمنين الصادقين، إنما تنزل على المعاندين الكافرين، تنزل على المنافقين الذين يحاربون الله ورسوله.

إنني أقول للمنافقين لا تتهموا حبيب الله بالهزيمة ، إن الله تعالى قال بعد كل الغزوات ﴿إلا تنصروه قد نصره الله﴾ ، إنني أقول لهؤلاء افهموا القواعد العسكرية.

إخوتي في الله :

هؤلاء المنافقون الذين قالوا هذا القول في عهد النبوة باتوا يشكلون خطراً على الأمة الإسلامية، وخاصة بعد أن أنشؤوا مسجداً

بجوار مسجد قباء، أووا إليه، وراحوا يحرفون كلام الله تعالى ويفرقون بين المؤمنين إضراراً وكفراً حتى أطلق المسلمون على هذا المسجد (مسجد الضرار) فأمر النبي الكريم بإحراق هذا المسجد وإزالته، فارتعدت فرائص المنافقين ولم يبق لهم من يحميهم إلا عبد الله بن أبي بن سلول حقير المنافقين، ولكن الله قصف عمره فلم يعمر بعد تبوك غير شهرين، ومات على أثر مرض، مات والحق يأكُل قلبه على المسلمين فماذا فعل رسول الله ﷺ .

معشر الإخوة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى البقيع، وما هو حقير المنافقين ممدد على الأرض، وأرى الحبيب الأعظم يريد الصلاة عليه صلاة الجنازة فيتقدم سيدنا عمر تجاه صدره فيقول:

- أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا كذا؟ وراح يعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يتسم، فلما رأى إكثار عمر عليه قال له: أخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت وقد قال الله تعالى:

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾

لو أي أعلم أي لو زدت على السبعين غفر له لزدت، ثم صلى عليه ومشى بجنازته وقام على قبره حتى فرغ منه.

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: فو الله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان:

﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ ..

فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى .
(ت حسن صحيح).

وبذلك انهار ركن المنافقين وآثر من بقي منهم أن يخلص التوبة لله تعالى.

معشر السادة :

بغزوة تبوك التي استغرقت قرابة شهرين تمت كلمة ربك في شبه الجزيرة العربية ، إذ أدخلت الرعب في قلوب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام، ورأت وسمعت خوف الدولة البيزنطية من هذه القوة الجديدة الضاربة من المسلمين، مما فتح لها مجال التعرف على الإسلام وتعاليم الإسلام ، فبدأت الوفود وفود القبائل تقدم على رسول الله لتعلن إسلامها ودخولها في دين الله، وكان ممن أسلم ثقيف التي دعا لها رسول اله بالهداية وقد وقف رئيس وفدهم يفاوض رسول الله ﷺ في المسجد النبوي يستأذنه، في ماذا؟. اسمحوا لي أن أنقل لكم هذه المحاورة بين سيد الخلق وحبيب الحق وبين وفد ثقيف.

فقد قالوا لسيدنا النبي:

اأذن لنا بالزنا ، فقال رسول الله : هو عليكم حرام ، و إن الله تعالى يقول : ﴿ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾

فقالوا: أفرأيت الربا؟! فقال رسول الله: لكم رؤوس أموالكم ، إن الله تعالى يقول:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾.

قالوا: أفرأيت الخمر فإنه عصير أرضنا ولا بد لنا منه. فقال رسول الله: إن الله حرمها: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾.

قالوا: أفرأيت الآلهة ما نصنع بها. فقال لهم: اهدموها.

فقالوا: لا نفعل ولكن تول أنت هدمها. فبعث رسول الله رجلاً هدموها.

يا أحباب رسول الله وقدم وفد الأشعرين من أهل اليمن فكانوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه

فقال رسول الله لما رآهم: «أناكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية». وبعث معهم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن للدعوة إلى الإسلام وأوصاهما: «يسراً ولا تعسراً وبشراً ولا تنفراً».

ودخل الناس في دين الله أفواجاً وامتدت سطوة الإسلام من بلاد الروم شمال الجزيرة، إلى اليمن وحضرموت في الجنوب، حتى سمي هذا العام التاسع بعام الوفود. وفرض الحج على المسلمين، وبعث رسول الله أميراً على الحج سيدنا أبا بكر الصديق في ثلاثئة صحابي، وبعث معه سيدنا علي يتلو سورة التوبة على الحجاج، وكان يصيح بالناس: - إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى انتهاء مدته.

أيها الأحبة :

كان سيدنا النبي ﷺ إذا استقبل الوفود توجه إلى منزل السيدة مارية القبطية جاريته التي أهداها له المقوقس عظيم القبط، وأبشركم بشرى سارة فقد ولدت له ابنه سيدنا إبراهيم قرّة عين سيدنا محمد ﷺ .

وكان يرى هذا الطفل ينمو ويتزعرع ويزداد شبيهه بالحبيب الأعظم، مما زاده حباً به، وعلقاً، هذا الولد أصبح عدد أولاد سيدنا النبي سبعة، كلهم توفوا ولم يبق إلا السيدة فاطمة وسيدنا إبراهيم رضي الله عنهما وأرضاهما.

وهكذا- أيها الإخوة- تطهّرت بلاد العرب من الأصنام وعبادتها، وتم ذلك كله بعد تبوك طوعية واختياراً من غير أن تزهق نفس أو يراق دم. وكان رسول الله إذا أراد أحد الوفود أن يعود أدراجه إلى بلاده قالوا له: يا رسول الله اجعل علينا أميراً، فيسأل من أكثركم حفظاً للقرآن، ومرة سأل أحد الوفود، فتقدم صبي لم يبلغ العاشرة، فقال:

أنا يا رسول الله. فقال له سيدنا النبي: ما تحفظ. فقال:

- أحفظ سورة كذا وكذا وسورة كذا وكذا، قال: وماذا تحفظ. قال الصبي: وأحفظ سورة البقرة. قال: تحفظ سورة البقرة: قال: نعم. فقال له النبي: أذهب فأنت أميرهم.

فكان يصلى فيهم الصلاة ويدرسهم الإسلام. ومرة صلى وكان ثوبه قصيرا فانكشفت عورته أثناء السجود فقالت إحدى النساء غطوا عنا است قارئكم. عورته. يقول الصبي:

- فاشترو لي قميصاً وعباءة وعمامة فما فرحت بشيء فرحي بهما.

يا أحباب رسول الله: في هذه السنة التاسعة توفي ملك الحبشة الذي كان يلقب بالنجاشي وأمر الله نبيه الكريم أن يصلي عليه وهو في المدينة صلاة الغائب هو وأصحابه، وصلى رسول الله مع أصحابه عليه، وترحم عليه رسول الله وأثنى عليه الثناء كله.

فما هو الحدث الهام الذي كان في السنة العاشرة للهجرة؟

ما هو الحدث الذي اجتمع له مئة ألف صحابي من المسلمين؟ أعلق هذا السؤال إلى الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (٤٢)

حجة الوداع

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وارتضاه لنا ديناً، أرسل لنا نبياً ورسولاً واختاره من بيننا، وأكرمنا بأنواع العبادات والقربات: بدأها بالتوحيد وثناها بالصلاة حتى إذا هاجرا الناس إلى المدينة فرض عليهم الصيام ، وجعل الزكاة طهرة للصائم من البخل والشح واللغو والرفث ، فقام بها الصحابة خير قيام وقالوا: سمعنا وأطعنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده أتم الدين بفرض الحج إلى بيته الحرام وأنزل آية عظيمة كانت عيداً لأولنا وآخرنا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بلغ من العمر ثلاثة وستين عاماً وبلغ عمر دعوته ثلاثاً وعشرين سنة وحج إلى بيت الله الحرام حجة الإسلام فقام بها على خير ما يرام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وآل بيته الكرام، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

روى الترمذي وابن ماجه أنه ﷺ حج ثلاث حجج قبل هجرته إلى المدينة، وعند الإمام مسلم في صحيحه أنه مكث بعد الهجرة تسع سنين لم يحج، ثم أذن قي السنة العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج.

فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتبس أن يأتهم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله.

يقول سيدنا جابر: فخرجنا حتى أتينا ذا الحليفة، وفي ذي الحليفة ولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر الصديق. فأرسلت إلى رسول: كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي.

فصلى رسول الله ﷺ ركعتي الإحرام في المسجد، ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظر سيدنا جابر إلى الناس بين يدي رسول الله من راكب وماش، وعن يمينه ويساره وخلفه مثل ذلك. حتى قيل إن عدد الصحابة كان ثمانين ألفاً. وساق رسول الله معه الجمال مئة جمل لينحرها بعد حجه.

يقول سيدنا جابر:

ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به فأهلّ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك.

وأهلّ الناس بهذا الذي يهلّون به، فلم يردّ رسول الله عليهم شيئاً منه ، ولزم رسول الله تلبّيته.

يقول سيدنا جابر: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه. ودخل مكة في ذي القعدة من السنة العاشرة استلم الركن، ورمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.

فجعل المقام بينه وبين الكعبة ، وصلّى ركعتين: قرأ في الأولى سورة الكافرون، وفي الثانية سورة الإخلاص.

ثم عاد إلى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا

قرأ: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .

ابداً بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفاء فرقي عليه فاستقبل القبلة فوَحَّدَ الله وكَبَّرَه وهللَه،
ثم نزل إلى الوادي وأسرع بين الميلين الأخضرين ، ثم صعد إلى المروة ففعل على المروة
كما فعل على الصفا. ثم قال بعد أن انتهى من سعيه:

« لو أتيت استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان
ليس معه هدى فليحلَّ وليجعلها عمرة » .

فقام سراقه بن مالك فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟.

فشَبَّكَ رسول الله ﷺ بين أصابعه الواحدة في الأخرى وقال: دخلت العمرة في
الحج، دخلت العمرة في الحج، لا بل لأبد الأبد.

فلما كان يوم التروية- اليوم الثامن- توجهوا إلى منى فأهلَّوا بالحج (لمن تحلل
بعمرة)، وركب رسول الله ﷺ بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث
قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار حتى أتى عرفة
فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس صلى الظهر والعصر
قصراً وجمعاً ثم أمر بالقصواء فرحلت، فأتى بطن الوادي فخطب الناس، وأصدر
قرارات هامة أكد فيها قواعد الشريعة الغراء وخاصة للذين أسلموا حديثاً ولم يتعرفوا
بعد على الإسلام.

إخوتي في الله :

رسول الله يخاطبكم من أربعة عشر قرناً، فقد وقف في عرفة يخاطب فيها الأجيال
والتاريخ بعد أن أدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده ثلاثة وعشرين
عاماً لا يكل ولا يمل.

أيها المؤمنون :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جبل عرفات، ها هي الآلاف المؤلفة حول سيد الوجود خاشعين متضرعين، وقد شهدت عرفة لأول مرة دولة الإيمان، وها هو سيدي أبو القاسم رسول الله ينظر من خلال هؤلاء إلى أمته "إلى العالم الإسلامي الذي سيملاً الأرض شرقاً وغرباً.

أيها الأحبة :

أنتقل بكم إلى إذاعة داخلية نابغة من قلب الحبيب الأعظم وفمه، فاسمعوا وعوا يقول سيدي رسول الله ﷺ وقد أنصتت له جماهير المسلمين بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

« أيها الناس! اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً » .

وأنصتت الدنيا لتسمع سيد الخلق، أنصت كل شيء في الوجود إلى الكلمة المؤدعة ينطق بها فم سيدنا رسول الله ، بعد أن أنست وسعدت به الدنيا كلها ثلاثة وستين عاماً، ها هو يلوح بالرحيل، ويخطب بكلمات جامعة تلخص شريعته ، ويتوجه ببنود وقرارات أخيرة يلقي بها إلى سمع العالم الإسلامي.

القرار الأول:

أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا.

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فلا تُرْجَعَنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

القرار رقم (٢) :

ألا إنَّ كلَّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (خدمة الكعبة وسقاية الحاج).

فكلّ مفخرة كانت تتفاخر به القبائل وتقاليده العصبية القبلية من فوارق اللغة والإنسان والعرق واستعباد الإنسان أخاه بالذل والظلم والمراعاة، كل ذلك قد بطل أو مات اعتباره، فهو اليوم جيفة منتنة غيّبتها شريعة الله في باطن الأرض.

هذه الأرجاس الجاهلية أبعدنا رسول الله وأعلن أنها حثالة مدفونة تحت قدميه.

القرار رقم (٣) : «وربا الجاهلية موضوع، قضى الله أنه لا ربا، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وأول رباً أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله».

لذلك وردت الأحاديث والآيات الكثيرة بتحريم الربا، ولعن كل من يكون سبباً في أخذه والعياذ بالله ﷻ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فإن تبتم فلکم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﷻ.

يقول ﷺ : الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه. (صحيح).

ويقول ﷺ : الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام (ض).

"وإن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم، ويلقم الحجارة وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ،

ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا" (خ).

القرار (٤) عدم التلاعب بالأشهر : فقد قرأ ﷺ قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا النِّسْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّلُونَهُ عَاماً وَيَحْرِمُونَهُ عَاماً لِيُؤْطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيَحْرِمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ﴾ وهنا يقول ﷺ :

« إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، والسنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » .

فقد كانت العرب تحج كل عام في شهر من شهور السنة، مرتين في شهر المحرم، ومرتين في شوال وهكذا. فلما حج رسول الله وافق حجه في ذي الحجة وهو يوم الحج يوم خلق الله السماوات والأرض، فأمر سيدنا النبي بعدم التلاعب بالأشهر تقديماً وتأخيراً، ولا حج بعد اليوم إلا في ذي الحجة، وهكذا عاد الحج إلى وقته الأصلي الذي عينه الله يوم خلق السموات والأرض.

القرار رقم (٥) القضاء على ظلم المرأة:

الذي كان في الجاهلية وتثبيت حقوقها وكرامتها الإنسانية، يقول ﷺ وريعة بن أمية خلفه يبلغ الناس عنه في عرفات ، والناس منصتون كأنّ على رؤوسهم الطير يقول:

أيها الناس

اتقوا الله في النساء، إنّ لكم على نسائكم حقاً، ولهنّ عليكم حقاً، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلنّ أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، فإنّ فعلنّ فإنّ الله أذن لكم أن تعظوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح (غير شديد ولا مؤلم) فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصوا بالنساء خيراً فيأمن عوان (أسيرات) عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله (بعقد النكاح) فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

القرار رقم (٦)

ذكر فيه رسول الله المرجعان الوحيدان للأمة عند استعصاء المشكلات التي قد تعترض في حياتنا في كل عصر بل هما الأمان من كل شقاء وضلال يقول ﷺ : "إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

القرار رقم (٧):

"يا أيها الناس : اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع ما أقام فيكم كتاب الله تعالى " .

هذا القرار حدّد علاقة الحاكم بالمحكوم مهما كان نسبه وشأنه ومظهره ما دام يحكم بكتاب الله وسنة رسوله فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة.

إذاً- أيّها الاخوة- الحاكم ليس له أي ميزة على العباد، وإنما حاكميته تأتي من حكمه الإسلامي، إنه بتعبير آخر أمين على أداء الأحكام الشرعية وتنفيذها، ولذلك لا يوجد في الإسلام ما يسمّى بالحصانة أو الامتيازات عن المسلمين، فمجرد أنّ الحاكم ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله يخلع ويعزل، ولأجل هذا حين دخل أبو مسلم الخولاني على سيدنا معاوية وكان خليفة، سلّم عليه قائلاً:

- السّلام عليك أيها الأجير.

فقلت حاشية الخليفة: قل: السلام عليك أيها الأمير.

فقال: السّلام عليك أيها الأجير. فعاد أعوان الخليفة ينبهونه، لكن كرر مقالته:

- السّلام عليك أيها الأجير.

فقال لهم سيدنا معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول.

فقال أبو مسلم: "إنما أنت أجير استأجرك ربّ هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها ودأويت مرضاها وحبست أولاها على آخرها وقاك سيدها، وإن أنت لم تنأ جرباها ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على آخرها عاقبك سيدها".

أيها الإخوة: وفي آخر خطبة الوداع استشهد رسول الله أمته على أنه أدّى الأمانة ونصح الأمة وبلغها شريعة الله تعالى، فنادى بهم قائلاً:

- وإنكم ستسألون عني، فما أنتم قائلون.

وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. ﷺ

وهنا شعل شعاع الرضى في عيني الحبيب الأعظم، ونظر إلى الأعلى مشيراً بسبابته إلى السماء ثم إلى الناس يقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد.

و أنزل رب العزة على نبيه الكريم آية عظيمة كانت عيداً لأولنا وآخرنا وسعادة أبدية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وبكى سيدنا أبو بكر الصديق إذ أحسّ أن النبي قد تمت رسالته ودنا اليوم الذي سيلقى فيه ربّه عز وجل.

لكنها كانت سعادة وأي سعادة تلك التي أحسها رسول الله وهو يرى آلاف مؤلفة ترتفع أصواتها وتعج بتوحيد الله، وجباهاها ساجدة لدين الله، وقلوبها خفاقة تحيش بحب سيدنا رسول الله ﷺ.

إخوة الإيمان :

كانت هذه الشهادة من تلك الآلاف المؤلفة من حول سيدنا رسول الله شهادة كلّ جيل وعصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

و من هنا ، وفي هذا الزمان يا سيدي يا رسول الله نشهد أنك قد بَلَغت وأدبت ونصحت، فجزاك الله عنا خير الجزاء، أشهدوا الله . أيها الإخوة . لبنينا ﷺ وقولوا : اللهم إنا نشهد أن رسولك قد بلغ وأدّى ونصح.

وهكذا نزل رسول الله من عرفة وراح يتابع حجه الشريف ، فنزل إلى مزدلفة ، ثم منى فرمى جمار العقبة ، ثم نحر بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة على عدد سني حياته ﷺ

وكانت الإبل أو الجمال تسرع إليه ﷺ لتتبارك بنحرها على يده الشريفة ﷺ ، رأى ذلك كله الصحابة رضي الله عنهم، ثم أعطى سيدنا علياً فنحر باقي الجمال المئة.

وأمر رسول الله الحلاق فحلق شعر رأسه ﷺ ، وراح يوزعها على صحابته ﷺ فلا تسقط شعرة من رأسه إلا بيد صحابي.

ولبس ثيابه ﷺ وتطيب ونزل إلى مكة فطاف حول الكعبة طواف الفرض ، ثم شرب من زمزم و أتم حجّه ﷺ كما هو معروف ومشهور في أعمال الحج.

أيها الإخوة :

كانت هذه هي حجة الإسلام .. أكمل الله فيها للناس دينه و أتم عليهم نعمته.

وكانت هذه حجة البلاغ .. أتم فيها النبي الكريم بلاغه للناس بما أمره ربه عز وجل. وكانت حجة الوداع .. إذ رأى فيها سيدنا محمد ﷺ مكة والبيت الحرام للمرة الأخيرة. نفسي فداك يا سيدي يا رسول الله ﷺ .

معشر السادة : وفي طريق عودته من مكة إلى المدينة المنورة تناهى إلى سمعه كلاماً عن سيدنا علي وعده، حين أرسله إلى اليمن، فقام فاختطب الناس بمكان يسمى غدِير خم، مبيناً فيه فضل سيدنا علي بن أبي طالب وعده وقُرْبَهُ إليه كما رواه النسائي فقال:

" إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض "، ثم قال:

«الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد سيدنا علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه ».

إخوة الإيمان : هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة حب القرابة قرابة سيدنا النبي، آل البيت، واحترام الصحابة، اللهم اشهد أننا نحِبُ آل بيت رسولك الكريم وصحابته أجمعين بدون استثناء لأحد منهم، فهل تشهدون أيها الإخوة: قولوا: نعم.

يعزّ أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ،
الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيّتنا إليك يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٤٣)

وفاة الحبيب الأعظم ﷺ

٥٢ ق هـ ١١ هـ

الحمد لله المتفرد بالبقاء، الذي حكم على جميع خلقه بالانتقال عن دار الشقاء.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره في السراء والضراء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا فناء.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله،
أشرف جميع الخلائق في الأرض وفي السماء المنزل عليه قوله جل جلاله:

﴿ إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مِيتُونَ ﴾ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته إلى يوم الدين. وسلم تسليماً.

أما بعد :فيا أيها الإخوة..

عاد سيدنا رسول الله من حجة الوداع مصحوباً بالعافية وألوف الصحابة إلى المدينة المنورة، وقد طابت نفسه لرسوخ الإسلام في الجزيرة العربية، لكنه عاد ليجد أن بعض الذين فتنهم الله ادّعوا النبوة منهم: طليحة زعيم بني أسد، ومسيلمة الكذاب، والأسود العنسي في اليمن، وأراد كل واحد منهم أن يقتسم الأراضي مع سيدنا النبي ﷺ، فقد بعث مسيلمة برسوليّه ليقول لبنيينا الأعظم : إنه نبي مثله، وإن له نصف الأرض ولقریش نصف الأرض، فلما قرأ النبي هذا الكتاب التفت إلى رسولي مسيلمة الكذاب وقال :

- "لولا أن الرسل لا تقتل لأمرت بقتلكما" وأعطاهما جواباً لمسيلمة الكذاب كتب فيه: « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، والسلام على من اتبع الهدى » .

وهنا التفت النبي الكريم إلى أصحابه وقال فيما رواه الشيخان:

"بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إلي في المنام أن أنقحهما فنقحتهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة".

وكان ﷺ يقول: « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلُّهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » (ت، د).

لكن النبي الكريم كان مهتماً لتثبيت دعائم الدولة في الشمال ضد الروم ولأجل ذلك جهز جيشاً بقيادة سيدنا أسامة بن زيد، وجعله قائداً على المهاجرين والأنصار، فعسكر بمنطقة الجرف بجوار المدينة حين بلغه أن رسول الله قد فاجأه المرض، فتوقف حتى تطمئن نفوس الصحابة إلى ما يكون من أمر الله في نبيه ورسوله ﷺ .

وفي هذه السنة العاشرة توفي ابن الحبيب الأعظم سيدنا إبراهيم عن سنة ونصف من العمر. توفي بين يدي والده سيدنا رسول الله الذي بدت صورة الألم على قسمات وجهه ، وضعه في حجره وقال: « إنا يا إبراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً » وبكى رسول الله لفراقه وسالت دموع النبوة على خديه وقال: "يا إبراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا يلحق بأولنا لحزننا عليك أشد من هذا". وسكت هنيهة ثم قال: "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا يا إبراهيم على فراقك لمحزونون".

إخوة الإيمان : كان عليه الصلاة والسلام بعد الحج يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار، وخاصة بعد أن أنزل عليه ربه عز وجل:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

وبقي رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع/٨١/ يوماً، فإذا بليلة يقول لمولاه أبي مويهبة:

- إني أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي.

فلما وقف على المقابر خاطب أهلها: "السلام عليكم يا أهل المقابر يهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شرُّ من الأولى".

واستغفر رسول الله ﷺ لأهل البقيع، ثم عاد مع مولاه (عبدہ الذي أعتقه) فقال له:

- يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة؟.

قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة.

فقال سيدنا رسول الله: " لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة".

وفي مسجد سيدنا النبي أمر رسول الله ﷺ سيدنا بلالاً أن يؤذّن بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار فصلى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب، وبكت منها العيون، ثم قال: "يا أيها الناس، أي نبي كنت لكم؟". قالوا: جزاك الله من نبي خيراً، فلقد كنت لنا كالأب الرحيم،

وكالأخ الناصح المشفق أدت رسالات الله، وأبلغتنا وحيه، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

ثم ناداهم قائلاً : . ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد (ليقتص) ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد ولا يقولن قائل : أخاف الشحناء (البغضاء) من قبل رسول الله . ألا وإن الشحناء ليست من ثنائي ولا من خلقي ، وإن أحبكم إلي من أخذ حقاً إن كان له عليّ ، أو حللني فلقيت الله عز وجل وليس لأحد علي مظلمة " .

ألا فلتشهد الدنيا إلى أي حد وصل عدل الحاكم مع المحكومين ، وإلى أي حد بلغت المساواة في الإسلام .

فنصحبهم ووعظهم وذكرهم بالله تعالى .

ثم مرض رسول الله من يومه ثمانية عشر يوماً يعودُه الناس.

ودخل النبي الكريم على السيدة عائشة فوجدها تشكو صداعاً في رأسها وتقول وارأساه فقال لها: بل أنا- والله يا عائشة- وارأساه.

وكان الألم في أول الأمر يتردد عليه ويعاوده مرة بعد مرة، وكان يبيت عند كل واحدة من أمهات المؤمنين بالترتيب حتى رأى في نفسه أنه بحاجة إلى التمرير فاستأذن نساءه أو نساؤه طلبن منه أن ينتقل إلى بيت السيدة عائشة رضي الله عنها.

وكان وهو يصلي بأصحابه يسمع همساً عن سيدنا أسامة وإمارته للجيش ، وأنه أمر شاباً عمره عشرون سنة فشعر بضرورة التحدث إلى الناس، فأمر أزواجه بإحضار سبع قرب من آبار شتى لكي يغتسل بها، فأقعده في مخضب وصبوا عليه الماء من شدة الحمى التي كانت تعتريه ﷺ حتى قال: حسبكم حسبكم.

ولبس ثيابه وعصب رأسه وخرج فخطب بالناس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- أيها الناس انفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها.

ثم سكت هنيهة ثم قال:

إني بين أيديكم فَرَطَ (سأسبقكم إلى الله تعالى) ، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وإنا في مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها كما تنافسوا فيها (أي من قبلكم) فتهلككم كما أهلكتهم.

وأوصى المسلمين ألا يتركوا في جزيرة العرب دينين، وقال: أخرجوا منها المشركين.

ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيَّره الله بين الدنيا والآخرة و بين ما عنده فاختر ما عند الله. وسكت الناس، لكن سيدنا الصديق أدرك أن سيدنا النبي إنما يعني نفسه بهذه العبارة فلم يستطع لركة قلبه وعظيم صداقته للنبي أن يمسك عن البكاء وقال:

. بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا.

فأشار إليه رسول الله قائلاً: على رسلك يا أبا بكر ، ثم أمر أن تقفل جميع الأبواب المؤدية إلى المسجد إلا باب أبي بكر. فلما أُقفلت قال: إني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه، وإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده.

كانت هذه الكلمات الخالدات في حق الصديق رضي الله عنه لم تسجل لغيره من أصحاب رسول الله ﷺ .

ثم أوصى رسول الله بالمهاجرين والأنصار خيراً. وعاد إلى بيته ﷺ .

واشتدت وطأة المرض على سيدنا رسول الله فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، وحاولت السيدة عائشة أن تجعل الفاروق يصلي، لكن رسول الله أصر قائلاً:

. مروا أبا بكر أن يصلي بالناس .

فصلى الصديق بالناس، ومرة غاب الصديق فقدم سيدنا بلال سيدنا عمر الفاروق فصلى بالناس وكان صوته جهوراً فسمعه رسول الله فقال: أين أبو بكر، يابى الله ذلك والمسلمون.

واشتدت الحمى فكان إذا لمس رسول الله أحدٌ أصابته الحمى .

وكانت السيدة فاطمة تَعُودُهُ يومياً فكانت إذا دخلت عليه في مرضه أسرعَتْ إليه فقبلته وكان يجلسها إلى جواره، ويسرّ إليها بالحديث ، فمرة فعل ذلك فراحت تبكي، ثم أسر إليها فضحكت. وإذا به يقول لها : إنه سيقبض في مرضه، وإنها أول الناس لحوقاً به من أهله.

ودخلت مرة عليه فرأته يعاني شدة المرض فقالت: واكرب أبتاه.

فقال لها:

- لاكرب على أبيك بعد اليوم.

وفي رواية قال لها:

يا فاطمة أخبريني جبريل أنه ليست امرأة من نساء المسلمين أعظم مصاباً منك بي بعدي، فلا تكوني أدنى امرأة منهم صبراً، فاصبري يا ابنتي واحتسبي عند الله أجرك تكوني أول الناس لحوقاً بي.

فقالت السيدة فاطمة:- احتسبتك عند الله تعالى. فتوفيت بعد رسول الله بستة أشهر.

إخوتي في الله : ترك سيدنا أسامة بن زيد الجيش في الجرف، وعاد إلى المدينة حين علم شدة مرضه ﷺ فدخل عليه فرآه قد أضمّت، فلما أبصره النبي الكريم جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على أسامة علامة الدعاء له.

وكان عنده سبعة دنانير فأمر أهله أن يتصدقوا بها، فنسوا ذلك لشدة اعتنائهم برسول الله ، فلما أفاق مرة سألهم: - ما فعلتم بها. قالوا: نسينا يا رسول الله. فقال:

- ما ظنّ محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه الدنانير، تصدّقوا بها.

وصلى الصديق بالناس سبع عشرة صلاة، وفي صباح يوم من أيام مرضه وأثناء صلاة المسلمين للفجر، وجد رسول الله خِفَةً فدخل معتمداً على سيدنا علي والفضل بن العباس، وكان يصلي بالناس الصديق فلما رآه المسلمون فرحوا فرحاً شديداً فصاروا يحمّدون الله تعالى بصوت مرتفع، وأحسّ سيدنا الصديق بأن رسول الله سبب ذلك فتراجع إلى الخلف ليفتح الطريق لرسول الله ليتابع الصلاة بالناس، فدفعه رسول الله في ظهره قائلاً: "صلّ بالناس". ثم جلس إلى جنبه قاعداً مقتدياً بالصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه. فلما فرغ من الصلاة خطب بالناس قائلاً:

أيها الناس:

سعّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني - والله - ما تمسكون علي بشيء إني - والله - لم أحلّ إلا ما أحلّ القرآن ولا أُحرّم إلا ما حرم القرآن، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

أيها الناس: بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل حُلِدَ نبي قبلي فيما بعث إليه فأخلد فيكم، ألا وإني لاحق بري، ألا وإنكم لاحقون بي، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم خيراً ، فإنّ الله يقول : ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

إِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا يَحْمِلْنَكُمْ اسْتِبْطَاءُ أَمْرِ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجَلُ بِعَجَلَةٍ أَحَدٍ، وَمَنْ غَالَبَ اللَّهَ غَلْبَهُ، وَمَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدْعَهُ، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾

أَيُّهَا النَّاسُ: أَوْصِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ ﴿تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أَنْ تَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ: أَلَمْ يَشَاطَرُونَكُمْ فِي ثَمَارِهِمْ، أَلَمْ يَوْسَعُوا فِي دِيَارِهِمْ، أَلَمْ يُوَثِّرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْفَقْرَ وَالْخِصَاصَةَ .

أَلَا فَمَنْ وَلِيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ.

أَلَا وَلَا تَسْتَأْثَرُوا عَلَيْهِمْ، أَلَا وَإِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَحْقُونَ بِي.

أَلَا إِنْ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، أَلَا فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُلْحَقَ بِي غَدًا فَلْيَكِفَّ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَنْبَغِي.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنْ الذُّنُوبُ تَغْيِرُ النِّعَمَ، وَتَبْدِلُ الْقِسَمَ، فَإِذَا بَرَّ النَّاسَ بِرَّهِمْ أَثْمَتَهُمْ وَإِذَا فَجَرُوا عَقَبَهُمْ أَثْمَتَهُمْ.

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُو لِأَصْحَابِهِ قَائِلًا :

حَيَّاكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، جَبَّرَكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، أَسْتَخْلَفْهُ عَلَيْكُمْ، أَحْذَرَكُمُ اللَّهُ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا أَنْتَ قَبِضْتَ فَمَنْ يَغْسِلُكَ وَفِيمَا نَكْفِنُكَ؟ وَمَنْ يَصْلِي عَلَيْكَ، وَمَنْ يَدْخُلُكَ الْقَبْرَ؟. فَقَالَ ﷺ:

- يا علي أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصب لك الماء وجبريل ثالثكما، فإذا أنتم فرغتم من غسلني فكفوني في ثلاثة أثواب جدد، وجبريل عليه السلام يأتيني بحنوط من الجنة، فإذا أنتم وضعتوني على السرير، فضعوني في المسجد واخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي رب العالمين عز وجل من فوق عرشه، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً، ثم أدخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً، لا يتقدم علي أحد، واقرؤوا مني السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة.

(وعليكم السلام ياسيدي يا رسول الله ورحمة الله وبركاته).

معاشر المسلمين :

أستودعتكم الله، أنتم في رجاء الله وأمانه ، والله خليفتي عليكم، فإني مفارق الدنيا، هذا أول يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا.

كان هذا - أيها الاخوة- البيان الحمدي للأمة الإسلامية شرقاً وغرباً .

وفرح المسلمون لنشاط رسول الله ، واطمأن الصديق عليه واستأذنه لكي يخرج إلى زوجته بنت خارجة في السُّنْح فأذن له، وتفرق المسلمون كل لشأنه، وعاد النبي الكريم إلى بيت السيدة عائشة رضي الله عنها. وكان ذلك ليلة الأحد.

وكان آخر عهده ﷺ بالناس يوم كشف ستر الحجرة النبوية فرأى المسلمين يصلون خلف الصديق فتبسم ضاحكاً ﷺ ، وكاد المسلمون أن يفتتنوا لولا أنه أشار إليهم بإكمال الصلاة، هذا هو آخر مشهد رآه رسول الله مشهد الصلاة، وكان هذا هو العهد الأخير.

فيا أيها الناس : العهد العهد الذي فارقتا عليه رسول الله وهو راض يبتسم، من كان يحب الله ورسوله فلا يترك الصلاة فإنها عهد الله ورسوله .

وأما الآن فاسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى الحجرة النبوية، فإننا في يوم الاثنين ٨ حزيران سنة ٦٣٢ م وكان يوماً حاراً، فدعا النبي الكريم بإناء فيه ماء بارد راح يضع يده فيه ويمسح بمائه وجهه، وهو يكرر ويقول:

. اللهم أعني على سكرات الموت. وراح يكررها، وقد اشتد الوجع بحبيب الله ﷺ

ها هو الباب يُطرق، وقد وقف على باب الحجرة أعرابي يستأذن بالدخول فائلاً:

- السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، أَدْخِلْ؟.

فقلت السيدة عائشة للسيدة فاطمة:- أجيبي الرجل.

فقلت السيدة فاطمة رضي الله عنها: أجرك الله في ممشاك يا عبد الله، إنَّ رسول الله مشغول بنفسه.

فنأدى الثانية فأجابته بمثل ذلك، ثم نادى الثالثة:

- السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، أَدْخِلْ فلا بُدَّ من الدخول.

وسمع رسول الله صوت الأعرابي فقال: يا فاطمة مَنْ بالباب؟.

فقلت: يا رسول الله! إنَّ رجلاً بالباب يستأذن بالدخول، فأجبناه مرة بعد أخرى، فنأدى الثالثة صوتاً اقشعرَّ منه جلدي وارتعدت فرائصي. فقال لها سيدنا النبي:

- يا فاطمة! أتدريين من بالباب، هذا هادم اللذات ومفترق الجماعات، هذا مرمل الأزواج ومُيِّم الأولاد، هذا مخرب الدور وعامر القبور، هذا ملك الموت عليه السلام، ادخل يرحمك الله يا ملك الموت.

فدخل ملك الموت على سيدنا رسول الله بزي أعرابي، فقال له الحبيب الأعظم:

- يا ملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً؟

قال: جئتك زائراً وقابضاً، وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك، ولا أقبض روحك إلا بإذنك، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي.

فقال رسول الله ﷺ: يا ملك الموت! أين خلفت حبيبي جبريل؟.

فقال: خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزّونه فيك.

فما كان أسرع أن أتاه سيدنا جبريل فقعده عند رأسه. فقال رسول الله ﷺ:

- يا جبريل هذا الرحيل من الدنيا. فقال سيدنا جبريل: وللآخرة خير لك من الأولى.

قال: فبشرني مالي عند الله؟ قال: أبشرك يا حبيب الله أني تركت أبواب السماء قد فتحت، والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك يا محمد.

فقال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال: أبشرك أن أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها قد أطردت، وأشجارها قد تدللت، وحوورها قد تزينت لقدم روحك يا محمد.

قال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال: أبواب النيران قد أطبقت لقدم روحك يا محمد.

قال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال: أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة.

قال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال سيدنا جبريل: يا حبيبي عم تسألني؟

قال: أسألك عن همي وغمي، من لقراء القرآن من بعدي، من لصوَّام شهر رمضان من بعدي، من لحجاج بيت الله الحرام من بعدي، من لأمتي المصطفاة من بعدي؟.

قال: أبشر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: ((قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأُم حتى تدخلها أنت وأمتك يا محمد)) .

قال: الآن طابت نفسي، أَذُنْ يا ملك الموت فانتبه لما أمرت به .

وهنا قال سيدنا جبريل:

- السلام عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، كلّ نفس ذائقة الموت، السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطني إلى الأرض، وإنما كانت حاجتي في الدنيا أنت، فبعد اليوم لا أنزل بعدها.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

- توفي رسول الله ﷺ بين سَحْرِي (صدري) ونَحْرِي وأحسست بثقله وأنا أنظر إليه وهو يشخص ببصره إلى السماء وهو يقول: اللهم الرفيق الأعلى وكان يحدثهم أن النبي لا يموت حتى يخبره الله بين الدنيا والآخرة ، تقول السيدة عائشة : فعملت أنه اختار الآخرة على الدنيا . (خ) ، حتى قبض، ومالت يده ﷺ .

وسمع في جنبات البيت قائلاً يقول:

- إنَّ في الله عزاءً من كلِّ مصيبة، وخلفاً من كلِّ هالك، ودركاً من كلِّ فائت،
فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، وإنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله
(حا) .

وما أن شعرت السيدة عائشة بوفاة الحبيب الأعظم حتى خرجت تبكي، وصاح
رجل على باب المسجد : **وارسول الله**. وضعج الناس عند خبر وفاته ﷺ .

وأقبل سيدنا أبو بكر على فرسه من مسكنه، ودخل فرأى سيدنا عمر وقد أخذ
سيفه وهو يصيح: من يقول رسول الله مات علوته بسيفي هذا"

فدخل سيدنا الصديق إلى الحجرة فرأى رسول الله وهو مغطى فكشف عن
وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال:

- "بأبي أنت وأمي ، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فَقَدْ
مَتَّهَا". وجاء سيدنا عثمان إلى المسجد وقد أسكت لسانه من هول المصيبة لا
يستطيع أن يتكلم وأما سيدنا علي فقد أقعد فلا يستطيع القيام، وأما عبد الله بن
أنيس فقال:

- اللهم إن كان هذا الخبر صادقاً فأمتني لساعتي. فوقع ميتاً.

وقال رجل من الأنصار: اللهم إن كان هذا صحيحاً فأعمي بصري حتى لا أرى
أحداً بعد نبيك ، فأعمي بصره لساعته.

فصعد الصديق إلى المنبر، وعمر يجول كالأسد المصور ولا يريد أن يصدق أن
رسول الله قد مات، فاجتمع الناس حول الصديق وهو يناديهم: أيها الناس إلي، ثم
قال:

أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأنّ الدّين كما ترك، وأنّ الحديث كما حدّث،
وأن الله هو الحق المبين.

أيها الناس :

من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإنّ
الله حيّ لا يموت، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم.
ثم التفت إلى سيدنا عمر فقال: أنت الذي تقول إن رسول الله ما مات، قال:
نعم.

قال: أنسيت قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿وما محمد إلا رسول قد
خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على
عقبه فلن يضّر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ .

فكان الناس لم يعلموا أن الله نزل هذه الآية حتى تلاها الصديق رضي الله عنه،
فقال سيدنا عمر: والله ما هو إلا سمعت أبا بكر تلاها، فعجزت ما تقلني رجلاي،
وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها وعلمت أنّ النبي ﷺ قد مات.

أيها الأحبة :

بعد أن غُسل سيدنا رسول الله كانت تفوح منه رائحة الطيب ، فكان سيدنا
علي يقول:

- بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً.

وَكُفِّنَ رسول الله ﷺ ، ووُضع على سريره في المسجد وتركوه ساعة ، ثم دخلوا
عليه أفواجاّ يصلّون عليه بدون إمام.

ودخل الصديق بعد أن بويع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة ليصلي مع الصحابة
عليه، وقد امتلأ بهم المكان، وعلاهم الصمت. فقال سيدنا الصديق :

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، نشهد أن نبي الله ورسوله قد بلغ رسالة ربه، وجاهد في سبيله حتى أتم الله النصر لدينه، وأنه وفى بوعده، وأمر ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، وكان المسلمون يجيبونه: آمين آمين.

وقال لصحابته سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض". فرفع فراش رسول الله وحفر له القبر ودفن فيه ﷺ.

معشر العبيد :

هذه هي الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، الحقيقة التي يسقط عندها جبروت المتجبرين وعناد الملحدين وطغيان البغاة والمتألهين. اسمع إلى ربك عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ لتسمع الدنيا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ لسمع المتكبرون ، ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنْ يُرَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

فلا ألوهية إلا لله وحده، ولا حاكمية إلا للذي تفرّد بالبقاء، فلا يغلب الله غالب، ولا يردّ قضاءه أحد ، هنا أو هناك ، وما أدراك ما هنا .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

الحلقة (٤٤)

آل البيت النبوي

الحمد لله الذي أوجد الأشياء بلا معين، وامتن على عباده المؤمنين ببعثة سيد الأنبياء والمرسلين، وجعل له أزواجاً وذرية من أهل الصلاح والتقوى والدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل على آل سيدنا إبراهيم سلاماً وبركات تتلى في كتابه المبين: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي شرف الله به الكائنات وجعل له عترة طاهرة زكية يتبارك بهم في كل وقت وحين. فقال عزّ من قائل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة

توفي سيدنا رسول الله ﷺ وترك ابنة وتسعاً من أمهات المؤمنين وجارية واحدة.

أما البنت فهي السيدة الطاهرة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وكانت متزوجة من سيدنا علي رضي الله عنهما، وقد بلغ الأسى بما مبلغه، وكانت تقول للصحابه كيف استطاعت قلوبكم أن تدفنوا رسول الله وتهيلوا عليه التراب؟! فكانوا يقولون: ما إن دفنا رسول الله حتى أنكرنا قلوبنا. ووقفت السيدة فاطمة الزهراء على قبر سيدنا النبي وراحت ترمغ وجهها بتراب القبر وتقول:

ماذا على مَنْ شَمَّ تربةَ أحمدٍ ألا يَشَمَّ مدى الزمان غواليها
صُبَّتْ عليَّ مصائبُ لو أنَّها صُبَّتْ على الأيامِ عُذُنْ لياليها

وترك رسول الله جارية واحدة هي السيدة مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم رضي الله عنهما التي أصبحت حرّة بوفة الحبيب الأعظم ، أعتقتها ولدها لأنها أم ولد .

وأما أمهات المؤمنين اللواتي توفي عنهن فتسع: السيدة سودة بنت زمعة، والسيدة عائشة بنت أبي بكر، والسيدة حفصة بنت عمر، والسيدة زينب بنت جحش ، والسيدة أم سلمة بنت زاد الركب، والسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، والسيدة ميمونة بنت الحارث، والسيدة جويرة بنت الحارث، والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنهم أجمعين.

واعتدّت كلّ واحدة منهن أربعة أشهر وعشرًا إلا السيدة مارية فشهران وخمسة أيام لأنها جارية. والتي وجد الصديق أنه لا قسم لها من الغنائم والفيء كبقية أمهات المؤمنين فألزم نفسه بالإنفاق عليها، وكذلك فعل الفاروق بعد وفاة الصديق رضي الله عنهما.

هؤلاء هم - أيها الاخوة- الذين يلقبون بأسمى لقب بعد لقب الرسول والنبي، إنه لقب أهل البيت المحمدي، أعني بهم أزواج وأولاد وأحفاد وذرية سيدنا محمد ﷺ.

وأولاده ﷺ وهم أفضل من جميع الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ، لأن الإمام مالكا رضي الله عنه إمام دار الهجرة يقول: "لا أفضل على بضعة رسول الله أحداً".

وقد وقفت فيكم اليوم لأسعد معكم بالحديث عن أهل بيت هم أفضل من سيدنا الصديق والفاروق وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم آل البيت الذين كتب ربّ العزة على نفسه أن يطهّره من كل دنسٍ وعيب :

﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

وأمر حبيبه المصطفى أن يطلب من المسلمين أن يحبوهم ويحترمهم ويوقروهم فقال
لنبيه الكريم:

﴿ قل: لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾.

آل البيت النبوي الذين قال عنهم جدهم النبي المصطفى فقال: (حا- بز- أبو
يعلى عن أبي ذر):

- ألا إنَّ مَثَلُ أهل بيتي فيكم مَثَلُ سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها
غرق. وقال فيهم: (ت- حا: زيد بن أرقم): "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل
بيتي".

وكما: (أن النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق فأهل بيتي أمان لأمتي من
الاختلاف فإذا خالفها قبيلة اختلفوا فصاروا حزب إبليس".

هذه هي وصية سيدنا النبي في ذريته، ولهذا أجمع العلماء من أهل السنة أنَّ حبَّ
آل البيت فرض ، وأنه يجب علينا أن نطلب ودَّهم، اسمع إلى حبيبك المصطفى وأنت
تصلي عليه وعلى آله يقول:

وقد شكّا إليه العباس بن عبد المطلب (ه- حا) فما هي هذه الشكوى؟.

نص الشكوى يقول: إنا كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدثون فيقطعون
حديثهم.

هذا هو نص الشكوى، فماذا كان جواب سيدنا رسول الله ﷺ ، إنه جمع الناس
وقال لهم: « ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم:
والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبَّهم لله ولقرابتهم مني ».

اللهم اشهد بأننا نحب أهل بيت نبيك الأعظم ﷺ.

وبهذا وردت الأحاديث المستفيضة في وجوب حب آل البيت النبوي:

(هب- أبو الشيني- الديلمي) يقول ﷺ: " لا يؤمن عبد حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحبَّ إليه من عترته، وتكون أهلي أحبَّ إليه من أهله، وتكون ذاتي أحبَّ إليه من ذاته ".

بل إنَّ بعض الأحاديث صرَّحت أن بغض أهل البيت سبب في دخول العبد نار جهنم.

يقول ﷺ (حا): " لا ييغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار " والعياذ بالله.

ويقول ﷺ (حا): " يا بني عبد المطلب إنِّي سألت الله أن يُنَبِّت قائلكم، ويهدى ضالككم، وأن يعلم جاهلكم، وأن يجعلكم رحماء، فلو أنَّ رجلاً صُقِّنَ بين الركن والمقام فصلَّى وصام ثم لقي الله مبغضاً لأهل بيت محمد دخل النار".

فمن هم أهل البيت رضي الله عنهم؟ إنهم أولاده وأحفاده وزوجاته الشريفات كلهم من السيدة خديجة إلا سيدنا إبراهيم . وأولاده ﷺ سبعة على الصحيح : ثلاثة ذكور وأربع بنات.

أولهم: سيدنا القاسم رضي الله عنه، ولد بمكة المكرمة وعاش قريباً من السنتين، وتوفي قبل البعثة بمكة أيضاً.

ثانيهم: السيدة زينب رضي الله عنها ولدت بمكة المكرمة قبل البعثة بعشر سنوات، وهي أكبر أخواتها.

أدركت الإسلام وتزوجت ابن خالتها سيدنا أبا العاص بن الربيع الذي أسلم قبل وفاته، وهاجرت إلى المدينة المنورة وتوفيت سنة ثمان من الهجرة، ولها ولدان سيدنا علي، وبنت اسمها أمامة. وحين توفيت السيدة فاطمة تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب. وتوفيت السيدة زينب ودفنت في البقيع رضى الله عنها.

ثالثهم: سيدتنا رقية:

التي أدركت الإسلام وهاجرت مع زوجها الثاني سيدنا عثمان إلى الحبشة ثم إلى المدينة ولهذا كانت تلقب بذات المهجرتين.

تزوجت أولاً من عتبة بن أبي لهب قبل البعثة، ثم عملت حماة حمالة الخطب على طلاقها بقصد إزعاج سيدنا النبي ﷺ، فكان عملها هذا خيراً وأي خير.

ثم تزوجت سيدتنا رقية سيدنا عثمان فكانت النور الأول الذي دخل حياته رضي الله عنهما، وأنشدت نسوة قريش:

أحسنُ شخصين رأى إنسان رقية وبعلاها عثمان

فولدت له سيدنا عبد الله وبه كان يكنى، ومات صغيراً. ومرضت هي مرضاً شديداً قبيل غزوة بدر، فأمر النبي سيدنا عثمان أن يبقى مع زوجته لتمريرها، فتوفيت أثناء الغزوة ودفنت في البقيع.

وهي أول من مات من أخواتها رضي الله عنهن، وكان عمرها سبع وعشرون سنة.

لكن سيدنا النبي لشدة حبه بسيدنا عثمان زوجته ابنته الثالثة كوكب الإسلام السيدة أم كلثوم رضي الله عنها.

والسيدة أم كلثوم: ولدت بعد البعثة، وتزوجها الابن الثاني لأبي لهب (عتيبة) وتركها وكانت ما تزال بكرًا رضي الله عنها، وطلقت منه كأختها، وبقيت بلا زواج عشرة سنوات حتى تزوجها سيدنا عثمان، فكانت النور الثاني الذي دخل حياة سيدنا عثمان، ولقب بعدها بذي النورين. وعاشت معه ولكنها لم تنجب.

وشهدت قبل زواجها به حصار قريش لرسول الله في مكة، فكانت تتألم كثيراً، ومع هذا كانت تبسم لوالدها الحبيب الأعظم وتخفي عنه ألمها وتبشره بالنصر من الله تعالى.

وهاجرت إلى المدينة المنورة وتوفيت سنة تسع من الهجرة، وألقى رسول الله بإزاره إلى أسماء بنت عميس التي غسلتها لتجعله أحد أكفائها تبركا بأثره الشريف (صلوا عليه). وطُيَّب سيدنا النبي قلب سيدنا عثمان وقال له: لو كان عندي عشر بنات لزوجتهن لك يا عثمان (واحدة بعد واحدة).

والخامسة: جدتي وقرة عيني سيدتنا فاطمة الزهراء . وهي الابنة الرابعة في الترتيب للسيدة خديجة رضي الله عنها.

ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وهي من خير نساء العالمين، ومن سيدات أهل الجنة كما صرحت به الأحاديث النبوية الصحيحة.

خطبها سيدنا علي عندما بلغت الثامنة عشر من العمر، بعد مقدم رسول الله المدينة بخمسة أشهر، ثم زُفَّ إليها بعد رجوع المسلمين من بدر.

وعاشا على الكفاف لأن سيدنا عليا لم يكن له حظ من مال مكتسب أو موروث،

ولم يعمل برعي أو تجارة وإنما شُغل بالجهاد وبصحبة الهادي (صلوا عليه).

وكانت كلما حانت فرصة لهما في التماس الغنى من الغنائم ذهباً لرسول الله يشكوان له الجهد وقلة ذات اليد، فيوجههما رسول الله إلى ما هو أفضل من الغنى والمال.

أيها الإخوة :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة، وقد وصل إليها غنائم وسي من الجهاد.

وها هو سيدنا علي سيف الله ذو الفقار والسيدة فاطمة يسرعان فيطلبان شيئاً مما أفاء الله على رسوله، فقال لهما الحبيب الأعظم:

لا والله لا أعطيكما و أدع أهل الصّفة (فقراء المسلمين الذين لا منزل لهم إلا المسجد وهم حوالي الثلاثين رجلاً) ، وأهل الصفة تتلوى بطونهم.

ثم قال لهما: أخبر بخير مما سألتماي ؟ فقالا : بلى . قال: كلمات علمنيهن جبريل تسبحان دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أوتيتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين.

ومرة اشتد الأمر على سيدة نساء العالمين، وعانت من قلة الطعام وشظف العيش مع سيدنا علي، (أريدكم أيها الاخوة أن تنقلوا هذا الحديث إلى نساءكم، لتسمع النساء كيف كانت تعاني سيدة نساء العالمين بنت سيدنا محمد ﷺ).

قالت السيدة فاطمة لسيدنا علي: - والله لأشكونك إلى رسول الله.

فانطلقت وانطلق سيدنا علي بإثرها، فقام حيث سمع كلامها وهي تقدم الشكوى لوالدها سيدنا محمد ﷺ لقلة ذات يد سيدنا علي وطبعه الحامي الشديد ، فماذا قال لها الحبيب الأعظم؟ قال لها:

- يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي، إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت. [يعني يجب على المرأة أن تحقق لزوجها ما يريد بناء على حدسها وفهمها بالإشارة وبالتلميح دون أن يحتاج الزوج إلى الكلام والتصريح].

إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت. وهنا قال سيدنا علي: فكففت

عما كنت أصنع، وقلت: والله لا آتي شيئاً تكرهينه. فكان من السيدة فاطمة منتهى الطاعة، وكان من سيدنا علي منتهى اللباقة رضي الله عنهما.

وأعقبت السيدة فاطمة ثلاثة ذكور وبنتين، وأما البنتان فالسيدة زينب والسيدة أم كلثوم.

والسيدة زينب هي البنت الكبرى التي ولدتها في العام الخامس من الهجرة سماها رسول الله زينب على اسم خالتها، لكنها توفيت بعد ولادتها بثلاث سنوات.

والسيدة أم كلثوم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب فيما بعد.

وأما الذكور فسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، والثالث سيدنا محسن توفي صغيراً. رضي الله عنهم ، وبارك مولانا عز وجل في ذرية الحسن والحسين، فخرج منهما آل البيت المحمدي، وستكلم عنهما إن شاء الله تعالى.

أيها الأحبة :

توفيت السيدة فاطمة بعد وفاة سيدنا رسول الله بستة أشهر وهي ابنة تسع وعشرين سنة، وصلى عليها الصديق وهي أول من حُمل على النعش، ودفنت في البقيع.

الابن السادس : لسيدنا رسول الله ﷺ هو سيدنا عبد الله الطيب والظاهر رضي الله عنه لُقّب بهذين اللقبين لأنّ ولادته كانت في الإسلام ، وتوفي صغيراً بعد البعثة وبوفاته كان عدو الله العاصي بن وائل يقول: إن سيدنا محمداً أبتر وسينقطع نسله بعد وفاة أولاده فنزل قوله تعالى مدافعاً عن نبيه الكريم:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

الابن السابع: سيدنا إبراهيم رضي الله عنه ابن السيدة مارية القبطية الجارية التي أهداها للنبي المقوقس عظيم القبط، ولد في السنة الثامنة للهجرة، وفي اليوم السابع علّمنا رسول الله ﷺ ما نفعل بالمولود حيث حلق له شعر رأسه وسماه إبراهيم، وتصدّق بزنة شعره فضة.

كان يكبر ويزداد شبهاً بسيدنا النبي ﷺ، لكن ما إن بلغ قريباً من الستين حتى لحق بربه عز وجل، وصادف أن كسفت الشمس يوم وفاته، فقال الناس: إنه لموت سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله ﷺ.

فلما وصله الخبر قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة".

وحين توفي سيدنا إبراهيم قال عنه الحبيب الأعظم (ه): "إن له مرضعاً في الجنة". وقال: لو عاش لأعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي. وفي رواية: لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطي".

وهنا عرف المسلمون أن مصر ستفتح عليهم وسيدفع القبط الجزية، فكانت هذه بشارة من سيدنا رسول الله (يا سعد من صلى عليه).

إخوتي في الله : هؤلاء السبعة هم أولاد نبينا الأعظم. وهم أفضل الصحابة جميعاً، وكل ذرية آل البيت من بني عبد المطلب وبني هاشم إذا كانوا موحدين شاهدين لسيدنا النبي بالرسالة فهم ناجون يوم القيامة بإذن الله تعالى، نطق بهذا السيد الأعظم (حا) حيث قال: وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم.

وعند الطبراني بسند رجاله ثقات قال ﷺ للسيدة فاطمة:

« إن الله عز وجل غير معذبك وولدك » .

بل إن أول من يشفع لهم رسول الله ﷺ يوم القيامة هم أهل بيته، فعند الطبراني وغيره (قط) قال ﷺ: "أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب ثم الأنصار ثم من أحسن لي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب ثم الأعاجم، ومن أشفع له أولاً أفضل". وقال لبني هاشم (أحمد في المناقب):

"يا معشر بني هاشم، والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم".

وقد قال رجال من الصحابة إن أقارب رسول الله ورحمه لا ينفعهم انتسابهم إلى رسول الله. فقام النبي الكريم على المنبر فقال؟ (أحمد- في المناقب):

"ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة؟! بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة". فكان عليه الصلاة والسلام يقول:

"كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي، وكل ولد آدم فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا أبوهم وعصبتهم" (يا سعد من صلى عليه).

معاشر المسلمين : هذه الأحاديث وسواها تدل على نسبه الشريف ﷺ وذريته الطاهرة ينفعهم يوم القيامة، وأنهم أسعد الأنام في الدنيا والآخرة، وحاشا رسول الله أن يشفع للأبعد ويضيع أهل بيته وينسى قرابتهم له.

ولهذا كانت وصية سيدنا رسول الله ﷺ أن نكرم آل البيت ونعتني بهم ونحترمهم.

يقول ﷺ (ت- ص): "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

ووقف النبي الكريم في حجة الوداع يقول للناس:

إني فرطكم على الحوض، وإنكم تبعي، وإنكم توشكون أن يردا علي الحوض فأسألكم عن ثقلي كيف خلفتوني فيهما. فقام رجل من المهاجرين فقال: ما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به.

والأصغر عترتي فمن استقبل قبلي وأجاب دعوتي فليستوص بهم خيراً فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم. وإني سألت اللطيف الخبير أن يردوا على الحوض كهاتين (وأشار بالمسبحتين).

"وأنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن تمسك بها اتخذ إلى الله سبيلاً" (من نظم الدرر)، (أبو سعد في شرف النبوة).

أيها الاخوة:

كان الصحابة رضي الله عنهم شديدي الاحترام والتوقير لآل البيت ينفذون وصية سيدنا رسول الله ﷺ.

فقد قربت لسيدنا زيد بن ثابت بغلته ليركبها فتقدم ابن عباس رضي الله عنه ووضع

يده ليركب سيدنا زيد. فقال له زيد:

- مه يا بن عم رسول الله.

- فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

فأخذ سيدنا زيد يد ابن عباس وقبلها وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

إِلَيْكُمْ كُلٌّ مَكْرَمَةٌ تَوْوَلُ وَكُلٌّ مَهْمَةٌ بَكُمْ تَزُولُ
كَفَاكُمْ يَا بَنِي الزَّهْرَاءِ فَخْرًا إِذَا مَا قِيلَ جَدَّكُمْ الرِّسُولُ
أَبُوكُمْ فَارِسُ الْهَيْجَا عَلَيَّ وَأُمُّكُمْ الْمَطَهَّرَةُ الْبِتُولُ
وَأَنْتُمْ مَلَجَاءُ اللَّاحِقِينَ ذَخْرًا وَفِي التَّنْزِيلِ مَدْحُكُمْ جَلِيلُ
إِذَا افْتَخَرَ الْأَنْامُ بِمَدْحِ قَوْمٍ بِمَدْحِكُمْ تَشَرَّفَ جَبْرَائِيلُ

علينا واجبان أكيدان : حب القرابة واحترام الصحابة هنا وهناك وأعود بكم من
هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى
الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك

مواقف من السيرة

الحلقة (٤٥)

المولد وشق الصدر والتوبة

الحمد لله العلي الأعلى، الذي أعاد وأبدى، نحمده على ما منح من الإنعام
وأسدى، ونستهديه فإنه لا يضل من هداه، ومن أضله فلن يهدي، ونستغفره لذنوبنا
التي لا تحصى عدداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً فرداً، ينادي ويقول
لكل عبد من عباده:

عبدى أظعتنا فقربتناك، وعصيتنا فأمهلتناك ولو عدت إلينا بعد ذلك قبلناك، يا
رب توبة منك تحيي قلوبنا.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير الآثم

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرة أعیننا سيدنا محمداً
عبده ورسوله، أكرم به رسولاً عبداً، أمده الله بإمداداته الربانية مدداً، وأنطق بنبوته
ضبا وظيفاً وحجراً صلداً، وشق له صدرًا وحشاه نوراً وفدى.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم أمثال طريقة وأقوم سبيلاً وأهدى.
وسلم تسليمًا.

أما بعد :

فتعدُّ حادثة شق الصدر التي حصلت له ﷺ ذات أهمية في حياته، لأنها تعدّ من إرهابات النبوة ودلائل اختيار الله إيّاه لأمر جليل، إنها دليل صفاء النفس وتركيز الروح الشريفة ﷺ.

وقد رويت هذه الحادثة بطرق صحيحة، وعن كثير من الصحابة.

وهذا الحادث وقع لسيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه منذ الطفولة المبكرة، حيث كان في بادية بني سعد عند مرضعته السيدة حليلة السعدية وبينما هو يلعب مع الغلمان - على ما يروي الإمام مسلم - أتاه سيدنا جبريل فأخذه فأضجعه فشق عن قلبه فاستخرجه، فاستخرج منه علقة فقال:

- "هذا حظ الشيطان منك .

ثم غسله بطست ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه " .

وكان ذلك وهو ابن أربع سنوات تقريباً.

فلما كان ابن عشر سنين تكرر حادث شق الصدر، فقد روى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وابن عساكر عن أبي بن كعب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان جريئاً على أن يسأل سيدنا رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال:

. ما أول ما رأيت من علامات النبوة؟.

فقال:

- لقد سألت أبا هريرة! إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي إذا رجل يقول لرجل أهو هو؟. قال: نعم.

فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهم مساً.

فقال أحدهما لصاحبه: اضجعه فأضجعاني بلا قسر (اجبار) ولا هصر (ثني ظهر)، وقال أحدهما لصاحبه: - افلق صدره.

فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بدون دم ولا وجع، فقال له:

- أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئاً كههيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له:

- أدخل الرأفة والرحمة. فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة، ثم هزَّ إبهام رجلي اليمنى، فقال: اغد واسلم.

فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمةً للكبير.

فلما جاوز صلوات الله عليه وسلامه الخمسين أتاه آت بينما كان في الحطيم أو (حجر إسماعيل) مضطجعاً بين النائم واليقظان، أتاه فشق عن صدره حسبما يرويه البخاري ومسلم واستخرج قلبه يقول ﷺ:

- ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد.

وتكرر المعراج فتكرر شق الصدر، فعن أبي بن كعب- فيما يرويه الإمام أحمد والإمام مسلم- أن رسول الله ﷺ قال:

- فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم، ثم

جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه.

أيها الإخوة

هذه روايات كتب الحديث بالأسانيد الصحيحة، وهذه الحادثة توجه النظر إلى عناية الله سبحانه وتعالى برسوله الكريم منذ طفولته المبكرة، وتتابع حتى قبيل وفاته ﷺ، فقد شاء الله تعالى منذ الأزل أن يكون سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأراد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل للإنسان الكامل.

والإنسان- أيها السادة- يبدأ السير نحو الكمال بطهارة القلب وتصفية النفس وبالتوبة والإخلاص- أو بتعبير آخر- بشق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه.

ولقد أرسل الله تعالى ملائكته فشقوا عن صدر سيدنا الرسول:

١ . واستخرجوا منه حظ الشيطان.

٢ . وأرسلهم فشقوا عن صدره وملؤوه سكينه.

٣ . ثم أرسلهم فشقوا عن صدره وملؤوه رأفه ورحمة، فعاد- صلوا عليه- رأفةً على الصغير ورحمة للكبير ، ٤ . ثم أرسلهم فشقوا عن صدره فملؤوه إيماناً، ٥ . ثم شقوا عنه فملؤوه حكمة.

وإذا كان السيد الأعظم ﷺ هو المثل الكامل للإنسان الكامل فإن لنا فيه قدوة وأسوة في شق الصدر: إنما هي بالنسبة لنا: التوبة.

فتوبتنا إلى الله توبة نصوحاً: إنما هي بمثابة شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه، لتخرجنا من جو الخطئين فتضعنا في جو التوابين الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

إخوتي في الله:

التوبة النصوح، أو التوبة الصادقة من الآثام والمعاصي حد فاصل، وفيصل حاسم بين عهدين: عهد سيطرة الشيطان سيطرة كلية أو جزئية.

وعهد الانطواء تحت لواء عباد الرحمن الذين يقول في حقهم مولانا عز وجل
لإبليس : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

وتبدأ رعاية الله سبحانه للإنسان منذ أن يبدأ بالاتجاه إليه سبحانه مباشرة، وطريق الله تعالى يبدأ بالاستغفار، فإذا بدأ به الإنسان بدأت عناية الله تعالى تلاحظه وترعاه. وفي هذا يقول مولانا عز وجل:

﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ (نوح: ١٠ - ١٢) .

وكلما ازداد الإنسان اتجاهاً إلى الله وإقبالاً عليه وتقرباً منه وحباً فيه ازدادت رعاية الله له. يقول الله تعالى :

«من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة (إذ تقرب إلي بطاعة قليلة جازيته بحسنات كثيرة) ، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) تصبح قوة التصرف عنده كقوة الملائكة (، ولئن سألتني ل أعطينه، ولئن استعاذني لأعيدهنه » .

وهكذا تفعل التوبة بصاحبها أو يفعل شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه، والتوبة مفتوح بابها على مصراعيه، يروي الإمام مسلم قي صحيحه أن الله تعالى «يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

فمن كان عليه ذنوب فليقل يا الله، ومن أراد التوبة فليقل يا الله، ومن أراد الفتح المبين من الله فليقل يا الله.

اللهم إنا تبنا إليك وندمنا على ما فعلنا وعزمنا على ألا نعود إلى المعصية فاقبل توبتنا يا الله.

ومهما عظمت الذنوب وكثرت فإن الله تعالى يغفرها ولا يعظم على الله تعالى شيء فقد خاطب الله تعالى عباده فقال:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾.

وأنا أسأل هذا السؤال:

لماذا تكررت حادثة شق الصدر لسيدنا المهادي عليه السلام؟.

إن تكرار هذه الحادثة لتدل على أن رسول الله يترقى في كل لحظة من لحظات حياته الشريفة نحو الأنوار التي يمد بها مولانا عز وجل، إنه يزداد في كل لحظة ضياءً ونوراً لا يتوقف عن هذا الترقى أبداً.

وقد حدث عنه أصحابه رضي الله عنهم أنه ما كان يجلس مجلساً إلا استغفر الله عز وجل ما شاء الله تعالى له، بل في صحيح البخاري يصرح النبي الكريم بهذا الترقى الذي يحصل له فيقول:

"والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

وفي رواية الإمام مسلم: (أتوب إليه في اليوم مئة مرة)،.

وهذا ليس لذنوب ارتكبه عليه السلام ولكنه كما قلت طلباً لازدياد الأنوار عليه ولهذا قال العلماء:

هذا ما يسمى بغين الأنوار، لا غين الذنوب والأوزار.

والاستغفار من العبد يدلّ على عبوديته لله تعالى.

والعبودية وإظهار التذلل أمام مولانا عز وجل يحبه الله تعالى من عباده، لذلك اسمع

إلى حبيبك المصطفى يقول ﷺ:

"ليس شيء أحبّ إلى الله تعالى من قطرتين: قطرة دمع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله" رواه الترمذي.

"وعينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله".

إخوة الإيمان :

اسمعوا معي إلى سيدنا عبد الله بن عمر (هب - حا - ت - ص) وهو يروي هذا الحديث الذي سمعه من سيدنا النبي أكثر من سبع مرات، يقول:

«كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورّع عن ذنب عمله، فأنته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال:

ما يبكيك! أكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين هذا وما فعلته قط، اذهبي فتهي لك. وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه:

(إن الله غفر للكفل) وهذا الكفل غير النبي ذي الكفل .

فلنبادر إلى التوبة - أيها الإخوة- وإياكم من التسويف والتأجيل فلا يدري أحدنا في أي ساعة يبادره الموت، وإياك يا أخي من الإصرار على الذنب، فإنّ الإصرار عليه ظلمة في القلب وظلمة على الصراط يوم القيامة.

فحوادث شق الصدر لسيدنا النبي يفهم منها أن الإنسان تعتريه أربع حالات يمر فيها في حياته:

مرحلة الطفولة والبراءة، ومرحلة التمييز والبلوغ، ومرحلة المراهقة والشباب، ومرحلة النضج الفكري والعلمي.

فسيدنا النبي- صلوا عليه - شق صدره في الرابعة من عمره وهي تدل على مرحلة الطفولة والبراءة وعدم تسلط حظ الشيطان عليه. فهذه هي المرحلة الأولى.

والمرحلة الثانية: لما كان ابن عشر سنين وهي المرحلة التي يجب على الولد أن يتعلم

فيها الأمور الأساسية من دينه، ويحتاج فيها للتربية الحسنة والسكينة، لأنها سبب هام لسلوك طريق الإسلام، لذلك يُضْرَب الولد في هذه السن إن لم يصل ولم يصم حتى تستقيم نفسه على الطريق الصحيح للإسلام، عليه أن يتعلم أخلاق الإسلام الهامة، وخاصة احترام الوالدين وكبار السن ولأجل هذا اسمع إلى سيدنا النبي يقول عن نتيجة شق صدره في سن العاشرة بأنه رجع بعدها رقّةً على الصغير ورحمةً للكبير.

وأما حين ينضج عقل الإنسان ويعتدل مزاجه وتستقيم شخصيته، فإنه يحتاج إلى الحكمة وقوة الإيمان كي يؤدي رسالته في الحياة، معلماً كان أم تاجراً، صناعياً كان أم موظفاً. وبدون الإيمان القوي والحكمة لن يستطع أن يواجه مصاعب الحياة ومشكلاتها، ولأجل هذا شق عن صدر سيدنا النبي ﷺ فوق سن الأربعين مرتين فملئ إيماناً، ثم شق عنه فملئ حكمة.

فعلى العبد إذا جاوز سن الأربعين أن تستقيم حياته مع الله تعالى وأن يجتنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، أن يكون مع الله تعالى في كل حركاته و سكناته. يقول ﷺ: "من جاوز الأربعين فلم تغلب حسناته سيئاته فليتهجز إلى النار" والعياذ بالله.

أيها السادة : علينا أن نراجع حساباتنا وأن نشق عن صدورنا بين فترة وأخرى بالتوبة إلى الله تعالى، وأن نراجع سلوكنا هل هو مع الله أم لا؟ وأن نكثر من الاستغفار والتوبة والإنابة، فعنه ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب» .

ويقول أيضاً: من قال: "سبحان الله وبحمده" في يوم مئة مرة خت خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر (حم - ق - ت - هـ).

أو كما قال أقول ﷺ هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

استغفر الله العظيم





الحلقة (٤٦)

فضل سيدنا رسول الله

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على عباده المؤمنين نعماً جماً، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم وأشرفهم عرباً وعجماً، وأرجحهم عقلاً وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً، وأقواهم يقيناً وعزماً، وأزكاهم روحاً وجسماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تيقن وإخلاص لا تخيلاً ووهماً.

وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه من خليفته ، الذي بعثه الله والخلق في ظلمة وعمى ، فلم يزل يخرجهم من الظلمات إلى النور طوعاً وُرغماً ، حتى فتح الله به أعيناً عميا ، وقلوباً غلفاً وآذاناً صُماً، فأمن به وعزّزه ونصره من جعل الله لهم في مغنم السعادة سهماً ، وكذّب به من كتب الله عليه الشقاء حتماً.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ذوي القدر الرفيع والجناب الأسمى، صلاة وسلاماً ننال بهما يوم الفزع الأكبر أمناً. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الاخوة الكرام.

على مقربة من مقام إبراهيم وحجر إسماعيل ومهبط جبريل الأمين وتجاه البيت الحرام ولد سيدنا رسول الله ﷺ .

ولد في عام ردّ الله فيه عن بيته من سولت له نفسه أن يهدم أول بيت وضع للناس (إن للبيت رباً يحميه) ، وما دام للبيت ربٌ يحميه فإن لسيدنا رسول الله رباً يحميه ﴿والله يعصمك من الناس﴾ و هكذا كتب ربُّ العزة لكلّ مسلم حماية ونصراً ، ﴿ولينصرنّ الله من ينصره﴾.

وابتهاج المسلم بهذا النصر لا يعدله شيء إلا الفرح بمولد سيد البرية سيدنا محمد ﷺ الذي جمع الله فيه شمل الأمة بعد التفرق والشتات، ونقلها من ذلّ عبادة الأوثان إلى عزّ عبادة الواحد الديان، فسعدت به الأكوان، فإن الله تعالى إذا أراد بقوم سعادة سخر لهم سعيداً فسعدوا به، ونحن أمة الإسلام نشهد الله تعالى على أننا سعداء بسيدنا محمد ﷺ .

سعدت بك الأكوان يا خير الورى ولدائها قد جئت نعم طبيب

هي عنك فرغ من شذاك تطيبت وكذا الفروع بأصلهنّ تطيب

فيا معشر المسلمين:

اسعدوا وابتهجوا بهذا النبي الكريم وأنفقوا في محبته ولأجله تنالوا الرضا في موقف المحشر يوم القيامة. روى الإمام البخاري في صحيحه عن العباس عم النبي الأعظم ﷺ أنه رأى أبا لهب بعد موته في المنام فسأله العباس: ما حالك؟ فقال أبو لهب: في النار، إلا أن الله تعالى يخفف عني في كل ليلة اثنين فأمصّ من بين إصبعي هاتين ماءً، وإن ذلك بإعتاقي ثوبية حينما بشرتني بولادة محمد".

فهذا كافر جوزي بهذا فما بالك فيمن كان من أمته وأنفق في محبته ، فإن الله تعالى لا يضيع أجره.

إخوتي في الله : إننا اليوم نحتفل بالإنسان الكامل بسيد ولد آدم الذي رزى الله عليه عقله ولسانه وسمعه وبصره.

رزى عليه عقله فقال : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ .

رزى عليه سمعه فقال : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

ورزى عليه بصره فقال: ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ .

ورزى عليه لسانه فقال: ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ .

وركى عليه رآيه فقال : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾.

وركاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ "صلوا عليه".

سيدي أبا القاسم يا رسول الله

فاحت بعاطر ذكرك الأيام وتفاخرت بجهادك الأعلام
أثنى عليك الله في قرآنه فاهناً فأنت السيّد المقدام

فماذا أقول عنك يا خير الورى؟

فمن شرفك يا سيدي أن سيدنا موسى تمنى أن يكون من أمتك، روى ذلك عدد من الرواة عن ابن عباس عن سيدنا النبي ﷺ قال:

« لما قرب الله تعالى موسى إلى طور سيناء نجياً قال: أي رب! هل أحد أكرم عليك مني؟!؛ قربتني نجياً وكلمتني تكليماً؟ قال: نعم، محمد أكرم عليّ منك.

قال: فإن كان محمد أكرم عليك مني فهل أمة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل؟ فلقّت لهم البحر، وأنجيتهم من فرعون وعمله، وأطعمتهم المن والسلوى. قال: نعم، أمة محمد أكرم عليّ من بني إسرائيل.

قال: إلهي أرنيهم. وفي رواية: رب اجعلني من أمته؟ قال: لا، استقدمت واستأخروا

قال: رب أرنيهم. قال: إنك لن تراهم وإن شئت أسمعك صوتهم؟ قال: نعم.

فناداهم: يا أمة محمد أجيئوا ربكم. فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة فقالوا: لبيك اللهم لبيك أنت ربنا حقاً ونحن عبيدك حقاً.

قال: "صدقتم أنا ربكم حقاً وأنتم عبيدي حقاً ، قد عفوت عنكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي صادقاً أدخلته الجنة" (تفسير الألوسي) .

وهنا أنزل رب العزة على نبيه الكريم قوله: ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾، أي نادينا أمتك كي يسمع موسى كلامهم.

فكرر رعاك الله ذكر محمد ففي ذكره العيش المهنا والأنس
فكل له عرسٌ بذكر حبيبه ونحن بذكر الهاشمي لنا عرسٌ

إخوة الإيمان :

كل واحد منا يسمي أولاده حينما يولدون، لكن الذي اختار اسم السيد الأعظم هو مولانا عز وجل سَمَّاهُ محمداً، وأحمد، واصطفاه من بين جميع الخلائق والأنام، ورأت أمه حينما حملت به نوراً أضاء له قصور الشام.

وحين دنت ولادة السيدة آمنة بنت وهب حضرت الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف فكانت قابلته، فمسحت على بطنها وقالت :

- بسم الله اخرج بإذن الله.

فأخذها المخاض فولدته ﷺ نوراً يتلألأ سناء، فوقع على كفيه وركبتيه على الأرض شاخصاً ببصره إلى السماء، وسمَّعته يقول:

"جلال ربي الرفيع، الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً"

ثم أهوى ساجداً لله تعالى.

فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

صلى الله
عليه وسلم

الحلقة (٤٧)

محبة النبي لأهل الشام

الحمد لله العطوف الرؤوف المنان ، الكريم العظيم القديم الإحسان، العلي الغني القوي السلطان، الأول ولا أزمان ، الآخر ولا أكوان، الباقي ولا إنس ولا جان ، الذي كتب بأقلام الأحكام، في ألواح أرواح الأنام: محمد سيد الإنس والملك والجان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعلنها عاليةً مساجدنا ، وتطلقها خفاقةً حناجرنا ، دويها قصف الرعود وصوتها لا ينقطع صده مدى الدهور.

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قبلا

طلعت شمس الهداية للورى وأبى لها وصف الكمال أفولا

لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله إمامنا وسيدنا وأسوتنا، نرتسم خطاه، ونقتدي بهداه ولا نرضى عنه بديلا .

يا هذه الدنيا أسيخي واشهدي أنا بغير محمد لا نفتدي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعد: معشر الإخوة الكرام:

يدور الزمان دورته ولا يجد المؤمن فرحاً مثل فرحه بمولد سيد البرية سيدنا محمد ﷺ .

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فحدّرنا ناراً وبشّر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمده

تعاليت برب العرش عن قول جاحد فيّاك نسهتدي وإياك نعبد

وبهذه المناسبة أرفع باسمكم واسم كلّ شرفاء العالم وباسمي شخصياً تحية عطرة
ملؤها الاحترام والتبجيل، ملؤها المحبة والتقدير، إلى بطل الأبطال، وصانع الرجال،
إلى أمير الأنبياء وسيد الأرض والسماء سيدنا ومولانا محمد ﷺ

هادي الأنام حبيب الله شافعنا غوث وعون له الإحسان والكرم

وأصبح الكون مسروراً بطلعته والأرض تزهو به والبيت والحرم

فقد نالت هذه الأمة المحمدية منزلة خاصة عند مولانا عزّ وجل لم تنله أمة من
الأمم، وما ذلك إلا لأننا أتباع لهذا النبي الحبيب .

إنّ محبة مولانا لنا تتجلى في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، نرى ذلك في قوله
تعالى ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من
عملهم من شيء﴾ الطور ٢١ .

هذه خصوصية لأهل الإيمان ، أهل الإيمان الذين بشّرهم الله تعالى فقال ﴿وبشّر
الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم﴾ (يونس ٢) .

فيا أهل الإيمان: عطايا الله تعالى لكم وكرمه ومحبته لا تعدّ ولا تحصى ، إن من
العطايا الإلهية قوله لنا ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ المائدة ١٥ .

قد جاءكم من الله نور هو سيدنا محمد ﷺ ، سيدنا محمد الذي أكرمنا الله تعالى بحبته واتباعه، وتعالوا بنا لنر محبة مولانا عز وجل لنا نحن أمة سيدنا محمد ﷺ من بين الأمم يقول ﷺ (خ) : « إن مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراً، فقال : من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط قيراط ، فعملت اليهود، ثم قال : من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين فأنتم هم (النبي يقول فأنتم هم يا أمة محمد) لكم على كل عمل تعملوه أجران ، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : مالنا أكثر عملاً وأقل عطاء قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا : لا ، قال : فذلك فضلي أوتيته من أشياء .

أرأيتم كيف نلتهم محبة ربكم بانتسابكم لنبيكم؟ ألا فلتعلم أمة سيدنا محمد أنهم مرحومون بنبيهم لا أدل على ذلك من قوله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء ١٠٧) وقوله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ (الأنفال ٣٣).

فيا إخوة الإسلام : هذا حب الله تعالى لكم

وهناك حب خاص من الله لأهل الشام ، هذا الحب يتجلى في الأحاديث النبوية ، يقول ﷺ (أحمد ٥ / ١٩٨ وأبو نعيم في الحلية ٩٨/٦) « بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتُمّل من تحت رأسي فظننت أنه مذهب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ، ألا وإنّ الإيمان حين تقع الفتن بها الشام » .

وفي رواية : « فإذا وقعت الفتن فالأمن بالشام » (طب . أحمد ١٩٨/٤ . مجمع ١٠ / ٥٨) وفي رواية (طب ٧٧١٤ . أبو نعيم في الحلية ٣٢/١) « وإني أولت أن الفتن إذا وقعت أنّ الإيمان بالشام » ورواية أبي داود (٢٤٨٣ صحيح مجمع الزوائد ٥٨/١٠) توضح لنا هذا العمود ما هو حيث يقول ﷺ : « رأيت ليلة

أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة ، قلت ما تحملون ؟ قالوا :
عمود الإسلام أمرنا أن تضعه بالشام » .

هل رأيتم يا أهل الشام ، عناية الله لكم وجهه ، وما دمننا في غمرة احتفالنا بهذا
النبي أريد أن أزيدكم حباً بالله ورسوله ، إن حبينا ﷺ يقول : (أحمد حب ٨٨٨١ .
مجمع ٦٠/١٠) « قسّم الله الخير فجعل تسعة أعشاره في الشام وبقيته في سائر
الأرض ، وقسم الله الشرّ فجعل جزءاً منه في الشام وبقيته في سائر الأرض فطوبى
لأهل الشام » (هكذا يقول حبيبكم النبي) « طوبى لأهل الشام . قيل : ولم يا
رسول الله قال : إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » (أحمد ١٨٤/٥ - ت
٣٩٥٤ - طب ١٥٨/٥).

هذا حب الله لكم يا أهل الشام فقولوا الحمد لله .

أما الآن فأدعوكم جميعاً في غمرة احتفالنا بهذا النبي أن نزور هذا النبي ، وستر
من خلال هذه الزيارة أنّ رسول الله يبادلكم حباً بحب ، تعالوا ندخل على سيد
الوجود ونحن نصلي عليه ، ها هو رسول الله يدعو لنا عندما يرانا ندخل عليه ويقول
: « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . كررها مراراً . قالوا يا رسول الله وفي نجدنا ،
قال : بما الزلازل والفتن وبما يطلع قرن الشيطان » (خ ١٣٧ . ت ٣٩٥٣) طب
١٣٤٢٢ .

ترك الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم
لاستيلاء الشيطان بالفتن ، وقد فعل الشيطان فعله في المشرق ، فعل فعله في فتنة
نجد في الدرعية ، وفعل فعله بفتنته في العراق ، التي فرّقت المسلمين إلى سنة وشيعة
وأكراد وشيوعية وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به ، فقد أغوى ضعاف الإيمان من
الناس حتى استطاع الكفار أن يسيطروا على العراق ، ولهذا ورد في الحديث (طب
٣٤١/١٢) : « دخل إبليس العراق ففضى بها حاجته ، ثم دخل الشام فطروده ، ثم
دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريته » .

فرسول الله رفض أن يدعو لهم لأن بها تنتشر الزلازل والفتن ، ولذا دعا رسول الله أصحابه أن يسكنوا الشام في دمشق فقال لهم : (أحمد ١٩٧/٥ طب ٤٢/١٨ - ٤٢٩٨د) « فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق » « دمشق من خير مدائن الشام » (حب ٦٦٤٠ - جه - ٤٠٤٢ - طب ٤٢/١٨).

وكان ﷺ ييشر أصحابه ويقول : « ستفتح عليكم الشام فيذ خيرتم المنازل فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فإنها معقل المسلمين من الملاحم ، وفسطاطها منها بأرض يقال لها الغوطة (أحمد ١٦٠/٤) .

فهنا في بلدتنا أشرف المسلمين عند الحروب والمعارك ، وحتى تستبشروا بالنصر يأهل الشام اسمعوا بشارة سيدنا محمد ﷺ لكم يقول : « لاتقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق » (أحمد ٢٤٩/٥) فعليكم بالشام (أبو يعلى رجال الصحيح) .

بلادكم يا أهل الشام ويا أهل دمشق خاصة بلاد مباركة ، بلاد عليها أنظار الله ، فيأيامكم أن يراكم على غير ما يحب رسول الله ، وهو حين يمدحكم ويفتخر بكم أمام أصحابه الكرام يريدكم أن تحملوا الراية وتدافعوا عنها ، اسمعوه وهو يقول لأصحابه : «عليكم بالشام فإنها خيرة الله في أرضه ، ولها يجتي خيرته من عباده» «فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ، ومن دخلها من غيرها فبرحمته» (طب ٧٧١٨ . جامع الصغير ٤٩٢٤ . حا ٥٠٩/٤) .

هذه وصية سيدنا رسول الله بكم يا أهل الشام، بلادكم خير بلاد وأنتم في أمان الله وحماية الله ، أنتم سيف الله ، على أعداء الإسلام، اسمعوا البشارات وأنتم تصلون على صاحبها : « أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم من يشاء من عباده ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنهم ولا يموتوا إلا همأ وغمأً وغيظاً وحزنأ » (طب ٤١٦٣ . أحمد ٤٩٥/١٣ . ٤٩٩ . أبو يعلى) .

أنتم أهل الحق في زمن الفساد ، هكذا يبشرنا صاحب الذكرى العطرة قائلاً لأصحابه خير الخلائق بعد صفوة المرسلين والملائكة قال لهم بكل حب لأهل الشام: « إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم » (أحمد ٤٣٦١٣ ت ٦ / ٣٥٣ . جه . أبو يعلى) . وقال :

« لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة) مجمع (٦١/١٠) .

يا أهل الشام أنظار الله عليكم عناية الله بكم كلّ بوساطة سيدنا محمد ﷺ اسمعوا ماذا يقول لنا ، يقول « إنّ الله تكفل لي بالشام وأهله » (أحمد ٤ / ١١٠ . حا ٥١٠/٤) ومن تكفل الله به فلا ضيق عليه ولا خوف عليه ، أرضكم أرض الأنبياء فكيف يخاف من كان جاراً لنبي فما بالكم بمن كان جاراً لمة ألف نبي .

وحين ذكر سيدنا علي بن أبي طالب وهو بالعراق أثناء قتال معاوية له مطالباً بثار سيدنا عثمان ، حينما ذكر له أهل الشام الذين نصرنا سيدنا معاوية أميرهم قالوا لسيدنا علي : العنهم يا أمير المؤمنين ، أتدرون بم أجاب جدي سيدنا علي ؟ قال لهم : لا (لا ألعن أهل الشام) إني سمعت رسول الله يقول : « الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكان رجلاً ، يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » (أحمد ١١٢/١).

فهنيئاً حب نبيكم لكم يا أهل الشام ، وحق لكم أن تكونوا عند حسن ظن نبيكم بكم ، هذا حب رسول الله لكم ، فأروني مدى حبكم لهذا النبي ، عبروا عن حب نبيكم بحماية دينه بحماية الإسلام في دوركم ، في شوارعكم في محلاتكم وثكناتكم يا صفوة العباد في عصر الفتن على كاهلكم تقع مسؤولية الدفاع عن هذا الدين ، وإياكم ثم إياكم أن تنسوا قول نبيكم « إذا فسد أهل الشام فلا خير

فيكم» أنتم قادة الدنيا عند الفتن والملاحم ، هذا ما يفهم من هذا الحديث ، على كل شخص في هذه البلدة أن يتحمل الجزء من هذه المسؤولية، وإلا ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ دافعوا عن الإسلام، ودافعوا عن بلادكم، وكونوا يداً واحدة ضد عدوكم، والله معكم ﴿ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

الحمد لله



الحلقة (٤٨)

الاحتفال بذكرى ولادة الحبيب الأعظم ﷺ

الدفاع عن السنة ١٤٢٠

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والفضل والطول والمنن الجسام ، الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أتباع سيد الأنام ، واختار حبيبه وخليله سيدنا محمداً فمحي به عبادة الأصنام واختصه بالقرآن العظيم المعجز وجوامع الكلام، فبين للناس ما أرسل به من أصول الديانات والأدلة وفروع الأحكام، سيدي أبا القاسم يا رسول الله .

ومن جمالك كلّ الكون مبتهج وكلّ فضل إلى عليك ينتسب

سموت كلّ الورى فضلاً ومنك زكا ياسيد المرسلين الأصل والنسب

ياشافع الخلق في يوم الزحام أغث من جاء بالذنب والعصيان ينتحب

(أحمد الصفدي ت ١١٤١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عزّ من اعتزّ به فلا يضام ، وذللّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه هداة الأنام، صلاة دائمة باقية على ممر الليالي والأيام ، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام.

يحتفل العالم الإسلامي والعربي غداً بذكرى عزيزة على قلب كل مسلم، ألا وهي ذكرى مولد الحبيب الأعظم ويشرفني أن أرفع باسمكم واسم أهالي دمشق واسم كل شريف في الدنيا تحية عطرة طيبة للقائد الأعلى للأمة سيدنا محمد فقولوا جميعاً :

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، نشهد يا حبيب الله أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده، فصلى الله عليك يوم ولدت، ويوم بعثت، ويوم هاجرت، ويوم لقيت ربك عز وجل ، ﷺ وعلى آل بيتك الطيبين والطاهرين .

معشر الإخوة الكرام: هل يعلم المسلمون لماذا يحتفلون بعيد المولد النبوي؟ المسلم عندما يحتفل بسيدنا رسول الله فإنه يحتفل بأحد مصادر التشريع والإسلامي ألا وهو السنة المطهرة ، السنة التي هي أقوال وأفعال وتقريرات خاصة بسيدنا محمد ﷺ ، السنة هي التي تشرح القرآن فتبين مجمله وتفسر غوامضه وتقيد وتخصص الآيات القرآنية على يأمر به رب العزة والجلال ، وقد تُشرع السنة شيئاً ليس في القرآن كحد شارب الخمر مثلاً ، هذا هو التشريع الذي جاء به رسول الله قال الله فيه ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ٢٤ النحل .

لكنني أسفت أشد الأسف يوم طالعت جريدة الأسبوع المصرية في عددها ٣٧١ الاثنين الماضي (١٩ نيسان ٢٠٠٤) فقد أصدر مركز ابن خلدون في قصر القاهرة بزعامة التعس وسعد الدين إبراهيم مقالاً تناول فيه على الإسلام ونبي الإسلام .

قال فيه هذا دك تور سعد بكل صفاقة : « لا نعترف بالسنة ، وصحيح البخاري غير صحيح ، والإسلام بحاجة إلى نبي جديد للإصلاح » .

هذا التصريح لا أدري ماذا أقول عن صاحبه ، هل هو من عقلاء المجانين أم من مجانين العقلاء ، هل هو كافر أم مسلم لأنه يصرح بوجود نبي بعد سيدنا محمد وبالتالي يكذب الله في القرآن الكريم .

ولاشك أن وراء هؤلاء عدواً شرساً من أعداء الإسلام ، لقد كنا نسمع أمثال هؤلاء ينكرون المذاهب الأربعة، لما سكتنا عنهم راحوا يتطاولون على الصحابة أمثال سيدنا علي ثم عمر، وهامي ثلاثة الأثافي والطامة الكبرى صاروا ينكرون السنة .

علينا . أيها السادة . ونحن نحتفل بسيدنا رسول الله أن نعلم أن الله تعالى قرن طاعة رسوله بطاعته ، بل كل قضية ليس في القرآن نص عليها تكون طاعة الرسول من أوجب الواجبات، وإليكم الدليل تصرح به الآيات القرآنية على موجات سورة آل عمران (٣٢) ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران ٣١) فجعل مولانا عنوان محبة الله لعباده ورضائه عنهم اتباع رسول الله ﷺ والالتزام بأمره والأخذ بسنته والتسليم له فيما يثبت من قوله ﷺ أو فعله أو تقريره سواء أكان ذلك مما ورد به النص القرآن أم لم يرد، ولأن الاتباع هو عنوان محبة الله ، ذكره مولانا مطلقاً في الآية على من ينكر طاعة رسول الله أو سنته !؟

الآية واضحة كالشمس من تولى وأعرض عن طاعة الله وتولى وأعرض عن حكم رسول الله ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ مبعوض لله ، والله لا يحب الكافرين ، لقد وصمت هذه الآية بالكفر كل من ينكر السنة أو ينكر طاعة رسول الله .

لكن آية ثانية توضح لنا الموقف أكثر ، توضح أن المسلم مطالب بطاعة رسول الله وامتنال أمره ، هو قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

هل يسمع منكرو السنة هذا الكلام؟ ردوه إلى من ؟ إلى الله والرسول، بلا قيد ولا شرط طاعة مستمدة من طاعة الله، يا ذك تور سعد اسمع إن كنت تؤمن بالله، اسمع قال الله ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ .

وإذا لم ترد أن تسمع كلام سيدنا محمد في صحيح البخاري فاسمعه من صحيح مسلم يقول لك : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله » .

هذا هو القرآن والحديث يوضح مكانة السنة فلماذا هذا التجني على السنة؟ ، لماذا هذا الكفر؟ إن الله أمرنا بأن ما جرى من الخلاف والتنازع واجبنا أن نرده إلى الله أي إلى كتابه ، وإلى الرسول بسؤاله في حياته وإلى ما يثبت عنه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وعلى المسلم أن يقبل حكم رسول الله ويقول سمعنا وأطعنا ، ماذا يقول ؟ سمعنا وأطعنا، أترون هذه الكلمة الطيبة التي نطقتم بها ألسنتكم واعتقدتم بها قلوبكم إن الله يشركم عليها بأنه سجلكم في عداد المؤمنين، اسمعوا البشارة : ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن

يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ النور (٥) الله يهيننا بالإيمان.

اسمعوا البشارة الثانية : ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ النساء ١٣ .

اسمعوا البشارة الثالثة وعطايا الله ليس لها حد : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ...﴾ فقولوا الحمد لله .

وأما أولئك المحسوبون على الإسلام وعلى نبي الإسلام بالهوية فقط ، وهم يحاربون الإسلام ويقبضون من الاستعمار ولا يقبلون حكم رسول الله فاسمعوا ماذا يفعل الله بهم:

أولاً : نفى الله عنهم الإيمان في الدنيا حتى لا يغترّ الناس بهم أنهم منا ، هم منافقون كذابون قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

ثانياً : مآلهم يوم القيامة في النار ، لذا أبشروا يا سعد إبراهيم ورفاقه، بأن الآيات تبشركم بالنار، يتمنون فيها لو أنهم لم ينكروا السنة ، لو أنهم سمعوا كلام النبي ﷺ وأطاعوه قال تعالى ﴿ يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

إخوتي في الله : إن الذين يكذبون بالسنة مكذبون بالقرآن ، يا رفاق سعد لاتدعوا أنكم تريدون القرآن فقط ، أنتم كذابون تريدون هدم الشريعة القرآن والسنة، ولا تحسبوا أن فعلكم هذا يخفى على سيدنا محمد، والله يا إخوتي سيدنا محمد ﷺ كشف هؤلاء، وكشف خداعهم منذ خمسة عشر قرناً ، كشفهم بحديث يعدّ من أعلام نبوته فقال :

« ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، ما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإنّ ما حرم رسول الله كما حرّمه الله » هل سمعتم يا رفاق سعد ، وإنّ ما حرم رسول الله كما حرّمه الله ، ﴿ أطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ (محمد ٣٣) إن الله وعد فقال : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (الأحزاب ٧١) .

فكفاكم كذباً على الناس ، إنني أتحدّى هذا الدك تور أن يعرب لي البيت التالي :

ولو أنّ كلّ كلب عوى ألقيته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

إنني أطالب شيخ الأزهر إن كان عنده بقية حياء من سيدنا رسول الله بالتدخل لمنع التطاول على السنة والإسلام ، وإلا فإنني أحكم على هؤلاء بأنهم خارجون من

الإسلام ومارقوا من الدّين وأطالبهم بالتوبة والرجوع إلى الإسلام والنطق بالشهادتين ، فإن لهم يفعلوا فإنني باسمكم أرفع عليهم دعوى قضائية في محكمة قاضيها ربّ العالمين، ليس مستشاراً ولا قاضياً ولا مدعي عام أول ولا وزير عدل ، بل قاضيها يعلم السر وأخفى ، موعداً في محكمة يقول الله فيها للمظلوم أيها المظلوم تقدم ، ويقول للظالم أيها الظالم لا تتكلم .

يا سعد إبراهيم اعملوا ما يحلوا لك فبيننا موعد لن تخلفه ﴿ لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ .

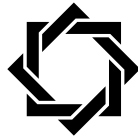
يا نائم الليل مسروراً بأوله إنّ الحوادث قد تأتين أسحارا

اعمل ما شئت فالموت يعمنا ، والقبر يضمنا ، والقيامة تجمعنا ، وإلى الله مرجعنا فيحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

اعمل ما شئت لازالت الأيام شيمتها الغدر ، وبعد صفو الليالي يحدث الكدر .

وأبشّر سيدنا رسول الله أنّ الأمة متيقظة لما يكاد لها ، ولن يستطيع أعداء الإسلام أن يطفؤوا نور الله بأفواههم.

فيا سيدي يا رسول الله في ذكرى مولدك: نعاهدك على أن نكون حماة لدينك وسنتك ، فهل تعاهدون يا إخوة قولوا : عهداً لله ورسوله أن نكون حماة لدينه وسنة نبيه .



الحلقة (٤٩)

الاحتفال بذكرى مولد الحبيب الأعظم ﷺ

سباق الأجابة

الحمد لله الذي فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات فأعطى سيدنا آدم الصفوة ، وسيدنا إبراهيم الخلّة ، وسيدنا موسى تسع آيات بينات .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له بعث سيدنا عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات .

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله اتخذ الله حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم أفضل صلواتك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وزده تشريفاً وتكريماً ، وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة، كما يليق بعظيم شرفه وكماله عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضا نفسك وزنة عرشك، أفضل صلاة وأكملها وأتمها، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون، وسلم تسليماً.

أما بعد: معشر الإخوة الكرام

تعيش الأمة الإسلامية في هذه الأيام في أعظم ذكرى تعتزّ بها ، تعيش في عيد من أعيادنا الإسلامية نسعد بروحانية كلّ عام ، إنها ذكرى عزّ الإسلام وذلّ الكفر والوثنية، عيدٌ إشرافه النور على هذه الأرض بشرى للناس ورحمة .

فماذا يستطيع اللسان أن يقول في ذكرى مولد سيد الإنسانية الأعظم ، وسيد البشر من كل قبيل ، وفي كل عصر وفي جيل ، ومن أين للقطرة أن تصف البحر ، وللذرة أن تصور الجبل ، وللهباء أن ترسم الشمس ، إن قصارى ما يبلغه اللسان أو التعلم أن يشير في هيبة إلى مقامك الأسنى وإلى مقامك الرفيع ، فاللهم آتِه نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، ورضّه عنا يا أرحم الراحمين .

إخوتي في الله : كنت وأنا أطلع السيرة النبوية واستعرضها منذ أشهر أرى سباقاً فريداً من نوعه ، منافسة عظيمة لم تشهد الإنسانية مثالية أعظم منها ، ذلك هو سباق الأحبة ، سباق يتسابق فيه المسلمون ويتنافسون عليه ويعملون جاهدين للفوز به، أتدرون ما هذا السباق؟ إنه سباقٌ على محبة سيدنا رسول الله .

حب متبادل بين صاحب الشريعة وبين أصحابه المخلصين ، حبّ يتوارثه المسلمون جيلاً بعد جيل .

فاسمحو لي - **معشر السادة** - أن انتقل بحضراتكم إلى هناك إلى الحبيب المحبوب الذي بجاهه تشفى العلل وتفرج الكروب بعون علام الغيوب إلى أمير الأنبياء سيدنا محمد ﷺ

وتضوّعت مسكاً بك الغبراء

بك بشرّ الله السّماء فزينت

ومساؤه بمحمد وضاء

يوم يتيه على الزمان صباحه

هاهو أعرابي يقف يوم الجمعة ورسول الله على المنبر يخطب المسلمين عن قضايا الساعة ويوم القيامة ، فيقول الأعرابي : يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال عليه أزكى الصلاة والسلام : **وماذا أعددت لها ؟** قال الأعرابي : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة إلا أنني أحب الله ورسوله . فقال له رسول الله مباشرة :

المرء مع أحبّ .

يقول سيدنا أنس بن مالك راوي الحديث : ما فرح المسلمون بعد الإسلام
فرحهم بقول نبينا : المرء مع أحب .

فاللهم اشهد بأننا نحب نبيك سيدنا محمداً ﷺ .

معشر الإخوة الكرام : كان الصحابة يزدادون حباً واحتراماً كلما فتحوا القرآن
الكريم وتلو تلك الآيات التي تطلب كمال الأدب مع نبينا ﷺ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً ﴾ (الحجرات) . ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقّروه ... ﴾ .

يقول جدي ابن عباس : تقدّروه وتجلّوه ، وقال المبرد : تقدّروه وتبالغوا في
تعظيمه ، أتعرفون أيها الإخوة عندما نزلت هذه الآية ماذا قال الصديق الأكبر قال
لنبينا : والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار (سراً) ، حب وأدب
عظيمان للسيد الأعظم . يقول سيدنا عمرو بن العاص « ما كان أحد أحبّ إلي من
رسول الله ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو
سئلت أن أصفه ما أطقّت لأني لم أكن أملأ عيني منه » .

وأخرج الترمذي عن سيدنا أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من
المهاجرين والأنصار وهم جلوس وفيهم سيدنا أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه
بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما ينظران إليه وينظر إليهما ويتسمان إليه ويتسم
لهما» .

حب غامر يملأ قلوب الثلاثة ، إنني أقول وبكل يقين إن دنيانا هذه لم تر في
تاريخها الطويل الموغل في جوف الزمان بشراً اجتمعت فيه الصفات التي أوتيها سيدنا
رسول الله ، فقد كان طفلاً لا ككل الأطفال ، وفتى لا ككل الفتيان وشاباً لا
ككل الشبان ونبيّاً لا ككل الأنبياء ، إن الله خلقه نسيج وحده وآتاه الفصاحة

والبلاغة، يحضرنى على الفور وصف أم معبد التي تقول : « إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق، فصل لا نذر ولا هزر، وكأن منطقهم خرزات نظم يتحدرون، واسمعوا إلى هذا الكلام الذي يقوله إمام اللغة والبلاغة الجاحظ الذي يقول: (لم يُسَمَّع بكلام قط أتم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح في معناه ولا أبين عن فحواه من كلام سيدنا محمد ﷺ) . »

ولهذا . وقبل أن أتابع معكم سباق الحب . اسمحوا لي أن أنقل لكم بعض جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ، من كلام لا يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة ، فاستقبلوا كلام نبينا بالصلاة عليه ، اسمعوا أغلى من اللآلئ والجواهر .

يقول : (المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم) ، وقوله (الناس كأسنان المشط) وقوله : لا خير في صحبة من لا يرى ما ترى له) ، (الناس معادن) ، (وما هلك امرؤ عرف قدره) (المستشار مؤتمن) ، (ابن اخت القوم منهم) ، (رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم) وقوله (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) وقوله (ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً) .

وقوله (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) (خير الأمور أوسطها) ، (أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما) (الظلم ظلمات يوم القيامة) الله أكبر ، هذا هو الجوهر نثره رسول الله على الكون ليبيهر .

لقد كسب رسول الله حب الناس بأخلاقه، واجتذب قلوبهم بنبل تصرفاته ، ونقل أعدى أعدائه من دياجير الكفر وطغيانه إلى رحاب الإيمان الفسيحة بتسامحه وكرمه أفعاله ، وجعل جميع المسلمين يضحون بأرواحهم وأبناءهم من أجل النبي وحب النبي ومن منا لا يذكر تلك المرأة التي مرت تشهد القتلى في أحد ، وقد سمعت أن رسول الله قد قتل راحت تبحث بين القتلى فرأت أباه وأخاه وزوجها وابنها وقد

استشهدوا ، ولكنها لا تبالي بهم بل راحت تنادي وتقول: أين رسول الله ؟ ما فعل رسول الله؟ أهو بخير قالوا : هو بحمد الله كما تحبين. قالت : أرونيه حتى أنظر إليه. فلما رأت رسول الله قالت له بحب غامر : يا رسول الله أنت حي لا أبالي بمن قتل مادمت حياً .

وسيدنا زيد بن الدثنة أسير كفار مكة ، الذي أخرجوه من الحرم ليقتلوه فتلقيه أبو سفيان حين قُدم للقتل (أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن يكون محمد عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك. فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي « فتعجب أبو سفيان وقال : ما رأيت أحداً يحبّ أحداً كحب أصحاب محمد محمداً) .

ونحن اليوم نعلنها عالية ونقول : اللهم اشهد بأننا نحبّ حبيبك سيدنا محمداً ﷺ .

لقد وصف تلاميذ الإمام مالك سيدنا مالكا فقالوا : كان إذا ذكر رسول الله تغير لونه وبكى ، حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يوماً في ذلك. فقال : لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر . وكان سيد القراء . لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا بكى حتى نرحمه ، وقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعاء والتبسم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرّ ، وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا على طهارة .

هذا تعظيم واحترام وحب عظيم حلّ في قلوب الصحابة منذ حلّ رسول الله على هذه البسيطة ، لكن حباً غريباً عجبياً بلغ ببعض الصحابة أن جعله نحيلاً هزياً مصقراً الوجه، فقد التقى سيدنا رسول الله بسيدنا حارثة فرآه متغيراً هزياً ، فسأله :

. يا حارثة ماذا أرى بك؟! .

فقال سيدنا حارثة : يا رسول الله أنا في الدنيا إذا اشتقت إليك جئت فرأيتك وملاأت عيني منك ، وتفكرت أنني في الآخرة إن كنت في النار فإنني لن أراك ، لأنك في الجنة ، وإذا كنت في الجنة فأين مكانتي من مكانتك وكيف سأراك عندها .

ونظر حبيب الله إلى هذا الحب الذي ملأ جوانح الصحابي الجليل حارثة ، لكن ثالثاً كان حاضراً هذا المشهد إنه الله رب العالمين ، أرسل الأمين جبريل ليطوي الآفاق ويهبط السبع الطباق ، وينزل على رسول الله بآية .

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ .

إن من أحب رسول الله فهو مع رسول الله (المرء من أحب) فمن أراد أن يكون هناك مع الحبيب الأعظم فليبق معنا هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ .

وَأَسْلَمَ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ



الحلقة (٥٠)

الاحتفال بمولد النبي الأعظم ﷺ

تلامذة النبي ﷺ

الحمد لله المتوحد بجلال البهاء ، المنفرد بدوام البقاء ، المتعالى عن الزوال والفناء
المقدس عن الآباء والأبناء ، المتردي برداء العظمة والكبرياء ، العليم بجميع الأشياء
الذي جلّ عن الابتداء والانتهاء ، وتعالى عن الأضداد والأنداد والقرناء ، وجلّ عن
الصاحبة والأولاد والشركاء .

أحمده سبحانه تعالى وأشكره في السراء والضراء .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
الأرض ولا في السماء ، ورفع السماء بغير عمد في جو الهواء ، وبسط الأرض
بحكمته على تيار الماء .

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي المفضل والرسول المبجل، صاحب
الوصف الأكمل، والقدر الأعدل، فما أعطي الفضل والكمال إلا لمن جمعت فيه
أشرف الخصال ، وحُصّ بالفضل والعقل والعلم والأنفال

وهو الذي قد حاز كلّ الكمال وحُصّ بالفضل وحسن المقال

وهو الذي قد جاءنا رحمةً مفرقاً بين الهدى والضلال

محمد المبعوث من هاشم أفضّل من حاز جميع الخصال

صلى عليه الله طول المدى ما عطر الكون نسيم الشمال

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد النبي المفضل، وعلى آله وأصحابه ماطلع نجم أو أفل هلال ، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

أين أقف اليوم ؟ أقف بين قائد وجنوده ، بين معلم وتلامذته .

فما تفصيل ما أجملت وما توضيح ما أوجزت ؟

إذا أردنا أن نعرف شخصية الرسول العربي فعلينا أن نتعرف على الطبقة التي خرّجها من مدرسته ، إذا أردت أن تعرف عظيماً فانظر إلى الجيل الذي خرّجه من جامعته ، فنحن اليوم نستعرض جانباً من جوانب العظمة في شخصية سيدنا ومولانا محمد من خلال الأبطال الذين حملوا الرسالة من بعده وتربوا على مائدته، فإن موافقهم تزيدنا إيماناً و يقيناً بأن ما صنعه رسول الله ليس أمراً عادياً، ولكن معجزة قلبت عباد الحجارة ليعبدوا رباً واحداً لا شريك له، فغدت هذه العقيدة تزكو في نفوسهم حتى حاربوا بها الدنيا وحكامها، ونشروا السلام في بقاع الأرض وجنبتها .

أتحدث اليوم عن رجال سيدنا محمد ﷺ :

أرسلت داعيةً إلى الرحمن ودعوت فاهتزت لك الثقلان

أخرجت قومك من ضلالات الهوى وهديتنا للواحد الديان

أبدأ مع حضراتكم مع سيدنا أنس بن النضر، سيدنا أنس كان قد فاته شرف الجهاد يوم بدر فأقسم أن لا تفوته غزوة مع رسول الله ﷺ إلا وجاهد فيها ، فلما كان يوم أحد وهتف الداعي للجهاد، وأعد رسول الله العدة لقتال المشركين ، إذا بسيدنا سعد بن معاذ يلقي أنساً بن النضر فسأله : إلى أين يا أبا عمر ؟ فقال : واهاً لريح الجنة، والله إني لأجد ريحها دون أحد .

ونزل البطل المغوار حومة الوغى وساحة القتال وطارت على شفرة سيفه رؤوس ملؤها الجبروت والظلم ، وهاج في وسط المشركين كما يهيج الجمل الأورق، وزأر فيهم زئير الأسود إذا ديست عرينها ، وكان له شرف الاستشهاد في هذا اليوم .

أتدرون أيها الإخوة : كم كان في جسده من آثار الضربات ، لقد وجد في جسده اثنتان وثمانون ما بين ضربة بسيف وطغته برومح ورميه بسهم، حتى لقد شق عليهم أن يعرفوه من كثرة جراحه وما عرفته يومها إلا أخته : عرفته بثيابه وبنانه .

فماذا كان موقف المالأ الأعلى من هذا الشهيد البطل الذي نزل أرض المعركة والقلب مليء بقوة العقيدة ، والنفس تتشوق إلى النعيم الأبدي حيث الروضات الباسمات والضياء والسكون المقيم .

لقد أرسل الله تعالى سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء يجوب الآفاق ويطوي بأجنحته السبع الطباق، هبط على أمين الأرض والسماء بريقة عزاء عطرة، شيع بها روح الشهيد الطاهرة ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ (الأحزاب ٢٣) .

فإذا ما قلبت يا أخي بناظريك وبصيرتك هذه البرقية العاطرة الخالدة الفواحة بأريج الجنة ، رأيتها سجلت لهذا الشهيد وأمثاله من الشهداء والأبرار والأبطال الأظهار سجلت ثلاث صفات وقررت ثلاث سجايا من أكرم الشمائل وأطيبها وأطهرها: هي الإيمان والرجولة والوفاء .

من المؤمنين (هذا هو الإيمان) رجال (تلك هي الرجولة) ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه (هذا هو الوفاء) .

وهذه الآية نزلت بعد أحد التي استشهد فيها سبعون من خيرة الصحابة الكرام منهم سيدنا سعد بن الربيع ، سيدنا سعد تفقده القائد الأعلى فلم يحده فأرسل سيدنا زيداً ليبحث عنه بين القتلى إن كان على قيد الحياة أم لا ، فينادي سيدنا زيد

على سيدنا سعد فيجده بين جراحه ودمائه الزاكية الطاهرة فيقول له : يا سعد رسول الله يقرئك السلام ويقول كيف تجددك ؟، فيقول سيدنا سعد : وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، أجد ريح الجنة ، ثم يقول سيدنا سعد لسيدنا زيد: أبلغ رسول الله مني السلام وقل له جزاك الله عن الإسلام خيراً ، وقل لأصحابك : ألا لا خير فيكم إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف» .

فانظروا إلى هذا الشهيد البطل وهو يودع الدنيا ويستقبل دار الخلود والنعيم المقيم يودعها وقلبه مشغول بسيدنا رسول الله ، يودعها ولسانه يلهج بالثناء على رافع راية التوحيد ، يودعها وهو يوصي الصحابة أن يكون جنداً يقظين حول القائد الأعلى يحمونه ويفدونهم بأرواحهم .

إخوتي في الله : انتقل بكم من أحد إلى خير حيث أعرابي يبايع رسول الله على الهجرة، ويحضر في غزوة خيبر ويقسم رسول الله له من الغنائم، فيأبى أن يأخذ شيئاً ويقول لصاحب الرسالة العصماء : ما على هذا اتبعتك يا رسول الله ، وإنما اتبعتك لأرعى بسهم فاقتل فأدخل الجنة. ويأبى أن يأخذ من الغنائم، ويرفض رفضاً قاطعاً ويلخص اتباعه للنبي ﷺ في كلمات ملؤها الإخلاص والوفاء والرضا ، لم يتبع النبي لدنيا يصيبها ، وإنما اتبعه ليموت شهيداً ، فماذا كان ردّ رسول الله على هذا الأعرابي الذي دخل تاريخ الإسلام من أشرف أبوابه وأوسعها ، قال له سيدنا رسول الله .
إن تصدق الله يصدقك.

وينزل الأعرابي أرض المعركة بعدما صمتت الألسنة ، ونطقت الأسمّة ، وخطبت السيوف على منابر الرقاب ، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب، ثم يرى هذا الأعرابي وقد وقع شهيداً ، فيؤتى بجثمانه الطاهر إلى رسول الله فيسأل الرسول ﷺ : أهو هو ؟ فيقال : نعم يا رسول الله . فيقول سيدنا رسول الله (صدق الله فصدقه).

أرأيتم كيف هانت الدنيا وهان ما فيها أمام قلب عرف الله فأحبه ، ورحم الله من
قال :

لعمرك ما للإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد خط بالشرك النسب أبو لهب

أيها السادة :

إن ماضربناه من الأمثلة إن هو إلا غيض من فيض ، وجزء من كل ، وقطرة من
بحر لأن سيدنا رسول الله ربي الصحابة جميعاً تربية واحدة ، إن كل الصحابة تلاميذ
لهذا النبي ، كيف كان هؤلاء ، أبشراً أم ملائكة ؟ كانوا بشراً ولكن :

كانت المعرفة رأس مالهم ، والحب أساس معاملتهم ، والشوق مركبهم ، وذكر الله
أنيسهم ، والثقة كنزهم والحزن رفيقهم ، والعلم سلاحهم ، والصبر رداءهم ، والرضا
غنيمتهم ، والزهد حرفتهم واليقين قوتهم ، والصدق شفيعهم ، والطاعة حسهم ،
والجهاد خلقتهم .

نعم لم يكونوا ملائكة وإنما كانوا بشراً من أصحاب سيدنا محمد ﷺ ، إنهم
خريجو مدرسة سيدنا محمد ﷺ التي تخرج فيها: المصلح العظيم كأبي بكر ، والزعيم
الملهم كسيدنا عمر ، والحيي الكريم كعثمان والعبقري الفذ كعلي ، والمفتي الخبير كابن
عباس ، والمدرس القدير كابن عمر ، والقائد القوي كخالد ، والزاهد الجليل كأبي ذر ،
والمحدث الكبير كأبي هريرة ، والفقيه الورع كابن مسعود ، والبطل المغوار كالزبير ،
والفاتح العظيم كسعد ، والحكيم البارع كسلمان .

هؤلاء هم أبطال الأمة ، وغيرهم ممن لا يعد ولا يحصى ، هؤلاء الذين تخرجوا على
يديهم هؤلاء هم أبطال الأمة ، وغيرهم من القادة على يد القائد الأعلى ، لم يخلف
رسول الله ابناً يرث رداءه ، ولكن خلف قياديين يحملون لواءه ، كلنا أبناء رسول الله

وبناته، وعلينا نحن أن نبقي اللواء مرفوعاً حتى يتسلمه رسول الله منا هناك في يوم
القيامة .

وريثما يستلمه منا هناك فعلينا أن نرفع التحية هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا
مدرسة سيدنا محمد ، الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي .

وَسَلِّمْ
عَلَيْهِ
صَلَّى
اللَّهُ



الاحتفال بمولد سيد البرية ﷺ العيد الوطني للإسلام

الحمد لله الواحد فلا يجحد ، الأحد الذي في سرمديته توحد ، الفرد الذي في ربوبيته تفرّد ، الغفور الذي يغفر الذنوب لمن يتوب ولا يتردد .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فهو الشكور الذي لا يشكر غيره ولا يحمد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الذي أفنى الممالك والملوك وملكه سرمد ، العلي الذي إليه الكلم الطيب يصعد ، الحاكم الذي أرسل الرسل ليرشدوا الناس إلى الطريق الأحمد ، وجعلهم حجاباً بين يدي من له الشفاعة ولواء الحمد في القيامة يعقد ، وجعله آخر الأنبياء ليبين لهم الطريق الأرشد ، فلذلك قال تعالى في كتابه الممجّد ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين ، ومن شرفه الله على جميع المخلوقين ، ونبأه وآدم بين الماء والطين ، وأرسله إلى كافة الخلق فقال تعالى في كتابه المبين ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ، فجعل مقامه رفيعاً ، وحسنه بديعاً ومولده للمؤمنين ربيعاً .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه أجمعين ،
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة المسلمين :

قبل أن أبدأ حديثي إليكم اليوم أريد أن أرفع معكم التحية : تحية حب وولاء ،
وعز ووفاء ، وشكر وثناء لسيد الرسل والأنبياء سيدنا محمد رسول الله ، بمناسبة
الشهر النبوي والعيد الوطني للإسلام ، ففي هذا الشهر الكريم ولد رسول الله ، وفيه
هاجر ، وفيه أسس أول دولة للإسلام ، وأول مسجد في الإسلام ، فهذا الشهر
شهر الحبيب الأعظم ، شهر الصلاة والسلام عليه ، ولهذا أرى لزماً علي أن نرفع
التحية باسمي شخصياً وباسمكم واسم أهل الشام واسم كل مسلم في الدنيا تحية عطرة
إلى القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ فقولوا :

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، نشهد أنك بلغت الرسالة ،
وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، فصلّى الله عليك
يوم ولدت ، ويوم هاجرت ويوم أتك اليقين .

إخوتي في الله :

كانت ساعة من ساعات الزمان المرضية ساعة ولد فيها الحبيب المصطفى ،
ساعة راق فيها العيش ووصفا ، وزهق الباطل واختفى ، وظهر مصباح الإيمان وما
انطفأ ، وهب نسيم مولده في جميع الأقطار ، فاكتمت من نوره عزاً وشرفاً :

هذا ربيع أتى بالبشر يتسم لأجل طه الذي بالله يعتصم

خير الأنام حبيب الله شافعنا غيث و عون له الإحسان و الكرم

في يوم الاثنين أنوار الحبيب بدت من مكة وانجلت حقاً به الظلم

وأصبح الكون مسروراً ومبتهجاً والأرض تزهر به والبيت والحرم

تقول السيدة آمنة والددة سيدنا النبي ﷺ لما حملت به : ما شعرت أني حملت به ، ولا وجدت له ثَقَلاً كما تجد النساء ، إلا أني أنكرت حيضتي ، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال :

- هل شعرت أنك حملت ؟ فكأنني أقول : لا أدري . فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وخير البرية ، قالت : فكأن ذلك مما أيقن عندي الحمل .

ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال : قولي إذا ولدتيه: أعينه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً . وفي روايته الإمام أحمد : سمعت وجبته عظيمة وأمرأً عظيماً هالني ، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميين ، ثم التفت فإذا أنا بشرية بيضاء لبناً ، وكنت عطشى فتناولتها فأضاء مني نور عالٍ .

وحضرت قابلته ﷺ وهي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، ومسحت بيدها على بطني وقالت :

بسم الله اخرج بإذن الله ، فأخذني المخاض فوضعت ولدي محمداً .

فوقع على كفيه وركبتيه على الأرض ، شاخصاً ببصره إلى السماء ، وسمعته يقول:

جلال ربي الرفيع ، الله أكبر كبيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وأهوى ساجداً لله تعالى ، فصلوا عليه وسلموا تسليماً .

وتلقت السماء هذا الطفل المبارك قبل أن تتلقاه الأرض المباركة ، وأشرقت شمس الوجود يوم أن جاء سيدنا محمد ﷺ ، ولم يبق في الدنيا أحد من الملائكة إلا وتمنى أن يشرف على تربيته لتتشرف بنور طلعه وتخطى ببركته ، ولكن مولانا القادر على تربيته من غير رضاع ولا سبب سبقت كلمته وتمت حكمته ألا يرضع هذه الدرة اليتيمة والنفس الكريمة إلا حليمة السعدية

سيرى حليمة وأرضعي هذا المفلدى هذا الذي في حسنه مازال فردا

فلك الهنا برضاعه فهو الذي من وجهه قمر الملاحه ما تعدى

فشب محفوظاً من الله تعالى بعيداً عن أقدار الجاهلية وعاداتها ، فكان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأشدّهم حياءً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة حتى ما أسموه في قومه إلا الأمين .

واسمحو لي أن انتقل بحضراتكم إلى بمبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية، فهذا هو يدلي لنا ببيان هام عن طفولته ﷺ وشبابه (ق) فعن سيدنا جابر بن عبد الله يقول: لما بنيت الكعبة فذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة ، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال : إزاري إزاري ، فشدّوا عليه إزاره .

ويروي لنا سيدنا زيد بن حارثة أنه كان ﷺ إذا طاف حول الكعبة لم يمسه صنماً وكان ينهأ أن يمسه صنماً (خ) .

ويروي لنا ابن عباس عن أم أيمن بركة الحبشية أنه ﷺ كان لا يحضر أعياد الأصنام لقريش يعصمه الله تعالى (أبو نعيم أبي الدلائل ٥٩/١) .

وتروي لنا السيدة عائشة ؓ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول (الدلائل لأبي نعيم) لم يذق شيئاً مما ذبح على النصب حتى أكرمه الله تعالى بالرسالة .

ولهذا سئل رسول الله يوماً (أبو نعيم) هل عبدت وثناً قط قال : لا ، قالوا فهل شربت خمراً قط قال : لا ، ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان) .

هذا ما يسمى عند علماء العقيدة بالعصمة ، ولذلك يقول سيدنا حسان بن ثابت :

خلقت مبراً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وحين أراد الله تعالى كرامته وابتدأه بالنبوة بدأت معالم اصطفائه على الخلق أجمع ، فكان إذا مرّ في الشعب وبطون الأودية سلّم عليه الشجر والحجر قائلاً : السلام عليك يا رسول الله .

وحبب الله إليه الخلوة فكان يخلو في غار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وكان يسمع صوت الملائكة من حوله (م) وأقام رسول الله بمكة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئاً (يسمع صوت الملائكة ويرى نورهم) حتى رأى الملك بعينه .

وحقّ نزل عليه سيدنا جبريل فرآه بعيني رأسه ، وتمت كلمة ربك عز وجل فبعثه هادياً مهدياً ورسولاً نبياً ، وأرسل له مديحاً وثناء عليا فقال عزّ من قائل : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما كنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

وسبقت العناية للعبد الحبشي ، وغلبت الشقاوة على العم القرشي ، واستنشق صهيب بالروم ريح المعرفة ، فراح سائحاً في القفار ، هائماً بحب المختار ، وهبّت نسيمات القبول والإيمان على سيدنا سلمان ، فهجر الأهل والأوطان، وجاء من فارس لرؤية سيد الأكوان، فقال فيه حبيب الرحمن: سلمان منا آل البيت .

وسبق لأويس وصفه الحسن فآمن به على بعد الوطن ، وأثنى عليه النبي المؤمن ، وقال لسيدنا عمر : يا عمر إذا رأيت أويساً فسلم عليه واطلب منه أن يستغفر لك فإنه يشفع في مثل ربعة ومضر .

وأخذ الله العهد على جميع الأنبياء والمرسلين أنه إذا بعث فيكم حبيبي محمد أن تؤمنوا به وتبعوه وتكونوا نوابه وخلفاءه في عالم الأجسام، فسيدنا محمد أول النبيين حقيقة ، وآخرهم صورة ، وهذه القضية صرحت بها الآيات القرآنية فعلى موجات سورة آل عمران (٨١) ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ .

الميثاق هو العهد مع اليمين ، فالله تعالى جمع الأنبياء كلهم لماذا ؟ إذا آتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول الله (هو سيدنا محمد) تترك توراتك يا موسى ، وإنجيلك يا عيسى وزبورك يا داود ، وصحفك يا إبراهيم وتبعون قرآن محمد ﷺ .

أسمعت يا إبراهيم ، أسمعت يا موسى ، أسمعت يا عيسى ، أسمعت يا داود ، أسمعت أيها الأنبياء ، قالوا جميعاً أقررنا والإقرار . أيها السادة . الإقرار على النفس بالفعل هو سيد الأدلة ، هل هذا يكفي ؟ لا، بل قال تعالى : ﴿ فاشهدوا ﴾ قالوا شهدنا ، فقال عز من قائل ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

إقرار وشهود على اتباع سيدنا محمد ﷺ ، ولهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام :
« لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي » .

أسمعت يا أتباع محمد ﷺ وأنتم أيضاً من أتباع سيدنا محمد ﷺ فاجتمعتم معهم باتباعهم لرسول الله ، فنحن شرفنا وعظمتنا أننا اتباع لسيدنا محمد ، والتابع يشرف بشرف المتبوع ، لا تقل أصلي وفصلي ، وإنما قل أنا سيدي وحبيب وقرة عيني سيدنا محمد ﷺ .

قال موسى : يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ، ويقاثلون الأعور الدجال اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب أني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعة ضعف يا رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب أني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم ، أجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد .

قال: يا رب اجعلني من أمة أحمد . قال استقدمت واستأخروا ، ولكن إن شئت
اسمعتك صوتهم ، قال : بلى يا رب. فناداهم: يا أمة محمد أجيئوا ربكم. فأجابوا وهم
يلبون: لبيك اللهم لبيك أنت ربنا حقاً ونحن عبيدك حقاً . قال: صدقتم أنا ربكم
حقاً وأنتم عبيدي حقاً .

وأنزل مولانا على نبيه ومصطفاه ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ أي نادينا
أمتك كي يسمع موسى كلامهم فصلوا عليه وسلموا تسليماً كانت هذه الأنبياء
بالتفصيل وإليكم موجزها : التابع يشرف المتبوع .





الاحتفال بمولد سيد الأكوان ﷺ

كمالاته ﷺ

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، المنزه في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود، المقدس في ذاته عن الصاحبة والولد والمولود، لاتدركه الأبصار ولا تغنيه الأعصار وهو الواحد المعبود .

أحمده سبحانه وتعالى على جميع النعم، فهو بكل المحامد محمود .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك القديم الماجد، الكريم الواحد، المقدس عن المشارك والمساعد ، والمتعالي عن المشابه والمماثل والمضاد والمعاذ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالدين الواصب ، الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب، الذي شرف الله به الوجود، وكمل به السعود وبلغه أعلى المراتب.

مازال نور محمد متنقلاً في الطيبين الطاهرين ذوي العلا

حتى لعبد الله جاء مطهراً وبوجه آمنة بدا متهللاً

فسمعه يسمع صرير القلم ، وبصره إلى السبع الطباق ثاقب ، لسانه مانطق بالهوى ولا تحدث قط بحديث كاذب ، يدها بركاتها في المطاعم والمشارب ، قلبه لا يغفل ولا ينام ولكن لخدمة ربه على الدوام مراقب ، قدمه قبلها البعير فزال ما شكاه

من المخاوف والمعاطب ، آمن به الضب ، وسلمت عليه الأشجار ، وخاطبته الأحجار ، وحنّ إليه الجذع حنين حزين نادب .

ياربّ صلّ على النبي محمد
واجعله شافعنا بفضلك في غد
فلقد علمتك منعماً متفضلاً
وإذا دعوتك فاستجب لي سيدي

اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وكل آله وأصحابه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة المسلمين :

يحتفل العالم الإسلامي اليوم وكل يوم بالعيد الوطني للإسلام ، أعني به مولد سيد البرية سيدنا محمد بن عبد الله ، الذي جمع الله فيه شمل الأمة بعد التفرق والشتات ، ونقلها من ذلّ عبادة الأوثان إلى عزّ عبادة الواحد الديان فسعدت به الأكوان ، إن مولانا عز وجل إذا أراد بقوم سعادة سخر لهم سعيداً فسعدوا به ، ونحن . أمة الإسلام . نشهد الله تعالى على أننا سعداء بسيدنا محمد ﷺ :

سعدت بك الأكوان ياخير الورى
ولدائها قد جئت نعم طيب
هي عنك فرع من شذاك تطيّبت
وكذا الفروع بأصلهنّ تطيب

فيا معشر المسلمين :

اسعدوا وابتهجوا بهذا النبي الكريم، وأقيموا الأفراح بدياركم، وأنفقوا لأجل محبته تنالوا الرضا في موقف المحشر يوم القيامة ، يروى لنا الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا العباس عم نبينا ﷺ أنه رأى أبا لهب بعد موته في المنام، فسأله العباس : ما حالك؟ فقال أبو لهب : في النار ، إلا أنّ الله تعالى يخفّف عني في كلّ ليلة اثنين فأمصّ من بين اصبعي هاتين ماءً ، فلماذا ياترى؟ ، ماهو السبب في أن الله يخفف عن أحد أهل النار عذابه؟ أتدرون أيها الإخوة . يا أحباب رسول الله لماذا يفعل الله

به ذلك؟ أجاب عن هذا السؤال أبو هب نفسه إذ يقول : وإن ذلك باعتاقي ثوية
حينما بشرتني بولادة محمد ﷺ .

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذي طول عمره بأحمد مسروراً ومات موحدًا
(الحافظ شمس الدين الدمشقي في كتابه : مورد الصادي في مولد الهادي) .

معشر السادة الكرام :

إننا نحتفل اليوم بالإنسان الكامل، بسيد ولد آدم، الذي زكى الله عليه بصره
فقال: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ وزكى عليه بصره فقال ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾
﴿وزكى عليه سمعه فقال ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ وزكى عليه لسانه فقال : ﴿وما
ينطق عن الهوى﴾ وزكى عليه رأيه فقال : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما أراك الله﴾ وزكاه وكله فقال ﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾ .

سيدي أبا القاسم يارسول الله :

فاحت بعاطر ذكرك الأيام وتفاخرت بجهادك الأعلام
أثنى عليك الله في قرآنه فأنت السيد المقدم

والحق الذي يجب أن نعتقه أن نبينا الأعظم قد آتاه الله تعالى من الكمالات
ملايحد ولا يحصى، ومن أعظم هذا الكمالات أن الله تعالى أكمل هذا الدين على

يديه فقال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

ومن أعظم الكمالات التي أوتيها إنزاله عليه الكتاب الخاتم ، ألا وهو القرآن العظيم الذي نسخ جميع الشرائع قبله فقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ .

ومن أعظم الكمالات التي أوتيها هذا النبي الحبيب أن جعل زمانه أفضل وأكمل وخير الأزمنة فقال ﷺ (خير القرون قرني) ، وجعل مكانه أفضل الأمكنة: فعلى مقربة من مقام إبراهيم وحجر إسماعيل ومهبط جبريل الأمين ومقابل البيت الحرام ولد سيدنا رسول الله ، وجعله الله تعالى يتردد بين العينين مكة والمدينة .

ومن أعظم الكمالات التي أوتيها السيد الأعظم أن جعل بيته وأهل بيته خير بيت وضع في الأرض ، فقال عزّ من قائل ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

كما أجمع العلماء أن أطهر بقعة على وجه الأرض هي البقعة التي ضمت جسد سيدنا محمد ﷺ :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيّه القاع والأكم

روحي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ومن الكمالات التي أوتيها هذا النبي العربي أن اختار الله له صحباً هم خيرة أهل الأرض في عصره، وهم الأولياء المتقون والأئمة المجتهدون العدول فقال ﷺ (خير القرون قرني) فهم صفوة العالمين وقال ﷺ : الله الله في أصحابي من أحبهم فبحبي أحبهم .

ومن أعظم الكمالات التي أوتيها رسول الله ﷺ أن جعله الله قدوة العالمين بالإطلاق فقال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ .

ومن الكمالات العظيمة التي أوتيها سيد الخلق وحبيب الحق أن جعل أمته خير أمة أخرجت للناس، فقال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ فما أعذب هذا الكلام. يقول ﷺ : (أنتم تكملون سبعين أمة أنتم خيرها).

ومن أعظم الكمالات التي أوتيها سيد ولد آدم أن خصه بهذا الذكر الخاص ألا وهو الصلاة والسلام عليه ، هذه الصلاة العظيمة التي تشتمل على جميع أنواع الذكر، والتي ابتدأها الله بنفسه وثنى بملائكة قدسه فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ هذه الصلاة هي الذكر الكامل لأن فيها ذكر الله تعالى (اللهم . يا الله) وفيها ذكر سيدنا محمد ﷺ ، وفيها الدعاء : يا الله صل على حبيبك محمد ﷺ ، وفيها الاعتراف بجميل الله تعالى والتقرب إليه.

ومن أعظم كمالاته ﷺ أن الله تعالى ربط قبول توبتنا باستغفار النبي لنا ، فقال تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ .

ومن أعظم كمالاته ﷺ أن الله تعالى جعله أماناً لأهل الأرض من العذاب ، فهو لهم حصن حصين من العذاب لأهل الأرض ، فقال تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان معذبهم وهم يستغفرون﴾ .

ومن أعظم كمالاته ﷺ أن جعله الله تعالى أولى بكل مؤمن من نفسه لذا قال :
﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ .

ومن أعظم كمالاته ﷺ أنه لا يسمع به أحد من أهل الكتاب أو كافر من الكفار ثم لا يؤمن به إلا كان من أهل النار فقال ﷺ (لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار) .

ولقد خاطب الله النبيين والمرسلين من قبله بأسمائهم، فقال تعالى ﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ وقال ﴿ يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ﴾ ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وسلامي ﴾ ﴿ يا عيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ... ﴾ يا يحيى ... يا داود ... يا آدم ... إلا سيدنا رسول الله خاطبه مولانا عز وجل بقوله : ﴿ يا أيها النبي، يا أيها الرسول ، يا أيها المزمّل ، يا أيها المدثر ﴾ .

وكان كل نبي ورسول يبعث إلى قومه خاصة وبعث سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً .

وأعظم كمالاته ﷺ أن خصه مولانا عز وجل بالشفاعة العظمى والمقام المحمود وأعطاه لواء الحمد ووصفه بالنور والسراج المنير فقال : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ .

ورفع الله تعالى ذكره ، وشرح صدره ، ووضع عنه وزره، وأسرى به إلى الملاء الأعلى وصلى بالأنبياء إماماً ، وأعطاه الكوثر، وجعل شأنه هو الأبر، وقال له ربه : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ أتعرفون ماذا قال رسول الله عندما نزلت عليه هذه الآية قال (طب . ض) : لا أرضى وواحد من أمتي في النار هذا هو حبيبك وشفيعك يوم القيامة.

صلّوا على الهادي البشير المنذر صلوا على أهل الكمال المفسر

صلوا على المبعوث رحمة للعالمين ، فمن صلى عليه كان شافعاً له يوم القيامة، هنا
مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب الأعظم ﷺ
وتحيتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك

وَأَسَلِّمُ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ



خطبة المولد النبوي ورد الأبرار في الصلاة على النبي

الحمد لله الذي أحيا قلوب المؤمنين باتساع رحمته ، وألهمهم من حسن التوسل ما يدفعون به عظيم أخذه وعقوبته ، ووهب لهم من حكايا الحزن والبكاء ما يتوصلون به إلى منازل جنته ومغفرته ورحمته .

فسبحانه من إله شرفنا بملة التوحيد ، وأرسل لنا سيد الخلق والعبيد ، وجعل صلاتنا عليه شفيعاً لنا بين يديه ، فمن أراد تكفير الخطايا والزلات ، وبذل العطايا والصّلات والحلول في أعلى الدرجات فليكثر على سيدنا محمد من الصلوات .

حب النبي المصطفى لقلوبنا عسل مذاب

حب النبي المصطفى يحبك من تحت التراب

يا سيدي ومحمدي

أصبحت أغنى واحد في الكون فيك بلا حساب

أنت الخلايا في دمي لكنها بك تحتوى بك لاتصاب

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وكيف يشاركه شيء وكلّ الأشياء خليقته ، من قابل إحسانه بالإساءة نادى عليه شقوته .

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ، بشر بطاعته المتقين ، وأنذر بمعصيته المجرمين حتى قامت على الخلائق حجته ، صعد المنبر الشريف فقال:

آمين ، ثم صعد درجة فقال: آمين ، ثم صعد درجة فقال : آمين ، فعجب الصحابة من فعله ذاك إذ لم يفعله من قبل، فقالوا: وما آمين يا رسول الله؟ فقال: أتاني جبريل فقال : رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له فقل: آمين فقلت: آمين . ثم قال : رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخل الجنة: فقل آمين فقلت: آمين ، ثم قال : رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقل: آمين فقلت: آمين .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وأدم ذلك يا مولانا بمدد لا تنقضي مدته ، وسلم تسليما

أما بعد: فيا معشر الإخوة المسلمين :

سأتلو اليوم على حضراتكم ورد الأبرار ، نحن اليوم مع وُرد صاحبه أقرب الناس إلى رسول الله منزلة ، وأرفعهم لديه درجة ، وأولادهم به شفاعة ، إننا مع وُرد يزكو به صاحبه ، ويطهر من الذنوب ، وتنفر عنه العيوب ، ويفرج الله همه وكربه ، فهذا الورد تخلية من النقائص وتخلية بالفضائل .

وُرد يقوم مقام أستاذ التربية ، ويقوم مقام الصدقة في حق فاقدها ، ويُكفى به هم الدنيا والآخرة .

من لزم هذا الورد أعطي وسامين براءة من النفاق وبراءة من النار ، وينزل صاحبه منازل الشهداء الأبرار .

وهذا الورد سبب عظيم لقضاء الحاجات ونيل المرادات ، وسبب لفتح أبواب الخير أمام من يتلوه ويُنفى عنه الفقر ويلتمس ببركته كل خير .

سأعلمكم اليوم ورداً يكون لكم نوراً على الصراط ، وزينةً للمجالس ، وأماناً من أهوال يوم القيامة ، وسبباً عظيماً لإجابة الدعاء .

أتدرون ما هذا الورد ؟

أتعرفون ما هو ورد الأبرار؟ إنه: الصلاة على النبي المختار .

إننا مع الحلقة الثالثة والخمسين من سلسلة السيرة النبوية من جامع الدرويشية.

ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُوكُمْ جميعاً لترفعوا تحيتكم بورد الأبرار بالصلاة على النبي المختار : الصلاة والسلام يا سيدي يا رسول الله .

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأحزاب (٥٦) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

إخوة الإيمان : صلاة الله تعالى ثناءؤه عليه عند الملائكة وتعظيمه وتشريفه ، وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار .

والمقصود من هذه الآية : أنّ الله سبحانه أخبر بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنّه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأنّ الملائكة تصلي عليه ، ولهذا أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الشاء عليه من العالمين العلوي والسفلي جميعاً .

وسبب نزول هذه الآية - معشر الإخوة - كما نقله جدي ابن عباس ؓ :

أنّ بني إسرائيل قالوا لسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام : هل يصلي ربك؟ فناده مولانا عز وجل : يا موسى سألوكم هل يصلي ربك فقل: نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي ، وأنزل مولانا عز وجل على نبيه ومصطفاه :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » .

هذه الجملة - أيها السادة - تفيد الدوام والاستمرار نظراً إلى صدر الجملة من حيث إنها جملة اسمية ، وتفيد التجدد نظراً إلى استمرار صلاة الله وملائكته على النبي، وتجدها في كل وقت بلا انقطاع ولانفاد (تفسير الألوسي) .

فأنت - يا أخي المسلم - عندما تصلي على سيدنا محمد (اللهم صلّ على سيدنا محمد):

يعني أنك تطلب من الله أن يعظم سيدنا محمداً أكثر ، ويرقيه مدارج الكمالات التي لانهاية لها ، هذا أولاً :

وثانياً : المراد تعظيمه أيضاً في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء الشريعة، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيغ في أمته . فليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله ، ولكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا ، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء ، فأرشدنا الله تعالى إلى الصلاة عليه .

ولتوضيح هذه القضية بالذات اسمحو لي - يا أحباب رسول الله - أن انتقل بكم إلى هناك ، إلى أشرف وأطهر بقعة على وجه الأرض ، إلى البقعة التي ينزل في روضها سيد الأنبياء والرسل الكرام سيدنا محمد ﷺ .

الله زاد محمداً تكريماً وحباه فضلاً من لدنه عظيماً

واختاره في المرسلين كريماً ذا رافة بالمؤمنين رحيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

لما نزلت هذه الآية الكريمة ، تحير الصحابة في كيفية تنفيذها فقالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟

نظر رسول الله إلى تفاوت درجات الصحابة الكرام ، ورأى أنه كلاً منهم سيذكر صيغته من الصيغ ، ورأى أنهم مهما صاغوا من صيغ لن يوفوا مقام الرسالة والنبوة

فالتفت إليهم وقالوا قولوا : اللهم صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد ، ثم قال لهم : « من صلى علي ثم قال : اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » (بز . طب . طس) .

إخوتي في الله : أعجب الصحابة أيّما إعجاب بهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على حبيبه ومصطفاه ، فأتوا مهنيين ومباركين ومتباركين بسيدنا محمد ﷺ ثم قالوا : - يارسول الله هذا لك فماذا لنا ؟

(ألسنا أتباعك وأصحابك ، ألسنا نفديك بأرواحنا ؟)

وسكت الحبيب الأعظم ، وإذا بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء ، وكبير أمناء وحي السماء أن ينزل بآية على قلب حبيبه، بآية فيها الشفاء لصدور وقلوب صحابة نبينا ﷺ وظهر البشر والفرح على محيّا وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات من النور ﴾ وأنزل أيضاً لنا ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ .

عليكم أن تحمدوا الله تعالى ، لقد آتاكم الله مثل ما أتى نبينا سيدنا محمداً ﷺ ، هل تعلمون لماذا ؟ لأنكم من أتباع هذا النبي الكريم ، وإنّ شرفكم وعزكم يزداد بازدياد اتباعكم وشدة اقترابكم منه ، ولا يكون ذلك إلا بكثرة الصلاة عليه ، اسمعوا هذه القضية يصرح بها سيد البرية فيقول : « إنّ صلاة أمتي تعرض علي في كلّ يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة » (هب) .

وفي رواية (طب . جه) : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه أتاني جبريل عليه السلام آنفاً عن ربي عز وجل فقال : ما على الأرض من مسلم يصلي علي مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشراً » ليس هذا فقط بل قال لنا أيضاً (حم . جه) « ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة مادام يصلي علي فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر » .

هل تلاحظون - أيها السادة - إنّ رسول الله ينتظر أن نصلي عليه يوم الجمعة ،
هل تلاحظون أن رسول الله ينتظرنا لنزوره بالصلاة عليه يوم الجمعة .

إن يوم الجمعة يوم عيد الصلاة على النبي ، لذلك وجهنا حبينا إلى ذلك فقال :
(أحمد . د . ن . جه . حب) « إنّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق، وفيه
قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة » .

هذه مقدمة البيان النبوي ، فلماذا يرغبنا رسول الله في يوم الجمعة ؟ ليقول لنا :
« فأكثرُوا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » افتحوا خط
الهاتف بينكم وبين سيدنا محمد ، دعوا الخط مفتوحاً ولا تغلقوه ، فهو يسمعكم
وأنتم تصلون عليه ، « قالوا : يا رسول الله ! وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت
(أي بليت عظامك) قال : « إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

إذاً حبيبك ﷺ في روضته حي طري ، لا تقولوا مات رسول الله ، إن رسول الله
حي في قبره يردد الصلاة على من يصلي عليه ، ولهذا قال ﷺ : « ما من أحد
يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » (أحمد . د) .

ولذلك قال العلماء : الصلاة على النبي لا يردها الله تعالى ، يقبلها بفضله وكرمه
، ورحم الله من قال :

أدم الصلاة على النبي محمد فقبولها حتماً بغير تردد
أعمالنا بين القبول وردّها إلا الصلاة على النبي محمد

يقول سيدنا أبو سليمان الداراني رحمه الله :

« من أراد أن يسأل الله حاجته فليكثر من الصلاة على النبي ثم يسأل الله حاجته
وليختم بالصلاة على النبي ، فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم أن يدع ما بينهما » .

فمن أراد من الله حاجة فليصل على النبي ، ومن أراد من الله شفاء فليصل على النبي ومن أراد أن يكشف الله همه وغمه فليصل على النبي ، ومن أراد أن يغفر الله له ذنبه فليصل على النبي ﷺ .

قال سيدنا أبي بن كعب (أحمد . ت) : « يا رسول الله إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت ، قال : الرابع ؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير . قلت : النصف ؟ ، قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير ، قال : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : إذن تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك » .

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها يقول « إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أكثركم عليّ صلاة » .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى قائد الأمة وسيد الخلق وحبيب الحق، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي:

الصلاة والسلام عليك

وَسَلَامٌ
عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ



التوسل

الحمد لله الذي منّ بتنزيه الشريعة عن كل حديث مفترى .

وهتك حجاب الكاذب عليها فلا يلقي إلا ساقطاً مزدرى .

أحمد سبحانه وتعالى وأشكره وأدعوه واستغفره ، وألوذ به معتصماً ومنتصراً
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك فيها ولا افتراء .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحق بشيراً ومنذراً .

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
سادة الورى ، وأئمة الأمصار والقرى ، ما غير جيوش الحق في وجوه المبطلين حتى
رجعوا القهقرى ، وسلم تسليمًا كثيراً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة المسلمين :

خاض العابثون الخارجون عن أصول العقيدة بتحريف الدين مدّعين أن في
خروجهم هذا محافظة على التوحيد وحماية للعبد من الشرك بالله سبحانه وتعالى .

وإنني أقف اليوم بينكم لأردّ كيدهم وأعيد المسائل إلى أولها ، والقواعد إلى محالّها ،
إذ أنني في رحلتي الأخيرة الأسبوع الماضي إلى منطقة شرق آسيا (أعني بها ماليزيا
وسنغفورة) ، وخلال جولتي على مدن هذه البلاد أو الجزر رأيت بعض هؤلاء
العابثين يشوّهون حقيقة الدين لقوم هم بعيدون عن الوطن الأم للبعثة النبوية ،
ويستغلون هذا البعد ليشوهوا حقيقة الدين وحقيقة العقيدة ويزرعوا التفرق بين

المسلمين ، وبدل أن يعمدوا إلى الملحدين والكفار واليهود والنصارى في تلك الجزر ليدخلوهم في بوتقة هذا الدين الحنيف ، بدل ذلك عمدوا إلى الصف المسلم الواحد وفرّقوا شمله حتى صار الولد عدوّ أبيه : دخل أحد الأطفال ولم يتجاوز سن الثانية عشر على أبيه وهو يقول له : لا حنفي ولا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي لا أريد إلا حديث رسول الله ﷺ .

لقد أصبح المسلمون الشافعيون هناك يعانون من الداخل من تلك الطائفة ويعانون من الحكومات الكافرة كحكومة سنغفورة .

واستنجد بالله القوم ثم بي لأردّ على هذه الطائفة التي تسمّي نفسها بالمحمدية ، وسيدنا محمد مما يزعمون بريء .

وكم كنت أودّ أن أتكلّم عن جميع تلك القضايا التي خاض بها العابثون الحاقدون ولكنني أذكر لكم أهمّ قضية كُفّر بها هؤلاء الناس هناك ألا وهي قضية التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين إلى الله تعالى .

ومع الحلقة الرابعة والخمسين من سلسلة قضايا السيرة النبوية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيّتكم إلى النبي الأعظم : الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

أيها الإخوة المسلمون :

الاستغاثة (أي طلب الغوث) والتوسل والتشفع والتّجوه (أي أن تقول اللهم بجاه فلان من الجاه والوجاهة أي علو القدر والمنزلة) .

هذه الألفاظ ليس لها إلا معنى واحد في قلوب المسلمين وهي : طلب الغوث من الله تعالى بواسطة واحد من خُلص عباده ، سواء كان نبياً أو ولياً أو رجلاً صالحاً ،

فإن الله هو المستغاث به حقيقة ، والنبي أو الولي مستغاث به مجازاً باعتباره له شفاعة عند الله تعالى .

ولهذا ربّ العزة والجلال أرشدنا بقول : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ ولا يقصد أحد من المسلمين غير هذا المعنى ، ولو كان عامياً أو جاهلاً أسأله : أنت تقول يا شيخ محيي الدين أريد ولدأ ، يا سيدي عبد الغني النابلسي أريد أن تشفيني ، أسأله وأنت تسمعه يقول ذلك : هل أنت تستغيث بالولي ليعطيك هو أم الله ؟

هل الشيخ ابن عربي أو النابلسي أو سيدي أبو مدين هو الربّ المعطي أم هو واسطة؟ ، بماذا سيحييك؟ فوراً سيقول : الله تعالى .

وحقيقة هذا الأسلوب استعمله القرآن الكريم ، ووردت به السنة ، وإليك الأدلة: قوله تعالى ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ أي سبب عملكم ، فهل دخول الجنة بعملنا أم بفضل الله ؟ بفضل الله ، إذاً القرآن أسند دخول الجنة بسبب العمل إسناداً مجازياً لا إسناداً حقيقياً .

دليل آخر توضيحي أكثر : قوله تعالى ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً** ﴾ هل الآيات هي التي تزيد الإيمان أم الله ؟ الله .

إذاً القرآن أسند زيادة الإيمان إلى الآيات إسناداً مجازياً (هي سبب عادي للزيادة) والذي يزيد الإيمان حقيقة هو (الله) والله وحده .

يوجد أدلة كثيرة في القرآن تعطينا المعنى نفسه والقاعدة نفسها ﴿ **واتقوا يوماً يجعل الولدان شيباً** ﴾ الله هو الذي يجعل الولدان شيباً ، والإسناد إلى اليوم (يوم القيامة) إسناد مجازي .

ولذلك عندما تقول: أغثني يا رسول الله ، أغثني يا جدي عبد القادر ، الإسناد إلى المكلف إسناد مجازي باعتبار التسبب والكسب والتوسط والشفاعة والمغيث

حقيقة من؟ الله ﴿الله خالق كل شيء﴾ أريدكم أن تفهموا هذه القضية تماماً ، النبي مغيث تسبباً وكسباً وشفاعة ووجهة ، فحببيك رسول الله ذو الجاه العريض و الشريف الوسيع، والقدر المنيف الرفيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه .

معشر السادة الكرام : وصلت الآن إلى قمة البحث في هذه القضية ، فأنا بفضل الله تعالى لن أنتهي منها وأنتم معي حتى أشبعها بحثاً فربما لا أعود لذكرها ثانية ، وأريد هذا التسجيل الذي تحملونه لبيوتكم أن تنشروه لكل أحبابكم فاسمعوا وعوا وصلوا على حبيبيكم ، واسمعوا معي إلى إمام الأئمة في عصره سيدي تاج الدين السبكي الشافعي شيخ الشافعية في القرن الثامن الهجري يقول :

« إنّ التوسل بسيدنا رسول الله ﷺ جائز في كلّ حال : ١ - قبل خلقه ، ٢ - وبعد خلقه في مدة حياته ، ٣ . وبعد موته في حياة البرزخ . ٤ . وبعد البعث في عرصات القيامة وفي الجنة .

وقد فعله سيدنا رسول الله والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون .

فنبينا فعله أولاً في أدعيته الشريفة فقال ﷺ : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» .

أو ليس هذا توسلاً؟، نعم هو توسل لاشك فيه، وفي بعض أدعيته : اللهم بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، هذا روي بطرق كثيرة منها صحيح ومنها حسن.

فالحبيب الأعظم أمر الصحابة بالتوسل بكلّ عبد مؤمن أيضاً فقال (جه صحيح):

« من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، أسألك بحق ممشي هذا، فإنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي

فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» من قال ذلك : « أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك » ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها التوسل صريحاً ما رواه (ت . ن . هب . طب) بإسناد صحيح إلى سيدنا عثمان بن حنيف (احفظوا اسم هذا الراوي) أن رجلاً ضريراً أتى سيدنا النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني فقال إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت وهو خير ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك (سيدنا) محمد نبي الرحمة (يا سيدي يا رسول الله) يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم شفعه في « يقول الراوي يا سادة يا كرام (ابن حنيف) فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرر قط [وخرج هذا الحديث أيضاً خ في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرک] .

وليس هذا فقط بل إن الصحابة الكرام استعملوا هذا الحديث بعد وفاة نبينا ﷺ لقضاء حوائجهم .

فقد روى الطبراني والبيهقي : « أن رجلاً كان يختلف إلى سيدنا عثمان بن عفان (يتردد إليه) زمن خلافته في حاجته فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته ، فشكى ذلك لعثمان بن حنيف ﷺ الراوي للحديث فقال له : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا سيدنا محمد نبي الرحمة ، يا رسول الله أتوجه بك إلى الله في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفعه فيّ ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان ﷺ فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه وقال له اذكر حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها ثم قال له : ما كان لك من حاجة فاذكرها [جاءته توصية من سيدنا النبي] فلقى الرجل ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته ، فقال ابن حنيف : والله ما كلمته ، وأخبره قصة الرجل الضرير .

فهل توسل بنبينا بعد وفاته ونداء له بعد وفاته .

إخوة الإيمان :

لم تقف المسألة عند هذا الحد لأن الصحابة الكرام فعلوا التوسل لما أصابهم قحط زمن الفاروق عمر ، يروي لنا (هب وابن أبي شيبة بإسناد صحيح) أن بلال بن الحارث الصحابي لما قحط الناس جاء إلى قبر النبي وقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله في المنام وأخبره أنهم سيسقون .

أنني لا أستدل بالرؤيا للنبي ﷺ ، لأنها وإن كانت حقاً فلا تثبت بها الأحكام ، لإمكان الاشتباه على الرائي ، وإنما الاستدلال بفعل الصحابي وهو سيدنا بلال بن الحارث فيتيانه لقبر النبي ونداؤه له وطلبه منه السقيا دليل على جواز ذلك (وتلك الطائفة التي تسمى بالمحمدية تقول بجرمة نداء الميت ويدعون أنه إشراك ، فهذا يرد عليهم) ونحن نقول رداً عليهم : إن ذلك من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ فجاءه باقٍ ومنزلته لا نزول بعد وفاته ﷺ ، وكان هؤلاء المانعين للتوسل يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فمن عظمه حكموا عليه بالكفر ، فكيف وقد عظمه الحق جلّ جلاله في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم ، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه ، قال تعالى ﴿ **لَتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُؤْمِنُوا** ﴾ : تحترموا وتعظموا ، نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ، فتعظيمه بما يليق من أعظم الطاعات وأجلّ القربات ، وكذا سائر الأنبياء والملائكة والصالحين قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ** ﴾ .

ومن قصّر بالرسول في شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر ، فإذا قال العامي : نفعي النبي ، أو أغاثني أو نحو ذلك فإنما يريد الإسناد المجازي والقرينة على ذلك أنه مسلم موحد ، لا يعتقد التأثير إلا لله وحده ، فلا تأثير لغيره البتة سواء كان حياً أو ميتاً ، إن فعل الفاروق حجة في الدين فقد توسل بالعباس ، وإن فعل الأئمة حجة لأن الله شهد لهم بالخيرية .

أيها الإخوة : اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد في أوائل الخلافة العباسية، مشهد بطله سيدنا الإمام مالك إمام دار الهجرة، فقد قدم الخليفة المنصور زائراً النبي ﷺ بعد حجه أو قبله ، ووقف أمام الحجرة الشريفة فسلم على صاحبها، ثم التفت إلى الإمام مالك وسأله سؤالاً :

يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله وأدعو ؟

اسمعوا جواب الإمام قال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ (القاضي عياض في الشفا بسند صحيح) .

وقد ثبت أيضاً أن الإمام أحمد توسّل بالإمام الشافعي رحمه الله ، حتى تعجب عبد الله ولده فقال له أبوه : يا ولدي إنّ الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن .
ولما بلغ الإمام الشافعي أن أهل المعرب يتوسّلون إلى الله بالإمام مالك رحمه الله لم ينكر عليهم ذلك .

وأما إمامنا الشافعي رحمه الله فكان يتوسل إلى الله بأهل بيت النبي ﷺ ويقول :

آل النبي ذريعتي وهم إليّ وسيلتي

أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحتي

وأما سيدنا آدم أبو البشر فقد توسل بالنبي قبل وجوده ، يروي لنا الإمام البيهقي بإسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي : عليك به فإنه كلّ هدى ونور) قال سيدنا عمر قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت مكتوباً على

قوائم العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت إنك لم تضيف إلى اسمك إلا
أحب الخلق إليك وإذا سألتني بحقه غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك « زاد :
(حا . وطب صححه) وهو آخر الأنبياء من ذريتك .

فيا ربّ صلّ على النبي محمد واجعله شافعنا بفضلك في غد

فلقد علمتك منعماً متفضلاً وإذا دعوتك فاستجب يا سيدي

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى قائد الأمة
وسيد الخلق وحبيب الحق، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي:

الصلاة والسلام عليك



الحلقة (٥٥)

الإسراء والمعراج

الحمد لله ثم الحمد لله .

يا رب فرج الكرب العظيم ، اكشف عنا اعتداء المعتدين ، رد كيدهم ، اجعل الدائرة عليهم ، أرسل العذاب إليهم ، عليك بهم فإنهم لا يعجزونك ، أيد إخواننا في فلسطين والشيشان والألبان ومن جاوروهم من بلدان الإسلام ، وفي كل مكان ، في كل مكان ، في كل مكان ، يامن يقول للشيء كن فيكون ، انصرنا ، أهلك أعداءنا ، ارحم شهداءنا ثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

يا من يجير المستجير إذا دعاه يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت يا حي يا قيوم لم تنم

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه الكريم ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُو اللَّهِ وَعَدُوكُمْ﴾ .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ .

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الداعي إلى تلاحم الصف المسلم قائلاً : «المؤمن للمؤمن كالنبيان يشد بعضه بعضاً» « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

إني أتيتك وافداً عن أمةٍ بالشام ترجو كلَّ خير في الورى

حلت بها الأهواء في أرجائها وتقطعت والأمر صار منكراً

أدرك أبا الزهراء قوماً فرقوا واغث بإذن الله شعبك بالعرى

صلى عليك الله يا خير الورى صلى عليك الله ري مكررا

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المصاييح الغرر، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة المسلمين :

غداً يبرز فجر يوم السابع والعشرين من رجب ، غداً تضطرب في نفوس المؤمنين تلك الذكرى العظيمة الخالدة ذكرى إسراء سيدنا محمد ومعراجهِ ، وإنه لجدير بالعرب والمسلمين أن يعيدوا على أنفسهم هذه الذكرى الخالدة لا للاحتفال بها فقط ، بل ليفكروا بما لابس هذا الحارث العظيم ، وما سبقه من أحداث خطيرة في حياة رسولنا الكريم ﷺ .

وما لاقاه من شتم وكُره وإيذاء وإساءة من أهل الطائف، لذلك أسرى به الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى باحتفال مهيب ، قام به النبيون والمرسلون والملائكة والمقربون على أرض المسجد الأقصى صفوفاً صفوفاً يستقبلون القادم العظيم .

إنني وبهذه المناسبة الجليلة لأرفع باسمكم واسمي شخصياً واسم أهل الشام واسم كل شريف في الدنيا تحية عطرة صادرة من القلب لخلاصة هذا الوجود وواسطة العقد الفريد، إلى الذي خلقه الله تعالى في أعلى مستوى كمال العقل والخلق

الإنساني إلى الذي جثم فوق صدر الزمان نيفاً لا وأربعة عشر قرناً ، إلى القمة
السماء التي تنخلع الرقاب عن ذراها ، إلى أمير الأنبياء ورسول الإنسانية الأعظم
سيدنا ومولانا محمد فوجه تحتك إليه وقل: الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول
الله يوم ولدت ويوم بعثت ويوم أسري بك ويوم هاجرت ويوم انتقلت إلى جوار ربك
، ويوم تبعث يوم القيامة، نشهد يا حبيبنا أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة،
ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهادة .

أيها المسلمون : إن بلدكم فلسطين هي بلد النبوات والرسالات فقد آوت سيدنا
إبراهيم وموسى ، وأنبتت مريم وعيسى ، وكانت لسيدنا محمد ﷺ مسرى ومعرجاً ،
في قدسها القيامة ، وعلى أرضها الطاهرة الأقصى المبارك، وفي أرجائها عبر صلاح
الدين ونور الدين وقوافل المجاهدين .

أيها المؤمنون : إن حطين تناديكم اليوم لترفعوا راياتها ، وإن دير ياسين ومجازر
فلسطين تدعوكم لتأخذوا بثأرها ، إن ذكرى الإسراء والمعراج تعني لنا أن المسلم الذي
يعظم الكعبة ويغار عليها يجب أن يعظم المسجد الأقصى ويغار على الصخرة
المشرقة.

هذه المقدسات التي تهان اليوم من قبل اليهود على مرآة ومسمع من العالم أجمع ،
اليهود الذين تدعمهم دون أوروبا وأمريكا، الذين أعلنوا وبكل صراحة عداوتهم
للإسلام وللمقدسات المسلمين .

إنّ إخواننا في فلسطين اليوم، وفي كل بلد من بلاد المسلمين تداس وتهان ويقتل
فيها المسلمون الأبرياء بالطائرات الأمريكية وبالأسلحة الأمريكية ، إن أمريكا تعلن
حربها على الإسلام ليس فقط في فلسطين ، بل أعلن كلب أمريكا حرباً صليبية جمع
لها قوى الشر في العالم لتقف ضد المسلمين ، إنه لم يأت مجديد ، إننا كنا نتوقع منهم
هذا منذ أربعة عشر قرناً ، يومها وقف القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ يعلنها

على الملائكة فيقول : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : بل أنتم يومئذ كثير (مليار و ٣٠٠ مليون) ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

« ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، قال قائل : وما الوهن يا رسول الله قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

معشر الإخوة المسلمون : اليوم يقتلون على أراضيهم ، وواجب النصر يقتضي منا أن نصرهم بجميع الإمكانيات المتاحة أمامنا : الإعلامي بقلمه ، والغني بماله ، والخطيب بمواعظه ، إن العالم اليوم مطالب بأحد أمرين : إما الجهاد في سبيل الله ضد قوى الشر في العالم ، وإما أن يحدث نفسه بالجهاد فيما لو حال بينه وبين الجهاد حدود وبلدان ، كما هو الواقع اليوم في العالم الإسلامي ، نعم يجب أن نكون مستعدين للجهاد فيما لودعانا حاكم البلد ، إننا إن لم نفعل أغضبنا ربنا ، وشاركنا في قتل المسلمين ، ولهذا يقول لنا القائد الأعلى للأمة الإسلامية : « من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

لا تخافوا من أمريكا إن الله معنا، أمريكا اليوم تهدد وتتوعد وهي خائفة ، نعم أقوى دول الدول خائفة، والدليل أن مئة طائرة حربية تجوب سماء أمريكا كل يوم خوفاً من ضربة قادمة من شرق أو غرب، أمريكا مع قوتها تطلب مساندة دول العالم، وكل دولة مسلمة تساعد أمريكا في ضرب إخواننا في فلسطين أو ضرب أي مسلم في الوجود سيلعنها التاريخ ، إن الذي يسعد باسقاط قبلة على مسلمين ، أو يساعد في قتله أو يقتله فإن الله تعالى أعد له استقبلاً حافلاً عندما يدخل قبره، إن رب العزة يقول : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ .

أمريكا الآن تتوعد وفرائصها ترتعد من صلاح الدين العصر ، الذي تحدّى كل أمريكا بجيشها وقوتها وظلمها وخاصة ساعة القسّم الذي تزلزلت له أمريكا :

« أقسم بالله العظيم لن تنعم أمريكا بالهدوء ما لم تنعم فلسطين به » .

أمريكا تخشى وتحاف رجلاً واحد يرفع صوته بكلمة : الله أكبر ، رجل واحد هزّ كيان أمريكا مهدداً قائلاً : الطوفان من بعدي ، أي إذا حصل شيء لصلاح الدين المعاصر فسيحتاج أمريكا الطوفان ، لا تستغربوا أن تفتح عليها فلسطين ثانية على يد صلاح الدين الثاني .

لا تستغربوا أن يحكم البيت الأبيض العمامة البيضاء، أتدرون كم شخصاً أسلم في أمريكا منذ الضربة الأخيرة؟! لقد دخل الإسلام عشرون ألف شخص، ولكنهم بحاجة إلى دعائكم ، بحاجة لثباتكم ، نحن اليوم بعيدون عن الله ، غافلون ، في أسواقنا سائرون، شبابنا يتسكعون في الأسواق ينتهكون أعراض المسلمين ، يجب أن نعود إلى الله ، إن مولانا أعطانا وعداً قاطعاً فقال لنا : ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ علينا المحافظة على الصلاة ، وأن نحب بعضنا بعضاً ونتآخى، هكذا فعل رسول الله بعد الهجرة، لا تحافوا من أمريكا ولا اليهود ، الله قال عنهم ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ الله قال عنهم ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ إن الأجل محتوم ، إننا أحفاد للأبطال المجاهدين ، أما يحزنكم أن يعبث الأعداء المجرمون بالمسجد الأقصى ويدنسوا الصخرة الشريفة ويعملوا على تهويد القدس ؟ أليس عار على مليار و ٢٠٠ مليون مسلم أن يعبث هؤلاء المجرمون بمقدساتهم أمام سمعهم وأبصارهم؟ أين غيرة المسلم؟ ، أين حمية العربي؟ ، أين الذين يحبون الموت لتوهب لهم الحياة؟! .

إنني أتوجه بالتحية لأهل الانتفاضة أصحاب الحجارة، إياكم أن ترضوا بالذل، موتوا أبطالاً شهداء خير من أن تعيشوا أذلاء .

إذا لم يكن من الموت بدُّ فمن العجز أن تموت جباناً

أما أنت ياهبل أمريكا ، ويا حقير أوروبا ، ويا حفيد مسيلمة الكذاب

ستدركك المنية في ديارك وتنقل من غناك إلى افتقارك

ودود القبر في عينيك يرعى وعين الغير ترعى في ديارك

وأما أنت يابطل الزمان

يا صلاح الدين الثاني في الدنيا فلا تخف

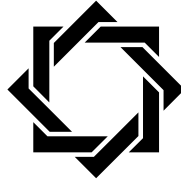
﴿ فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ﴾

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ ﴿ الذين قال لهم الناس إن

الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

الله أكبر على أمريكا ، الله أكبر على اليهود ، الله أكبر أزفت الآزفة ، الله أكبر

ليس لها من دونها كاشفة .



الحلقة (٥٦)

دروس من الهجرة

الحمد لله الذي أجرى الماء بلطيف حكمته في خلال الشجر فألانه .

الذي أطلع شمس معرفته في قلوب أهل محبته فأكمل لديهم إحسانه، ووفق من ارتضاه من عباده وجعله من آل وداده فوفى بالأمانه .

فلا مدلل لمن أعزّه، ولا مكرم لمن أهانه، فالسعيد من أهله لخدمته وعامله برحمته سبحانه، الأمر أمره، والحكم حكمه، والمملك ملكه، فمن أعرض فقد ضيع في الهذيان زمانه.

أحمده على ما شاد من فضل فقوى أركانه، وصرف من سوء فأطفأ نيرانه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفرد بالبقاء والقدم والكبرياء، فما أعزّ سلطانه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليفه أنار به سبيل الهدى فأزال به الباطل وبهتانه، وأنزل عليه الروح الأمين القرآن العظيم وقال فيه ليؤمنه نسيانه: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم، سيدنا ومولانا محمد و على آله وأصحابه ما هبّ نسيم السحر على الشجر فهزّ أغصانه، وحرك ساكن حنين المشتاق فتذكر أوطانه، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

أقف اليوم بينكم ناظراً لأمسي وغدي ، أقف بين عامين عام مضى بكل ما فيه ،
وعام آت الله أعلم بما فيه . لكنني في وقفتي هذه أتأمل تلك الخطا المباركة التي
وطئت على أرض الصحراء التي طابت بقليا رسول الإنسانية الأعظم ، ولتحل البركة
في ديار كل من يلقاه .

إنني أستطيع أن أقول : إنه مهما طاف الإنسان في ساحة عمره المديد ورأى

حوادث الدهر فإنه لن يجد أعظم من هجرة سيدنا ومولانا محمد ﷺ مثلاً أعلى
تتطلع إليه النفوس المؤمنة فتستلهم عبره ، وتستوحي هديه وتستضيء بأنواره ،
فاسمحوا لي . معشر السادة الكرام . أن أطرق مع حضراتكم ولو لجمعة باب الهجرة
النبوية نستلهم منها الدروس والعبرة ، في وقت اشتدت فيه وطأة العالم الغربي على
الإسلام تريد أن تفتك به ﴿والله من ورائهم محيط﴾ ﴿يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ .

وإني أقسم بالله العظيم أن أعداءنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة لاقدرة لهم
على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال إن نحن رجعنا إلى التمسك بديننا وتعاليم
إسلامنا .

هذا هو أول درس يتلقاه المسلم من دروس الهجرة انطلاق القوة من الضعف ،
والنصر من الهزيمة ، من يصدق أن شخصين مطاردين على أرض الجزيرة بلا جند ولا
سلاح يقول أحدهما لسراقة بن مالك: يا سراقة ! كيف بك إذا لبست سوارى
كسرى؟! .

إن عين النبوة ترى النصر من خلال الضعف، وترى البعيد قريباً .

والدرس الثاني الذي يأخذه المسلم اليوم في الأول من محرم أن لا قيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال، وأن الله عز وجل جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء، لقد ترك لنا القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ مثلاً أعلى يحتذى عندما ترك بلده وماله وأهله وعشيرته من أجل نشر الإسلام وتأسيس دولة الإسلام ، فعل ذلك عندما يأس من قومه وهو ينصحهم ويدعوهم للإسلام وهم يعرضون عنه ويسخرون منه، وكانت مكة صخراً جغرافياً يتحطم ولا يلين فأصيب رسول الله كبرياً باليتم من قومه ، كما أصيب صغيراً باليتم من أبويه .

على المجاهدين أن يصبروا، فهذا هو سيد الرسل الكرام يصبر ثلاث عشرة سنة فلا يبيغيه قومه إلا شراً ، كان راسخاً ثابتاً كالجبل وإن لم يتقدم ، وقاوم الباطل وإن ساد وغلب وحمل الناس على تحض الخير وإن ردوا بالشر، ولو أراد الملك لجعلوه ملكاً ، ولو أراد مالا لكان أغناهم مالا ، ولكن لم يكن صاحب ذهب ولا فضة بل كان نبياً رسولاً ، ثلاث عشرة سنة كانت ثلاثة دليلاً تثبت أن سيدنا محمداً ليس رجل ملك ولا سياسة ولا زعامة ، قاوم مع أصحابه في الشعب عندما قاطعوه ومنعوا عنهم حتى الأشياء الضرورية ، ولكن نبينا لم ييأس ، كان يطمئن أصحابه بأن العاقبة لهم ، وأن الله وعده النصر ، وأن الباطل لا شك مندرج ، وكان يعلمهم أن سنة الله مطردة في الكون: الفرج بعد الشدة والسعة بعد الضيق ، واليسر بعد العسر والنصر بعد الصبر (فيا رب حقق ذلك لإخواننا في فلسطين).

إخوة الإيمان :

وتتتابع دروس الهجرة، وثالث درس يعلمنا وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، من دار فيها الأصنام حول الكعبة إلى مدينة الأنصار الذين آووا ونصروا ، من دار يعصى الله عز وجل إلى دار يطاع فيها رب العالمين من دار لا يستطيع

المسلم أن يقيم فيها الشعائر الإسلامية إلى دار يقوم فيها بالطاعات والعبادات بكل حرية ويقيم فيها حكم الله في الأرض .

إن الهجرة إذاً ليست هرباً من الشدائد ولا من مواجهة الأخطار وإنما هي فتح جديد في حياة النضال والكفاح وإعداد مراكز لحرر الظالمين وقمع المعتدين بمعنى ما قيل :

سأصرف وجهي عن بلاد أرى بها لساني معقولاً وقلبي مقفلاً
وإن صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغت الشمس أن يتحولاً

معشر الإخوة المسلمين :

لقد كانت الهجرة إلى يثرب فرحاً للمسلمين مما يلقونه في مكة من المشركين من ألوان الهزء والسخرية ، كان لا بد من التحول من بلد أعمى أهلها حباً أصنامهم وحرصهم على تقليد الآباء بغير حق إلى بلد تكون مركز الإشعاع و نقطة الانطلاق .

فيا إخوة الإسلام اسعدوا وابتهجوا في هذا اليوم العظيم ، لقد هاجر النور من مكة، ها هو عظيم الأمة وسيد ساداتها يهاجر وتنطلق الحقيقة المؤمنة من قيود الباطل، وينبثق النور السماوي من خلال سحب الظلام ، إن رسول الله قد هاجر وكتب للرمال أن تقبل الخطا المباركة وللغار أن يتيه على أعظم القصور عزة وفخامة .

وينظر أمير الأنبياء وهو خارج مكة إلى وطنه الأم يتلفت إليه بشوق وحنين ويقول:

«إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وإنك لأحب البلاد إلي ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» .

أيها المؤمنون :إن الباحث في السيرة ليعجب كيف استطاع سيدنا محمد ﷺ أن يفتح بفئة قليلة من المهاجرين والأنصار الحصون التي كانت حول مكة والمدينة ، وأن يظهر بهم على قبائل الجزيرة، وأن يغير عقائدها وعاداتها ، وأن يرفع بهم وهم في غاية الجهل وضلال العقل لواء الحق والفضيلة والخير والرشاد .

فكيف فعل ذلك رسول الله ؟

استطاع ذلك بشيئين : بالإيمان الصادق الذي زرعه في قلوب الصحابة ، وبالاتحاد والألفة اللذين ساد بينهم .

هل سمعتم في التاريخ أمةً من الأمم يؤاخي قائدهم بين المهاجرين والأنصار فيدفع الأنصاري بماء إرادته ومحبتة وإيمانه يدفع مباشرة نصف ماله ونصف أرضه وعقاراته وتجاراته ونصف عبيده وخدمه يدفعهم لأخيه المهاجري .

من فعل ذلك غير أصحاب سيدنا محمد ﷺ ، مَنْ مِنَ القواد الذين يتشدقون بالديمقراطية والتحضر فعل ذلك ؟

ارفعوا رؤوسكم عزيزة شامخة لأنّ نبيكم سيدنا محمد ﷺ ، إن الواجب على الأمة اليوم أن تمدّ يد المعونة والفداء لإخواننا في فلسطين ، على الشرفاء أن ينصروا إخوانهم على أبواب الأقصى .

إن درس الهجرة الأخير اليوم يعني وجوب نصرته المسلمين بعضهم بعضاً مهما تباعدت ديارهم وبلادهم ما دام ذلك ممكناً ، إن أعظم درس يأخذه المسلمون في الذكرى الثانية والثلاثين بعد القرن الرابع عشر الهجري أن على المسلمين إذا قدروا أن يستنقذوا المستضعفين من إخوانهم في الأرض ، بأن لا تبقى منا عينٌ تطرف حتى ننقذهم مما هم فيه ، إن الأقصى ينادي الأمة اليوم :

وا إسلاماه ، واحمّده، ياشرفاء العالم اتحدوا ، يا حكام المسلمين اتقوا الله في فلسطين، اتقوا الله في مقدساتنا، هاجروا إلينا .

إنني من على هذا المنبر لأنادي : ملك السعودية ، وملك البحرين ، وأمير الكويت

وأمرأء الخليج العربي وحكام الدول العربية أقول لهم اركبوا مع سورية، لا تنقادوا لشرق ولا لغرب، كونوا معنا يداً واحدة، حتى تفرح الأمة بكم كما فرح الأنصار برسول الله عندما خرجوا من دورهم ينتظرون القادم العظيم على ثنية الوداع، حينما رأوه نادوا: الله أكبر هذا رسول الله ، الله أكبر جاء رسول الله .

فهل يكرمنا الله أن نفرح بوحدة المسلمين، هل ينادي العالم الإسلامي الله أكبر نصر الله إخواننا في فلسطين ، الله أكبر دحر الله العدو الصهيوني، إنّ التاريخ ينتظر بلهفة ليسجل تلك اللحظة التاريخية لأمة العرب .

وريشما تأتي تلك اللحظة أدعوكم جميعاً أن تساعدوهم برفع أكفكم هنا ، لتسألوا الله تعالى الفرج للمسلمين ، وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى قائد الأمة وسيد الخلق وحبيب الحق بمناسبة الهجرة النبوية، فقولوا من قلوبكم :

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

الحلقة (٥٧)

محبة النبي في مولد الهادي البشير

الحمد لله الذي تعاضم ملكوته فاقتدر ، وتعالى جبروته فقهر ، الذي أعزّ من شاء ونصر ورفع بحكمته أقواماً ووضع آخر .

نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل وقطرات المطر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم بما بطن وما ظهر .

وأشهد أنّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله ومجتباه من البشر ، نبي شق عن صدره وشق له القمر رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر ، حبيب أيده الله بمعجزات الآيات والسور .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه قادات الخير والبشر، وسلم تسليمًا.

أما بعد :

فيا معشر الإخوة الكرام :

ليس بعد الله تعالى أحد آمنّ علينا من رسول الله ﷺ ، ومحبته في الحقيقة شعبة من محبة الله تعالى ، لا يمكن الفصل بينهما ، فمن أحبّ الله فلا بدّ له من محبة رسوله ، ولذا قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ .

فلا يكون مؤمناً حتى يحبّ رسول الله ، ولذا يروي الترمذي عنه ﷺ : « أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه ، وأحبّوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي » .

ويروي لنا (م) : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » هل رأيتم كيف جمع رسول الله أصناف المحبة في محبته :

١. يجب أن تجلّه و تعظمه كمحبّة الوالد ، بل أشدّ .

٢. يجب أن تشفق عليه وترحمه كمحبّة الولد ، بل أشدّ .

٣. يجب أن تحسن إليه كإحسانك للناس ، بل أشدّ .

والنبي يقول ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن .

ومن محبته نصره سنته والذّب عن شريعته .

فهل نحن نحبّ رسول الله ؟ هل نحن ندخل تحت ذاك الحديث الذي حدّثنا به رسول الله حين قال : « من أشدّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأي بأهله وماله » (م) ، ورواية أحمد : « أنه أعطى أهله وماله وأنه رأي » .

هل نحن نحبّ رسول الله حقاً ، هل نحن من هؤلاء الذين قال عنهم رسول الله : «وددت أنا قد رأينا إخواننا (رواية مالك : واشوقاه إلى إخواني قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد سوف أكون فرطاً لهم على الحوض . قالوا: وكيف تعرف إخوانك وأنت لم ترهم . قال : رأيتم لو أن رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهري خيل دهم بئهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإني أعرفهم غرّاً محجلين من آثار الوضوء (م - خ - مالك).

هذان حديثان صحيحان من أقوال النبي يثبتان أنَّ محبة رسول الله راسخة في قلوب أمته ، وأنَّ أحدهم يتلهّف شوقاً وحناناً لرؤيته وأن يفديه بكلِّ ما يملك وبأعزِّ أهله عليه، ويثبت لهم منزلة الأخوة .

١. يجب أن نحب رسول الله لرأفته ورحمته بأمته : فهو الذي ينادي : (م) اللهم أمتي أمتي . ويكي ، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره بما قال : فقال الله يا جبريل اذهب فقل له (إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) .

٢. يجب أن نحب رسول الله لعطفه وشفقته : ومن عطفه أنَّه ادخر دعوته إلى يوم القيامة لتكون شفاعاً لأمته في أهم الأوقات وأخرجها (م) كما قال ((لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة فهي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)) .

٣. يجب أن نحب النبي لعطفه على أمته : فقد كان دائم الاستغفار لنا يدعو لنا الله لننال رضاه (بز) عن السيدة عائشة قالت : لما رأيت من النبي طيب نفس قلت: يا رسول الله ادع الله لي . فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرّت وما أعلنت . فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك فقال رسول الله : أيسرك دعائي ؟ قالت : ومالي لا يسرني دعاؤك : فقال: (والله إنَّها لدعوتي لأمتي في كلِّ صلاتي) .

- فهل تحب رسول الله كما أحبه الصحابة الكرام ؟ لقد سطر هؤلاء ملاحم بطولية في حبِّ النبي ، فهل أحببناه كما أحبه الصديق الأكبر :

هذا الصديق لما بدأت الهجرة إلى المدينة كان يجهّز عدّة الهجرة وينتظر رسول الله وإذا بالنبي يعلمه بالهجرة فيطلب من النبي الصحبة ، فقال رسول الله : نعم . فسُرَّ بذلك الصديق سروراً بالغاً أدى به إلى البكاء ، تقول السيدة عائشة : فو الله ما

شعرت قط قبل اليوم أنّ أحداً يبكي من شدة الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي.

وحين انتهيا إلى غار جبل ثور قال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار ودخل الغار فتأكد من خلوه من كل ما يؤذي رسول الله .

وحين أقبلت قريش بدأت المخاوف تشتدّ على الصديق و رسول الله يطمئنه ويهدئ من روعه فيقول أبو بكر : . أما والله ما على نفس أخاف يا رسول الله ، ولكن أخاف أن أرى فيك ما أكره ، ويطمئنه رسول الله : لا تحزن إن الله معنا ، يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . فيقول الصديق : أنا إن قتلت فإنما يقتل رجل ، ولكن إن أصبت بمكرهه إنما يذهب دين وتنمحي شريعة .

يقول الليث بن سعد : «ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق».

لقد أثبت الصديق أنّ حبه لرسول الله فاق التصور ، كان يفهم على النبي بالإشارة، يروي ابن عباس أنّ المشركين عذبوا بلالاً ، وبلال يقول : أحد أحد. فمر عليه النبي وقال : أحد ينجيك (الله ينجيك) ثم قال لأبي بكر : يا أبا بكر إنّ بلالاً يعذب في الله . فعرف الصديق ما يريد رسول الله ، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من الذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال: أتبيعني بلالاً ؟ قال: نعم. فاشتراه فأعتقه : فقال المشركون ما فعل أبو بكر هذا إلا ليد كانت لبلال عنده ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ .

وكان السيد الأعظم يقول : «رحم الله أبا بكر : زوجني ابنته ، وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله » .

لعلكم تقولون: سيدنا أبو بكر صديق النبي وحبيبه منذ ما قبل البعثة ، فتعالوا لنر شاباً يافعاً يدعى طلحة بن البراء ، فتى من فتيان الإسلام ، أحب النبي حباً فاق حبّ أقرانه (طب) لقي النبي فجعل يلصق برسول الله ويقبل قدميه . قال : يا رسول الله مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً . فعجب رسول الله لذلك ، غلام فيه مثل هذه المحبة فقال له : **أذهب فاقتل أباك** . فخرج مولياً ليفعل فدعاه النبي ﷺ وقال له : أقبل، فإني لم أبعث بقطيعة الرحم .

فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي يعودده في الشتاء في برد وغيم ، فلما انصرف قال لأهله : **لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فأذنوني به حتى أشهده وأصلي عليه وعجلوه** ، فلم يبلغ النبي بني سالم بن عوف حتى توفي وجنّ عليه الليل فكان فيما قال طلحة : ادفنوني وألحقوني بري ولا تدعوا رسول الله فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب بسبي . فأخبر النبي حين أصبح ، فجاء ووقف على قبره وصفّ الناس معه ثم رفع يده فقال : اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك (الإصابة ج ٢ / ٢٢٧) .

حبُّ ترجمه الصحابة بشتى أصناف التقرب من رسول الله يصفهم عروة ابن مسعود فيقول : **فو الله ما تنحتم رسول الله إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له** . ثم قال : والله لقد وفدت على الملوك . وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً » .

هل عرفتم لماذا قرئ النبي كان خير القرون ؟ هل عرفتم كيف اختار الله لبنينا أصحاباً برة ؟ وهل أتاكم نبأ عبد الله، إليكم هذا النبأ على موجات أوتار القلوب التي تحبُّ النبي الأعظم ، كان عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ابنا لزعيم المنافقين بالمدينة ، وكان ابنه عبد الله يسمع ما نزل من القرآن في شأن أبيه المنافق

حيث قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ ... كما أخبر سبحانه عنه ، فيأتي أباه ويسلّ سيفه مصلّتا فوق رأسه ويقول لأبيه : لا أرفعه عنك حتى تقول محمد الأعزّ وأنا الأذلّ. فقال أبوه : ويلك محمد الأعزّ وأنا الأذلّ .

إنني أؤكد جازماً أن التاريخ لم يسمع عن مثل الحب الذي كان يحمله بين حناياه صحابة النبي الأعظم ، يقول ابن عباس (م) :

«رأى رسول الله خاتماً من ذهب بيد رجل فنزعه فطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » ، فقليل للرجل بعدما ذهب رسول الله :

. خذ خاتمك فانتفع به . قال : لا والله لا آخذه أبداً بعد أن طرحه رسول الله .

لله درّ شباب سيدنا محمد ، لله درّ الصحابيات الجليلات اللواتي ضربن أيضاً المثل الأكبر في حبّ النبي :

(ابن سعد) هذه السيدة أم حبيبة يقدم عليها والدها أبو سفيان ليزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل رسول الله ، فدخل على ابنته ليتوسط لديها ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي طوته دونه ، فقال يا بنية : أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت قوله حق ذهبت مثلاً وأصبح الجيل بعد الجيل يرويهها :

هذا فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك .

إنّ محبتها للنبي تقضي أن تحترم كلّ ما يتصل به ، ولا سيما أن أباه لا يزال على شركه.

وأما المرأة الدينارية فهي شأن آخر لم يسجل لامرأة في الدنيا مثلما سجل لها تسمع إشاعة أن سيدنا محمداً قتل ، فيؤلمها النبأ وتخرج لتستجلي الحقيقة .

وتمرّ على أرض المعركة في أحد وتجد في الشهداء أباهما وابنها وزوجها وأخاها فلا تأبه بهم ولا تقف عندهم ، بل تندفع باحثه عن رسول الله تسأل عنه كل من لقيت قائلة: ما فعل رسول الله ؟ فيقولون : هو أمامك. حتى وصلت إلى رسول الله وأخذت بطرف ثوبه وقالت : فداك أبي وأمي يا رسول الله أنت حي لا أبالي إذا سلمت من قتل (طب - بز) .

نحن فداك يا رسول الله . هذا غيظ من فيض ، فأين الذين يحبون سيدنا محمداً، أين أنتم يا أصحاب رسول الله ، أنتم اليوم مطالبون بالأدلة الدامغة على حبّ النبي باتباع سنته والعمل بشريعته والدفاع عن الإسلام .

علينا أن نقدم للنبي اليوم هدية وهي سنة وسبحة، أما السنة فأن نواظب على سنة الوتر مثلاً ولو ركعة فلا ينام أحدنا حتى يؤدي سنة الوتر، أما السبحة فأن نصلي عليه كل يوم مئة مرة ، هذا عهد لرسول الله .

﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾

فكر رعاك الله ذكر محمد ففي ذكره العيش المهتأ والأنس

فكل له عرسٌ بذكر حبيبه ونحن بذكر الهاشمي لنا عرس

هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب الأعظم،
وتحيّتنا إليك يا سيدي يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك

وَسَلَامٌ
عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ





مَنْ مِثْل سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ؟

الحمد لله الذي ليس لأُولِيَّته افتتاح، كما لسائر الأوليات ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الأزليات ، كان ولا عقل ولا نفس ولا وسائط ولا مركبات ، ولا أرض ولا سموات ، العالم في العماء بجميع المعلومات ، القادر الذي لا يعجزه شيء عن الجائزات ، والحكيم الذي أرسل خير البريات وسيد الجسمانيات والروحانيات صاحب الوسيلة في الجنات الفردوسيات، والمقام المحمود في اليوم العظيم البليات . فسبحان من أطلع كواكب سعوده في الأكوان فطلعت ، وألمع بوارق جوده فلمعت ، وبثَّ أنوار أقمار شهوده فتلاَّأت وسطعت ، وقطع آمال الكفار من مرادهم فانقطعت ، وأذلَّ ملوكهم بعزّه فذلَّت لهيبته وخضعت ، فالإنس بقدمه قد تأنست وارتفعت ، والجنّ من استراق السمع قد مُنِعَتْ ، والأفلاك قد سجدت وركعت ، وأمنة قد فازت بما حازت حين لجمال هذا الحبيب وضعت ، وحليمة الحليمة تشرفت له إذ أرضعت ، وألسنة المدّاح قد أثنت بشكره في الأفاق وأسمعت.

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، البصير الذي رأى ذاته ولا مرثيات مطبوعة في الذات ، الحي الذي وجبت له صفات الدوام الأحدي الأزلي ، والمقام الصمدي ، الذي جعل الإنسان الكامل أشرف الموجودات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله لما أراد الله إخراجَه من خزائن الأصلاب الرفيعة إلى كنز أحشاء آمنة المنيعة ، وظهرت لانتقال نوره الآيات، وتباشرت جميع المخلوقات نودي في الأرض والسموات :

يا عرش تبرقع بالوقار .

يا كرسي تدرع بالفخار .

يا سدرة المنتهى ابتهجي ، يا أنوار المهابة تبلّجي

يا جنان تزخرفي ، يا حور من القصور أشرفي

يا ملائكة الله اصطفني وتمنطقي بالعرش وحقي

يا رضوان افتح أبواب الجنان ، وزين الحور والولدان، أطلق مجامر الطيب وعطرّ
الأكوان ، ليلد سيد الأكوان .

فوقع على يديه ورجليه على الأرض ، شاخصاً ببصره إلى السماء وهو يسبح
ويعجّد، وسمعته آمنة يقول : جلال ربي الرفيع ، الله أكبر كبيراً وسبحان الله وبحمده
بكرة وأصيلاً . وأهوى ساجداً لله تعالى فصلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

يحتفل العالم الإسلامي والعربي في هذه الأيام .

بأي عظيم؟ بأي سيد؟ بأي قائد بأي حبيب ؟

سيد حرر العباد من عبادة الأوثان وعمرّ العالم ببيت واحد بيت الإيمان ، قائد
استطاع من غير جيش، وكتائب أن يجعل من التائهين في البادية ملوكاً يحكمون العالم
وأساتذة يعلمون الأمم.

نحن اليوم نقف إجلالاً وإكباراً أمام ملجأ الفقراء ومأوى الضعفاء وولي الأيتام
ومربي العبيد والأرقاء ، يصفح عن الأخطاء ويحسن إلى من أساء، ويصلح ما أفسده
الناس، يوحد القبائل المتناحرة ، ويؤلف بين القلوب المتنافرة.

أنتم اليوم تقفون في حضرة نبي نزل من غار حراء وفي يده إكسير من السماء،
حوّل التراب تبراً ، والحصى درراً وجوهرًا ، أقبل على الأمة العربية التي كان يخيم
عليها الجهل من قرون ، فأحدث فيها ثورة جذرية انقلبت بها أوضاعها وتغير بها
مجرى التاريخ .

احتفالكم اليوم ذكر ، والصلاة عليه تزيد في الإيمان ، يضيء القلوب و الأسرار
بأنوار العرفان ، كيف لا ، والله جعل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته
، وذكره مقروناً بذكره، وبيعته معقودةً ببيعته ، فقال عزّ من قائل :

﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ لا أذكر إلا وتذكر معي

إننا مع سيدنا ومولانا وحبينا وشفيعنا سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم بن قصي سيد البطحاء وإمام الرجال وسيد العالمين .

فلئن شقّ سيدنا موسى بحراً من الماء فانحسر عن رمل وحصى ، فقد شقّ سيدنا
محمد بحوراً من النفوس فانحسرت عن عظماء خالدين ، ولئن ردّ الله ليوشع شمساً
غابت بعد لحظات فلقد ردّ الله بسيدنا محمد، ردّ إلى الدنيا شمساً لا تغيب مدى
الحياة، ولئن أحيا سيدنا عيسى الموتى ثم ماتوا فقد أحيا الله بسيدنا محمد أمماً ثم لم
تمت ، سيدي أبا القاسم يا رسول الله .

وبعثت أمياً تقول فتهتدي بك العقول وترتجي العلماء

وأقمت بعدك للعباد شريعة لا سوق فيها ولا أمراء

المصلحون أصابع جمعت يداً هي أنت بل اليد البيضاء

فمن مثل سيدنا محمد ؟

هذا هو سرّ عظمة نبوة سيدنا محمد ﷺ، أنه ترك من بعده خلفاء عنه في قيادة الدعوة، يفهمون شريعته كما يفهمها، ويتخلقون بأخلاقه كما أدبه ربّه ، فاستمرت الدعوة بعده وأبدت رسالتها في التاريخ .

تَرى حلو كلامه يجعل الكافر مسلماً ، والزنديق مؤمناً ، أضاء الدنيا بنور هذا الدين، وأنقذ المؤمنين من عذاب أليم ، ما وضع قدمه على صحراء إلا وتحولت بإذن الله إلى جنة خضراء .

فمن مثل سيدنا محمد ؟

يا من نسبه عربي ولقبه أمّي ، لقد دان لولائك وخضع لقيادتك العرب والعجم ، إنّ فصاحتك (يا جدّاه) استأثرت العرب، فما ضرك ألا تقرأ ولا تكتب، فبفضلك وجهودك وبعثتك تعلّم الأميون ونبع الجاهلون، بك ابيضت صحيفة الأعمال وأشرق نورك في الظلمات .

نعم إنّ بنانك لم يمسك القلم، لكنه سطر ما عجزت عنه أقلام التاريخ :

فمن مثل سيدنا محمد !؟

إخوتي في الله :

ليس الخلود أن يتحدّث التاريخ عن الخالدين، ولكن أن تسري أرواحهم في أرواح في الأحياء المتعاقبين، وأن تعمل أخلاقهم عملهم على ممر التاريخ ، وهذا لم يجتمع لغير سيدنا محمد ﷺ .

على العالم أن يعلم أن سيدنا رسول الله لم ينجى إلى الدنيا ليكون ملكاً عليها فنرث عنه الملك، ولكن جاء ليكون قائداً لها ، فنحن نرث عنه القيادة ، لم يخلف رسول الله من بعده ابناً يرث رداءه، ولكنه خلف من بعده ما بقيت الأرض أجيالاً تحمل لواءه ، كلنا أبناء سيدنا محمد ﷺ ، كلنا آله وورثته فهو حبيبنا ونبينا .

فيا أخي المسلم هل تقرّ أنك من أتباعه ؟ نعم أنا من أتباع سيدنا محمد ﷺ .

فيا أخي المسلم : كن مثل هذا النبي ما استطعت تلحق به في ركب الخالدين ، كن صورة موجزة عنه .

ما كان ولن يكون مثل سيدنا محمد ﷺ ، لأنّ إرادة الله اقتضت أن تكون للإنسانية شمس واحدة تسطع كلّ يوم هي شمس سيدنا محمد ﷺ .

فيا أخي المسلم : إذا أردت أن تلحق بالعظماء فعش معهم ، إذا أردت أن تلحق بالأصفياء فعش معهم ، وخير عظيم وخير مصطفى في التاريخ الإسلامي كله هو :

سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾

فاقرأ سيرته وُزّره كل حين تكن معه يوم الدين .

فيا إخوة الإيمان : لقد استطاع رسول الله أن يحيا في نفوس رجالنا وأطفالنا ونساءنا أكثر من حياة كلّ عظماء الأرض في نفوس الأمم ، التي أقامت لهم النُصب والتمائيل ، أتعرفون كيف فعل رسول الله ذلك ؟ فعله بما آتاه الله من عقل راجح وجعله رحمة مهداة . فإنه ساس العرب الذين كانوا كالوحوش الشاردة وأصحاب طباع متنافرة متباعدة ساسهم أحسن السياسة ، احتمل جفاههم ، وصبر على أذاهم ودأوى كبرياءهم ، واستخرج البخل من نفوسهم ، وصقل قلوبهم حتى انقادوا إليه

وقاتلوا دونه آباءهم وأبناءهم، اختاروه على نفوسهم ، وأنزل الله عز وجل فيهم:
﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ .

فعل ذلك كلّهُ وهو أمي لا يقرأ و لا يكتب ،وما عهد عنه أنه جلس إلى معلم قط، ولذلك لم يشك أحد في رجحان عقله على سائر العقول ، حتى قال التابعي الثقة وهب بن منبه : (قرأت في واحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله تبارك وتعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل سيدنا محمد ﷺ إلا حبة رمل من بين جميع رمال الدنيا ، وأن سيدنا محمداً أرجح الناس عقلاً).

والعقل . أيها السادة . يمنع صاحبه ويحجزه عن الخطر ، العقل يُتوصّل به إلى الإيمان بالله جعله الله تعالى في القلب يشع نوره إلى الدماغ ، العقل نور يفيد الإدراك ويعاتب به العقلاء ، فيعطي العبد حليماً وعلماً ورأفة ورحمة ، وهذا الذي آتاه الله سيدنا محمداً ، استوعب جميع العرب من حوله ، يروي لنا أحد الأخبار اليهود واسمه زيد بن سعه قال :

« لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ، حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : ١. يسبق حلمه جهله .

٢. ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً .

فكنت أتربّص له لأن أخالطه فأعرف حلمه ، فابتعت منه تمرّاً معلوماً إلى أجل معلوم (المعروف بالسلم في الفقه) وأعطيته الثمن . فلما كان قبل محلّ الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته ، فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ وقلت :

. يا محمد ألا تقضيني حقي ، فوالله يا بني عبد المطلب إنكم لقوم مُطلّ ، وقد

كان لي بمخالطتكم علم ، فانبرى له عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه ، وقال:

. أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع ، فوالله لولا ما أحذر فوته لضربت سيفي برأسك. قال: ورسول الله ينظر إلى سيدنا عمر في سكون وتؤده . ثم قال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك : تأمري بحسن الأداء ، وتأمره بحسن الاتباع . ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث . اذهب يا عمر فاقضه حقّه ، وزدّه عشرين صاعاً من أجل أنك خوّفته وروعته . وهنا قال زيد :

. يا عمر إنّ كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه محمد ، إلا اثنتين يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً ، وقد خبرتهما الآن ، فأشهدك أنني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، فأسلم هو وأهل بيته إلا واحداً غلبت عليه شقوته .

أيها السادة : قبل أن أغادر موقفي هذا أريد أن أبشركم بشارة بعد الصلاة على النبي ﷺ ، حبيبك رسول الله يجلس يقرأ القرآن فيقرأ .

﴿ ربّ إهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ .

﴿ إنّ تعدّهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

وهنا يبكي رسول الله وحين سئل لم تبكي ؟ فقال : يا رب أسألك أمّتي أمّتي ، فنزل الأمين جبريل ببرقية عاجلة من ربّ العالمين « إنّنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك » ﴿ ولسوف يعطيك ربّك فترضى ﴾ .

فهل يرضى رسول الله وواحد من أمّته في النار ؟

فصلّوا عليه وسلّموا تسليماً ، صلّوا عليه وسلّموا تعظيماً ، الله زاد محمداً تكريماً .





السنة الهجرية ١٤٢٦ هـ

الحمد لله الذي أعزّ الإسلام بهجرة سيد الأنام ، ورفع شأن المسلمين وتوَجَّههم
بتاج النصر والظفر والإكرام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نصر نبيه ﷺ وأَيَّده بجنود لم تروها
، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة
، ومحا الضلالة ، وصدَّع بالإسلام بنيان الشرك ، ونكَّس ألوية الجهالة .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الذين
هاجروا معه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، وسلم
تسليماً.

أما بعد: معشر الإخوة الكرام.

زارنا البارحة ضيف عزيز على قلب كل مسلم ، ضيف قلب موازين القرشيين
الكفار، هذا الضيف هو رأس السنة الهجرية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم السلام.

فمنذ أن أجاد عملاق الإسلام سيدنا عمر الرأي جد الإجازة في اتخاذ عام
الهجرة مبدءاً للتاريخ الإسلامي والناس يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية .

هل تدرون . أيها الإخوة. لم جعل الفاروق الهجرة النبوية مبدءاً للتاريخ الإسلامي ،
ولم يجعله من مولده ﷺ أو مبعثه أو وفاته .

السبب أن يوم الهجرة هو اليوم الفاصل بين الحق والباطل .

وقد صبر السيد الأعظم نحو ثلاث عشرة سنة يلقي من قومه كل أذى وعنت، وهو يعاملهم بكلّ لطف وبكلّ حكمة لينتشلهم من الجاهلية الجهلاء إلى التوحيد، وليرفعهم من الوثنية إلى مستوى السعداء في النشأتين ، وهم لا يزدادون إلا عتواً وإيذاءً على أمل أن يصرفوه عن الدعوة إلى الإسلام ، وبعد أن دعاهم رسول الله بالحكمة والموعظة الحسنة إلى التوحيد ونبذ الشرك طول هذه المدّة ، وأبان الحجة ، وقطع كلّ عذر، فما ازدادوا إلا طغياناً وكفراً أذن الله سبحانه له في الهجرة وإعداد العدة للدفاع عن الحق بالقوة ، فهاجر إلى المدينة ومعه الصديق الأكبر .

أيها السادة : كانت الهجرة تعزيزاً للحق تكبح جماح الطغاة الغواة الذين كانوا بمكة ، عزفتنا الهجرة كيف نترفع عن الخنوع والاستكانة والذل لأهل الباطل .

علمتنا الهجرة كيف نحوز القوة بعد الضعف لنُدفع العدوان في كل ساحة .

الهجرة استسهلت القيام بصفوف التضحية في سبيل الإسلام والدفاع عن الحق وإعلاء كلمة الله ، تحمّل فيه الصحب الكرام من الأذى كل لون مستمسكين بتوكل عجيب على الله تعالى ، متيقنين من النصر الكيد لهذا الدين .

من كان يظن أن اثنين فقط يمشيان بخطى مباركة على رمال الصحراء الممتدة ، اثنان تطاردهما قوى الشر والكفر تتبعهما فوارس قريش يقول أحدهما وهو سيدنا رسول الله ﷺ لسراقة بن مالك : كيف أنت إذا لبست سوارى كسرى عظيم فارس .

هل ترون كيف زرع الإسلام في قلوب المؤمنين يقين النصر في أحلك المواقف .

هل يصدق أحد منكم أن رجلاً يطارده الانتربول الدولي والأمن الداخلي ووزارة الدفاع بجيوشها يقول لرجل آخر : إن عشت فسترى كيف ينصرني الله نصرًا مؤزرًا ولست فقط منتصرًا على كفار قريش بل وعلى كسرى عظيم فارس .

إن الإيمان ، الإيمان الراسخ هو الذي جعل من الصحابة يضحون بكل ما لديهم من مال وعقار وأراض في سبيل الله ، ولا يظن أحد أن الهجرة كانت هرباً من العذاب أو من مواجهة الأخطار ، إنما كانت الهجرة فتحاً جديداً في حياة النضال

والكفاح وإعداداً لبلد ودولة تنطلق منه الجيوش لدحر الظالمين وقمع المعتدين : بمعنى ما قيل :

سأصرف وجهي عن بلاد أرى بها لسانى معقولاً وقلبي مقفلاً
وإن صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغت الشمس أن يتحولاً

هذا الدرس يجب أن يعرفه كل مسلم، أنه لقيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال، لقد أعطى رسول الإنسانية الأعظم لمن بعده درساً عظيماً هو :

أن الله عز وجل جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء .

إن الدرس الأكبر الذين أخذهم المسلمون من دروس الهجرة نراه بنصرة الأنصار ، حين استقبلوا المهاجرين وقسموا أموالهم ودورهم وتجارهم بينهم .

هل يعرف المسلمون ماذا يعني هذا الدرس يعني أنه يجب على المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين من إخوانهم في الأرض ثم لم يفعلوا ذلك فقد باؤوا بإثم كبير وذنب عظيم ، يقول الإمام ابن العربي المالكي في كتابه أحكام القرآن :

« إذا كان في المسلمين أسرى أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة ، والنصرة لهم واجبة بالبدن، بأن لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم من ذلك» .

غادر رسول الله بيته ليلة ٢٧ صفر السنة الرابعة عشر من النبوة (١٢ إيلول ٦٢٢م) ودخل قباء يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة .

إخوتي في الله :

لقد كان استقبال الأنصار للحبيب الأعظم استقبالاً عظيماً فرح فيه الكبير والصغير والذكر والأنثى ، المسلمون واليهود ، وسمع التكبير في النبي عمرو بن عوف فرحاً بقدومه ﷺ وخرجت العواتق من فوق البيوت يترأينه يقول سيدنا أنس : فما رأينا منظراً أبهى منه (أحمد) .

وزاد الدرامي عنه : فما رأيت قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا.

وراح الناس من شدة فرحهم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد (خ) .

يقول البراء بن عازب وكان حديث السن : قدم النبي فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء في حياتهم كفرحهم بقدوم رسول الله ، وكانت بنات الأنصار ينشدن في سرور ونشوة:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعٍ

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

ومرَّ القائد الأعلى للأمة في سكك المدينة والأنصار يطلبون منه الإقامة لديهم ويمسكون بزمام الناقة ، والنبي يقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

وتمر رسول الله مجتازاً بيوت الأنصار فيسمع جوار بني النجار يضربن بالدفوف ويقولن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

حتى بركت الناقة أمام بيت سيدنا أبي أيوب الأنصاري فأقام عنده وهو لا يملك نفسه من شدة الفرح بما أنعم الله عليه من هذه النعمة الكبرى .

معشر الإخوة الكرام :

وتكشف لنا كتب الحديث والسيرة شدة محبة سيدنا أبي أيوب الأنصاري وزوجه لسيدنا رسول الله حيث كان يرسل له الطعام فيأكل منه سيدنا رسول الله ثم يرد فضله إليهما ، فكانا يتيممان موضع أكله ﷺ وآثار أصابعه يبتغيان البركة .

وقد روى لنا الإمامان البخاري ومسلم صوراً كثيراً من تبرك الصحابة بآثار رسول الله والتوسل بها للاستشفاء ، إذ كانت السيدة أم سلمة تحتفظ بشعرات لسيدنا رسول الله في قارورة لها ، فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عين أو أذى أرسل إليها إناءً فيه ماء فجعلت الشعرات في الماء ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك .

وروى الإمام مسلم : أن سيدنا رسول الله حين كان ينام على فراش إحدى محارمه وهي السيدة أم سليم وهو يعرق ويسقط عرقه على قطعة جلد على الفراش فتأتي أم سليم وتضع ذلك العرق في قواريرها ، فأفاق مرة رسول الله ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا ، قال : أصبت .

بل كان الصحابة أنفسهم فيما يرويه البخاري ومسلم يستبقون إلى فضل وضوئه ﷺ للتبرك به .

فإذا كان هذا شأن التوسل بآثاره الحسية ، فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله تعالى؟! .

اللهم إنا نتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا سيدي يا رسول الله نتوجه بك إلى الله أن يفرج عن جميع المسلمين في أصقاع الأرض أجمعين .





الحلقة (٦٠)

ضرورة الاحتفال

بمولد رسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ

الحمد لله الذي رفع قدر صاحب الشريعة المطهرة، والسنة الواضحة النيرة،
المخصوص بجوامع الكلم، وبدائع الحكم و مكارم الأخلاق ومعالي المهمم، والمعظم
بالتشريف والتكريم والإجلال والتعظيم والآيات والذكر الحكيم، وتلقي الوحي والتنزيل
من الروح الأمين، فبلغ ذلك ونهى وأمر، وانذر وبشّر، وضرب الأمثال وذكر.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فإنه أفضل لأن يحمد ويشكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واجب الوجود، وفائض الجود وغاية
كل مقصود، وهو الواحد المعبود.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرفع خليقته وأنفع بريته، وأجمل ذوي
طريقته، أحمد الخصال وأكمل الخلال، وأفضل من له سحب وآل، المختص بجميل
المآثر، وجليل المفاز، وعظيم الذخائر، المنعوت بفاخر المحامد، وكامل المقاصد،
فهو النبي المصطفى المختار، والخيار من الخيار من الخيار

وراءك يا رسول الله نمضي ويتبع صفنا للمجد صف

على رغم المعاند و المعادي لواء محمد أبداً يرف

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا و مولانا محمد وعلى آله المكرمين
الأطهار، وصحبه المعظمين الأبرار، وأنصاره وذريته المخلصين الأخيار، وسلم تسليماً
كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام : قبل أن أُلج مع حضراتكم باب الحبيب
الأعظم ﷺ أريد أن أرفع التحية إلى الحبيب الأعظم ، من هنا إلى هناك، من دمشق
الشام، من الشام الشريف باسمكم واسم البلاد الشامية واسم كل شرفاء العالم قاطبة،
تحية عطرة صادرة من القلب لخلاصة هذا الوجود، وواسطة العقد الفريد، إلى الذي
خلقه الله تعالى في أعلى مستوى كمال العقل والخلق الإنساني ، إلى الذي جثم فوق
صدر الزمان نيفاً وأربعة عشر قرناً ، إلى أمير الأنبياء ورسول الإنسانية الأعظم سيدنا
ومولانا محمد

سلامي على خير الأنام وسيدي وحبيب رب العالمين محمد

بشير نذير هاشمي مكرم عطوف رؤوف من يسمى بأحمد

إخوة الإيمان:

يحاول أعداء الإسلام اليوم في ساحة فكر المسلم وقلبه، بل ومنذ عقود من الزمان
طمس معالم النبوة في شخصية الرسول العربي سيدنا محمد ﷺ من خلال المناهج
الجديدة التي أعدتها الحكومات العميلة لأمريكا، وقد بدأ ذلك فعلاً في مناهج
المصريين في التربية الإسلامية، إذ ذكرت صحيفة الأسبوع في عددها (٤١٧) أن
مصر أعدت مناهج حذفت منها كلمة رسول الله ، وصاروا يقولون : قال : رجل
حكيم، أو أحد المصلحين، أو أحد العباقرة، ألفاظ توهم بالتعظيم ولكن فارغة من
معاني النبوة، وهؤلاء الذين وضعوا هذه المناهج أغبياء، وإن اعتقدوا أن سيدنا محمداً
رجل صالح وليس نبياً فهم كفار، لأن هذا يعني بالتعبير العقائدي هدم شطر الركن
الأول من أركان الإسلام وهو: سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وتلك الشهادة يأبى الله عز وجل ورسوله أن تكون كلاماً ينطق به اللسان، إنما يريد بها سبحانه أن تكون مع ذلك وقبله وبعده عقيدة راسخة في ضمير المسلم، ينبثق عنها فكر وعاطفة وسلوك في الحياة .

ولقد أحسن - والله - أشد الإحسان من سنّ عيد المولد النبوي الشريف ، لأن هذا اليوم يعيد الأمة ليذكرها بسيدها رسول الله، ويذكرها بحقيقة النبوة وارتباطها بحقيقة الوحي .

يا سادة : النبوة والرسالة شخصية متميزة عن سائر الشخصيات من العباقرة والفلاسفة والأبطال والمفكرين والمصلحين .

إن أعداء الإسلام وعلى رأسهم أمريكا وولايتها إسرائيل يمكرون بالليل والنهار لفصل هذا الجيل عن دينه وإقصاء الإسلام عن واقع الحياة، ويحاولون الدخول إلى عقيدة المسلم من كل باب، وأخطر تلك الأبواب طراً شخصية المصطفى ﷺ .

يدخلون إلى الإسلام بمركّب نقص موجود عندهم وهو الكره للإسلام، عن طريق زرع الشبهات التي تزرعها أيدي المكر والعداء في نفوس الجيل، لا تنبت ولا تنمو إلا في قلوب تعاني ظلمة الذنوب أو ظلمة الجهل بثقافة الإسلام، إن مسلم اليوم للأسف لا يملك ثقافة إسلامية كافية تنبّر له فكره وقلبه، وتحفظه من كيد عدوه وغزوه الثقافي .

والطامة الكبرى أن هؤلاء الجهلة غير آسفين لغفلتهم وجهلهم عن معرفة أعظم شخصية عرفتها الحياة، شخصية غيّرت وجه التاريخ، وانعطفت بالإنسانية أسعد منعطف وأرقاه .

إن الأجيال المسلمة اليوم قد تنكرت لنبيها تنكراً مزيئاً مجحفاً وظالماً، وكأنه ليس هو الذي أوجدها في التاريخ، وجعل لها أعظم اسم فيه، ترى في أية مكانة كان تحتلها العرب قبل البعثة المحمدية، ما قيمتهم بين فارس وروما ؟ لاشيء

وإن مما يثير الدهشة والعجب أن بعض المحسوبين على الإسلام، ولا أشك أنهم مأجورون ومن الموالين لأمريكا، هم من بني جلدتنا ولكن قلوبهم مع أعدائنا، هؤلاء يحاولون اليوم إقناع المسلمين بل أمم الأرض بأن الإسلام لا يصلح للحياة، وأن شخصية رسول الله لا تصلح لقيادة الإنسانية، ولا تصلح شريعته لرسم حضارة عالمية معاصرة، هؤلاء المنافقون بيّن مولانا عزّ وجل في القرآن زيف عقيدتهم، وأرسل لهم تهديداً شديداً فقال :

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . أَيْبِتْغُونْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً، وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ: أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَاً مِثْلَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء ١٣٨ . ١٤٠) .

أيها المسلمون: مشروع المؤامرة بدأ على أشده يطل العقيدة والقرآن والسنة، مرحلة الغزو الفكري بدأت على أشدها.

أفيقوا يا مسلمون ! إن مصر تجربة رهيبة لما يحاق بالإسلام، اسمعوا ماذا فعل عملاء أمريكا في مصر:

- ١ . أعلنوا عن إلغاء العديد من المواد الفقهية والدينية بجامعة الأزهر والمعاهد الدينية كالجهاد في سبيل الله .
- ٢ . ثم تحولت مادة التربية الدينية إلى مادة الأخلاق ، يعني ليس تدريس الشريعة بل تربية وقصص ومواعظ .
- ٣ . ثم بدأ الحوار على ما يسمى بالخطاب الديني الجديد ومنعوا تلاوة الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل وأهل الكتاب

٤ . أتعرفون ؟ لما رضخوا لأمريكا بإلغاء هذه الآيات قامت أمريكا سراً بطبع كتاب الفرقان الباطل، كبديل عن القرآن، ثم جهرت به وقدمته هدية للمتخرجين في قاعدة الكويت الأمريكية .

قد لا يصدق بعضهم هذا الكلام ! لكنني أخاف أن نصحو يوماً وقد بدلنا عقائدنا فجعلنا من بوش مبعوث العناية الإلهية وتركنا سيدنا محمداً، وصلينا إلى البيت الأبيض بدل أن نصلي إلى البيت العتيق .

وقد يلجؤون لتنفيذ ذلك إلى الحصار الاقتصادي كما فعلت قريش بسيدنا محمد ﷺ والمسلمين يوم حبستهم في شعب أبي طالب ٣ سنوات، أو يكرهونا على ذلك بطائرات الإف ١٥ .

هذه هي . أيها الإخوة . حرب العشرين سنة القادمة : طمس معالم دين الإسلام ونصر اليهودية وغيرها .

ولكنني أقول اليوم باسمكم جميعاً، أقول لبوش ولمن هو تحت شعار نجمة داود نقول لهم : يا بوش إِنَّ لِلدِّينِ رَبًّا يَحْمِيهِ، ولن تستطيع أنت ولا أذنابك وقرونك أن تفعلوا شيئاً لدين الإسلام، سنكون جداراً صلباً قوياً ضد طغيانك :

ويا دين الإسلام نحن فداك، لا تخف ولا تحزن

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى نوسد في التراب دفينا

النهاية لنا ﴿ لا تحزن إِنَّ الله معنا ﴾

وأما أنت يا بوش فستموت ويلعنك التاريخ إلى الأبد، ستموت:

ستدركك المنية في ديارك وتنقل من عناك إلى افتقارك

ودود القبر في عينيك يرعى وعين المسلم ترعى في ديارك

فماذا تأمرنا اليوم يا رسول الله ؟ ما هو الحل يا حبيب الله ؟

الحلّ أنّه لا يصلح حال الأمة اليوم إلا بما صلح عليه أولها، وذلك بالعودة إلى طاعة رسول الله ومحبته واتباع سنته، وليعلم المسلم اليوم أنّ محبة رسول الله ليست شيئاً رخيصاً يشتري بالثمن البخس، أو أداء القليل من السنن والنوافل أو بفعل الموالد ، وإنما ثمنه أن يت رسم المسلم في حياته منهج رسول الله وأخلاقه، حتى يبلغ حرصه في ذلك أن يقع خف على خف وأن تصبح مرضاة رسول الله ﷺ ونصرة دينه همّه في ليله ونهاره، في صحوه و منامه، في سرّه وعلنه.

إنّ الصحابة الكرام ما نالوا محبة رسول الله ﷺ بالثمن القليل، لقد تركوا في الله: المال و الولد و الأهل والوطن، تركوا الراحة والزعامة ورضوا بالمواقع واستقبلوا الصعوبات راضين مسرورين، وكان لسان حال الواحد منهم يقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

نعم يا أحباب رسول الله . في سبيل الله ورسوله كان يحلو عندهم المر، ويسهل الصعب ، ويقرب البعيد، وتحمل المهالك ، ويعذب الموت، وإنّ من يقرأ أخبارهم في غزوهم، سواء كانوا مع رسول الله ﷺ أم كانوا وحدهم في سراياهم ليذكر أنّهم كانوا في حبّ هون لهم المصاعب، وحبّ إليهم لقاء العدو، ورطبّ لهم جو الصحراء، لقد ضحى الصحب الكرام بكل غال ونفيس

فهل قرأتم عن قيام عباد بن بشر ليلاً في غزوة ذات الرقاع ؟

هل قرأتم عن صدقات الصديق وعثمان وأبي الدحداح ؟

هل قرأتم عن احتساب المرأة الدينارية أولادها وزوجها ؟

هل قرأتم ما فعل سيدنا عمر بن الخطاب بخاله يوم بدر ؟

هل قرأتم كيف احتسب حذيفة أباه اليمان في أحد ؟

هل سمعتم بدرس الحب الذي قدمه لنا خبيب وزيد ؟

إليكم . أيها الأخوة . الدرس العملي في حبّ رسول الله ﷺ في ختام وقفتنا اليوم .

غدرت إحدى القبائل بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأخذوا منهم أسيرين سلّموهم لقريش هما: خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة .

أما سيدنا خبيب فمكث عند بني الحارث ليقتلوه ثأراً بأبيهم الذي قتله في إحدى الغزوات .

خبيب سجن قبل قتله، تقول إحدى بنات بني حارث :

فغفلت عن صبي لي، فدرج إلى خبيب ومعه موسى، فأخذه ووضعته على فخذه وصار يلاعبه ففزعت فزعة عرف منها خوفي على الولد فقال لها :

أتخشين أن أقتله؟! إن ديني لا يسمح لي بفعل ذلك. لقد علمنا حب رسول الله و اتباعه أن نحمل رسالة حب إلى الإنسانية ، لقد عرفنا نبي الإسلام أنّ البشرية الضائعة أحق بالرحمة والعطف من الانتقام والعقوبة .

لقد كانت فرصة غالية للمساومة على حياته، أو ليغدر بالطفل كما غدروا به، ولكن الأم رآته يلاعبه كأنه أب شفق، هكذا ربي الإسلام أتباعه، ولقد وصل خبيب وهو في محنته إلى درجة عالية من المكانة عند الله ، اسمعوا كيف لا يتخلى الله عن أوليائه تقول إحدى بنات الحارث : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمره، وإنه لموثق بالحديد، وما كان إلا رزق ساقه الله إليه » قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب «

هذا جزء من الدرس، اسمعوا ماذا فعل سيدنا محمد ﷺ بأصحابه ، والله يا سادة .
إن المسلم لتأخذه الدهشة من صنع رسول الله ، كيف استطاع أن يحول هؤلاء الذين
كانوا خفاة عراة متخلفين تجاوزتهم حضارة الفرس والرومان فيجعلهم بتربيته أقطاب
الأرض وجهابذة الدنيا ، وأساتذة العالم ، وأطباء الإنسانية ، ومنقذي البشر فهنيئاً
لنا بسيدنا محمد ﷺ .

وجيء بخبيب بن عدي في عزّة وكبرياء المسلم يقدم إلى حتفه غير هيّاب ولا
وجل، صابر مستسلم في درس قل نظيره قال لهم : دعوني أصل ركعتين .

فلما انصرف منهما قال : لولا أن تروا أني جرعت من الموت لأطلتكما.

فكان أول من سنّ الركعتين من القتل، ثم نادى بأعلى صوته نادى كل مسلم
على مر التاريخ وأعطاه درساً في فداء الإسلام

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي

اللهم أخبر سلامي إلى حبيبك محمداً .

وقتل خبيب شهيداً، وقاموا بحل وثاقه من على خشبة القتل، فوقع على الأرض،
وأراد بنو الحارث أن يقطعوا رأسه لترى قريش أنهم قد أخذوا بثأر أبيهم، وهنا حدثت
الكرامة وحدثت الحماية الإلهية « لا تحزن إن الله معنا » إذ أن الله تعالى أمر
الأرض أن تنشق لتبتلع جسد خبيب وتنقله إلى جنات ونحر ، ابتلعت الأرض الجسد
الظاهر ولم يعرف أحد إلا الله أين ذهب خبيب .

فسلام عليك يا خبيب ، أيها المعلم بنفسه

وأما زيد بن الدثنة فهو درس آخر، درس في حبّ الله ورسوله

يا أمة الإسلام : الحب ليس متعاً ومشاعر وأشواق باهتة مبتورة (وأنا بحب النبي
طابس) وإنما هو خروج عن الذات في سبيل نصرّة الإسلام على أعدائه، الإسلام

الذي اختاره الله خطاباً للإنسانية، خطاباً يحتمل كل فرد منا ورقة عمل ومنهجاً يمتد منذ لحظة إعلان الإسلام وإلى آخر لحظة من حياته ، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والدليل زيد بن الدثنة .

زيد خرجت به رجالات قريش ومعهم أبو سفيان، خرجوا ليقتلوه خارج الحرم (كانوا يعظمون أن يقتلوا أحداً في الحرم) وصلب زيد على خشبة القتل، وبدا له أن يختبر أصحاب سيدنا محمد ﷺ فقال :

. أنشدك بالله يا زيد! أتحبّ أنّ محمداً الآن في مكانك، وأنك في أهلِكَ معافى؟

فقال زيد : والله ما أحبّ أنّ محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي .

الله أكبر، ما أعظم هذا الحب الفدائي، حب عجيب، ولذلك صرح أبو سفيان بإعجابه بتربية سيدنا محمد ﷺ لأصحابه ودعاه ذلك لأن يقول :

. ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمد ﷺ.

هذا ما فعله سيدنا محمد ﷺ : نقل الحفاة العراة في الصحراء إلى الحضارة الإسلامية وحب نبي الإسلام، نقلهم من الوثنية والضياع إلى الإيمان والتوحيد، غسلهم بماء التوحيد والإيمان، وعطرتهم يده الشريفة بعطر المحبة، ثم بوأهم ذرى المجد، حتى غدا لكل واحد من الصحابة مع الله قصة تهمّر الضمير وتوقظ القلب.

إنني . معشر الإخوة الكرام . أستطيع أن أقول وبكل فخر في ذكرى مولد النبي
الأعظم ﷺ أنّ سيدنا محمداً خير من قرأ الكون، وخير من سطرّ على صفحات
المآثر والأعجاد، نعم إنه لم يكتب بالحروف وإنما كتب رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله
عليه، كتب رجالاً من نط ممتاز لا يعرف التاريخ أمثالهم أبداً .

فهل نرضى عن سيدنا محمد بديلاً ؟

لا ، وألف لا

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي أنا بغير محمد لا نقتدي

وَأَسْلَمَ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ



الحلقة (٦١)

المولد والتصوف الحق

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العام بمفتاح الظهور سيّد السّادات ، وجعل أمته وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات. فسبحان من فضّل بعض النّبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم الجهالات ، واتخذ مولانا حبيباً وشفيعاً ورفعنا إلى ما فوق سبع سماوات .

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم في سائر الحالات ، وسلّم تسليمًا.

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

أقف اليوم بينكم رافعاً رأسي شامخاً بسيّدنا محمّدٍ ، هذه الشّخصية الفدّة في تاريخ الإنسانية التي لم يَجِدْ مولانا يمثلها أبداً ، بعثه الله إلى العرب الذين كان همّهم الغزو والقتال على لُعاة من الدّنيا وسفك الدّماء ، ينهش بعضهم بعضاً فأصبحوا أمة مجاهدة في سبيل الحقّ والعدل ، حوّلهم من أمة كانت ترى العار في البنات ﴿إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه حسوداً وهو كظيم ﴾ * يتوارى من القوم من سوء بشر به أيّمسكه على هون أم يدسّه في التراب﴾ إلى أمة ترفع رأسها عالياً بأسماء بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر ونسيبة المازنية وعائشة أم المؤمنين.

حوّلهم من أمة تحبّ الزنا والرايات الحمر منصوبة على خيمها ودورها إلى أمة شريفة عفيفة ترى الزنا أبغض شيءٍ إليها. حوّلهم من أمة متباغضة متقاتلة إلى أمة

تَحَبَّ بعضها بعضاً وتتفاخر بأخوة الإسلام ، ويقسم الرجل نصف ماله وعقاراته لأخيه المسلم امتثالاً لأمره ﷺ.

لم يكن ملكاً ولا رئيساً ولا أميراً لان أغلب الملوك قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بل رجلاً عظيماً يدعو مولانا عز وجل ساجداً يعقّر وجهه بالتراب ، يدعو ويقول ﷺ : {اللهم أحيني مسكيناً وأمّتي مسكيناً واحشري في زمرة المساكين} ، لم يقل هذا عن ضعف لا ، وأبدأ ، بل قاله وفي يده مفاتيح خزائن الأرض ، نزل عليه جبريل الأمين فقال له: يا محمد إن ربي أرسلني إليك وقال إن شئت سيرت معك جبال مكة ذهباً ، فماذا قال أمير الأنبياء وسيد من مشى تحت السماء {قال ﷺ : لا ، ولكني أجوع يوماً فأسأل ربي عز وجل ، وأشبع يوماً فأحمد ربي عز وجل} ، لذلك توفي ﷺ ولم يكن في بيته دينار ولا درهم ، كذلك كانت أرصدته في بنوك العالم صفراً مكعباً.

لم يسرق شعبه ولم يغشهم ولم يشبع وفقراء المسلمين يتضورون جوعاً أتعرفون لماذا؟ لأن شعاره الذي رفعه كان قوله ﷺ : (ما من حاكم استرعاه الله رعية ثم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة). لذلك أقام رسول الله دولته على الحق والعدل، وجاءت أوصافه في القرآن الكريم تؤيد هذا المعنى ، حتى قال مولاه عز وجل فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْكُمْ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

يا حبيبي يا رسول الله :

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

أيها الإخوة الأعزّاء : مهما كتب القلم وأملى اللسان وفكر الجنان وعبرّ البيان
فما كلّ هذا إلا جزء من كلّ ، وغيض من فيض وسطر من كتاب وقطرة من بحر ،
وما أنا بجانب هذه الحقائق وتلك المبادئ إلا شعاع الشمس المتسلل من حنايا
النافذة.

وما أنا منك يا جدي يا رسول الله إلا كذلك الأعرابي الذي ضلّ الطريق في
الصحراء ، فلما طلع القمر اهتدى بنوره في مسالك الشعاب فقال للقمر: أيّها
القمر أنا لا أدري ماذا أقول لك: أقول رفعك الله، لقد رفعك، أقول جمعك الله،
لقد جمعك، أقول نورك الله، لقد نورك، وأنا ماذا أقول عنك يا سيدي يا رسول الله،
أقول رفعك الله، لقد رفع الله ذكرك فقال : ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، أقول جمعك
الله، لقد جمعك فقال : ﴿وسراجاً منيراً﴾، أقول نورك الله، لقد نورك، فقال : ﴿قد
جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾.

يا سيدي يا رسول الله :

معذرة إذا كبا فيك تبياني وتعيري وأنت تعلو على ظني وتقديري
أقبلت كالفجر وضاح الأسارير تدعو إلى الله في بشر وتيسير
على جبينك نور الحق منبلجاً وفي يديك لواء العدل والنور

صلّى عليك الله يا علم الهدى

حمل الرسالة بكل أمانة وصدق وانطلق في أرض الجزيرة العربية، فلم يترك باباً إلا
وطرقه، ولم يترك طريقاً إلا وسلكه، لتصل كلمة الإسلام الطيبة إلى نواحي الأرض،
حتى وصفه مولانا بقوله: ﴿بما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب
لانفضّوا من حولك﴾ .

إنه منهج عظيم ومبادئ سامية تلك التي دعا إليها رسول الإنسانية الأعظم ،
 وإنه لأمر عجيب لا يصدقه أحد، شخص واحد، يقوم بمفرده، يقيم دولة مترامية
 الأطراف خلال ٢٣ سنة تتحدى أكبر دول العالم آنذاك : أمريكا وروسيا، أمريكا
 هي الروم، وروسيا هي فارس، فكيف تمّ له ذلك ؟ إنّ التاريخ سجل هذه المكارم
 العظيمة وحدثنا أنّ ذاك تمّ لبنينا بشيئين اثنين لا ثالث لهما: مبدأ وخلق . (المبادئ
 السامية أخلاق العالية) ، هذه المبادئ التي تجلت بكل بساطة ويسر توافق الفطرة
 السليمة ، فكانت التكاليف سهلة ميسرة وكلّ منا يحفظ قوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله
 نفساً إلا وسعها ﴾ وقال أيضاً: ﴿ فإنّ مع العسر يسراً ﴾ ، وقال لنا: ﴿ يريد أن
 يخفف عنكم ﴾ ولناخذ معاً مثلاً واحداً نربطه بهذه المبادئ بعد أن نصلي على
 سيدنا محمد

حاول مرة رهط من الصحب الكرام أن يشدّدوا على أنفسهم في العبادة والطاعة،
 وتوهموا أنّ ذلك يقربهم إلى مولانا ﷺ فقال أحدهم: سأبقى صوّماً طوال عمري كلّ
 ، وقال آخر: سأبقى قوّماً ليل طوال عمري أبداً، وقال آخر سأبقى عازباً طوال
 حياتي. هذا أمر قد يحدث في حياتنا اليوم ، ربما ترى بعض الناس يفعله، بل ربما غرّر
 بعضهم أتباعه به بحجة الدّعوة والتّصوف، يلبسون الملابس المتسخة، ويقول لأتباعه
 أنتم الآن مثل الصحابة، لا تتزوجوا ، نحن مسؤولون عن هداية الأئمة، تفرّغوا للدّعوة،
 النبي كان له عصا ، احملوا العصي، ويوهمهم أنّ هذا مسلك سيدنا محمد ﷺ .

وأريد أن أسأل : من قال لكم أنّ النّبي كان يرتدي ثيابه فلا يخلعها وتتوسخ حتى
 تسود ؟ هل سمع أحد منكم هذا عن النبي، هل سمع أحد أنّ رسول الله كان يترك
 شعره وشعر لحيته حتى يصبح شكله مخيفاً ، لا يا إخواني ما هكذا الإسلام ، بل هذا
 تشويه لصورة الإسلام، الله يحبّ منك أن تقتدي بسيدنا محمد ﷺ ﴿ قل إن كنتم
 تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ إنّ سيّدنا محمداً ﷺ أصدر أوامره للصحابة فقال
 لهم: ﴿ أصلحوا نعالكم ورجالكم حتى تكونوا كالشّامة في الخد ﴾، إنّ رسول الله ﷺ
 يقول لنا: إنّ الله جميل يحبّ الجمال ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ أمة خيرة ، لأنّ

أوسط الشيء أعدله، إنّ رسول الله رأى رجلاً مرة وقد ترك شعر رأسه ولحيته حتى أصبح شكله مخيفاً فأشار إليه رسول الله أن ارجع فأصلح حاله ، فذهب الرجل وسرّح شعر رأسه ولحيته وزين نفسه ، فلما عاد أتدرون ماذا قال رسول الله لمن حوله؟ قال: هذا خير من أن يأتي أحدكم وهيئته هيئة شيطان.

إنّ الإسلام نظيفٌ ، لا تشوهوا صورة الإسلام فتغضبوا ربكم ويتغيّر عليكم قلب نبيكم، إنّ سيدنا عبد الله بن عباس دخل عليه سيدنا نافع فرآه أمام المرأة يصلح شعره ولحيته ويتزين ويتعطر فقال له : أتفعل هذا يا بن عمّ رسول الله والناس تضرب إليك أكباد الإبل من شرق وغرب لتسمع منك هذا العلم؟ اسمعوا جواب حبر هذه الأمة قال: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما تتزين لي ، وهذا في كتاب الله. قال نافع: فأين في كتاب الله . قال ابن عباس: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ لهن من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات، أليست المرأة مأمورةً أن تتزين لزوجها ؟ وكذلك الرجل لا يأتي زوجته ورائحته كريهة وملابسه وسخة، هذا للزوجة فكيف لله فكيف للإتيان إلى المسجد، ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد﴾ .

هذا هو التصوف الشرعي، هو كما يحب رسول الله ، الصوفية ليست مظهراً وإنما هي أخلاق ، التصوف هو الأخلاق، من غلب عليك بالأخلاق فقد غلب عليك بالتصوف ، فكيف جواب سيّد الخلق وحبیب الحقّ على الثلاثة المتشدّدين بالعبادة؟

أولاً: لم يفصحهم رسول الله أمام الصحابة، بل قال ﷺ: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ولكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء) .

ثم أطلق القاعدة الشرعية العظيمة، ثانياً : بكل وضوح وثقة وقال ﷺ: (فمن رغب عن سنّتي فليس من أمتي).

بهذا المنهج وأمثاله تحدى رسول الله مناهج العالم أجمع، تحدى قوانين فارس والروم، فأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فلما صار زعيماً لأقوى دولة في المنطقة، لم يتكبر ولم يتجبر بل كان يقول بكل تواضع (أدبني ربي فأحسن تأديبي)، وكان يردد (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي) .

لم يخلق الرحمن مثل محمد بين الورى بشراً على الإطلاق
كلا و لا عرف الخلائق قدره مافوقه حقاً سوى الخلاق

هذا هو النبي العربي الهاشمي المطّلي، هذا هو صاحب الرسالة العصماء والحجة الواضحة البيضاء. فقولوا معي :

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم ،
وتحيّتنا إليك يا سيدي يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك

المولد ومحبة المؤمنين

الحمد لله الذي أنشق أهل صفوته من طيب محبته نسима ، ونادمهم في
الأسحار بلذيد الأذكار فأصبح لهم نديما ، وسقاهم من الكؤوس المصفاة في خلوة
المناجاة شراباً صرفاً قديما، وتجلّى عليهم فهاموا وجداً به فهداهم صراطاً مستقيما.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ كان بالمؤمنين رحيمًا ، تحيتهم
يوم يلقونه سلام وأعدّ لهم أجراً كريماً ٥ ﴾ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبى شرف الله به زمزم وحطيمًا ، وسمّاه
مولانا باسمين من أسمائه رؤوفاً رحيمًا ، فكم جبر كسيراً ، وأغنى فقيراً ، ورحم يتيمًا ،
من صلى عليه نال رفعةً وتقديماً وعزّاً وتكريماً .

وافى له الروح الأمين مبشرا ناداه يا خير من وطئ الثرى
أجب المهيمن يا محمد كي ترى ملكاً كبيراً في السماء عظيمًا

صلوا عليه وسلموا تسليما

اللهم صلّ وسلّم و بارك و عظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه سلم تسليماً.

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام : مع إشراقة هذا اليوم من شهر ربيع الآخر شهر الحب ، حبّ النَّبيِّ الأعظم ﷺ ، هذا الحب الذي تتفاخر فيه الأمم عبر العصور وترفع فيه الرأس عالياً.

وفي شهر الحبّ هذا يطيب لنا الحديث عن الحبّ ، ذلك الروح السّاري اللطيف الشّفاف ، والرّباط الوثيق الذي يربط الكون كله برَبِّه الودود ، الحبّ الذي لا يقدر على إدراك قيمته إلا طائفة من العباد ، وهم الذين عرفوا الله تعالى ، عرفوه في عظّمته ، وفي تفرّده ، ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ . ولقد بثّ مولانا عز وجل في كتابه محبته لأصناف من خلقه ترغيباً لعباده أن يتّصفوا بمثل صفاتهم ، فعلى موجات سورة الصف ٣ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴾ ، وعلى موجات سورة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وعلى موجات سورة البقرة ٢٢٢ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ، وعلى موجات آل عمران ٧٦ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، و ﴿ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ١٤٦ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ١٥٩ ، وعلى موجات سورة المائدة ٤٢ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

هذه الآيات التي أثبتت حبّ الله تعالى لعباده ، تصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هي أُمّهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفسية ، ولها من السموات ما يجعلها جديرة بالحبّ ورضى الله سبحانه وتعالى .

لكننا اليوم لن نستعرض الحب بين العبد والرّب ، ولا الحبّ بيننا وبين سيّدنا محمد ﷺ فهذا لا يشك في فرضيته أحد منا ، بل نحن اليوم مع نوع آخر من الحب إنه حب المؤمن للمؤمن ، حبّ بعضنا البعض ، حبّ الإخوة الإيمانية ، أو بتعبير آخر

أن تظهر اهتماماً بالغاً بشأن أخيك وتجتهد في تحقيق ما يريد، (فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)، لقد علّمنا المعلّم الأول رسول الإنسانية الأعظم أن نحبّ، وبيّن لنا كيف نحبّ، ورسم لنا الوسائل الناجعة لدوام المحبة وترسيخها، وهو الذي علّمنا أن نبسم لأنّ الابتسامه تعبر عن المحبة الكامنة في القلب، أليس هو القائل (وتبسمك في وجه أخيك صدقة) أليس هو القائل: (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعون منكم بسط الوجه وحسن الخلق) .

جرب . يا أخي المسلم - أن تلقى الناس بوجه طلق، وعلى فمك ابتسامه مشرقة، وسوف لا تندم على التجربة قطّ.

إنّ نبينا العظيم خير مربّ للإنسانية، وهو قد علم أن رباط المحبة هو أمتن الروابط وأوثقه في حياة البشرية، وهو الذي أدرك بما أدبه ربه فأحسن تأديبه: أن المحبة والرحمة والمودة والإخاء هي وحدها التي يمكن أن يقوم عليها البناء القوي المتماسك للأمة، فقام بتدعيمها وترسيخها في نفوس أصحابه الكرام وبهذا فتح بهم البلاد وأكسبهم نصراً وذكرًا خالدًا، فهو أولاً علّمهم كيف يكونون (كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

إنّ عظمة الإسلام تكمن في أنّه جعل المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وديارهم وألسنتهم وألوانهم جعلهم أسرة واحدة فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وأول بند من بنود هذه الأخوة الإيمانية أن نحبّ لإخوتنا ما نحب لأنفسنا من الخير، وقد حرصت الأحاديث على هذا، فمن مدرسة الإمام النّسائي يحدثنا:

(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير)

(انتبهوا من الخير لا من الشهوات المحرمة) ففي مدرسة الإمام الترمذي: (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) (حب - خزيمة).

إنني اليوم أدعو حضراتكم جميعاً إلى مائدة الحبيب الأعظم ، التي نرجو أن نكون أحد أفرادها ، لنجالس معاً رسول الله ﷺ خير خلق الله قاطبة ، نستمع إلى حديثه العذب ، ونذوق معاً طعم حلاوة الإيمان.

هاهو حبيبنا الأعظم يوجه لنا أولى توجيهاته النبوية الرشيدة اسمعوه يقول لنا:

« ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ طعم الإيمان: ١- من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما . ٢- ومن أحبّ عبداً لا يحبّه إلا الله . ٣ . ومن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار » .

إخوة الإيمان : لكنّ هذه المحبة التي يكرم الله بها عباده محبة المؤمنين تكون علامة على محبة الله لمن اتصف بها، فأنت يا أخي عندما تجد نفسك متصفاً بهذه المحبة ، وترى نفسك محبوباً أو محبباً للمؤمنين ألا فلتعلم أنّ ذلك نتيجة محبة الله تعالى لك ، واسمع معي إلى هذه القاعدة يقررها لك حبيبك رسول الله ﷺ:

« إذا أحب الله عبداً نادى جبريل وقال: إني أحبّ فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل أهل السماء، إنّ الله يحبّ فلاناً فأحبّوه، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » ، قال القسطلاني: شارح البخاري: فيحبّونه ويميلون إليه ويرضون عنه، فمحبّة الناس علامة على محبة الله عبده.

إنَّها إذاً لنعمة عظيمة لا يدركها إلاَّ الموقِّعون من عباد الله كما قال تعالى:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ . يقول الإمام
القرطبي: أي حباً في قلوب عباده . بل في مدرسة الإمام الترمذي تنمة لهذا الحديث
هي : « وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل : إني أبغضت فلاناً، فينادي في
السماء ، ثم تنزل له البغضاء في الأرض » .

ويحدثنا الإمام الأعظم والنبى المكرم ﷺ من مدرسة الإمام مسلم : « أن رجلاً
يزور أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً (يقعد على طريقه
يرقبه) فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال :هل
لك عليه من نعمة تربّها ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني
رسول الله إليك : بأنّ الله قد أحبّك كما أحببته » ، كما أحببت أخاك فإنّ الله قد
أحبّك.

إخوتي في الله: صاحب هذا الحبّ عليه أن يتّصف بخصال عدّة، ذكرها لنا
المربي الأعظم ﷺ ، على كلّ واحد منّا أن يتّصف بها لتصحّ محبّته، فتعالوا بنا نسمع
قواعد المحبّة الإيمانية من هذا الحبيب : صلّوا عليه ، يقول لنا: (لا تحاسدوا ولا
تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله
إخواناً).

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله و لا يحقره ، التقوى ها هنا التقوى
هاهنا ويشير إلى صدره ﷺ ، بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ
المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه).

هذه التوجيهات الهامة والتي نطق بها فم النبوة نابعة من عمق الفضائل الإيمانية، ونجد من هذه الفضائل الجم الغفير منها : ما ورد في مدرسة الإمام مسلم: (حقّ المسلم على المسلم: ست ، قيل: ما هنّ يا رسول الله ، قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده، وإذا مات فشيعة).

هذه هي قواعد المحبة، فالحبة ليست كلمة زائفة يقولها المرء ، بل هي على أرض الواقع العملي أكثر منها على الشفتين.

إخوة الإيمان : وقبل أن أغادر هذا الموقف أريد أن أزور مع حضراتكم الجامع الأموي بدمشق لأنقل لكم حدثاً هاماً على يد التابعي الجليل سيدنا أبي إدريس الخولاني ، ها هو يدخل الجامع فيرى فيه فتى براق الشايا، وإذا الناس حوله وإذا اختلفوا في شيء سألوهم وصدروا عن رأيه، فسأل عنه فقيل: هذا سيدنا معاذ بن جبل، فسيدنا معاذ أحد المدرسين الأجلاء في الجامع الأموي ، (لهذا على أهل الشام أن يحبوه ويترضوا عنه) ، يقول أبو إدريس: فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي، فانتظرت حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت له : والله إنّني أحبّك . فقال: الله، فقلت: الله فقال: الله ، فقلت: الله. فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: (وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، وللمتجالسين فيّ، وللمتزاورين فيّ ، وللمتباذلين فيّ) (مالك).

وهكذا ندرك – معشر الإخوة الكرام – مما تقدّم أن من طرق الوصول إلى محبة الله: الحب في الله، وهذه المحبة لا تتحقق إلا إذا كانت خالية من الغرض، إيجابية

في الخير، ثم التزاور في الله، ثم وثالثاً: البذل في الله (فمن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان). نطق بهذا سيد ولد عدنان ﷺ (د - حا ووافقه).

وإنّ من نتائج المحبة لله الحياء من الله تعالى، فمن أحبّ الله لزم الوقوف على طاعة من أحبه، وإلا لم يكن صادقاً في دعواه، ألم يقل الشاعر الإسلامي:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

إنّ الذي يصل إلى مقام الحبّ في الله للمسلمين جميعاً بصرف النظر عن نسبه أو قرابته لهم هو من أولياء الله تعالى الذين يؤمّمهم المكانة العليا يوم القيامة، لذا اسمع معي إلى حبيبك وأنت تصلي عليه، يقول لنا: (إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا بشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنّ وجوههم لنور، وإنّهم لعلّى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس)، ﴿ألا إنّ أولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

ولهذا نسمع النداء يوم القيامة من قبل الجبار جل جلاله ينادي ويقول: «أين المحتابّون في جلالي، اليوم أظلمهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلاّ ظلّي». .

معشر الإخوة: عوداً إلى عصر المحبة، نجدد معاً ولاءنا لله تعالى، على هذه
الأمّة أن تعود إلى سابق عهدها، لتكون من بعد كما كانت من قبل ﴿خير أمّة
أُخرجت للناس﴾ .

هنا مدرسة سيّدنا محمّد الجالس فيها عليه أن يرفع التحيّة إلى الحبيب الأعظم ،
وتحيّتنا إليك يا سيدي يا رسول الله :
الصّلاة والسّلام عليك



الحلقة (٦٣)

شماؤه ورحمته بأعدائه

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود، الموصوف بالكرم والفضل والوجود، المنزه في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود، المقدّس في ذاته عن الصّاحبة والولد والمولود، لا تدركه الأبصار ولا تفنيه الأعصار وهو الواحد المعبود.

أحمده سبحانه وتعالى على جميع النعم فهو بكلّ المحامد محمود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الماجد الكريم الواحد؛ المقدس عن المشارك والمساعد؛ المتعالي عن المشابه والمماثل والمضاد والمعاند .

وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله المبعوث بالدين الواجب؛ الموصوف بأحسن الأوصاف وأجلّ المناقب؛ الذي شرف الله به الوجود وكمل به السّعود وبلغه أسنى المراتب.

نبيّ استخرجه الله من عنصر لؤي بن غالب وفضّله على أهل المشارق والمغارب

مازال نور محمّد متقلّبا	في الطيّين الطّاهرين ذوي العلا
حتى لعبد الله جاء مطّهرا	وبوجه آمنة بدا متهلّلا
تبدّى ونور الحسن فوق جبينه	فنور منه الأرض والسهل والوعرا

وقد وضعته أمّه وهو ساجد وقد ملأ الأكوان من نشره عطرا

فسمعه يسمع صرير القلم ، وبصره إلى السبع الطباق ثاقب، لسانه ما نطق
بالهوى ولا تحدّث قطُّ بحديث كاذب، يدها بركاتها في المطاعم والمشارب، قلبه لا يغفل
ولا ينام، ولكن لخدمة ربّه على الدوام مراقب، قدمه قبلها البعير فزال عنه ما شكاه
من المخاوف والمعاطب ، آمن به الضبّ وسلّمت عليه الأشجار وخاطبته الأحجار
وحنّ إليه الجذع حنين حزين نادب.

فقل ما شئت عمّن ليست تحصى فضائله يحصر أو بكتائب
عليه من المهيمن كلّ وقت صلاة ما بدا نور الكواكب

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أما بعد : فيا معشر السادة الكرام :

أقف اليوم بينكم لأحدثكم عن شخصية فذة جمع الله لها من الفضائل ونزّهها
عن المعاييب وكرمها من الأرجاس، لتكون قدوة يقتدى بها في الدين والدنيا.

أحدّثكم عن أحسن الناس أدباً وأوسعهم صدرأ وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة
وأكرمهم عشرة.

لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سبّاباً ولا لعاناً ولا سخاباً الأسواق.

رجل لم يجِدِ الزمن بمثله ، كان أشدّ الناس لطفاً يحيب من دعاه، ويقبل الهدية ، لم
يكن أحد يصافحه إلا وأقبل عليه بوجهه ، ثم لم يصرفه حتى يفرغ من كلامه ، يبدأ

من لقيه بالسلام ، ويكرم من دخل عليه، وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته، لم يرقط ماداً رجليه بين أصحابه ، وذلك لعظيم أدبه وكمال وقاره.

نحن اليوم نتحدث عن رسول الإنسانية وسيد البشرية ورافع لواء الوحدةانية

سيدنا محمد ﷺ

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء
زانتك بالخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

كان كريم العشرة مع أصحابه وزوجاته شعاره ﷺ، (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)، لا يضيع الإحسان ولا ينكر الجميل والمعروف لإنسان ، يقول سيدنا أبو أمامة : قدم وفد النجاشي على سيدنا النبي ﷺ فقام يخدمهم فقال الصحابة: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال ﷺ: (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم)، نعم لم يكن ﷺ من جبايرة الرجال بل كان أباً رحيماً ، قال مولانا فيه : ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾، وكان يقول ﷺ: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعلينا قضاؤه ، ومن ترك مالاً فلورثته).

تتجلى رحمته في جميع جوانب حياته ، ولتوضيح هذه النقطة بالذات أدعوكم جميعاً لمتابعة الحديث عن سيد المرسلين في الحلقة الثانية والثلاثين وأرى على رأس هذه الصفحة قوله تعالى :﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

هاهو رجل من العرب يدعى ثمامة بن أثال يحمل سيفاً ماضياً يكاد يقطع الهواء يخرج من قبيلة اليمامة متوجهاً نحو مدينة رسول الله .

ثمامة عربي، حرارة الدماء تتدفق في شرايينه ، فيألى أين يتوجه هذا الرجل؟ هذا هو السؤال الذي سأله إياه عملاق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب عندما رآه يدخل المدينة متوشحاً سيفه، وسيدنا عمر عبقرى الفؤاد ذكى القلب بعيد النظر، حادّ التفكير عندما رآه بهذه الهيئة سأله: ما الذي جاء بك إلى المدينة وأنت مشرك ؟ فقال ثمامة: جئت لأقتل محمّداً. تقتل محمّداً؟! تقول هذا وأمام من؟ أمام فاروق الأمانة، يا قتيل نفسك يا ثمامة ، أمام عمر ؟ وعمر لا تطيق نفسه أن يرى نسمة حارة تؤذي رسول الله .

فما كان من سيدنا عمر ويلمح البصر إلا أن أخذ ثوبه و لبّبه به وأخذ سيفه وجرّه إلى المسجد وربطه بسارية من سواري المسجد، ثم ذهب إلى القائد الأعلى للأمة ووضع أمامه التقرير السريّ في شأن هذا الرجل.

وكان رسول الله يستطيع بجرّة قلم أن يقول لعمر اذهب واضرب عنقه وتنتهي المشكلة، فكم من رجال ماتوا بجرّة قلم من حاكم أو أمير أو مسلّط، وكم من أجسام دفنت في صحراء كوسوفو والشيشان من ملحدى صربيا وروسيا، وكم من أجسام ذهبت أدراج الرياح في فلسطين لم يكشف عنها التاريخ، وسيكشفها مولانا في مستقبل الأيام، وكم من أناس يعدّون في سجون الاعتقالات في فلسطين السليبية بيد الظّلمة وأعوان الصّهيونية ، و هؤلاء إذا لم تحاكمهم محاكم الأرض فإنّ الله يقول ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظّالمون ، إنّما يؤخّره لهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾.

فإذا لم يسجنوا في الأرض فإن هناك حبساً انفرادياً تحت الأرض قبل أن يقدموا على محكمة قاضيها ربّ العالمين، يوم يقال للمظلوم: تقدّم، ويقال للظّالم: لا تتكلم.

معاشر السادة: وخرج رسول الله من منزله ليرى ذلك الذي جاء ليقتله عامداً متعمداً فأركان الجناية متوقفة، ونظر رسول الله إلى الرجل، وعمر قد قيده بالقيود، وربطه في سارية من سواري المسجد، وسيفه بيد سيدنا عمر. نظر رسول الله إلى وجه ذلك الذي جاء قاتلاً له، وعمر ينتظر قرار الرسول ليضرب عنقه بأقل من طرفة عين، والصحابة حوله فسألهم رسول الله سؤالاً قال لهم: **هل أعددتُم له طعاماً؟**

وذهل الصحابة لحلم رسول الله، لكن رسول الله أعطى للقادة بعده درساً في قيادة الأمم، ولو كان الذي قدّم التقرير سيدنا عمر، إلا أنّ رسول الله ذهب للتأكد من التقرير بنفسه، الحاكم لا يعرف الانفعالات وقت اتخاذ القرار، ولهذا يقول رسول الله ﷺ: **« لا يقضي القاضي وهو غضبان »**، ليسمع حكام العالم ماذا فعل رسول الله ﷺ بأسيره المعترف المقر بذنبه، سألهم هل أعددتُم له طعاماً؟!

وأرى سيدنا عمر يتميز غيظاً من القاتل أمام هذا الموقف النبوي منه، ثم التفت رسول الله إلى الصحابة وقال: **اذهبوا وأئتوه بلبن من بيتي.**

وحلبت الشياه وجيء باللبن وعمر يكاد يسقط على رجليه من هول ما رأى من عدالة ورحمة صاحب الرسالة.

حبيبي رسول الله:

وإذا عفوت فقد أدراً ومقدراً لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة للحق لا ضغن ولا شحناء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا خطبت فللمنابر هزة تعرو الندي وللقلوب بكاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهدك ذمّة ووفاء
وإذا رحمت فأنت أمّ أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء
يا من له عزُّ الشفاعة وحده وهو المنزّه ماله شفعاء
صلى عليك الله يا علم الهدى صلى عليك الله ربي وسلما

وشرب القتال اللبن وقال له رسول الله ﷺ : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ
محمدًا رسول الله، قال الرجل: لا أقولها . فأصدر رسول الله أمره بإطلاق سراحه
والإفراج عنه فوراً.

هذا هو رسول الإنسانية، هذا هو الرحمة للبشرية لا ضغن ولا شحناء، عفو
وحلم عند المقدرة لا في هذا الموقف فقط بل في جميع حياته العملية، ها هو رجل
يرى رسول الله نائماً أثناء عودته من غزوة ويرى سيفه معلقاً على غصن شجرة،
فيتقدّم ويأخذ السيف ثم ينادي ويقول: يا محمد من يمنعك مني ؟ فيفتح رسول الله
عينيه فيرى السيف مرفوعاً بيد الاعرابي ويسمع صوته : من يمنعك مني ؟ فيقول
الرسول الأعظم: بكلّ ثبات ويقين ، وبلا خوف ولا وجل يقول: الله، فإذا بيد
الاعرابي تتبيس يده بالسيف ويسقط من يده، فيأخذه رسول الله فيرفعه عليه ويقول
له : (من يمنعك مني يا أعرابي)؟! فيقول الأعرابي: كن خير آخذ، فيقول له رسول
الله: (اذهب فقد عفوت عنك) ، فيرجع الرجل إلى أهله وعشيرته ويقول: جئكم
من عند خير الناس جئكم من عند محمد.

أيها الإخوة: كنت أريد أن أسدل الستار وأكف البنان وأطوي البيان عند هذا
المشهد، لكنني رأيت مشهداً أعجب منه.

إخوتي في الله: مازلنا عند الحبيب الأعظم، فقد انطلق ثمامة خارج المسجد ثم عاد فدخل المسجد ونظر إليه الصحابة وهو يتقدم إلى رسول الله ليقف أمامه وينادي بمحضر من الصحابة:

أشهد أن لا إله إلا الله وأنت يا محمد رسول الله

لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله أفني بها عمري ، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

قال الحبيب لثمامة : ولماذا لم تنطق بها عندما أمرتك؟ قال : يا رسول الله لم أنطق بها لأنني كنت تحت يديك ، فخشيت أن يقول الناس : إنني أسلمت خوفاً منك، أما وقد أطلقتني فقد أسلمت ابتغاء وجه رب العالمين؟

يقول ثمامة: عندما دخلت المدينة لم يكن لدى نفسي أبغض إلي من رسول الله وخرجت منها وما أحد أحب إلي قلبي من رسول الله.

وهكذا . **معشر السادة** - ترى عين النبوة ما لا تراه أعيننا، لقد رأى رسول الله نور الإيمان في عيني ثمامة فأطلقه وهو يرجو إيمانه ، فما خيَّبه الله تعالى ، فاللهم لا تخيب ظنَّ نبيك بنا، اجعلنا مؤمنين ، اجعلنا مسلمين ، أعزّ بنا الإسلام والمسلمين ، انصرنا ولا تنصر علينا، عليك بأعدائنا يا ربّ العالمين.

هنا مدرسة سيّدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية للحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك



الحلقة (٦٤)

الفرح بسيدنا محمد ﷺ

أحمدك يا من افتتحت بالنور الباهر الأحمدى والجناب العاطر المحمدي كل مخلوق وموجود، وجعلته بدرة الأكوان، ودرّة الأعيان وأبرزته طالعة الوجود، فكان الوالد للأرواح والبادئ بالأفراح والسابق لكل كرم وجود، والفتاح لما أغلق من الأنوار وسائر المعارف والأسرار وجميع الخيرات التي لم تفتح قط لمولود .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدك لا شريك لك فضلته على جميع الخلائق، وأسعدت به كل صامت وناطق، وجعلته كريماً من أكرم آباء وأشرف جدود.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ومصطفاك من خلقك وخليتك أعظم محبوب وأكمل مولود، من انتقل من الغرر الكريمة نوره، وأضاءت بميلاده مصانع الشام وقصوره، وأشرق منه الأغوار والنجد .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد و على آله الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً، ومنحتهم إجلالاً كاملاً، وتوقيراً وتماز عز وسعد ممدود، وصحابته الذين سطوروا دينه وشريعته وتبعوا طريقته وسنته ووقفوا في ذلك عند كل حد محدود، صلاةً وسلاماً يدومان ولا تنتهيان بغاية ولا بأجل معدود، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

تحتفل الأمة العربية و الإسلامية في هذه الأيام بمن شرفه الله على جميع المخلوقين ونبأ وآدم بين الماء والطين، الأمة تحتفل اليوم بمن جعل الله مقامه رفيعاً وحسنه بديعاً

ومولده للمؤمنين ربيعاً، بمن توجه الله بتاج الفخار ونور به جميع الأقطار وصفاه
على سائر الأكدار وخلع عليه المهابة والوقار.

الأمة تحتفل هذه الأيام بخاتم النبيين وتقام المرسلين من بؤاه الله مقاماً جميلاً وأعطاه
عطاءً جزيلاً وافتتح به الأكوان :

روح الوجود حياة من هو واجد	لولاه ما تم الوجود لمن وُجد
عيسى وآدم والصدورُ جميعُهُم	هم أعينٌ هو نورها لما وُرد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره	في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمرود نور جماله	عبدَ الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الحق جلّ جلاله فلا	يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

هو محمد هو محمد هو محمد

طهر الله نسبه الشريف وحسبه الطاهر المنيف من سفاح الجاهلية وزناهم حتى
قال ﷺ: { خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي
وأمي } (أحمد . طب) .

حفظ الإله كرامة لمحمد	آبائه الأجداد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره	من آدم وإلى أبيه وأمه

ولد نظيفاً ما به من قذى ولا قدر، محتوناً مقطوع السرّة، طيباً دهنياً مكحولاً
بكلل العناية الأبدية، ورأت أمه حين ولدت نوراً أضاءت له قصور الشام
(حـ . حب . سند صحيح) .

وفي فتح الباري والخصائص الكبرى للسيوطي أن أمّه سمعته يقول (جلال ربي
الرفيع . الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً) .

ولد الحبيب وخده متورد والنور في وجناته يتوقد
جبريل نادى في محاسن وصفه هذا مليح الكون هذا أحمد
هذا كحيل الطرف هذا المصطفى هذا جميل الوجه هذا الأوحـد
قالت ملائكة السماء بأسرها ولد الحبيب ومثله لا يولد
إن كان يوسف قد أفاق جماله أقسمت ذا المولود منه أزيد
إن كان إبراهيم أعطي رشده تالله ذا المولود منه أرشد
إن كان قد أعطي الكلیم عبادةً فمحمد منه أجل وأعبد

فالواجب على هذه الأمة التي رفعها الله على الأمم وطأطأ لها بسيوف عزمه
سوافح القمم أن يتخذوا من يوم مولده فرحةً على الأيام ويجتهدوا به في الفرح غاية
الاجتهاد، ويتقربوا إليه بإكرام الغرباء والفقراء ويمثلوا وصيته في إسعاف اليتامى
والأرمل والضعفاء ، ومما جُرب من خواص عمل المولد أنه أمان في ذلك العام
وبشرى عاجلة نبيل البغية والمرام، وفيه إشعار بمحبة سيد السادات، هذا ولا يجوز
الاحتفال بيوم مولده إذا شاركه معاص وموبقات كاختلاط بين الرجال والنساء
وحضور الملاحى وآلات اللهو المحرمة، لأنّ ترك معصية واحدة خير من ارتكاب
طاعات، وتعظيم رسول الله ﷺ إنما هو بإتباع سنته والوقوف مع شريعته .

يا أمة الحبيب الأعظم : إن الفرح بسيد البرية ليس فرحاً به فقط توهمه قوم من
البشر، فاعترضوا وأطنبوا وإلى إنكار فعله ذهبوا، وإنما هو قيام وفرح وسرور وابتهاج
وطرب وحبور ببروزه لهذا الوجود وإشراق نوره على كل موجود، وشكراً لله تعالى على
ما منّ به من هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ
بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾.

إن القيام والحضرة ونحوهما فرحاً بالمصطفى ﷺ أو بما هو منه أو راجع إليه، له أصل أصيل في الشرع الشريف يعتمد ويعوّل عليه، فقد لعبت الحبشة بحراهم المستلزم لرقصهم واضطرابهم لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فرحاً بقدوم طلعتة المباركة (أخرج ذلك أبو داود في سننه من حديث سيدنا أنس بن مالك) .

وكذلك لعبوا في المسجد النبوي يوم عيد من الأعياد بالدَّرَق والحراب لعبهم المعتاد وجعلوا يرقصون وسيدنا النبي والسيدة عائشة ينظرون إليهم، وهو ﷺ يقول تنهيضاً لهم وتنشيطاً { دونكم بني أرفده } يعني جدوا فيما أنتم فيه من هذا اللعب المباح الذي لا حرج فيه ولا جناح.

وفي حديث الإمام أحمد وابن ماجه عن قيس بن سعد بن عبادة انه ﷺ كان يُفْلَسُ (يضرب بين يديه بالدف والغناء يوم الفطر) . وما كان ذلك في الحقيقة إلا فرحاً بالحضور عنده والمثلول بين يديه .

وحين قدم ﷺ المدينة خرج جوارٍ من بني النجار في الطرقات يضربن بالدفوف ويقلن بالأصوات المرتفعات

نحن جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار
فمرحباً بهذا النبي المختار ومرحباً بسيد الأبرار

وما ذاك إلا فرحاً برؤية جماله وابتهاجاً بقدومه وإقباله، إن ضرب الدف فرحاً بسيد الوجود من السنن التي أقرّها رسول الله ﷺ، فقد روى الترمذي بسنده أن سيدنا رسول الله خرج في بعض مغازيه فلما رجع جاءته جارية سوداء، فقالت يا رسول الله: إني كنت نذرت إن ردّك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا، فجعلت تضرب .

فمن أحدث لهواً مباحاً عند فرحه بزمان ولادته ﷺ ولو من غير التزام ولا نذر جاز.

وأما الحضرة والرقص فرحاً بزمن ولادته ﷺ فقد سبقنا إليه سيدنا جعفر ابن عم رسول الله ﷺ وسبقنا إليه سيدنا زيد ابن حارثة وسبقنا إليه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ففي مسند الإمام احمد بن حنبل حَجَّلَ زيد بن حارثة وجعفر وعلي بين يديه ﷺ لما قال لزيد: أنت مولاي، وقال لجعفر: أنت أشبهت خلقي وخلقي، وقال لسيدنا علي : أنت مني وأنا منك، فقام كلٌّ منهم يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح، وقد أقرهم ﷺ وما أنكر عليهم، وهل هناك فرح أكثر من فرحنا بسيدنا محمد ﷺ .

وأما القيام عند ولادته ﷺ فقد نصَّ أئمة المذاهب في المشارق والمغارب على استحباب القيام عند زيارته ﷺ ومواجهة وجهه الشريف والمثلول لدى روضته الطاهرة المقدسة، وقد ثبت في أكثر من حديث صحيح قيامه ﷺ لنساء الأنصار وأبنائهم الصغار، وثبت قيامه لسيدتنا فاطمة رضي الله عنها، ولسيدنا علي ولسيدنا العباس رضي الله عنهما، وقيامه للملائكة المكرمين الذين يصحبون الجنائز.

وقد صحَّ أمره أيضاً بالقيام لمن حضر من الصحابة الكرام فقال للأنصار : (قوموا إلى سيدكم)، أو قال: خيركم، وزَعَمُ أنه إنما أمرهم بذلك لإنزاله عن دابته غير مقبول لدى علماء التحقيق وأئمة لوجوه قروها وفي كتبهم سطورها .

ونُهي ﷺ عن القيام له في حياته هو عند غير واحد من العلماء من باب النهي عما هو أحق وأولى تواضعاً منه ﷺ وإسقاطاً لبعض واجباته صلوا عليه .
فيا أحباب رسول الله :

اسعدوا وابتهجوا بهذا النبي الحبيب وأقيموا الأفراح في دياركم تسعدوا بالخير
العميم، فلترفع رايات سيدنا محمد على كل رابية وعلى كل دكان وشارع للشريعة
المحمدية .

وراءك يا رسول الله نمضي ويتبع صفنا للمجد صف
على رغم المعاند والمعادي لواء محمد أبداً يعرف

الحلقة (٦٥)

المولد ١٤٣٠

الحمد لله الذي ليس لأوليته افتتاح كما لسائر الأوليات، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الأزليات.

الحكيم الذي أرسل خير البريات، صاحب الوسيلة في جنان الفردوس العلويات والمقام المحمود في اليوم العظيم البليات.

فسبحان من أطلع كواكب سعود المصطفى فطلعت، وألح بوارق وجوده فَلََمَعَتْ، وبث أقمار شهوده فتألأت وسطعت وقطع آمال الكفار من مرادهم فانقطعت، وأذل ملوكهم بعزه فذلَّت لهيبته وخضعت، والأفلاك قد سجدت وركعت، وآمنة قد حازت حين لجمال هذا الحبيب وضعت، وحليمة الحليمة تشرفت له إذ أرضعت، وألسنة المداح قد اثنت بشكره في الآفاق وأسمعت

هم بالنبي محمد وذويه	تالله إن الأرض لا تبليـه
أو كيف يبليه التراب	وحبه في قلبه ومديحه فيه
أكثر عليه من الصلاة فإنها	هي نور قلبك عندما تؤويه

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله لما أراد الله أخراجه من خزائن الأصلاب الرفيعة إلى كنز أحشاء أمانة المنبئة، وظهرت لانتقال نوره الآيات، وتباشرت جميع المخلوقات، نودي في الأرض والسموات:

يا عرش تبرقع بالوقار، يا كرسي تدرع بالفخار، يا سدرة المنتهى ابتهجي، ويا أنوار المهابة تبلّجي، يا جنات تزخرفي، يا حور من القصور أشرفي، يا ملائكة الله اصطفي وبالعرش حفي، يا رضوان افتح أبواب الجنان، وزين الحور والولدان، أطلق مجامر الطيب وعطر الأكوان، ليلد سيد الأنس والملك والجان حبيبي محمد، اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

يحتفل العالم الإسلامي والعربي في هذه الأيام، بأي سيد؟ بأي عظيم؟ بأي قائد؟ بأي حبيب؟ سيد حرر العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، وعمر العالم ببيت واحد بيت الإيمان، قائد استطاع من غير جيش و الكتائب أن يجعل من التائهين في البادية ملوكاً يحكمون العالم، وأساتذة يعلمون الأمم.

نحن اليوم نقف إجلالاً وإكباراً أمام ملجأ الفقراء ومأوى الضعفاء، وولي الأيتام ومربي العبيد والأرقاء، ويصفح عن الأخطاء ويحسن إلى من أساء ويصلح ما أفسده الناس، يوحد القبائل المتناحرة، ويؤلف بين القلوب المتنافرة.

انتم اليوم تقفون في حضرة نبي، نزل من غار حراء وفي يده إكسير من السماء، حول التراب تبراً والحصى دراً وجوهرأً أقبل على الأمة العربية التي كان يخيم عليها

الجهل من قرون فأحدث فيها ثورة جذرية انقلبت بها أوضاعها وتغير بها مجرى التاريخ.

إننا نحتفل اليوم بسيدنا ومولانا وحبينا وشفيعنا وقائدنا وقدوتنا إلى الله سيدنا محمد بن عبد الله إمام العالمين وسيد المرسلين .

وبهذه المناسبة العزيزة أرفع باسمكم واسم العالم الإسلامي وباسمي شخصياً واسم آل البيت تحية حب وولاء وعز ووفاء وشكر وثناء لسيد الرسل والأنبياء سيدنا محمد ﷺ بمناسبة الشهر النبوي والعيد الوطني للإسلام ففي هذا الشهر ولد رسول الله ﷺ، وفيه هاجر، وفيه أسس أول دولة في الإسلام وأول مسجد في الإسلام فهذا الشهر شهر العيد الوطني للإسلام شهر الصلاة والسلام على شفيع الأنام، فارفع تحيتك إليه وحبك له وقل: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته، نشهد يا سيدي أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك

اليقين، فصلى الله وسلم عليك ،وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين وصحبك الهداة المهتدين.

سعدت ببعثة أحمد الأزمان وتعطرت بعبيره الأكوان
والشرك أنذر بالنهاية عندما جاء البشير وأشرق الإيمان

معشر الأخوة الكرام :

على مقربة من مقام إبراهيم وحجر إسماعيل ومهبط جبريل الأمين، وبحوار زمزم وتجاه البيت العتيق ولد سيدنا محمد ﷺ فمن مثل سيدنا محمد ﷺ ألا فليعلم العالم

قال الراعي في نفسه: لو كان هناك من يحرس الغنم لذهبت وآمنت بذلك الرسول، فقال الذئب: أتركهم أنا أحرسهم لك، فترك الأعرابي الذئب يحرس الغنم ، وأخذ المسألة بيقين حتى إذا بلغ المدينة ودخل المسجد ودلّوه على سيدنا رسول الله ﷺ إذ بالنبي يقوله له : {أين تركت غنمك إنه راع أمين}، وهنا ذهل الأعرابي وعرف أنه صادق في النبوة فآمن به مباشرة ، فلما عاد أعطى الذئب نعمة مكافأة له، فأصبح يسمى مكلم الذئب، وصار ولده يلقب بابن مكلم الذئب حتى نسي اسمه الحقيقي (انظر خ ٣٦٦٣)

فكر رعاك الله ذكر محمد ففي ذكر العيش المهناً والأنس
فكل له عرس بذكر حبيبه ونحن بذكر الهاشمي لنا عرس

فمن أراد تكفير الخطايا والزلات، وبذل العطايا والصلوات والحلول في أعلى الدرجات فليكثر على سيدنا النبي من الصلوات فهو دليل محبته وعنوان إتباعه :

حب النبي المصطفى لقلوبنا غسل مذاب حب النبي المصطفى يحبيك من تحت
التراب

يا سيدي ومحمدي

أصبحت أغنى واحد في الكون فيك بلا حساب
أنت الخلايا في دمي لكنها بك تحتمي بك لا تصاب

يا أحباب رسول الله : كل العبادات والأذكار ينال ثوابها العبد مرة واحدة إلا الصلاة على رسول الله إن الصلاة على رسول الله شمس لا تغيب، ثوابها مستمر لا ينقطع، من أي الوكالات أتينا بهذه الأنباء من عند حبيبك سيدنا محمد ﷺ هو الذي يقول لنا : (ما من عبد صلى علي صلاة إلا عرج بها ملك حتى يجيء بها وجه الرحمن عز وجل فيقول ربنا تبارك وتعالى { اذهبوا بها إلى قبر عبدي تستغفر لصاحبها وتقرُّ بها عينه } .

(فتنقى تستغفر لصاحبها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة وثوابها مستمر) فجدير بك أخي المسلم أن تعمل وثيقة تأمين على حياتك بالصلاة على النبي ﷺ يقول سيدنا حذيفة تلميذ سيدنا محمد ﷺ (الصلاة على النبي ﷺ تدرك الرجل وولد ولده) يستمر ثوابها ما شاء الله .

لذلك نحن اليوم نريد أن نرفع هدية للحبيب الأعظم هدية ثمينة تليق بمقامه الشريف ألا وهي مليون صلاة على النبي نحن هنا عندنا هنا حوالي / ٥٠٠ / رجل وظيفة على كل واحد منكم من الآن إلى يوم الإثنين أن تصلّ على النبي ﷺ / ٢٠٠٠ / صلاة هدية لسيدنا محمد ﷺ وسيدنا النبي ﷺ سيقدم لنا بدلها يوم القيامة أتعرفون كيف سيرد لكم رسول الله هديتكم؟ سيشفع لنا عند الله اسموا ماذا يقول لكم (د) : { إن الله عز وجل وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر بنية صادقة غفر له، ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه، ومن صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة } وسيدنا النبي يقول (احمد . جه) (من صلى علي لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي) وحبيبك النبي يقول (ت حسن) { أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة } .

أدم الصلاة على النبي محمد فقبولها حتماً بغير تردد
أعمالنا بين القبول وردّها إلا الصلاة على النبي محمد

هل عرفتم الآن . يا سادة . لماذا أمركم الله تعالى بالصلاة عليه هل عرفتم الآن لماذا
قال الله تعالى لكم ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾

يا أهل الإيمان . إن الله تعال خاطبكم أنتم، لم يقل أيها المسلمون صلوا عليه، ولم
يقول أيها الناس صلوا عليه، بل قال (يا أيها الذين آمنوا) أتعرفون ما معناه، معناه
يا أفضل الخلق صلوا على خير الخلق، فصلوا عليه وسلموا تسليماً.



الحلقة (٦٦)

خطبة المولد ١٤٣١هـ شمائله ورحمته ﷺ

الحمد لله الذي شرف هذا الوجود، بميلاد أكرم نبي وأعزّ مولود، سيدنا محمد النبي المقدس المحمود، ذي الشفاعة العظمى والحوض المورود، عنصر الفضائل المشهود، كريم الآباء والجدود، نخبّة العالم وسيد ولد آدم، من انتقل من الغرر الكريمة نوره، وأضاء الكون ميلادّه وظهوره، وطلعت شمس الهداية والعرفان بانفلاق صبحه على جميع الأكوان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب النور العميم، والقدر العظيم والصراط المستقيم، والقدر القويم والحسب العميم والمجد الضخيم .

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد الذي خلقت رأسه من الهدى، وسمعه من الطاعة، وحواجه من التفكير، وعينه من النور، وأنفه من الزهد، وفمه من الحكمة، ولسانه من الصدق، وأسنانه من اللؤلؤ، وعنقه من التواضع، و صدره من الحياء، ويده من السخاوة، وبطنه من القناعة، وقلبه من الإخلاص، ورثاه من السكينة، وكبده من الحنانة، وفخذه من الورع، وبشرته من العصمة، وقدماه من الاستقامة، وجعلته رحمة للعالمين وقدوة للناس أجمعين .

سیدی ابا القاسم یا رسول اللہ :

عذراً رسول الله إن قصرت
جاءت قديماً ذرة من نوركم
والله لو ماء البحار يجمعها
في مدحي فإن جمالكم لن يوصف
قد جمل الرحمن منها يوسف
كان الممداد لمده أحمد ما وفا

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيا معشر الأخوة الكرام :

قبل أن انتقل بكم إلى هناك، أريد أن أرفع التحية للقائد من هنا ، للقائد الأعلى
للأمة سيدنا محمد ﷺ بمناسبة يوم مولده الشريف، أرفع باسمكم وباسم كل شرفاء
العالم وباسمي شخصياً تحية إجلال وتقدير وإعجاب وتعظيم لأشرف الورى المبعوث
بالإنذار والبشرى، إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود سيدنا محمد
فقولوا جميعاً الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله، نشهد انك بلغت الرسالة
وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، صلى الله وسلم عليك
وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين وصحابتك أجمعين صلى الله وسلم عليك يوم
ولدت ويوم بعثت ويوم هاجرت ويوم لقيت ربك عز وجل .

وسلامی علی خیر الأنام	وحبيب رب العالمين محمد
وبشیر نذیر هاشمی مکرم	عطوف رؤوف من یسمى
	بأحمد

ماذا أحدثكم عن حبيبكم رسول الله، أحدثكم عن رجل ممتلئ رجولة وجمالاً في سن الأربعين، ليس بالطويل الممتد ولا بالقصير، وسطاً بين القوم، مسرّح الشعر يبلغ شحمة أذنيه (خ ٥٠١/١) له فرق حكي الصباح وضيء (خ ٥٠٣/١) ليس بالعظيم الجسم ولا المستدير الوجه في صغر، واسع الجبين أزج الحواجب في غير قرن بينهما كأن عرقه اللؤلؤ (م ٢٥٦/٢) أبيض البشرة والوجه مشرّب بحمرة (خ ٥٠٢/١) الذي كان سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه إذا رآه يقول :

أمين مصطفى بالخير يدعو كضوء البدر زائله الظلام

(خلاصة السير للطبري ص ٢٠) .

أم أحدثكم عن حبيب أسود العينين طويل أهدابها، جليل عظام رؤوس المفاصل، عريض ما بين الكتفين، بين كتفيه خاتم النبوة (م ٢٥٩/٢)، دقيق شعر الصدر الممتد إلى السرة ضخم الكفين والقدمين، إذا مشى لم يثبت قدميه كأنه يمشي فيما انحدر من الأرض، يقول عنه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه (ما رأيت أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث) (ت - الأحوزي ٣٠٦/٤ - مشكاة ٥١٨/٢) .

أزور معكم اليوم عظيماً إذا أراد أن يلتفت التفت بكل جسمه، أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدرأً، حسن العشرة، كان لا يضحك إلا تبسماً (الأحوزي ٣٠٦/٤) من رآه الأولى هابه، ومن خالطه أحبه، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، يقول عنه سيدنا جابر بن سمرة: نظرت إلى رسول الله وإلى القمر فإذا هو أحسن عندي

من القمر (ت شمائل ٢ -الدارمي- مشكاة - المصاييح ٢/ ٥١٨ ٩) وقال غيره عنه: لو رأيته رأيت الشمس طالعة (الدارمي مشكاة ٢ / ٥١٧) .

ويقول عنه سيدنا أنس : (ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شمتت ريحاً ولا عنبراً ولا مسكاً ولا شيء أطيب من ريح رسول الله ﷺ) (خ/١ . ٥٠٣ . ٢م / ٢٥٧) وقال سيدنا أبو جحيفة : أخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من رائحة المسك) (خر/ ٥٠) صلوا عليه .

نحن اليوم مع شخصية صاحبها أوتي من جمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في إكباره بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ويخدش له ظفر .

رحمة كلّه وحزم وعزم	ووقار وعصمة وحياء
كرمت نفسه فما يخطر السوء	على قلبه ولا الفحشاء
وسع العالمين علماً وحلماً	فهو بحر لم تعيه الأعباء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً	فهو البحر والأنام إضاء
كل فضل في العالمين فمن	فضل النبي استعاره الفضلاء

كان يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد أوتي جوامع الكلم، وخصّ ببدائع

الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويجاورها بلغتها، وكان الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره صفات أدبه الله تعالى بها، ما خير

بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثماً (خ ٥٣/١) وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً، وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يُقدر قدره، يعطي عطاءً من لا يخاف فقراً، يقول عنه سيدنا جابر رضي الله عنه: (ما سئل شيئاً قط فقال: لا) (خ ٥٣/١).

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

نحن اليوم مع سيدنا محمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي والأمين الصادق ونبي التوبة ونبي الرحمة (م ٢٣٥٥) الذي قال عن نفسه: { إنما أنا رحمة مهداة } وقال عنه عز وجل ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

والرحمة يا إخواني تعني الرقة والعطف والرأفة، الرحيم رقيق القلب يريد إيصال الخير لكل الناس ، الرحمة صفة النبيين قال تعالى عن سيدنا الخضر ﴿آتيناه رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ وقال عن سيدنا محمد ﷺ ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ ووصفه بقوله ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة) .

الرحمة . يا شباب :صفة أشرف الأمم وصفة أهل الجنة ودليل رقة القلب وسمو النفس، ولذا نبينا ﷺ يقول { لا تنزع الرحمة إلا من شقي } (ت ١٩٢٣ - ٤٩٤٢) بل ربطها رسول الله ﷺ بالإيمان، ربط الرحمة بالإيمان فقال: {لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله! قال: إنه ليس رحمة أحدكم بصاحبه ولكنها رحمة الناس رحمة العامة} (طب - الفتوح ٤٥٣/١٠) حتى قال ﷺ : { لا يرحم الله من لا يرحم الناس } (خ - الفتوح ٧٣٧٦/١٣) هذا تهديد ووعد

شديد، ومرة نفى رسول الله ﷺ الإسلام عمن لا يرحم فقال { ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا } (ت ١٩٢٠ . احمد ٥٧/١). (ليس منا: ليس على طريقنا وسنتنا).

يا أحباب: الرحمة دليل محبة الله ومحبة الناس، لأنه برحمة الله يوفق العبد لترك المعاصي ونيل الدرجات، إنها دعوة لإشاعة الرحمة بين أفراد المجتمع ترفع من مستواه وتجمع شمله.

وحبيبك رسول الله ﷺ كان رحمة للعالمين حتى قال له أصحابه يوماً: ادع على المشركين يا رسول الله، { فقال ﷺ: إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة } (م ٢٥٩٩)

ومن شدة رحمته التي كان يتمتع بها قال له ربه عز وجل ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ .

تتجلى رحمته ﷺ في عدد كبير من المواقف، في الحضر والسفر، في البيت والشارع، في المسجد وبين أهله وأصحابه، ولتوضيح هذه الفكرة، اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ها هو يقول: (صلوا عليه) {إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي، فأتحوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه } (خ -الفتح ٢ / ٧٠٧ - م ٤٧٠) رحمة بالصغار والنساء، ومرة خرج وبنت ابنته أمامه على عاتقه فصلى بالمسلمين إماماً وهي على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها (صلوا عليه، ارفعوا شعار شهر ربيع)

وبلغ من رحمة رسول الله ﷺ أنه كان على المنبر يوم الجمعة فرأى سيدنا الحسن وهو يدخل المسجد ويتعثر بين المصلين فنزل من على المنبر وحمل سيدنا الحسن وصعد به المنبر وقال ﷺ: { إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين } هل رأيتم مثل هذه الرحمة، ألا يعلمنا ذلك أن نرحم أطفالنا، ولقد أعجبني مشهد فذ لم تر الإنسانية له مثيلاً على مدى المصلحين والدعاة إلى الله تعالى، مشهد بطله سيدنا الحسين، حيث ان الحبيب الأعظم ﷺ أطال السجود مرة بالصحابة الكرام، وأطال وأطال حتى قال بعض الصحابة: إنه قد قبض، ثم رفع رأسه الشريف، وأنهى صلاته ثم قال: { إن ابني هذا ارتحلني وأنا ساجد } خاف رسول الله ﷺ إن هو رفع رأسه من السجود أن يتأذى سيدنا الحسين فصلوا على نبي الرحمة، أروني ديناً فيه مثل هذه الرحمة، أروني مصلحاً فيه هذه السجاياء، أروني مذهباً من المذاهب الأرضية تتحلى مبادئه بهذه القيم، وهذا ليس مقتصرأ على أولاده وأحفاده وقرابته ﷺ بل شملت رحمته القريب والبعيد.

أيها الأخوة : ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم ﷺ (ارفعوا شعار شهر ربيع) ها هو سيدنا أسامة بن زيد يدخل مسرعاً على بيت النبي ﷺ فيقع على الأرض فيشج وجهه ويسيل منه الدم، فقال الرحمة المهداة للسيدة عائشة: {أميطي عنه الدم ، تقول السيدة عائشة فقذرتة، فقام الرؤوف الرحيم بنفسه وأخذ يمسح عنه الدم ويداعب أسامة وهو يقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته } .

يا شباب : الراحمون يرحمهم الله، القُبلة رحمة هل عسير عليك أن تقبل ولدك، وتشعره بمدى عطفك له، سيدنا رسول الله ﷺ كان يفعل ومرة قبل سيدنا الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً {فقال الأقرع : أنقبّلون صبيانكم؟

قال سيدنا النبي ﷺ : نعم ، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ثم قال: أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك، من لا يَرْحَمُ لا يُرَحَّمُ { (خ - الفتح ١/٥٩٩٧ - م ٢٣١٨) .

معشر الأخوة : هذه هي سجايا وشمائل وصفات سيدنا رسول الله إنما ذكرتها لتتأسى الأمة بهذا النبي، تتأسى وتتصف وتتشبه وتمسك بها امتثالاً لأمر الله تعالى المطلق ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وكلما أكثرنا أخي المسلم من الاتصاف بشمائله الكريمة، كلما كنت أقرب منه وإليه، أليس قد وصفه ربه ﴿وإنك لعلی خلقٍ عظیم﴾ (القلم ٤). سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا رسولاً عزّت به الأكوان	حبك السعد والمنى والأمان
ونالت نعيمها الأزمان	بك تمت رسالة الله للكون
كيف تشقى وفي هداك الضمان	واطمأن الأنام لم تشق روح
الرحمة لما تنزل القرآن	جمع الله للأنام بك
وأزيلت بهديك الأحزان	وشفانا من كل داء
لم تكن قبل أن يجيء تصان	أوما صان للبرايا حقوقاً
حبك السعد والمنى والأمان	فلك الحب يا محمد يا من



مسابقة المولد النبوي الشريف

وقائع المسابقة التي أجراها

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني

لطلاب معهد التهذيب والتعليم بعد الاحتفال

بالمولد الشريف يوم الثلاثاء ٢٦/٤/٢٠٠٥

س ١ - هل تعظيم النبي واجب وفرض في الدين ؟

نعم، لأن احتقاره كفر وردة، لذا لا يذكر اسمه الصريح إلا مع كلمة سيدنا، لأن الله تعالى عظم سيدنا يحيى في القرآن فقال عنه ﴿سيداً وحسوراً ونبيّاً من الصالحين﴾ ونبينا أعظم عند الله من سيدنا يحيى وأفضل.

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق

وهو القائل «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

وقال تعالى ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ : والتوقير هو الاحترام.

وقال تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ ولهذا وجب تعظيمه دون أن نصل به إلى مقام الربوبية.

وهذا معنى حديث «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم...» فادعوا أنه ابن إله . أما تعظيمه ﷺ بما عظمه ربه جل جلاله فهو واجب.

س ٢ - مَنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ أَجَازَ الْإِحْتِفَالَ بِالْمَوْلِدِ ؟

ج- الحافظ ابن الجوزي

الحافظ ابن كثير الدمشقي

الحافظ ابن دحية الندلسي

أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر العسقلاني

خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي

ابن الحاج في المدخل

سلطان العلماء العز بن عبد السلام

س ٣ - مَنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ أَلْفَ فِي الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ؟

ج- جلال الدين السيوطي في كتابه « حسن المقصد في عمل المولد »

الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير »

شمس الدين الجزري « عرف التعريف بالمولد الشريف »

الحافظ شمس الدين الدمشقي « مولد الصادي في مولد الهادي »

شيخ الحفاظ الحافظ العراقي « المورد الهني في مولد النبي »

الشيخ المحدث محمد بن جعفر الكتاني « الإسعاد في مولد خير العباد » .

س ٤ - أريد أن تذكروا لي بعض الأدلة على جواز الاحتفال بالمولد الشريف:

طالب أول : تعظيم سيدنا محمد بالاحتفال بذكرى مولده فيه تعظيم لشعائر الله،

والله تعالى يقول : ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّمَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

طالب ثاني : ذكر إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتابه « عرف التعريف بالمولد الشريف » قال : « صحَّ أن أبا لهب يخفف عنه العذاب في النار في كل ليلة اثنين لإعتاقه ثوبية عندما بشرته بولادة النبي ﷺ .
فإن كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بدمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ فكيف بالمسلم.

طالب ثالث : ذكر السيوطي أنَّ له أصلاً في السنة.

روى البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ عَقَّ عن نفسه بعد النبوة، مع أنه ورد أن جده عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمةً للعالمين، وتشريعاً لأُمته، كما كان يصلي على نفسه تشريعاً لأُمته، فيستحب لنا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام.

طالب رابع : ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم :

ابن حجر العسقلاني ذكر له أصلاً في السنة، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى. فقال: نحن أولى بموسى، وأمر بصومه.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: فستفاد منه فعل شكر الله تعالى على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي، نبي الرحمة في ذلك اليوم.

وينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو التلاوة والطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة وما كان مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به.

طالب خامس : وقد أجاز الاحتفال بالمولد أيضاً ابن الحاج في المدخل، قال : لأن هذا الشهر من الله تعالى علينا بسيد الأولين والآخرين، فكان يجب أن يزداد فيه من العبادات والخير وشكر المولى على ما أولانا به من النعم العظيمة.

والنبي عبّر عن فرحه بيوم ميلاده بالصوم، وللمؤمنين أن يعبروا عن فرحهم بذلك بكل أنواع العبادات والطاعات ومختلف أصناف القربات ويجتهدوا في ذلك ما أمكنهم.

طالب سادس : سلطان العلماء العز بن عبد السلام قال : أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، لأن ولادته أعظم النعم علينا ، والشريعة حثت على إظهار شكر النعم قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

س ٥ - من أول من أحدث المولد الشريف ؟

ج- ملك إربل، وكان عالماً تقياً شجاعاً يقال له المظفر، أوائل القرن السابع، وقد قدم

عليه الحافظ ابن دحية الأندلسي سنة ٦٠٤ هـ فرآه يعتني بالمولد فعمل له التنوير في مولد البشير النذير.

س ٦ ما تاريخ مولده ﷺ ؟

ج- ليلة ١٢ ربيع، أو اليوم التاسع منه، الموافق ٢٠ نيسان سنة ٥٧١ م

س ٧ - أين محل مولده ﷺ

ج- في مكان مشهور بسوق الليل، جعلته أم هارون الرشيد مسجداً (ذكره الحافظ العراقي)

القول الثاني في محل مولده: عند صحن المسعى المعروف اليوم بمكتبة الحرم.

س ٨ ما شروط الاحتفال بالمولد الشريف ؟

ج- عدم وجود محرمات كآلات موسيقية أو اختلاط بين الجنسين أو كشف عورات.

س ٩ هل كان النبي ﷺ يهتم بالأمكنة والأزمنة ؟

ج- نعم. ١- « خير القرون قرني »

٢- وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال: هذا يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه -أخرجه مسلم عن قتادة-

قال ابن عباس : ولد النبي يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين، وخرج مهاجراً يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.

٣- كان يهتم بيوم الجمعة لأنّ الله تعالى خلق فيه سيدنا آدم.

٤- اهتمّ بيوم عاشوراء لأنّ فيه كانت نجاة سيدنا موسى.

٥- أمره جبريل بصلاة ركعتين بيت لحم حيث ولد سيدنا عيسى -البنار وأبو يعلى والطبراني ٦- كان أكثر ما يكون جوداً في رمضان.

٧- يجتهد في العشر الأخير من رمضان بالعبادة.

س ١٠ - ما سند الروايات التي تقول إنه في يوم مولده ارتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار الفرس ، وغاضت بحيرة ساوة.

ج- سندها البيهقي في دلائل النبوة ١/١٢٦ وابن عساكر والطبري في تاريخه ٢/١٣١ والحافظ العراقي في المورد الهني.

س ١١ - بماذا نرد على من قال :

إن رسول الله لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة.

ج- هل كل ما لم يفعله رسول الله ﷺ والصحابة الكرام يصير محرماً علينا.

إن يحيى بن يعمر التابعي الجليل وضع النقط على المصحف الشريف وقام المسلمون بعده بوضع زيادات أخرى كالتشكيل وعلامات التجويد، ومن ثمّ علامات الأحزاب وأنصافها ووصولاً إلى وضع أرقام السور ...

فهل يحرم وضع النقط على المصحف ؟ وهل جميع المصاحف بين أيدينا مليئة بأنواع البدع ؟؟؟!!!

سبحانك هذا بهتان عظيم

س ١٢ - على ماذا يحمل حديث كل بدعة ضلالة ؟

يحمل على ما أحدث وليس له دليل من الشرع أو أصل يرجع إليه، ويحمل على أن أغلب البدع تكون مخالفة للدين وليس المعنى كل البدع على الإطلاق بل تعني أغلب البدع بدليل قوله تعالى عن الريح التي أرسلت لعذاب بعض الأمم الكافرين ﴿ تدمر كل شيء ﴾ فمعناه تدمر أغلب الأشياء لأنها لم تدمر على الحقيقة كل الأشياء إطلاقاً.

بل هناك بدع واجبة كجمع المصحف وتنقية السنة من الموضوعات ونشر العلوم المساعدة على فهم القرآن كعلوم اللغة ، ولذلك جاءت رواية الترمذي (كل بدعة ضلالة في النار) أما البدعة التي لاضلالة فيها فجائزة كقول سيدنا عمر رضي الله عنه (نعمت البدعة هذه) عن صلاة التراويح .

س ١٣ - ما معنى حديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .

ج- معناه: ما ليس منه، أي ما يخالفه: أي من أحدث في ديننا ما يخالفه فهو رد، وفيه دليل على أن من أحدث في الدين ما يوافقه فليس رداً.

ولهذا سمي المولد بدعة حسنة والأولى تسميته سنة حسنة: من سن في الإسلام سنة حسنة.

س ١٤ - فكيف ترد على من يقول إن فيه تشبهاً باليهود والنصارى في أعيادهم

ج - هذا مردود لأن النبي صام يوم الاثنين لأنه يوم ولد فيه، فهل تشبه بهؤلاء.

فتخصيص يوم المولد النبوي الشريف ليس فيه حرمة لأن النبي خصص يوم الاثنين فصامه.

س ١٥ - اذكر بعض خصائص سيدنا محمد ﷺ

طالب أول : ١- البقعة التي ضمت جسده ﷺ أفضل بقعة على وجه الأرض بالإجماع

نقل ذلك القاضي عياض في الشفا .

٢- إن الله تعالى ربط قبول توبتنا باستغفار النبي لنا فقال ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾

٣- قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾

٤- ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .

٥- « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » (م).

٦- الإسراء والمعراج.

طالب ثانٍ : إن الله تعالى أخذ العهد على جميع الأنبياء إذا بعث فيهم رسول الله سيدنا محمد أن يتبعوه ويتركوا كتبهم ويتبعوا القرآن الكريم قال تعالى ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

طالب ثالث : ١- جعل الله الملائكة دائمة الصلاة عليه:

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ .

٢-أيده بالمعجزات والبراهين كحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه وتسبيح الشجر والحجر.

طالب رابع : ١-جعل طاعة رسوله من طاعته ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾

٢-«إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته» . الإمام أحمد والبيهقي عن العرباض بن سارية . .

طالب خامس : إن الله تعالى خاطب الأنبياء كل باسمه فقال :

﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ . ﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ .

﴿ يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ... ﴾

﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ... ﴾

﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ... ﴾

﴿ يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ... ﴾

نادى كل واحد منهم باسمه فلما أراد أن يخاطب سيدنا محمد قال : يا أيها النبي —
يا أيها الرسول — يا أيها المزمّل — يا أيها المدثر.

وتوالت بشرى الهواتف أنْ قد ولد المصطفى وحقّ الهناء

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى سيدنا محمد ، كما بارك على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد ، عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون »

الأسوة الحسنة

خطبة مولد ١٤٣١

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ليظهره على الدّين كله ولو كره الكافرون، وجعله هادياً مهدياً وأرسله بشيراً ونذيراً، وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتبع هديه إلى يوم الدّين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أوحى الكتاب إلى نبيه وأمرنا بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله:

من الرسل والأوثان في الأرض تعبدُ	نبي أتانا بعد يأس وفترة
وعلمنا الإسلام فالله نحمد	فحدّثنا نارا وبشر جنّة
فدو العرش محمود و هذا محمد	وشقّ له من اسمه ليجلّه

فنوره أنور، وبرهانه أظهر، وصورته أجمل، ودينه أكمل، ولسانه أفصح، ودعاؤه أنجح، وعلمه أرفع، ونداؤه أسمع، ونصره مؤيد، واسمه محمد:

وأنا له فضلاً لديه عظيماً	الله عظم قدر جاه محمدٍ
صلوا عليه وسلموا تسليماً	في محكم التنزيل قال خلقه

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد: فيا أمة الحبيب الأعظم: لا بدَّ لكلِّ مسلم من ربط حياته بمثل أعلى وقدوة يرجع إليها في حياته ويرجع إليها عند النوائب والشدائد، ومن لم يكن له كبير فليس له تدبير.

ذلك أنَّ الإنسان مهما يكن استعداده للخير عظيماً، ومهما تكن فطرته نقية سليمة فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير القدوة في ذروة الأخلاق وقمة القيم، ولذلك كان سيدنا رسول الله المبعوث من مولانا عزَّ وجلَّ متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية حتى يقتدي به العباد وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل.

فلئن شق سيدنا موسى بحراً في الماء فأنحسر عن رمل وحصى، فقد شق سيدنا محمد بحوراً من النفوس فأنحسرت عن عظماء خالدين، ولئن ردَّ الله ليوشع بن نون شمساً غابت بعد لحظات فلقد ردَّ الله بسيدنا محمد ﷺ ردَّ إلى الدنيا شمساً لا تغيب مدى الحياة، ولئن أحيا سيدنا عيسى الموتى ثم ماتوا فقد أحيا الله بسيدنا محمد أمماً ثم لم تمت، وكفى بالله شهيداً مثنياً على حبيبه ثناءً عطراً .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا، وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ (الأحزاب (٤٥-٤٦))

لا بدَّ لكلِّ مسلمٍ من مرجعية متكاملة في حياته يكون هو الحكم في حالتي الرضا والغضب، منهج رباني لم تأت تعاليمه من الكتاب الأخضر أو الأحمر، أو من البيت الأبيض أو المحترق، بل هو منهج: فيه قال الله وقال رسول الله ﷺ فهو القدوة وهو الأسوة .

إذا أردت أن تعرف الإنسان هل هو قدوة أم لا فانظر إلى ثلاثة أشياء منه :

✓ الأول : الصلاح ويكون بالإيمان والعبادة والإخلاص .

✓ الثاني : حسن الخلق :

✓ الثالث : موافقة القول والعمل .

وهذا ما كان عليه سيدنا محمد ﷺ.

إنني أدعو المسلمين اليوم أن يتمسكوا بهذا المنهج المبارك وأن يتخذوه أسوة وقدوة، فالعالم اليوم يتيه في ظلمات المادية الطاغية، ويتخبط في أوحال الانحلال والإباحية، ويرسف في قيود القيم المادية والشهوات، وتشن هجوماها لاستعباد الإنسان وطرده من أرضه وابتزاز خيراته.

فما الذي يقي العالم من هذه الويلات والكوارث؟

ما الذي يحمي الأمنين؟ ما هي سفينة الإنقاذ؟

وما هو صمام الأمان؟

إنه الإسلام وإنه سيدنا محمد ﷺ .

يقول الفيلسوف الإنكليزي ((لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، وأرى واجباً أن يدعى محمد مُنْقَذَ الإنسانية، وإنَّ رجلاً على شاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حلِّ مشكلاته وهو يتناول فنجاناً من القهوة)).

فيا شباب سيدنا محمد: جواب أسئلتكم عند شخص واحد هو قدوتكم، حلُّ مشكلاتكم عند شخص واحد هو سيدنا محمد ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أنتم مطالبون أن يكون قدوتكم سيد الرسل والأنبياء الكرام، أنتم أمام قدوة وقمة شامخة من اتبع منهاجها نال سعادة الدارين.

فمن الطبيعي أن تنجذب القلوب له، وأن تتأسى النفوس به، وأن يجد الناس في شخصية النبي القدوة الكاملة والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم ، ذلك أنه: الإنسان الكامل الذي يستحق أن يقتدى به.

وأُسعد لحظات حياة المسلم أن يكون بين يدي النبي ﷺ يعلمه ويوجهه كي لا يخطئ.
قِمَّةُ الروحانية أن يقف المسلم بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ يوجهه ويضعه عن يمينه ويؤثره بأجل آدابه .

إخوتي: إذا فعلتم ذلك ستحظون بالسعادة مع كل ثانية لأنكم سترافقون رسول الله ﷺ ليعطينا دُرراً في المنهج الإسلامي لنقوم بتنفيذها مع أولادنا وزوجاتنا، في بيوتنا وبين أصدقائنا وأحبابنا من المسلمين وغير المسلمين .

تعالوا لمرافق الحبيب الأعظم في حلّه وترحاله صيفاً وشتاءً ، تعالوا لنجلس معه ، تعالوا لنزوره في بيته ، ليكلّمنا ونكلّمه، لنسأله ويجيبنا ، ليأمرنا فنأمر بأمره ، لنأكل معه ، لنشرب معه، نتعلم منه كلّ شيء في جميع نواحي الحياة ، الدينية والاجتماعية والنفسية والجنسية حتى ننال السعادة الأبدية بإتباع سيد البشرية فدلّيل حبك للنبي ﷺ أن تتأسى به في العبادات والمعاملات والعادات.
على العالم أن يعلم أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يجيء إلى الدنيا ليكون ملكاً فنرث عنه الملك ، ولكن جاء ليكون قائداً لها فنحن نرث منه القيادة، لم يخلف رسول الله من بعده ابناً يرث رداءه ولكنه خلف من بعده ما بقيت الأرض أجيالاً تحمله لواءه .

كلنا أبناء سيدنا محمد ﷺ كلنا آله وورثته فهو حبيبنا ونبينا .

فيا أخي المسلم: هل تقرر أنك من أتباعه ؟ نعم أنا من أتباع سيدنا محمد ﷺ .

أخي المسلم : كن مثل النبي ما استطعت، تلحق به في ركب الخالدين، كن صورةً موجزةً عنه، ما كان ولن يكون مثل سيدنا محمد ﷺ، لأن إرادة الله اقتضت أن تكون للإنسانية شمس واحدة تسطع كل يوم هي شمس سيدنا محمد ﷺ .

أخي المسلم : إذا أردت أن تلحق بالعظماء فعش معهم، إذا أردت أن تلحق بالأصفياء فعش معهم، وخير عظيم وخير مصطفى في التاريخ الإسلامي كله هو : سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، فاقراً سيرته وزره كل حين تكن معه يوم الدين .

إنني . والله . لأرفع رأسي عالياً بسيدنا محمد ﷺ . لقد أمرنا بكل خير وأرشد الناس إلى أبوابه، ووجهنا إلى ما فيه صلاح دنيانا وآخرتنا، ووضع لنا حدوداً وأداباً أمرنا أن نتمثلها في سلوكنا وأعمالنا .

فأين أصحابُ المهم ؟، أين الذين يحبون أن يتمثلوا منهج النبوة قولاً وفعلًا ؟

ألا رجال يتمسكون بهذا المنهج ؟ ، ألا نساء يقفن عند حدود ما رسمه لنا هذا النبي الكريم ؟ ألا شباب يتطلعون ليكونوا مثل شباب سيدنا محمد ﷺ ؟ .

لقد ضرب الصحابة الكرام المثل الأعلى في التأسي بسيدنا رسول الله ﷺ إذ أنه ﷺ في أول أمره اتخذ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثم رماه رسول الله وقال لن ألبسه أبداً فإذا بالصحابة الكرام يبنذون خواتيمهم فوراً ودون إبطاء (خ . الفتح ١٣ / ٧٢٩٨) .

يقول ﷺ { ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويتقيدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون من جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل } (م ٥٠) .

وجلس رجل إلى سيدنا عمر فسمعه يقول: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين ، قال له الرجل : ما أنت بفاعل . قال: لما؟ قال له : لم يفعله صاحبك ، فقال سيدنا عمر : (هما المرآن يقتدى بهما) خ الفتح ١٣/٧٢٧٥ .

سيدنا عمر كان وقافاً عند القدوة العظمى سيدنا محمد ﷺ ، وقف مرة عند الحجر الأسود وقال لولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك (خ / الفتح / ٣/١٥٩٧) .

أما ولده فقد كان شديد الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ ، تقول فيه السيدة عائشة : ما أحد منا إلا تغير بعد وفاة رسول الله إلا ابن عمر، سار معه مرة سعيد بن يسار بطريق مكة ، قال سعيد : فلما خشيت الصبح نزلت عن الدابة فاوترت ثم أدركته فقال ابن عمر: أين كنت؟ فقلت له: خشيت الصبح فنزلت فاوترت فقال ابن عمر : أليس لك في رسول الله أسوة حسنة فقلت بلى والله، قال: إن رسول الله كان يوتر على البعير . (م ٧٠٠)

إننا . معشر دارسي الإسلام . نحمل أمانةً هي واجبنا الأول في هذا العصر ، الذي ابتليت فيه الإنسانية بما أتلّف أعصابها من تقدّم مادي مظلم ، وحضارة حمقاء مجنونة ، انقلبت فيها زمام العقل ، وطغت في جنباتها ظلمات الإلحاد على نور الإيمان ، وانحسرت القيم الخلقية عن حياة الناس فلم تعد تتدخل في شؤونهم بعد أن كانت هي الفيصل بينهم .

فالإنسانية اليوم تعيش في عصر مادي مظلم ، يتنكر للدين ومبادئه ، ويسخر من القيم الروحية والفضائل الخلقية .

عصر مليء بالشُّبُه الإلحادية ، مفعم بالشحناء والبغضاء .

عصر يضم بين آفاقه أمماً وشعوباً من البشر مثقلة كواهلها بالأزمات النفسية، والأزمات الفكرية والأزمات المادية والاجتماعية ، يقودها ساسة مغرورون، متغطرسون، وقادة خادعون

مخدوعون، يضحكون من الشعوب، لا يستهدفون إلا مجداً زائفاً لأنفسهم، بينونه من جماجم الأمم وأشلاء الشعوب.

فما هو الحل؟! الحل هو العودة إلى الإسلام ، إلى دين الله الجامع لأصول شرائع الأنبياء والمرسلين، أقدر النظم التشريعية على تقديم العلاج الإصلاحي لأمراض العالم وأسقام الإنسانية ، وشفائها من سرطانات الحضارة المخبولة .

إننا مطالبون أشدّ المطالبة بالقيام بعمل جاد قوي لخدمة السلام بنشر مبادئ الإسلام ، وإتاحة الفرصة من جديد أمام العقل الإنساني الحائر لفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، يعمّ مشارق الأرض ومغاربها بروح سمح (حنيفي) يقدر الواقع ويقف وجهاً لوجه ، يعالجه ولا يتهرب منه.

فيا أمة محمد : ليس لكم من سبيل إلا هذا السبيل، نريد طليعة تتأسى خطوات سيدنا محمد ﷺ وأصحابه شبراً بشبر وذراعاً بذراع في كل ظاهرة وخفية، وفي كل دقيقة وجليلة، في العبادة والتفكير وفي الحرب والتدبير وفي السياسة والدعوة والجرأة والحكمة ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الأنفال ١٥٣) ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها .

فيا سيدي يا حبيب الله

وراءك يا رسول الله نمضي	ويتبع صفنا للمجد صف
على رغم المعاند والمعادي	لواء محمد أبداً يرف

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

النبي ﷺ لا يخطئ

خطبة المولد الأولى ١٤٣٢

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، جعل أمته وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات.

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فأعطى آدم الصفوة، وإبراهيم الخلّة، وموسى تسع آيات بينات، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم الجهالات وجعل الصلاة عليه تحية عقد الآمال والأعمال الصالحات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وجميع الصحابييات وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

أقف اليوم مع حضراتكم أمام النجم الإنساني الرفيع في قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ .

أتحدث إليكم اليوم عن الشمس التي انغمست في الأفق الأعلى، وتجاوزت النهايات الكونية إلى سدرة المنتهى، وتلقت من الله مباشرة كيفية الصلة به وهي الصلاة، ثم انبسطت إلى الأرض سراجاً منيراً ورؤوفاً رحيماً، نحن اليوم نحتفل بسيدنا محمد رسول الله ﷺ الذي يقول (لست كهيتكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) وأمره مولانا عز وجل أن يقول لأصحابه ولنا من بعدهم ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ (الكهف ١١).

بعض الناس حينما يقرأ القرآن ويمر على هذه الآية ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ يقف عند كلمة بشر فيحاول التركيز عليها وتوجيه الانتباه كله إليها، وتحويل الأنظار كلها نحوها فيتحدث عن خصائص البشرية العادية للنبي الكريم وبرزها، ويندفع اندفاعاً أهوج لا يتناسب قط مع قوله تعالى: ﴿يوحى إلي﴾ ويهملها إهمالاً بيناً .

وهذا ما ظهر في عصرنا من بعض الناس الذين جرؤوا على مقام النبوة فقالوا إن رسول الله ﷺ يخطئ في الرأي ويصيب، ويسترسل هذا البعض في حديثه أو كتابته مستنتجاً أو مستنبطاً وحاكماً على شخص سيدنا الرسول بأنه بشر، وينسى في كل

ذلك قوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وينسى في ذلك قوله تعالى ﴿يوحى إلي﴾ وينسى قوله ﷺ {لست كهيتكم} ويريد أن يقرر ويجزم أن رسول الله يخطئ في رأيه، فما هو الهدف من هذا يا ترى ؟ !

أريد أولاً . أيها السادة . أن أقرر أن هذه النعمة (نعمة الخطأ) بدأت من أعداء الإسلام المستشرقين منهم والعرب، عندما صاروا يرددون خطأ الأئمة الأربعة ثم تناولوا أكثر فقالوا: أخطأ سيدنا علي، أخطأ سيدنا عمر حتى قال أحدهم إن سيدنا علياً له بليات وبليات، هل سمعتم كيف تجرؤوا على الصحابة والأئمة، واليوم بدأ الكتاب وخاصة من الأزهر في مصر ومال معهم من تخرج من جامعة الأزهر من بلادنا، بدؤوا يقولون: عن النبي أنه يخطئ، وأن الله تعالى يصحح له هذا الخطأ .

(أخطأ النبي) كلمة لا تطاوعني أن أقولها، إن أحدهم يصل إلى مرتبة في العلم ثم يتبين له أن النبي أخطأ، ولو قيل له أخطأت لامتعض وانتفض وانتكس، وودت أن هذه الكلمة (أخطأ النبي) قالها الصديق أو الفاروق أو عثمان أو علي أو أحد الأئمة الأربعة لم يقلها أحد منهم أتدرون لماذا؟ لأنه لا يقولها إلا من أساء الأدب مع مقام النبوة.

ونسي هؤلاء أن بعض المسائل يمكن أن تكون لها حلول مختلفة، كلها صحيحة بعضها رفيق رحيم وبعضها عادل حاسم، وأن الله سبحانه قد بين للأمة الإسلامية أنه رسوله إنما يتخذ الحل الذي يتناسب مع ما حلاه الله به من الرأفة وما فطره عليه من الرحمة وهو الحل الذي يتناسب مع طابع الرسالة العام وهو قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء ١٠٧)

إذاً . أيتها الأخوة . كل موقف في القرآن الكريم وقفه رسول الله تحول فيه من العدالة الحاسمة إلى الرأفة الرحيمة إنما هو مديح لرسول الله، بين الله فيه أن منزع الرحمة إنما هو الغالب عليه ﷺ، وقد صرح بذلك سيدنا رسول الله ﷺ فقال : { إنما أنا رحمة مهداة }، وأريد اليوم منكم أن تتبينوا هذه الحقيقة بأنفسكم .

إن سيدنا رسول الله في كل تصرفاته ومواقفه إنما تصرف بمقتضى الرحمة التي جبله الله تعالى عليها لم يخطئ في شيء منها، وكيف يخطئ رسول الله، والله تعالى حلف بذاته فقال لنبيه ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله﴾ (الشورى ٥٢ - ٥٣) ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾.

والبون شاسع بين هذه الوجهة الربانية وبين التحدث عن خطأ وصواب وأوضاع بشرية يركز عليها ولا يُلْتَفَت لسواها، إن من يقول: إن نبينا أخطأ في بعض الأحكام أو في بعض اجتهاداته ثم صحح الله له هذا الخطأ يعني أنه ﷺ قد بلغ شريعته من اجتهاده الشخصي لا من وحي الله إليه، وهذا كله باطل عقلاً ونقلاً ، فكيف ذلك؟

الدليل العقلي : أنه عليه الصلاة والسلام كان ينتظر الوحي في كثير من الأحكام مع الحاجة العاجلة لبيان الله في حينه، فلو جاز عليه الاجتهاد لما أخرج الحكم حتى نزول الوحي، فدل ذلك على أنه لم يجتهد بل على أنه لا يجوز له الاجتهاد، لأن الاجتهاد معناه احتمال وقوع الخطأ .

ولما كان ﷺ واجب الاتباع فيعني انه لو اجتهد وأخطأ لوجب علينا إتباع الخطأ وهذا أمر باطل لأنه معصوم عن الخطأ في التبليغ.

(المعصوم لا يخطئ) (احفظوا هذه القاعدة الأصولية).

الدليل النقلي: آيات كثيرة كقوله تعالى يأمر نبيه الكريم أن يقول لنا: على موجات سورة الأنبياء ٤٥ ﴿ قل إنما أُنذركم بالوحي ﴾ وعلى موجات سورة الأحقاف ﴿إن اتبع إلا ما يوحى إلي﴾.

كما لا يقال إن الله تعالى لا يقرّه على الخطأ، وأنه يبين له سريعاً: فهذا قول باطل ولا يجوز في حق رسول الله أن يبلغ حكماً ثم يقول للناس إن ذلك الحكم خطأ لأنه من عندي والصواب ما جاءني من عند الله، ثم يأمرهم بترك الحكم الأول وإتباع الحكم الثاني، ما هذا الكلام؟ وأين صار؟ وفي أي وقت؟ وفي أي مكان؟! هذا هراء وباطل .

فماذا نقول أو نفسر بعض الآيات التي توهم أن سيدنا رسول الله اجتهد فيها، كقوله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم آذنت لهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ عبسى وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ وغيرها ماذا يمكن أن تقول في مثل هذه الآيات ؟

انتبهوا يا شباب : إن هذه الآيات وأمثالها إنما أتت من قبيل تحديد الأولويات أي تحديد ما هو الأولى برسول الله أن يقوم به، أي أن نبينا ترك الجانب الحاسم في القضية ولجأ إلى قضية فيها رحمة، وليس أنه أخطأ بدليل أن الله تعالى أقرّه على ذلك، وهو من باب القاعدة التوحيدية (حسنات الأبرار سيئات المقربين)

أخوتي في الله: تعالوا الآن لنناقش آية الإذن التي أنزلها مولانا على نبيه بعد غزوة تبوك في سورة التوبة في السنة التاسعة للهجرة والتي أذن فيها رسول الله لبعض

المنافقين في التخلف عن المعركة وهي قوله تعالى ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ .

هل تدل هذه الآية على أن نبينا ﷺ أخطأ في إعطائهم الإذن أم لا ؟!

أولاً : علينا أن نعلم علم اليقين أن الله تعالى كان قد أذن

لنبينا قبل هذه الآية أن يأذن لمن يشاء وذلك في سورة النور التي نزلت قبل سورة التوبة في قوله تعالى ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ (النور ٦٢).

فحكم الإذن كان معروفاً قبل غزوة تبوك، فلما أذن لهم في هذه الغزوة عاتبه مولانا عتاب الحبيب الحبيب قائلاً: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ ففهم منها المتجرؤون على مقام النبوة أن العفو لا يكون إلا عن خطأ، وتركوا الأساليب العربية جانباً، هذه العبارة لا يفهم منها أن نبينا قد أذنب والعياذ بالله ، بل هي عبارة كانت العرب تتداولها في أثناء حديثها مع العظماء، هذه الآية ليست تصحيحاً لاجتهاد ولا تشريعاً لحكم يخالف حكماً كان رسول الله قد اجتهد فيه، هي بمعنى قولهم: غفر الله لك لم تشق على نفسك كل هذه المشقة، رضي الله عنك لم ترهق نفسك كل هذا الإرهاق، لو أنك تركتهم ولم تأذن لهم لقعدوا ولتخلفوا عن المعركة بسبب نفاقهم ومع ذلك لا حرج عليك في الإذن لهم .

إذاً هي آية مدح لرسول الله غاية في الرقة ومن غير شك أن هذه الأذن إنما صدر عن قلب رحيم ورحمة فياضة، وما كان ذلك إلا لأن الله تعالى قد فطره عليها ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

أيها الأحبة والصحب: إن من الخطأ بمكان أن نقول : إن رسول الله يعتريه الخطأ والصواب فهذه أخطر الفكر المدمرة للعقيدة في التشريع الإسلامي، لأننا اليوم إذا قلنا إن رسول الله أخطأ فسيأتي علينا يوم ما نقول فيه إن تشريع سيدنا محمد من اجتهاده وإنه يخطئ، ومادام خاطئاً فليس مطلوباً علينا اتباعه هذه النتيجة الطبيعية التي يريد أعداء الإسلام أن نصل إليها، فالله الله يا معشر السادة . واذكروا أن مولانا وصف نبينا بصيغة عامة تشمل الكتاب والسنة ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ فجميع ما ينطق به رسول الله من التشريع هو من عند الله .

فيا سيدي يا رسول الله :

أعطيت فضلاً لا يتاح لمُرسل	والله يعطي الفضل كيف يشاء
وبعثت أُمياً تقول فتتهدي	بك العقول وترتجي العلماء
المصلحون أصابع جمعت يداً	هي أنت بل أنت اليد البيضاء

يا سعد من صلى عليه





الحلقة (٧٠)

بركة يده ﷺ

خطبة المولد الثانية ١٤٣٢

الحمد لله الذي أطلع في سماء النبوة سراجاً لامعاً وقمرًا منيرًا، وأطلع من أكمام الرسالة ثمرًا يانعاً وزهرًا منيرًا، تبارك اسمه، وتمت كلمه، وعمت نعمه، وجمت حكمه، وجرى بما كان وبما يكون قلمه.

أحمده وهو الحمود أزلاً وأبداً، وأشكره مستزيداً ومن نعمه مسترفداً، واستهديه ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً، فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، كتب الرحمن اسمه على العرش إذ استوى، وآذن باسمه في المبتدأ في الأرض وفي السما، ويوم النشأة الأخرى.

سلم عليه الحجر والشجر، ودرّ له ضرع الجدعة بالدرر، وحن الجذع لفراقه حتى خار خوار البقر، ونبع الماء من بين أصابعه ومن الأرض انفجر، وانشق له وكان

يناغيه في مهده القمر، وحي له المئت، وآمنت لدعوته أسكفة الباب وحوائط البيت،
وأشار إلى السحاب بالغيث فأجاب من غير ريث هيت .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة سعد عند الممات، وتسعف
عند أهوال المسألة الثبات وتحيز على الصراط إذا كثر الزالون والزالات، وعلى آله
وصحبه نجوم الهدى، وليوث العدى وغيوث الندى، ما صاح حاد وشدا، وراح شاد
وغدا، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الأخوة الكرام :

تقف الأمة العربية والإسلامية في هذه الأيام احتراماً وتوقيراً لأستاذ الإنسانية
الأعظم وسيد الوجود قاطبة سيدنا محمد تقتبس من نوره كما تقتبس الحياة من
الشمس .

جننا اليوم جميعاً من أجل أن نجدد العهد مع هذا الرسول الأكرم والنبي الأفخم
سيدنا محمد .

جننا اليوم لنردد على أسماع الدنيا كل الدنيا، على أسماع الزمان والمكان .

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي	أنا بغير محمد لا نفتدي
لا نستعيز عن الشريعة منهجاً	أبدأ بفكرة مستغلّ ملحد
الله أكرمنا بنور محمد	فعن البصائر يا ظلام تبدد

على المسلمين اليوم أن يرفعوا رؤوسهم عالياً بسيدنا محمد ﷺ لقد أمرنا بكل خير وأرشد الناس إلى أبوابه، ووجهنا إلى ما فيه صلاح دنيانا وآخرتنا، ووضع لنا حدوداً وآداباً أمرنا أن نتمثلها في سلوكنا وأعمالنا.

على العالم أجمع أن يعلم أن سيدنا محمداً رسول الله لم يجرى إلى الدنيا ليكون ملكاً فنرث عنه الملك ولكن جاء ليكون قائداً فنحن نرث منه القيادة، لم يخلف رسول الله من بعده ابناً يرث رداءه ولكن خلف من بعده ما بقيت الأرض أجيالاً تحمل لواءه، كلنا أبناء سيدنا محمد، كلنا آله وورثته .

ألا فليعلم المعاقون عقلياً الذين ينكرون احتفال الأمة بالمولد الشريف أنه لولا سيدنا محمد ﷺ لم يكن لنا عيد، لولا هذا اليوم لم تكن ليلة القدر، ولولا هذا اليوم لم يكن عرفات وأضحى وعيد الفطر، إنها ليلة الليالي وعيد الأعياد إنها ليلة مولد خير البشر .

لقد كان من عظمة هذا النبي ﷺ أن الله تعالى ذكر لنا في كتابه الكريم أجزاء جسد سيدنا محمد ﷺ فقال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ وقال ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ وقال ﴿ ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ﴾ (صدرك . ظهرك) ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾ ﴿ فأنزله على قلبك ﴾ فلماذا فعل ذلك ؟

فعله ليشير إليك محبة هذا النبي، ليرفع قدره عنده، لذلك كان أعظم منى أصحابه أن يقبلوا يده ﷺ.

جاءت إليه الوفود لتبایعه على الإسلام، وإذا بجمل يأتي يسجد بين يديه ﷺ ويشكو إليه صاحبه، نظر الصحابة إلى هذا المشهد الفذ وقالوا يا رسول الله: هذا الجمل يسجد لك أفلا نسجد لك، فنهاهم ﷺ فقالوا أنقلب يديك فسمح لهم فأقبلوا عليه يقبلون صدره ويديه ويمسحون وجوههم .

إخوتي في الله: تعالوا اليوم لنصلي على النبي عسى أن يكرمنا الله تعالى بتقبيل يديه، تعالوا نتعرف على اليد المباركة لرسول الله ﷺ.

يصفها لنا الصحابة فيقولون إنها كانت باردة حتى كان إذا وضع يده ﷺ على صدر أحد وجد بردها في صدره بعد ذلك، يقدم لنا سيدنا أبي بن كعب تقريراً عن ذلك فيقول: وضع رسول الله ﷺ يده على صدري فذهب ما كان بي من شكوك وإني لأجد برد كفه في صدري. (صلوا عليه).

ولهذا كان من أدبه ﷺ إذا التقى أحداً صافحه ولا ينزع يده حتى يكون المصافح هو الذي ينزع يده، وهذا من حسن أخلاقه وملاطفته ﷺ.

كما كان لطيفاً مع الصبيان وكثيراً ما يمسح رؤوسهم أتعرفون الذي يمسح النبي ﷺ على رأسه ماذا يفعل الله بشعره عندما يكبر يبقى شعره كما هو لا يصيبه الشيب ببركة يد رسول الله ﷺ.

وجاء محمد بن حاطب بسلام إلى النبي ﷺ وقد انكفأ القدر على يده فاحترقت فبصق عليها رسول الله ﷺ وأخذ يمسح على يده المحترقة، قال فما قام من عنده إلا وقد برئت بإذنه تعالى .

وحين علم الأنصار ببركة اليد الشريفة جعلوا يرسلون عند صلاة الفجر مع صبيائهم

آنية فيها ماء يقفون على أبواب المسجد فكان ﷺ يغمس يده الطاهرة في آنيتهم أثناء خروجهم من المسجد .

يد حملت الرحمة من رؤوف رحيم لها سرّ عظيم ولأوّصل لهذه القضية أريد أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مكة المكرمة حيث الحبيب الأعظم يطوف حول الكعبة عام الفتح وأرى بعين الإيمان واليقين خلفه فضالة بن عبيد يطوف خلفه ويخفي في جعبته خنجراً يريد أن يتحين الفرصة ليغتال سيدنا رسول الله ﷺ لكنه فوجئ برسول الله يلتفت وينظر إليه ويقول له : يا فضالة بماذا تحدثك نفسك، قال لا شيء : أذكر الله تعالى يا رسول الله، ويتابع النبي الكريم الطواف ثم يحاول فضالة أن يتحين الفرصة لقتله، والتفت رسول الله ثانية : يا فضالة بم تحدث نفسك، فيقول: لا شيء أذكر الله يا رسول الله، وينادي رسول الله عليه أن يقترب منه ويأتي فضالة والصحابة ينظرون فيضع سيد الكائنات البر الرحيم يده على صدر فضالة ويدعو له يقول فضالة فوالله ما كان على وجه الأرض أبغض إلي منه، فما رفع يده عن صدري إلا وكان أحب الخلق إلى نفسي .

ما الذي جعل الكف بهذه المثابة، هذه الكف يا شباب اتصلت بقلب حمل الرحمة، فلما كان ﷺ حاملاً الرحمة في قلبه والتفت التفاتة رحمة فجرى أثر سريان الرحمة من قلبه على يده، أثرت الكف في فضالة حتى نزعت الغل من صدره ورحم الله البوصيري:

كم أبرأت وصباً باللمس راحته وأطلقت أرباً من ربة اللمم

وصباً: مريضاً. أرباً: معتوهاً فيه مس من الجن.

هذه اليد المباركة ترد الحياة إلى فاقدها بإذن الواحد الأحد، والدليل يوم بدر.

يوم بدر انكسر سيف سيدنا عكاشه فجاء إلى رسول الله ﷺ فمد يده إلى غصن شجرة فأعطاه قضيباً من النخل قال له: {خذ قاتل بهذا}، يقول عكاشه: فأخذت القضيب ييقين فانقلب في يدي إلى سيف فقاتل فيه حتى مات عكاشه وبقي السيف

وسمي هذا السيف بسيف العون اشتراه بعض الخلفاء من بني أمية .

وفي أحد يقف قتادة يتقي بوجهه السهام عن رسول الله ﷺ فأصاب عينه سهم فسالت على خده فأخذها بيده إلى رسول الله ﷺ فلما رآها في كفه دمعت عيناه، فأخذها فردها إلى موضعها بيده الشريفة وقال ﷺ: {اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً} فكان قتادة يبصر بها أشد من العين الأخرى، حتى إنه إذا أصاب العين الأخرى الرمد لم يصب هذه العين ببركة يد رسول الله ﷺ.

ومرة دخل ولد قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأله:

من أنت؟ فأنشده :

أنا ابن الذي سألت على الخد فردت بكف المصطفى أحسن الرد

عينه

ويأتي الصحابة الكرام يشكون إليه قلة الماء فيأمر رسول الله بركوة فيها ماء قليل فيضع رسول الله يده المباركة في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة حتى سقى الجيش بأكمله .

وأفضل ماء قد نبع من يد النبي الهاشمي المتبع

ويحمل سيدنا رسول الله ﷺ بعض الحصى بيده الشريفة فإذا بالحصى تسبح بيده حتى سمع أصحابه تسبيح الحصى بيده ﷺ ، انفعلت الأحجار حتى صار لها تسبيح يسمعه الناس كرامة لرسول الله ﷺ ثم وضعها في كف سيدنا أبي بكر فسبحت، ثم في يد سيدنا عمر فسبحت ثم بيد سيدنا عثمان فسبحت ثم وضعت في يد بعض الصحابة فلم تسبح.

لما كان سيدنا النبي فيه نوارنية العبودية لله تعالى انفعلت هذه الكائنات لأنه حبيب الله وسبب الهداية والدلالة على الله ولأنه المسيح الذاكر العابد القائم تأثر الحجر فانبعثت هذه الأشواق، كما اهتز له جبل أحد.

وعند حفر الخندق واجهتهم صخرة أعجزتهم، فأخذ رسول الله المعول بيده وضرب ثلاث ضربات، الضربة الأولى فجرت ثلث الصخرة فكبر رسول الله وكبر الصحابة وقال: فتحت الروم، وضرب الثانية فتفجرت الثلث الثاني فكبر رسول الله وقال فتحت فارس.

وضرب الثالثة وكبر وقال، فتحت اليمن، ثلاث ضربات وثلاث بشارات كرمي عين حبيبك الأعظم.

لقد كان من تعظيم الصحابة للنبي وكف النبي أنه قال سيدنا الزبير (ما مسست عورتي بعد أن بايعت رسول الله بها) وقال سيدنا عثمان مثل مقولته .

أيها الأحبة والصحب: أنتقل بكم الآن لمشهد آخر لم تر الإنسانية له مثيلاً.

انظر حبيبك الآن وهو يخطب بجوار جذع نخلة ويضع يده الشريفة المباركة على الجذع يستند إليه ثم صنع له المنبر فلما صعدته النبي لأول مرة سمع أهل المسجد من الجذع أنيناً، كأن إنساناً يبكي فلا زال الصوت يكثر ويكثر حتى صاروا لا يسمعون صوت رسول الله ﷺ وكاد الجذع أن ينشق أسفاً على فراقه ﷺ، فنزل سيد الأنبياء والمرسلين إلى الجذع فضمه بيده واحتضن الجذع من الخشب، يقول الصحابة: فشبهناه بالأم تسكت صبيها حتى هدأ، ثم قال له ﷺ: {إن شئت أردك إلى البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقتك ويكمل لك خلقك وتجدد لك خوص وثمر، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى إليه ليسمع ما يقول فقال بصوت يسمعه من يليه: بل تغرسني في الجنة، فقال ﷺ قد فعلت، وأمر به فدفن تحت المنبر }.

اليد التي كان يستند بها رسول الله إلى الجذع حركت الجذع من طور الجماد إلى طور الإحساس برسول الله فحن الجذع وبكى لفراق رسول الله سيدنا الحسن كان يقول: أيها الناس إن جذعاً حن لرسول الله وبكاه لما فراقه رسول الله، فما بالنا نحن من أمته لا نبكي شوقاً إليه فكان الناس يبكون لبكائه رضي الله عنه .

فيا سيدي يا رسول الله :

وكاد لفرط حرقته يذوب	إذا ما الجذع حن إليك يوماً
وفي أحشائه هذا اللهيب	فماذا يفعل المسكين منا
وأنت لي المداوي والطبيب	فهلا كنت ذاك الجذع يوماً
ووجهك سيدي مني قريب	وكفك تمسح العبرات عني
لأعلم كم زللت وما أصيب	رسول الله لي أمل وإني
وأن الجذع ليس له ذنوب	وأعلم أن زلاتي كबार

فاشفع لنا يا سيدي، منك الشفاعة تسمع.

واليوم نحن أولى أن نذكر رسول الله في هذه الأيام المباركة التي سماها الله ربيعاً
لميلاد رسول الله فيها فمن صلى عليه وذكره جعل أيامه ربيعاً وربيعاً سجل يا تاريخ :

وأنا من شباب محمد وجنوده	وبغير هدي محمد لا اهتدي
أنا مسلم هذا نشيدي وغنوتي	فلتشهد الأكوان أنني محمدي

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

الحلقة (٧١)

وجوب تعظيم النبي ﷺ

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، وجعل أمته وسطاً، وفضلها على سائر الأمم في العبادات فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات: فأعطى آدم الصفوة، وإبراهيم الخلّة، وموسى تسع آيات بينات، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا محمداً حبیباً وشفيعاً ورفعته فوق سبع سموات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الموجودات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وشفيعه، توجه بتاج الجمال، وألبسه لباس الكمال، وزينه بأشرف الخلال، فإذا سألت عن فرقه فكان صبحاً منيراً، وإن سألت عن فضله فكان غزيراً عميماً، وإن سألت عن شعره فكان ليلاً بهيماً (لوناً واحداً)، وإن سألت عن حاجبه فكان نونا (رقيق الحاجب) وإن سألت عن طرفه فكان ادعج ضخماً (شدة سواد العين مع اتساعها) وإن سألت عن فمه فكان ميماً (صغيراً معتدلاً)، وإن سألت عن وجهه فكان بدرًا تتم بالحسن تتيماً، وإن سألت عن صدره فكان سليماً، وإن سألت عن قلبه فكان رحيماً، وإن سألت عن خلقه فكان عظيماً، وإن سألت عن كفه فكم أغنى عديماً (فقيراً) وإن سألت عن قدمه فكم قدّم إلى طاعة الله تقدماً، وإن سألت عن أصله فكان شريفاً كريماً.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا خير مبعوث وأكرم مرسل أنوارك العظمى إذا ما أشرقت
وشفيق قوم أذنبوا وأسأؤوا يوم القيامة فالورى سعداء

صلى عليك الله يا علم الهدى، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله
وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

نحن ننزل ضيوفاً على من؟ على أي نبي كريم وسيد عظيم، نحن ننزل ضيوفاً على
أول خلق الله، وإمام النبيين طراً، الطاهر المطهر ، الذي قال لنا (أنا سيد ولد آدم
يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر، و أنا أول شافع وأول مشفع) (م) .

نحن اليوم في حضرة نبي قال عنه أصحابه : ما شئنا عنبراً ولا مسكاً ولا شيئاً
أطيب من رسول الله .

إننا نقف اليوم إجلالاً واحتراماً وتقيراً وتعظيماً لنبي خصه الله بثلاثين اسماً من
أسمائه قال لنا عن ذاته (إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي،
وأنا العاقب لا نبي بعدي) (م) .

إخوة الإيمان:

إذا أردنا أن نعرف، قدر هذا النبي الكريم فلننظر إلى تعظيم ربه له، لقد كان من
عظمته أن جعله الله تعالى يلد في أشرف بقاع الأرض الحرم المكي .

فعلى مقربة من مقام ابراهيم وحجر اسماعيل ومهبط جبريل الأمين، ومقابل البيت الحرام ولد سيدنا رسول الله ﷺ، وجعل الله طاعته من طاعة الله فقال ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، وأقسم الله بعمره ولا يكون القسم إلا بمعظم ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ .

وجعل الله بيعته بيعة لله تعالى فقال : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ .

وقرن الله تعالى اسمه إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وشق له من اسمه ليحلّه، فذو العرش محمود وهذا محمد، وحين أراد الله تعالى أن يخاطبه خاطبه بكل تعظيم، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، يا أيها المدثر ، يا أيها المزمل .

ونسخه لشرع غيره وقع، حتماً أذل الله من له منع، قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ .

ونصره بالرعب مسيرة شهر وأعطاه الشفاعة وقال ﷺ (كل نبي تعجل دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً).

وأعطاه الكوثر وهو غير الحوض المورود، وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد، فهو أول النبيين روحاً وآخرهم بعثاً .

يقول ﷺ (ت ٣٦١٠) : (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يؤمئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) فمن مثل سيدنا محمد ؟! .

وأخذ العهد على جميع الأنبياء إن هو بعث فيهم أن يكونوا من أتباعه وخلفائه فهو سيدهم وخاتمهم

واجزم بأن المصطفى التهامي

أفضل مبعوث إلى الأنام

وكان كل نبي يبعث إلى قوم خاصة وبعث رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، وأمر المؤمنين كافة فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

يقول ﷺ : (بينما أنا بين النائم واليقظان أتاني ملكان فقال أحدهما للآخر زنه بمئة فوزناني فرجحت بهم، فقال زنه بألف فوزناني فرجحت بهم، فقال الملك للآخر دعه فوالله لو وزنته بأهل الأرض والسماء لرجح بهم محمد) .

وحين أراد ركوب البراق في المعراج شمس فقال لها سيدنا جبريل : اسكني يا براق فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ، فهل رأيتم عظمة هذا النبي.

يا شباب : هل ترون أعظم من قوله تعالى في الأمان لأهل الأرض ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ هذه خصوصية لسيدنا محمد ﷺ .

وأعطاه الله تعالى من الخصوصيات ما لم يعطها نبياً قبله منها : قول شاعر الإسلام :

خص نبينا بعشرة خصال	لم يحتلم قط ولا له ظلال
الأرض ما يخرج منه تبتلع	كذلك الذباب عنه ممتنع
تنام عيناه وقلبه لا ينام	يرى من خلفه كما يرى أمام
تعرفه الدواب حين يركب	تأتي إليه سرعة لا تهرب
علا جلوسه جلوس الجلوسا	صلى عليه الله صباحاً ومساء

يا أمة سيدنا محمد : تعظيم هذا النبي دون أن نصل به إلى مقام الربوبية واجب، تعظيمه بما عظمه ربه جل جلاله واجب، لأن احتقاره كفر و ردة .

ولما قرب الله موسى إلى طور سيناء نجياً قال: أي رب هل أحد أكرم عليك مني قربتني نجياً (مناجياً) وكلمتني تكليماً، قال : نعم محمد أكرم علي منك، قال موسى: فإن كان محمد أكرم عليك مني، فهل أمة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل: فلقت لهم البحر، وأنجيتهم من فرعون وعمله، وأطعمتهم المن والسلوى، قال: نعم : أمة محمد أكرم علي من بني إسرائيل، قال يا رب أرنيهم، قال: إنك لن تراهم وإن شئت أسمعك صوتهم، قال : بلى يا رب، فناداهم يا أمة محمد أجيئوا ربكم، فأجابوا وهم يلبنون لبيك اللهم لبيك، أنت ربنا حقاً ونحن عبيدك حقاً، قال صدقتم أنا ربكم

حقاً وأنتم عبيدي حقاً وأنزل الله على نبيه ومصطفاه : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ أي نادينا أمتك لسمع موسى كلامهم فصلوا عليه وسلموا تسليماً .

يروى لنا الإمام البيهقي وغيره (لما أكل آدم من الشجرة) وأنزل إلى الأرض بقي مدة لا يرفع رأسه إلى السماء استحياءً من الله تعالى : ثم قال : اللهم بحق محمد إلا ما غفرت لي ، قال يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد: قال إنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فإذا مكتوب على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك ، قال صدقت يا آدم وإذ سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك، لذلك التوسل بالنبى من أعظم القربات إلى الله تعالى.

يا أحباب رسول الله :

علينا اليوم أن نقدم لنبينا هدية وسبحة موافقون؟ نعم .

أما الهدية فهي مليون صلاة على النبي ﷺ كل شخص هنا يصلي على النبي ٢٠٠٠ مرة هو وأهل بيته عند صلاة العشاء نرفعها جميعاً لسيدنا محمد ﷺ باسم رواد جامع تنكز.

وأما السبحة فقد عاهدنا سابقاً على المواظبة على صلاة الوتر ثم في العام التالي على صلاة ركعتي الفجر ونحن اليوم في هذا العام نعهده على المواظبة على صلاة الضحى .

سيدنا أبو هريرة يقول : (أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام) (ق).

كانت الضحى صلاة الأنبياء قبل نبينا فهذا سيدنا داود يقول الله تعالى عنه ﴿إنا
سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ والعصر صلاة العشي ، والضحى
صلاة إشراق الشمس .

ووردت عن بضع وعشرين صحابياً عند(ت) ض (من حافظ على شفعة
الضحى، غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) .

(ق) (صلى النبي الضحى ثماني ركعات عند السيدة أم هانئ يوم الفتح) .

فهلم إلى هذه السنة ولا تتركوها هدية لنبينا في يوم مولده الشريف .

يا خير من دفنت في القاع أعظمه	فطاب من طيبن القاع والأكم
روح الفداء لروض أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وأما صاحبك فلا أنساها أبداً	مني السلام عليكم ما جرى قلم

الجزء الثالث

تاريخ الخلفاء

في

المئة الأولى الهجرية

القسم الأول

الخلفاء الراشدون



ثلاثون سنة هجرية

الأول	: الصديق الأكبر	١١-١٣ هـ
الثاني	: الفاروق عمر	١٣-٢٣ هـ
الثالث	: ذو النورين	٢٣-٣٥ هـ
الرابع	: حيدر	٣٥-٤٠ هـ
الخامس	: سيد شباب أهل الجنة	٤٠-٤١ هـ

الحلقة (٧٢)

ال خليفة

الأول

الصديق رضي الله عنه خليفة سيدنا رسول الله ﷺ

الحمد لله الذي فضل نبينا على جميع الخلق أجمعين، وفضل أمته على جميع الأمم السابقين واللاحقين، واصطفى من هذه الأمة أناساً هم أصحاب سيد الأنبياء والمرسلين، واصطفى من هؤلاء الأصحاب واحداً هو سيدنا أبو بكر الصديق سيد الأخيار والصالحين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس أنبياء، ومن عامة الناس أولياء بررة متقين.

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: "يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً".

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، وسلم تسليماً.

أما بعد: "فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تتنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلصوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾".

اعلموا عباد الله، أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك موثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره، فصددوا قوله، وانتصحووا كتابه، واستضيئوا منه ليوم القيامة، وإنما خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون".

أيها الإخوة : هذه الكلمات النورانية هي خطبة من خطب صديق هذه الأمة رضي

الله عنه، وقبل أن أدخل في الحديث عن هذا الصحابي الجليل سيد الصحابة، اسمحوا لي أن ألتقط لكم هذا المشهد الفريد من أمام باب حجرة المصطفى ﷺ :

أرى سيدنا الصديق وحيدر (سيدنا علي) قد ذهباً إلى زيارة سيدنا النبي ﷺ والتقيا على باب الحجرة ، قال سيدنا أبو بكر: تقدم يا علي .

قال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك سيدنا رسول الله "ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر".

قال سيدنا أبو بكر: "كيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك رسول الله: زوجت خير النساء لخير الرجال، زوجت فاطمة لعلي".

فقال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك رسول الله ﷺ :

"لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر".

قال سيدنا أبو بكر: وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك النبي: يحشر علي بن أبي طالب مع فاطمة والحسن والحسين راكبين يوم القيامة، فيشير الناس إلى علي في الموقف فيقولون: من هذا النبي؟ فيقال : ما هو بنبي وإنما هو علي بن أبي طالب.

قال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك رسول الله ﷺ :

"لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً" .

قال سيدنا أبو بكر: وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك رسول الله ﷺ.

(آتي مع علي يوم القيامة فيقول الله لي : يا حبيبي لقد اخترت لك إبراهيم خير والد واخترت لك علياً خير أخ وصديق) .

فقال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك مولانا:

﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾.

فقال سيدنا أبو بكر: وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك الله تعالى:

﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ .

وبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث إذ بالأمين جبريل يهبط على الأمين سيدنا محمد ﷺ ويقول: - يا رسول الله إن أبا بكر وعلياً واقفان ببابك فقم إليهما.

فقام رسول الله إليهما أبو بكر عن يمينه وعلي عن يمينه من الجهة الأخرى، ودخل بهما النبي بيته وقال لهما (صلوا عليه): هكذا نحشر يوم القيامة.

معشر السادة الكرام :

سيدنا الصديق أبو بكر واسمه عبدُ الله بن عثمان من بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن تيم بن مرة.

ولد بعد سنتين من عام الفيل، وشب على الأخلاق الفاضلة، يحمل الكل، ويكسب المعدوم ، محبباً إلى قريش ، يعرف من أنسابهم رضي الله عنه مالا يعرفه غيره، وكان ينزه نفسه عن شرب المسكرات وأفعال الجاهلية الجاهلاء.

وكان صديقاً للحبيب الأعظم ﷺ ، فلما شرف الله سيدنا محمداً برسالته كان سيدنا أبو بكر أول رجل أجابه ، وفي ذلك يقول سيدنا رسول الله ﷺ :

"ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر" (ترضوا عنه).

وحين اشتد أذى المشركين على المسلمين أراد سيدنا أبو بكر أن يهاجر إلى الحبشة، فمنعه من ذلك ابن الدَّعْنَةِ سيد القارة ، وأجاره على قريش على شرط ألا يستعلن بصلاته، لكن الصديق - بعد ذلك- ردّ جوار ابن الدغنة وأقام راضياً بما يصيبه مع إخوانه المسلمين.

إخوتي في الله :

كان للصديق خصائص لم يختص بها أحد غيره من الصحابة:

أولاهها: أنه أفضل الصحابة بعد أولاد سيدنا رسول الله ﷺ

ثانيتها: أنه كان له شرف الصحبة في الهجرة إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ .

كان ثاني اثنين إذ هما في الغار. (صلوا على الهادي الأعظم).

ثالثتها: أنه صديق هذه الأمة، والصديقية مرتبة بعد الرسالة والنبوة، فعندما رجع رسول الله ليلة أُسري به وكان بذى طوى، قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقوني. قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق.

رابعتها: أنه سمّاه سيدنا رسول الله ﷺ عتيقاً: لأن الله أعتقه من النار.

خامستها: أنه أنفق ماله كله على سيدنا النبي ﷺ وعلى إعتاق العبيد أمثال سيدنا بلال، وعلى دعم الإسلام وتقوية المسلمين. فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال (جمع بين طرفيها وشكّها بالخشب). فنزل عليه جبريل فقال:

- يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها بخلال في صدره؟ فقال: يا جبريل أنفق ماله عليّ قبل الفتح. قال: فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام. (صلوا عليه) ويقول لك:

- قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط

فقال رسول الله ﷺ : "يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عني في فرك هذا أم ساخط؟".

فقال أبو بكر رضى الله عنه: اسخط على ربي؟ أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض.

وأنزل رب العزة على نبيه الكريم قرآنًا يتلى إلى يوم الدين:

﴿وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى﴾ (ترضوا عنه).

الخصوصية السادسة: أنه شهد بعد الهجرة جميع الغزوات لم يتخلف عن واحدة منها، وكان صاحب الراية في غزوة تبوك.

الخصوصية السابعة: أنه كان أمير الحج في السنة التاسعة من الهجرة والنبي ﷺ على قيد الحياة: (صلوا عليه).

الخصوصية الثامنة: أنه كان يفتي الصحابة أثناء حياة النبي وبمحضرته ﷺ .

الخصوصية التاسعة: أنه كان يصلي هو إماماً في أثناء غياب سيدنا النبي عن المدينة ومرة غاب عليه الصلاة والسلام، وحضرت الصلاة ، فقدّم بلال سيدنا الصديق فلما دخل في الصلاة حضر رسول الله ﷺ وراه الصحابة فرأوا يصفقون والناس يشقون الطريق لرسول الله إلى المحراب، فرآه الصديق فتراجع إلى الخلف، فأومأ إليه سيدنا النبي بيده أن يعود ليصلي بالناس، فأبى الصديق، فصلى رسول الله بالناس، فلما انتهى قال للصديق: يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت.

فقال سيدنا أبو بكر: لم يكن لابن أبي قحافة (وهو لقب أبيه) أن يؤم رسول الله ﷺ (ق).

الخصوصية العاشرة: أنه كان يصلي بالناس زمن مرض الوفاة الذي ألمّ بسيدنا رسول الله ﷺ ، بل إنه صلى إماماً بسيدنا رسول الله ورسول الله إلى جنبه قاعداً يصلي بصلاة أبي بكر (ترضوا عنه).

وهذه الخصوصية بالذات كانت من أهم الأمور التي رجحت ميزان الصديق لتولي الخلافة بعد سيدنا رسول الله ﷺ .

أيها المؤمنون : ولأنّ الأمر من الأهمية بمكان اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار المسجد النبوي إلى سقيفة بني ساعدة.

فقد اجتمع الصحابة من المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة وراحوا يتجادبون أطراف الشورى بينهم فيمن يكون خليفة للمسلمين، فقام خطيب الأنصار فقال:

أما بعد: " فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دقت دافّة من قومكم، وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر".

ثم قام سيدنا أبو بكر الصديق وقال للأنصار:

"أيها الناس نحن المهاجرون، أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوهاً، وأكثرهم ولادة من العرب، وأمسّهم رحماً برسول الله ﷺ ، أسلمنا قبلكم، وقُدّمتنا في القرآن عليكم. فقال تبارك وتعالى:

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان﴾.

فنحن المهاجرين وأنتم الأنصار إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، وأما ما ذكرتم من خير فأنتم له أهل، وأنتم أجدر بالثناء من أهل الأرض جميعاً، فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش. " الأئمة من قريش " هكذا قال ﷺ. فمنّا الأمراء ومنكم الوزراء.

فقام أحد الأنصار فقال: منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

فقال سيدنا أبو بكر: بل منا الأمراء ومنكم الوزراء، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيد عمر بن الخطاب وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بينهما. فقالا معاً: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا عليك، أبسط يدك يا أبا بكر، فبايعه الفاروق وابن الجراح أمين هذه الأمة.

أيها السادة: مست هذه الكلمات قلوب الحاضرين، وقضت على ما بينهم من الخلاف، وأقبلوا فبايع المهاجرون ثم بايع الأنصار. فلما كان الغد جلس الصديق على المنبر، ودعا الفاروق لمبايعته الناس، فبايعوه فكانت هذه البيعة تسمى البيعة العامة.

ثم قام الصديق فخطب في الناس خطبة الخلافة، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: « أيها الناس : إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أربح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله تعالى.

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله »

إخوة الإيمان :

ما إن ذاع نبأ وفاة سيدنا النبي ﷺ حتى اشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، فارتدت بعض القبائل عن الإسلام، وامتنع بعضها عن دفع الزكاة، وهم أهل مكة بالرجوع عن الإسلام، وخافهم والي مكة عتّاب بن أسيد فتواري عنهم، وقام سهيل بن عمرو في الناس خطيباً فقال:

" إنَّ وفاة رسول الله لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه. ثم قال:

يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا أول من ارتدّ، والله ليُتِمَّنَّ الله عليكم هذا الأمر كما قال رسول الله ﷺ " .

فتراجع الناس عن ترك الإسلام.

وأنفذ الصديق بعث أسامة بن زيد الذي جهزه رسول الله ، وسار يودع الجيش حتى ظاهر المدينة المنورة، واستبقى عنده الفاروق ليستعين برأيه على أمور المسلمين.

وجَهَّزَ الجيوش لقتال أهل الردة بعد عودة الجيش ظافراً منصوراً، وخاصة لقتال الذين ادعوا النبوة أمثال مسيلمة الكذاب، وأرسل معهم كتاباً نشره: دعا فيه الناس إلى الإسلام وعدم الاغترار بشياطين الإنس والجان.

ووجه سيدنا خالداً لقتال أهل اليمامة وللقضاء على مسيلمة الكذاب وأتباعه الذين بلغوا أربعين ألفاً، وكان في جيش خالد سيدنا وحشي بن حرب الذي ساهم بقتل مسيلمة مع رجل من الأنصار فقال وحشي:

- قتلت خير الناس في الجاهلية، وشرّ الناس في الإسلام.

وعمل الصديق في أمر الردة بعزيمة لم تعرف لغيره من الأبطال. وقال قولته المشهورة: "والله لو منعوني عناقاً (ابن الشاة) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ"

لقاتلتهم عليه، فانطفأت نار الردة التي اشتعلت في الجزيرة قبل أن ينقضي عام واحد على وفاته ﷺ.

وفي عهده فَتَحَ الله العراق حتى الحيرة، بقيادة سيدنا خالد بن الوليد وجنده ، وأرسل إنذاراً لهرمز القائد الفارسي قائلاً: أسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وإقراراً بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما أنكم تحبون الحياة (ترضوا عنهم) فخارت عزيمة كسرى ، وأرسل إلى ملك الصين يطلب منه مدداً وقوة ، فأرسل إليه ملك الصين كتاباً قال فيه : « يا كسرى لا قِبَلَ لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها » .

وما أن حاز النصر من عند الله عز وجل حتى وجهه الصديق لمساعدة سيدنا أبي عبيدة بن الجراح في الشام وفي اليرموك، وقد بلغ عدد الروم ٢٤٥ ألفاً، وراح المسلمون يتوجهون إلى الله بالدعاء، وقال رجل لسيدنا خالد: ما أكثر الروم وما أقل المسلمين. فقال سيدنا خالد:

- بل قل ما أقلّ الروم وما أكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال.

وبهذا الإيمان العظيم الذي ملاء قلوب الصحابة الأبرار نصرهم مولانا عز وجل في اليرموك، وانهمز الروم شر هزيمة، واستشهد من المسلمين نحو ثلاثة آلاف، وودع هرقل بلاد الشام وهو يوجه الحرب من حمص قائلاً: سلام عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده.

أيها الأحبة : كانت حكومة سيدنا الصديق مؤلفة من أربعة من الصحابة برئاسته، لم يكن له وزير ، وإنما كان سيدنا عمر يلي القضاء، وسيدنا أبو عبيدة أمينا لبيت المال قبل أن يسيره إلى الشام، وكان يكتب له سيدنا زيد بن ثابت، ويكتب له الأخبار سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فيا أحباب رسول الله :

الفتح المبين الذي تمَّ في عهد الصديق رضي الله عنه هو كتابة القرآن الكريم لأول مرة في التاريخ، كتبه وجمعه في مصحف واحد بعد أن كان محفوظاً في صدور الصحابة رضي الله عنهم، فقد قتل كثير من الحفاظ في حروب الردة. فخيف على ضياع القرآن فكتبه له سيدنا زيد بن ثابت وبعض الصحابة من المهاجرين ، وسمي هذا المصحف بمصحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

لكن الصديق كان ينحل جسمه يوماً بعد يوم ، وكل ذلك حزناً على فراق سيدنا محمد ﷺ، حتى بلغت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، ومرض مرضاً شديداً. وزاره الناس وقالوا له: ألا ندعو لك الطبيب. فقال الصديق: قد رأي. قالوا: فأي شيء قال لك؟. فقال: قال لي: (إني فعال لما أريد). (وحدوا الله).

فلما ثقل في مرضه شاور الصحابة فيمن يخلفه من بعده، فأشاروا عليه أن يكون سيدنا عمر بن الخطاب، فطلع على الناس وأخبرهم بأنه لم يأل جهداً في اختيار من هو أصلح لهم من بعده، وأنه قد استخلف عليهم عمر فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا. وكتب الصديق بذلك عهداً للفروق وختمه.

فلما كان يوم الاثنين تمنى سيدنا الصديق أن يقبض قبل الفجر تأسيساً بوقت وفاة سيدنا رسول الله ﷺ ، فتوفي رضي الله عنه بين المغرب والعشاء في جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ عن عمر ٦٣ سنة وهي السن التي توفي عنها سيدنا النبي، وأوصى أن تغسله السيدة أسماء بنت عميس زوجته، وصلى عليه سيدنا عمر بن الخطاب ودفن في الحجرة النبوية بجوار سيدنا رسول الله ﷺ ، فكان سيدنا الصديق ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأصبح الآن ثاني اثنين في الحجرة النبوية الشريفة رضي الله عنه وأرضاه .

وهكذا تكون الصحبة الصادقة والمحبة الصادقة في الدنيا والآخرة ، هنا وهناك ،
وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ يقول فيها الحبيب الأعظم : أبو
بكر كالغيث أينما نزل نفع. ويقول فيها ﷺ : " البر لا يبلى والذنب لا ينسى
والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان "(٨) .



(٨) روى سيدنا أبو بكر الصديق / ١٣٢ / حديثاً عن رسول الله ﷺ



الحلقة (٧٣)

الخلافة

الثاني

إسلام الفاروق

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، ويسّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شِئْلاً، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدتهم، وحققها بالمكارة، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا و قائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على العباد أجمعين، القائل: (أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس) . وقال: (ما قدّمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدمهما) .

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد صلاة لا تنتهي لها كما صليت عليه في الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا سبيله، وعبدوا ربه، نجاهم من النار وأجارهم إلى الجنة، وسلم تسليمًا.

أما بعد : فيا أيها الإخوة:

نحن اليوم نسجل تاريخ عظام الرجال، الذين دوّخوا الممالك، حديثنا اليوم عن رجل ولد قبل حرب الفجار بأربع سنوات، أي بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، عن رجل من بني عدي بن كعب، يكنى بأبي حفص أي بالأسد كناه به رسول الله ﷺ، تربى على الشهامة والنجدة والجرأة وقول الحق، جهوري الصوت، نبراته قوية، قد زانه الوقار وعلاه، لم يكن غنياً، بل كان يتاجر بماله القليل أحياناً إلى البلاد الشامية.

وحين مضى على دعوة سيدنا النبي ﷺ إلى الإسلام تسع سنين، وبلغ عدد الصحابة تسعة وثلاثين، اتجه هذا الرجل إلى دار على الصفا، في السنة السادسة للبعثة النبوية، وهو ابن ست وعشرين سنة، اتجه إلى دار الأرقم ابن أبي الأرقم التي كان يجتمع بها صحابة رسول الله ﷺ وراح يطرق الباب، ونظر صاحب الدار من الباب، ونادى: إنه عمر.

وأوجسوا منه خيفة فقال النبي الكريم: دعوه لي، وذهب رسول الله ﷺ وهو يدعو بصوت عال: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام، وفتح الباب وما إن وقعت عيننا الفتى على سيدنا رسول الله حتى أمسك به النبي الكريم وهزه وهو يقول: أما آن لك أن تسلم، فإذا بسيدنا عمر بن الخطاب يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ويدخل سيدنا عمر إلى بيت ابن أبي الأرقم ليصبح عدد المسلمين أربعين صحابياً، وهنا يقول لسيدنا النبي الكريم :

- يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا. قال: بلى. قال: ففيم الاختفاء ، والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه

بالإيمان، وأظهر دين الله، والله لا يعبد الله بعد اليوم سراً، والذي بعثك بالحق لنخرجن (أي إلى الكعبة).

فخرجوا في صفين في أحدهما عمر، وفي الثاني حمزة عم سيدنا النبي، وسار النبي في الوسط بين الصفين، خرجوا وعمر شاهر سيفه ينادي: لا إله إلا الله محمد رسول الله. حتى دخلوا المسجد، فصاح سيدنا عمر مسمعاً لقريش قائلاً:

- كل من تحرك منكم لأمكن سيفي من عنقه.

فنظرت قريش إليه وإلى سيدنا حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فطاف سيدنا رسول الله بالصحابة حول الكعبة وصلى ثم رجع ومن معه إلى دار الأرقم فسماه رسول الله يومئذ الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل. وكناه بأبي حفص، وهو لغة: الأسد. سماه ذلك لشدته وقوته وشجاعته، ولقب سيدنا حمزة بأسد الله لإقدامه وجراته في الحق.

أيها الإخوة:

وحين بدأت الهجرة إلى المدينة المنورة لاشتداد أذى الكفار على المؤمنين، كان المهاجرون يخرجون في جنح الليل أو متخفين في الهجرة خوفاً من منع قريش لهم، إلا واحداً هو سيدنا عمر بن الخطاب فإنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهماً، واختصر حربته - أي علقها على خاصرته - ومضى قبلاً الكعبة المشرفة وقريش بفنائها فطاف سبعاً بالبيت وأتى المقام فصلى ركعتين ، ثم وقف على تجمعات قريش واحدة واحدة وهو يقول:

شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تشكله أمه، أو ييتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي.

فلم يتبعه أحد، وهاجر إلى المدينة المنورة في حراسة الله تعالى.

فكان رضي الله عنه قوة الإسلام، وكان يدافع عنه ويلاحظ أعداءه من المنافقين واليهود، وشهد جميع الغزوات مع سيدنا رسول الله ﷺ.

وقد وهبه الله تعالى عقلاً نيراً وحكمة باهرة، وفكراً ذكياً.

وقد ذكر سيدنا رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في فضل سيدنا عمر رضي الله عنه منها قوله ﷺ:

"لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحدَثون (أو قال ملهمون) فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر" (أحمد - خ - ت - ن).

وخاطب سيدنا النبي سيدنا عمر فقال له: "يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك" (ق). وقال: "إني لأنظر شياطين الجن والإنس فرّوا من عمر" (ت).

وقال ﷺ: "إنّ لكل نبي خاصّة من أصحابه وإنّ خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر (طب) وأنّ "سيّدي كهول أهل الجنة خير أمتي بعد أبو بكر وعمر"

و"أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق، ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي".

فحب سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان عنوان صحيفة المؤمن، ولهذا من لا يحبّ الصديق والفاروق: فإن الصلاة خلفه مكروهة، وسابّ الشيخين أبي بكر وعمر كافر عند المالكية والحنابلة، لمكانتهما من سيدنا النبي ﷺ.

أيها الإخوة:

اسمعوا إلى هذه الأوسمة التي قلدها رسول الله لصحابته الأبرار، اسمعوا إلى المكافآت التي يقدمها رسول الله لأصحابه وهم يستحقونها. (صلوا على النبي) اسمعوا:

يقول ﷺ: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر،

وأشدّهم في دين الله عمر،

وأصدقهم حياءً عثمان،

وأقضاهم علي،

وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب،

وأفرضهم زيد بن ثابت،

وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل،

ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح). (قولوا رضي الله عنهم).

هذه الأوسمة أعظم من شهادة الدكتوراه في عصرنا ، هذا ، لأن الذي قلدها هو سيدنا محمد ﷺ. وأعظم وسام أخذه سيدنا عمر رضي الله عنه من سيدنا النبي ﷺ هو قوله: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه " (أحمد - أبو يعلى - طب).

انظروا هذا الحديث بمفرده خطبه، أريدكم اليوم أن ترجعوا إلى بيوتكم وقلوبكم مملآى بحب سيدنا عمر رضي الله عنه، لأن سيدنا عمر نزل القرآن الكريم مؤيداً لرأيه وعقله الفذ في عشرين مسألة، أبدى فيها رأيه لسيدنا النبي ﷺ فنزلت الآيات من رب العزة على ما رآه سيدنا. عمر رضي الله عنه.

أيها الإخوة

كلنا يعرف مقام سيدنا إبراهيم أنه يستحب أن يصلّي خلفه ركعتين بعد كل طواف، السبب فيهما هو سيدنا عمر رضي الله عنه، فقد أخرج الإمام البخاري عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

وافقت ربي في ثلاث قلت :

١ . " يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ .

٢ . وقلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل عليهم البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجن، فنزلت آية الحجاب. وأخرج البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا برزن إلى المصانع (قضاء الحاجة) وكان سيدنا عمر يقول للنبي احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت السيدة سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: قد عرفناك يا سودة (حرصاً على أن ينزل الحجاب) فأنزل الله تعالى الحجاب : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

٣ . واجتمع على سيدنا رسول الله نساؤه في الغيرة فقال لهن: "عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ". فأنزل الله تعالى قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات﴾ .

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: "استشار النبي ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال سيدنا عمر: "يا رسول الله إن الله أمكنك منهم أرى أن تضرب أعناقهم". فأعرض عنه الهادي ﷺ فقام أبو بكر فقال: أرى أن تغفو عنهم وأن تقبل

منهم الفداء. فأنزل الله تعالى تأييداً لرأي سيدنا عمر رضي الله عنه فقال : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَنَّ فِي الْأَرْضِ، تَرِيدُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال ٦٧ - ٦٨) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي يعلى أن يهودياً لقي سيدنا عمر رضي الله عنه فقال اليهودي : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا. فقال سيدنا عمر: "من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين". فأنزل رب العزة جلّ وعلا في سورة البقرة : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب أنه لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ..﴾.

فدعاه فقرئت عليه فقال: "اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً". فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾. ودعي سيدنا عمر فقرأت عليه فقال: "اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً". فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.

فلما بلغت عمر سرّاً عظماً رضي الله عنه، وراح الناس يقولون : انتهينا يا رب. ووقف رسول الله ﷺ يريد أن يصلي على حقير المنافقين عبد الله بن أبي قحافة فقال لعمر فقال للنبي الكريم:

- يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين، فقال: إنما خيرني الله فقال :

﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا هدي القوم الفاسقين﴾ ثم قال رسول الله: وسأزيد على السبعين.

فقال:

- إنه منافق؟! (بمعنى فلا تصل عليه).

فأنزل ربّ العزة قوله: ﴿ولا تصلّ على أحد مات منهم أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾. (ق)

وحين تحدّث الناس حديث الإفك واستلبث الوحي عنه ﷺ ولم ينزل استشار سيدنا رسول الله بعض أصحابه ، فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه (ق):

- يا رسول الله من زوّجها لك؟.

فقال: الله تعالى.

قال: أفتظن أن الله دلّس عليك فيها، سبحانه هذا بهتان عظيم. فأنزل ربّ العزة: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانه هذا بهتان عظيم﴾. وهكذا- أيها الاخوة الكرام- نرى أنّ ربّ العزة جلّ وعلا قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه، بل كان سيدنا عمر ينفذ هذه الحدود الشرعية بنفسه في حياة سيدنا رسول الله ﷺ، فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال:

اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقاضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردّنا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه فقال الرجل: قضى رسول الله ﷺ لي على هذا ، فقال : ردّنا إلى عمر: فقال سيدنا عمر: أكذاك؟. قال: نعم. فقال عمر مكانكما حتى

أخرج إليكما فأقضي بينكما ، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال
ردنا إلى عمر، لأنه لم يقبل بحكم رسول الله ﷺ". فأنزل ربّ العزة على نبيه الكريم:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

إخوتي في الله :

فما هي الأعمال العظيمة التي قام بها سيدنا عمر بعد توليه الخلافة، أعلق هذا
السؤال إلى الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما
أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ يقول فيها الحبيب الأعظم: "ما طلعت
الشمس على خير من عمر" (ت - ح). ويقول فيها: "كل ابن آدم خطاء وخير
الخطائين التوابون) فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أستغفر الله العظيم

الحلقة (٧٤)

الخلافة

الثاني

أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه (٢)

الحمد لله الذي أحصى كل شيء عدداً، ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قددا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ولا يكون أبداً.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أكرم به عبداً سيداً، وأعظم به حبيباً مؤيداً، فما أذكاه أصلاً ومحتداً، وأطهره مضجعاً ومولداً، وأكرمه أصحاباً كانوا نجوم الاهتداء ، وأئمة الاقتداء.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة خالدة وسلاماً مؤبداً، وسلم تسليماً.

أما بعد :

« فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه عليه الصلاة والسلام ، فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومكّن لنا في البلاد، وجعلنا إخوة متحابين، فاحمدوا الله على هذه

النعمة، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها، فإنَّ الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم، وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة، فقلما كفر قوم بنعمةٍ ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزَّهم، وسلَّط عليهم عدوهم.

أيها الناس: إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة، وجمع كلمتها، وأظهر فوزها ونصرها وشرفها، فاحمدوه - عباد الله - على نعمه، واشكروه على آلائه، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين «

معشر الإخوة الكرام :

هذه الكلمات النورانية الإيمانية نطق بها من أربعة عشر قرناً من الزمان أول من لقب بأمر المؤمنين إنه سيدنا عمر بن الخطاب، البطل الذي أتعب من جاء بعده من أبطال الإسلام وقادة الفكر، ولم يبلغوا عشر مقداره ، وبقيت حياته كالشمس يقع الناس تحت أشعتها ولا ينالون موضعها.

أيها السادة : راية الإسلام التي رفعها سيدنا رسول الله سيد القادة وقائد السادة سيدنا محمداً ﷺ وتسلمها سيدنا الصديق لتبقى مرفوعة عالية، هذه الراية التي تنتقل من جيل إلى جيل لن تقع على الأرض لأن أبطال الإسلام يتسلمونها جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، هذه الراية المحمدية قد وصلت الآن إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إخوة الإيمان :

توفي سيدنا الصديق مساء الاثنين لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة، فاستقبل سيدنا عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر سنة ٦٣٤ م، فكان أول كلام تكلم به حين صعد المنبر أن قال:

"اللهم إني شديد فليتي، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسحني".

وكان أول عمل قام به عزله لابن خالته سيدنا خالد بن الوليد عن إمارة الجيش وتولية أبي عبيدة بن الجراح مكانه، وكتب إلى البلاد والولايات يقول لهم:

« إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانةٍ ولكن عزلته شفقة على النفوس وسرعة هجماته وشدة صدماته » .

وقال له حين اجتمع به: والله يا خالد إنك علي لكريم وإنك إلي لحبيب.

وحين أخبر بمرضه وكان على مسافة ثلاثة أيام من المكان الذي فيه سيدنا خالد، طوى هذه المسافة في ليلة واحدة، فأدركه وقد قضى نحبه في حمص، فراح يسترجع ورق عليه، وجلس عند باب داره حتى تم تجهيزه. وراحت البواكي تبكي سيدنا خالدًا. فقبل لسيدنا عمر: ألا تسمع؟ ألا تنهاهن؟! فقال:

- وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نُقْعٌ ولا لقلقة لسان.

وخرج بجنائزه فرأى امرأة تبكيه فقال: من هذه. فقبل له: أمه. فقال:

أمه واهأ له، ثلاثاً، ثم قال: وهل قامت النساء عن مثل خالد بن الوليد.

إخوتي في الله :

إنّ من أجلّ ما قام به الفاروق توسعة رقعة الفتوحات الإسلامية إلى أقصى بلاد الفرس والشام والمغرب، وبناء المدن، وتدوين الدواوين، ووضع التاريخ الهجري للإسلام، وتوطيد دعائم الدولة الإسلامية كأقوى دولة حضارية فوق الأرض.

وقد جمع الصحابة يستشيرهم في الخروج بنفسه إلى قتال الروم والفرس فأشار عليه سيدنا علي ونصحه بأن لا يفعل، وأن يدير معارك قواد المسلمين ويبقى هو في المدينة، وحدّره بأنه إن ذهب فلسوف تنشأ من غيابه أمور هي أعظم وأخطر من العدو الذي سيواجهه.

هذه هي نصيحة سيدنا علي رضي الله عنه، ترى لو أن سيدنا عمر استلب حق سيدنا علي في الخلافة كما يدّعي بعضهم، أفكان سيدنا علي ينصحه ويعاونه هذا التعاون المخلص، بل أفكان سيدنا عمر يشاوره في أمور الدولة الإسلامية، وكان دائماً يأخذ برأيه ونصحه.

أيها الأحبة :

كان سيدنا عمر شديد التواضع عظيم التقشف في حياته، يخدم شعبه، ويرى أنه عبد لرعيته يحوطها ويرعاها رعاية العبد لسيده، وهو الذي قال:

"إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة".

لذلك كان سيدنا عمر لا ينام في الليل ولا في النهار، بل كان يغفو إغفاءات أثناء الليل والنهار، وكان يقوم في الليل بالتفتيش، وهو أول من وضع نظام الحراسة في الليل (العسس). وكان يقال له: - يا أمير المؤمنين لم لا تنام؟ فكان يجيبهم:

- "متى أنام؟! إن نمت بالليل ضيعت حظي من الله تعالى، وإن نمت في النهار ضيعت أمور المسلمين". وكان يقول: "والله لو عثرت دابة على شط الفرات لخشيت أن يسأل عنها عمر). رضي الله تعالى عنه.

يا أحباب رسول الله :

اسمحوا لي لأؤكد لكم هذا المعنى أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مقر خلافة الفاروق إلى مدينة الحبيب الأعظم (صلوا عليه). وقد خرج مع خادمه زيد بن أسلم إلى جبل في المدينة وقد رأيا نارا، حتى إذا دنيا من النار سمع أصوات أولاد يبكون، ورأيا قِدرًا على النار. فسلم الفاروق واستأذن بالاقتراب، فرأى امرأة وسأها عن حالها ولماذا يبكي الأولاد؟ فقالت له: الجوع الجوع، فقال: أي شيء في هذا القدر، قالت: ماءً أسكتهم به حتى يناموا- ثم قالت: والله بيننا وبين عمر يوم القيامة.

فقال: أي رُحْمَكِ ، وما يدري عمر بكم؟ . فقالت: يتولى أمورنا ويغفل عنا؟! .

فبكى سيدنا عمر خشية من الله ، ثم أقبل على خادمه وقال: انطلق بنا.

يقول زيد: فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج حملاً من الدقيق وكُبة من شحم فقال: احملة عليّ . فقال زيد: أنا أحملة عنك. فقال: أنت تحمل أوزاري يوم القيامة. فانطلق بالحمل وهو يتعثّر به أحياناً حتى أتى المرأة وجعل يقول لها: ذري علي الدقيق وأنا أحرك. وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتسرب من لحيته حتى دمعت عيناه. فلم يزل حتى شبعوا ولاعبهم حتى ضحكوا. فكانت المرأة تقول له: جزاك الله خيراً كنتَ بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين.

هكذا كان سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه يتعاهد الناس والشكالي ، بل فرض لكل صبي يولد في الإسلام مالاً لأهله لأنه سمع مرة بكاء صبي، فتوجه نحو أمه فقال لها: أحسني إلى صبيك واتقي الله تعالى، ثم سمع بكاءه في آخر الليل فجاءها فقال لها: ويحك إني لأراك امرأة سوء، مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ العشية. قالت: إني أُزِبعُهُ على الفطام، فقال: ولمْ يا أمة الله؟ قالت: لأن عمر لا يفرض للرضيع وإنما يفرض للفطيم. قال سيدنا عمر: لا تعجله ، وذهب فصلى الفجر بالناس وهو يبكي ، فلمّا سلم قال: يا بؤساً لعمر كم قتل من الأولاد ، وأمر منادياً أن ينادى أن عمر قد فرض للأولاد منذ ولادتهم.

وأما سيدنا طلحة فقد شاهد سيدنا عمر خارجاً في سواد الليل، فتبعه مستخفياً، فدخل سيدنا عمر بيتاً نائياً، ثم رجع. فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت و إذا بعجوز عمياء

مقعّدة، فقال لها:

- ما بال هذا الرجل يأتيك في كلّ عشية. قالت: إنه يتعاهدني منذ مدة طويلة، ويأتيني بما يصلحني ويقيني وينظف بيتي ويُخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثراتِ عمر تتبع.

ويوم اشتهدت زوجته الحلوى، زوجته السيدة أم كلثوم بنت سيدنا علي قالت له يوماً:
يا أمير المؤمنين نفسي تشتهي الحلوى، فقال لها: من أين لي ثمن الحلوى فأشريها. فقالت
له: هذا هو ثمنها وفرته من مصروفي اليومي. فقال لها سيدنا عمر: ما زاد عن قوتنا
فالمسلمون به أولى فقومي لبيت المال رديها.

اسمعوا أمجادكم، اسمعوا عظام الرجال، إنه سيدنا عمر، مرّ مرة على طريق وقد لبس
ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذبح لسيدنا العباس فرخان، وكان له ميزاب على طريق سيدنا
عمر، فلما وصل إلى (الميزاب) نزل منه ماء بدم الفرخين فأصاب سيدنا عمر، فأمر
سيدنا عمر بقلعه، ثم رجع فغير ثيابه فصلى بالناس، فجاء سيدنا العباس، فقال:

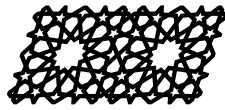
- والله إن الذي وضعه رسول الله ﷺ .

فقال سيدنا عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في
الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ. ففعل العباس ذلك.

هذه هي أخلاق الفاروق، فكيف كانت عدالة سيدنا عمر ؟ وكيف كان حكمه؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى .

وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن
يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ، وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك .



الحلقة (٧٥)

ال خليفة

الثاني

عدل الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه (٣)

الحمد لله الذي نستفتح بحمده الكلام. والحمد لله الذي حمّده أفضل ما جرت به الأقلام، ونطقت به الألسن بالكلام. فسبحانه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وهو ولي كلّ انعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تأخذ بيد قائلها إلى دار الإسلام.

وأشهد أنّ سيدنا وحبينا وعظيمنا أميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه من الأنام، أول الأنبياء وواسطه عقدهم على أنه آخرهم ومسك الختام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين رفع الله بهم منار الإسلام. وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا أيها الإخوة

أشرقت شمس الإسلام على الأمة العربية، وهي لا تكاد تسمى أمة إلا على تساهل في التعبير، قبائل متنافرة، تعيش في جاهلية جهلاء، يُعَيَّرُ بعضهم على بعض، ولا يرون العزة إلا في الظلم والعدوان وسفك الدماء.

فلما جاء الإسلام ودخل الناس فيه أفواجاً، حوّل الأمة العربية إلى أمة تقّـدس الحق والعدل، وتجاهد في سبيله، فملكـت الدنيا في أقل زمن، وكان أحبّ شيء إلى زعماء الإسلام وقادتهم إنما هو العدل، لذلك كان شعار خليفـتهم:

"إذا عدلت فأيدوني، وإذا اعوججت فقوموني، أطيعوني في ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

ولا يزال عدل سيدنا عمر بن الخطاب مضرب الأمثال في سموه وعظمته، فقد أسس دولته على العدل وكان يقول:

"والله لقد لان قلبي حتى هو ألين من الزُّبد، ولقد اشتدّ قلبي حتى هو أشدّ من الحجر".

وقد ضم تحت جناحيه أكبر إمبراطوريتين في عهده، أمريكا وروسيا، أمريكا هي الروم، وروسيا هي الفرس، وهابته الملوك والأمراء لعدله.

إخوة الإيمان : هذه الحلقة الثالثة من تاريخ أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ، وقد وقفت معكم اليوم لأجيب عن سؤال كنت علقتـه معكم :

وهو كيف كانت دولة عمر ؟ وكيف كانت عدالته؟.

أما الدولة فقد بلغت في عهده سبع عشرة جمهورية في عهدنا من بلاد فارس شرقاً حتى نهر السند ونهر جيحون، وفتح من بلاد الروم جزءاً عظيماً هو بلاد الشام، وكانت هذه الدولة الممتدة تتألف من ولايات أو إمارات ، ويسمى أميرها بالعامل ، أي أن لقب رئيس الجمهورية يسمى وقتها العامل، أي عامل أمير المؤمنين على هذه البلدة. وكان سيدنا الفاروق يختار ولاته من أتقى الناس وأبرهم بهم، وكان هو يختارهم، أي بدون أن يرشحوا أنفسهم، وبذلك كان ينفذ أمر الرسول الأعظم حين قال: " إنا لا نولي هذا الأمر أحداً يسأله أو يحرص عليه "، وكان إذا وجههم إلى ولايتهم يكتب كتاباً ويرسله إلى الولاية قائلاً لهم:

"ألا إني - والله - ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أجسامكم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم ليعلموكم دينكم، فمن فُعل به سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفسي بيده لأقصنّه لأجزيّن الوالي بمثل عمله)".

ثم يقول لولاته وعماله:

"ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم! ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم".

هكذا كان أمير المؤمنين يوجه ولاته للاعتناء بالرعية، وكان يقدّم مصلحة الرعية على مصلحة الولاية، وكان لا يبقى الولاية كثيراً في ولايتهم إلا ما ندر، ويأمرهم ألا يتّجروا بأي تجارة، فإذا جاؤوا بمال كثير وكثرت ثروتهم وادعوا أنها من التجارة أمر بمصادرة نصفها لبيت مال المسلمين، حتى لا يستغلّوا مناصبهم في جمع الثروات والتجارات.

كما أنه كان إذا استعمل عاملاً كتب له واشترط عليه أن لا يركب بردوناً (دابة مطّهمة) (سيارة آخر موديل)، ولا يأكل نقيّاً (دقيق خالص) ولا يلبس رقيقاً (ملابس مرفهة)، ولا يغلق بابَه دون ذوي الحاجات، فإن فعل فقد حلّت عليه العقوبة.

هكذا كان سيدنا عمر يعدد النواهي للوالي الذي يعيّنه، وفعله هذا إنما هو ليعيش في مستوى الشعب الفقير، وليبقى الوالي خادماً للناس، لا سيداً لهم.

أيها السادة: إن سيدنا عمر: لا يريد لولاته أن يُفْتَنُوا أو يُتَرَفُوا أو ينالوا باسم الحكم أي امتياز على أفراد الشعب.

هذه عظمة عمر، هذه عبقرية عمر، التي قال عنها الحبيب الأعظم:

"لم أر عبقرياً يفري فرّيه".

سأل مرة وفداً من حمص عن واليهم عبد الله بن قرط فقالوا: خير أمير لولا أنه قد بنى لنفسه داراً فارهة.

فقال عمر في نفسه: داراً فارهة، يتشامخ بها على الناس، بخ بخ لابن قرط.

ثم أوفد إليه رسوله وقال له: ابدأ بالدار فأحرق بابها.. ثم ائت به إلي .

ونفذ الرسول ما أمر سيدنا عمر، وعاد بواليتها ، فامتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع اختار للقائه "الحرة" حيث تعيش إبل الصدقة وأغنامها.

اسمعوا موقف عمر من رجل شهد له قومه بأنه خير أمير لولا أنه ميز نفسه بدار واسعة، اسمعوا الأسطورة وليست بأسطورة!!.

ما أقبل الرجل حتى أمر سيدنا عمر بخلع حُلَّته، وأمر أن يلبس لباس الرعاة، وقال له:

هذا خير مما كان يلبس أبوك.

ثم ناوله عصا وقال له: "وهذه خير من العصا التي كان أبوك يهش بها على غنمه.

ثم أشار إلى الابل وقال له: اتبعها يا عبد الله ". وبعد حين استدعاه وقال له: هل أرسلتك لتشيد وتبني.. ارجع إلى عملك ، ولا تعد لما فعلت أبداً.

أيها الأحبة: لئن كانت هذه القصة يصعب تصديقها وكأنها أسطورة، فإن سيدنا عمر بحمد الله لم يكن أسطورة، بل كان حقيقة واقعة ملأت الزمان والمكان. (ترضوا عنه).

وكان رضي الله عنه إذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويستشيرهم فيه، ويقول: "لا خير في أمر أبرم من غير شورى" فيستشيروا أولاً العامة، ثم يجمع مشيخة قريش من الصحابة فما استقر رأيهم عليه فعله.

وكان مجلس حكمه خاصة من كبار أولي الرأي منهم العباس وابنه عبد الله وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر، وكذلك عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

ولكن هذا المجلس كان للشورى، أما الأمور التنفيذية للدولة فكان سيدنا عمر يشرف عليها بنفسه، ويأمر عماله أن يوافوه كل عام في موسم الحج، ومن كانت له شكوى أو مظلمة على أي والٍ رفعها أمامه في مجلس الحج، فيكون سيدنا عمر قد جمع بين الشاكي والمتهم.

وكان العمال والولاة يخافون أن يفتضحوا على رؤوس الأشهاد في موسم الحج، فكانوا يبتعدون عن الظلم لأي إنسان، ولأجل هذا أديرت البلاد بمقتضى العدل الإسلامي فتقبل الناس حكمه مسرورين، لأنه قد أزال عنهم جبروت الملوك وعسف الجبابة.

وكان من شدة اهتمامه بالرعية يقول: "إن عشت لأسيرن في البلاد حولاً فأقيم في الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة واليمن وغيرها من الأقطار والبلاد القصية، فأني لأعلم أن للناس حوائج تقطع عني، أما هم فلا يصلون إلي، وأما عمالهم فلا يرفعونها إلي".

إخوتي في الله :

كان إذا انتهى التحقيق في أمور الدولة مع الولاة (في موسم الحج) ، يقوم سيدنا عمر بطرح قضايا المجتمع العامة، ولشد ما أذهلني موقف سيدنا عمر الذي يغلب أكبر أستاذ في علم النفس الاجتماعي. فاسمحو لي . أيها الاخوة . أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مكة المكرمة والناس في موسم الحج، وقد جمع سيدنا عمر ولاته، ووجه سؤالاً إلى أحدهم وهو المغيرة بن شعبة، سأله سيدنا عمر قائلاً:

- يا مغيرة ما أنت فاعل إن أُتيت بسارق؟! .

فَكَرَّ المغيرة ملياً- وكان أحد دهاة العرب الأربعة- ثم أجاب:

- أقطع يده يا أمير المؤمنين؟.

فأطرق سيدنا عمر ملياً ثم قال:

- نعم (تهديد)، والله إن جاءني من الرعية جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك.

(لأن سبب السرقة الجوع أو العطالة).

ثم قال: يا هذا إنَّ الله قد استخلفنا على عباده لنسدَّ جوعتهم ونستر عورتهم (نستر عورتهم لا نسمع لأي بنت أو امرأة أن تخرج سافرة إلى السينمات أو توزع صورها في المجلات)،. اسمعوا الدرر والحكم:

إنَّ الله قد استخلفنا على عباده لنسدَّ جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفّر لهم حرفتهم، فإن أَمَنَّا لهم هذه النعمة تقاضينا شكرها.

يا هذا إن الله خلق الأيدي لتعمل (هذه الطاقة والقوة تستخدم إما للخير أو للشر والعاقل هو الذي يعرف كيف يستخدم هذه الطاقة)، لذلك اسمعوا ماذا يقول سيدنا عمر: «فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمسست في المعصية أعمالاً» .

(علماء التربية يقولون: بين سن ١٥ - ٢٥ يكبر الولد عشر سنوات لكن أباه يكبر عشرين سنة أو ثلاثين لأنه يعاني من سنّ المراهقة أو القلق، والقاعدة التي نبه عليها عمر: إن لم تشغله شغلك) .

فيا أهل الرأي : كان سيدنا عمر يقف من ولاته موقفاً صارماً حازماً، كي لا يسيئوا استخدام السلطة، لكنه كان يذوب حناناً وعطفاً حين يحقق مع والي فيجده بريئاً.

فعند زيارة الفاروق لحمص مرة سأل أهل حمص عن واليهم سعيد بن عامر، فأثنوا عليه خيراً، إلا ثلاثة مآخذ، ما هي؟ فقالوا:

١- إنه لا يخرج إلى الناس حتى يتعالى النهار.

٢- لا يجيب أحداً بليل.

٣- يغيب عنا كل شهر يوماً.

واستدعي الوالي ونظر إليه أمير المؤمنين وسأل أهل حمص ما الأولى ؟

قالوا : لا يخرج حتى يتعالى النهار.

فقال سعيد: إن كنت لأكره ذكر السبب؟ ليس لأهلي خادم فأنا أعجن معهم عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبزه ، ثم أتوضأ وأخرج إليهم.

وهنا أشرقت أسارير سيدنا عمر.

والثانية؟: لا يجيب أحداً بليل.

قال سعيد: إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل.

قال عمر : والثالثة؟: إن له يوماً في الشهر لا نراه فيه.

قال سعيد: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ففي هذا اليوم أغسلها وأنتظرها حتى تجف ثم أخرج إليهم آخر النهار.

فقال سيدنا عمر وقد غمره الفرح والسرور: الحمد لله الذي لم يخيب فراستي فيك (براءة من التهم كاملة).

إخوة الإيمان : كان سيدنا عمر يعيش المساواة بين الأمير والمأمور، بين الحاكم والرعية، وكان يستعمل في تأديب الناس درّته، وهي عصي صغيرة كانت دائماً في يده أنى سار صنعها من نعل رسول الله ﷺ ، وكان الناس يهابونها أكثر مما تخيفهم السيوف القاطعة.

وهو أول خليفة عين القضاة لفصل بين الخصومات بين الناس، وهو منصب جعله مستقلاً عن منصب الوالي، وكان رضي الله عنه يتحاشى أن ينتفع أحد من آل بيته بشيء وليس له فيه حق، وإذا أصدر أمراً أو نهى عن أمر يجمع أهل بيته ويقول لهم:

"إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا ضاعفتُ له العقوبة".

لذلك توقف القضاء في عهد عمر إلا ما ندر، لأنّ الناس راحوا يتصافون الحقوق فيما بينهم، وانتفى الظلم بين الناس، وإليكم هذه الحادثة التي جرت مع سيدنا عمر نفسه لتستدلوا على مبلغ إقامة الحق وتحقيق العدالة:

ولي سيدنا زيد بن ثابت القضاء في عهد عمر، وعُرضت عليه قضية بين عمر وأبي ابن كعب، وأقبلا إلى زيد بن ثابت ليحكم بينهما. ولما رأى زيد أمير المؤمنين قام بن مجلسه وتخلّى له عن أحسن مكان في حجرة القضاء، فغضب سيدنا عمر وقال:

هذا أول الجور في حكمك، الواجب أن أجلس بجانب خصمي ولا أتميز عليه بشيء.

فأجلسه زيد بجوار أبي ونظر في قضيتهما، ولما انتهى زيد من الحكم. قال له سيدنا عمر:

- يا زيد لا يكون القاضي عادلاً إلا إذا تساوى عنده الرئيس والمرؤوس.

لله درك يا عمر، لله ما أعظم الإسلام في قلبك يا فاروق رضي الله عنك وأرضاك.

يروى لنا التاريخ أن جبلة بن الأيهم الغساني أحد الملوك الذين أسلموا، كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له عمر، وخرج إلى لقائه وأحسن استقباله وأدنى مجلسه.

ثم خرج عمر إلى الحج فخرج جبلة معه، وبينما كان جبلة يطوف بالبيت الحرام، إذ وطىء إزاره رجل أعرابي من بني فزارة، فامتلاً قلب جبلة غيظاً، ثم رفع يده ولطم الأعرابي على وجهه فهشم أنفه، فاستعدى عليه سيدنا عمر بن الخطاب (شكاه إليه) فبعث سيدنا عمر إليه، فلما جاء أسمعته الشكوى، فقال: إنه تعمد وطء ردائي، ولولا

حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال سيدنا عمر:

- قد أقررت. وحكم عليه بأن يقتص الأعرابي منه ويضربه كما ضربه.

فعظم الأمر على جبلة، وقال: كيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنا ملك وهو سَوْقه.

فقال سيدنا عمر: إِنَّ الإسلام قد سَوى بينكما.

فلما رأى جبلة إصرار سيدنا عمر على القصاص، استمهله إلى الغد، ثم فرّ ليلاً من وجه العدالة، وارتدّ عن الإسلام ومات نصرانياً.

هكذا كان الفاروق لا يحابي أحداً في الحق لا ملكاً ولا حاكماً ولا أميراً.

وقد جاءه رجل من مصر يشكو سيدنا عمرو بن العاص بأنه قال له: يا منافق.

فقال الرجل: لا والله ما نافقت منذ أسلمت لربّ البرية.

فكتب عمر إليه - وكان إذا غضب عليه يكتب - إلى العاصي بن العاصي، أما بعد:

فإن فلاناً ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين حداً لما ادّعاه.

فذهب الرجل إلى مصر، وأقام الشهود على ذلك في المسجد. فقيل له: أتريد أن تضرب الأمير.

وعرضوا عليه التعويض. فقال لو ملأتم لي هذا المسجد لما قبلت. فقال له أحدهم: أتريد أن تضربه؟!

فقال: ما أرى لعمر هنا طاعة. وذهب.

فقال عمرو: ردوه وخلوا بيني وبينه.

فجاء الرجل وأخذ السوط وجلس عمرو بين يديه. فقال الرجل: أتقدر أن تمتنع

عني بسلطانك وأنا فرد من الرعية. فقال عمرو: لا، فنفذ الشرع وامض لما تريد.

فقال الرجل: فأني عفوت عنك، بعد أن تحققت بأننا متساويان في شرع الله تعالى.

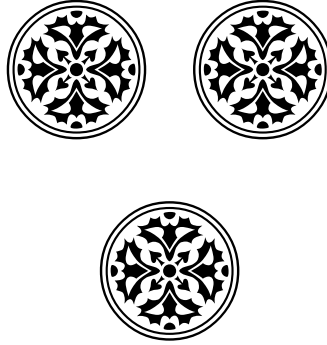
الله أكبر : هذه هي عدالة الإسلام، نفذها سيدنا عمر وعمرو والأعرابي بحذافيرها.

لقد كان عمر أمة وحده، هكذا كانت طريقته في الحكم وتحمل مسؤولياته، هذا هو الرجل الذي كانت جيوشه تدك معاقل الروم والفرس دكاً، لا يرضى بثوبه المرقع تاج كسرى وملابس قيصر، ييطئ عن المسلمين يوماً في صلاة الجمعة، فيأتي فيعتذر حين يصعد المنبر ويقول: والذي بعث عمر بالحق ليس لي إلا قميص واحد غسلته وانتظرت حتى يجفّ وألبسه.

فهل هناك حاكم مثل هذا ؟ الذي احتذى النبوة قدوة، وأتعب كل حكام التاريخ، إنه لم يكن ألهاً ولا ملكاً ولا رسولاً يوحى إليه، إنما كان فرداً من الناس، بلغ الذروة في العدالة والرحمة والعظمة.

إن عمر الحاكم حجة الله على كل حاكم، إذا قال حاكم ما ساعة حسابه يوم القيامة: يارب عَجَزْتَ. فإن ربَّ العزة سيقول له: لكنَّ عمر لم يعجز لا هنا ولا هناك وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك



الحلقة (٧٦)

الخلافة الثاني

دولة الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه (٤)

الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين المبين، وأكرمنا بالنبي الصادق الأمين، وبخلافة راشدة برة متقين، فكانوا لنا ولجميع المسلمين هداة وقادة صالحة للمؤمنين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا أميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادي إلى صراطه المستقيم.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله أصحابه والخلفاء الراشدين ، وسلم تسليماً.

أما بعد :

فقد وقف أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب حين عهد إليه بالخلافة وبعد وفاة سيدنا الصديق رضي الله عنه، يخطب في الناس قائلاً:

« أيها الناس لن يغير الذي وُلّيت من خلافتكم شيئاً من خلقي، إنّما العظمة لله وحده، وليس للعباد منها شيء..

بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي وقالوا:

قد كان عمر يشتدّ ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتدّ علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت إليه الأمور.

ألا من قال هذا فقد صدق، فإني كنت مع رسول الله عونه وخادمه، وكان عليه السلام من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى : ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يغمدني، أو يدعني أمضي.. فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد.

ثم إني قد وليت أموراً أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً، أو يعتدي عليه حتى أضع خذّه على الأرض حتى يُدعن للحق، وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف.

ولكم عليّ - أيها الناس - خصال أذكرها لكم فخذوني بها: لكم عليّ ألا أجتبي شيئاً من خراجكم ومما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، و لكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقّه، و لكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم، و لكم عليّ ألا ألقىكم في المهالك، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم. فاتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولّاني الله من أمركم.

معشر الاخوة الكرام :

هذا هو بيان الخلافة الراشدة، أو الخطاب الذي أخذ به نفسه سيدنا عمر بن الخطاب في خلال خلافته حرفياً، وهو كما قال: "كان سيف الله المسلول في يد

سيدنا رسول الله ثم في يد خليفته الصديق، وهو اليوم أصبح السيف والضارب في سبيل الله عز وجل".

وأنا اليوم- بإذن مولانا عز وجل- أقف في الحلقة الرابعة مع سيدنا عمر رضي الله عنه الذي بهرنا جلال المسؤولية عنده، وبهرنا تقديسه للشورى، وبهرنا انخاء رأسه العالي في خشوع لكل معارضة شجاعة صادقة، ولكل نصح مصيب من كل طبقات الشعب: اجتاز الطريق يوماً مع رجل فنادته امرأته: رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات، ويقف رئيس الدولة الإسلامية وخليفة خليفة رسول الله بتواضع وهو مصغ كل الإصغاء لهذه المرأة يبتسم لها وهو يسمعها تقول له:

- يا عمر عهدي بك وأنت تسمى عميراً تصارع الفتيان في سوق عكاظ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر.. ثم لم تذهب الأيام حتى سميت (أمير المؤمنين)، فاتق الله في الرعية، واعلم أنّ من خاف الموت خشي الفوت.

فقال لها صاحبه: اجترائ على أمير المؤمنين.

فجذبه عمر من يده وقال له.

- دعها فإنك لا تعرفها، هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من عليائه وهي تجادل الرسول في زوجها وتشتكي إلى الله.. فعمر- والله- أخرى أن يسمع كلامها..

كانت هذه المواقف وأمثالها هي التي ألهمت الناس الشجاعة في إبداء الرأي وعدم الخوف من تبعة النصيحة، وقد وقف سيدنا عمر يوماً وقد رأى مهوور النساء تتزايد فوق يريد تحديد المهوور، وهدد أن ما زاد على أربعين أوقية ألقاها في بيت المال. فنهضت سيدة مسلمة تقول له: ماذا قلت؟ ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُم إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْمًا مُبِيناً﴾.

فبيّس عمر ويرجع عن قراره ويقول عبارته المشهورة: "أصابت امرأة وأخطأ عمر".

إنه سيد الرأي الحر، أراد أن يصنع من الأمة الإسلامية شعباً حراً، وشعباً سيداً، وأن يشعروا بالأمن كلّ الأمن، أن يصنع مصيره وما هو قادم عليه، إنّ سيدنا عمر أعطى المعارضة كلّ توقير واحترام، لقد احترم سيدنا عمر كلمة الشعب ، وجعلها حقاً للأمة كلّها، ولأجل هذا قيل عن سيدنا عمر: إن عمر كان أمة وحده، وكان رجل التاريخ.

لقد أراد سيدنا عمر أن يكون الشعب حراً يتكلم بما يريد ويفعل ما يريد طالما هو ضمن الشرع الإسلامي، وطالما كان فعله لوجه الله، وكان يعاقب ولاته على استعباد الشعوب، وكلنا يعرف قصة عمرو بن العاص مع القبطي المصري الذي قدم من مصر إلى أمير المؤمنين، وهو يقول:

- يا أمير المؤمنين أجري أجارك الله.

ويسأل عمر عن القصة فإذا بمحمد بن عمرو بن العاص قد أوجعه ضرباً لأنه سابقه فسبقه فعلاه بالسوط وقال له: أتسبقني و أنا ابن الأكرمين ؟! .

وأرسل سيدنا عمر إلى عمرو بن العاص: إلى العاصي ابن العاصي احضر أنت وولدك محمد.

وجيء بوالي مصر، وجعل سيدنا عمر يتلقّى باحثاً عن ولده محمد فإذا هو خلف أبيه.

ونادى أين المصري؟! فجاء. فقال له: خذ الدرة واضرب بها ابن الأكرمين.

فضربه المصري حتى أثخنه، وسيدنا عمر يقول: اضرب ابن الأكرمين.

ثم قال: اضرب صلعة عمرو فوالله ما ضربك ولده إلا بفضل سلطانه.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت وضربت من ضربتي.

وهنا التفت سيدنا عمر وقال: "يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

سيدنا عمر يريد من الناس أن يكونوا عبيداً لله، لا عبيداً للعبيد، ويريد من الإنسان أن يعرف أنه عبد لله وأن يخدم بعضهم بعضاً، اسمعوا ماذا فعل مع الأحنف بن قيس القائد الإسلامي، اسمعوا وأنتم تصلون على النبي الأعظم ﷺ

قدم عليه الأحنف في وفد من العراق فصادفه في يوم شديد الحر، وهو محتجز بعباءة يداوي إبل الصدقة فقال سيدنا عمر عندما رآه: يا أحنف ضع ثيابك، وهلمّ فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والأرملة والمسكين، فقال رجل من القوم:

- يغفر الله لك يا أمير المؤمنين! فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك هذا؟!

اسمعوا جواب سيدنا عمر وأنتم تترضون عنه، قال سيدنا عمر:

- وأي عبد أعبد مني ومن الأحنف، إنه من ولي أمراً من أمور المسلمين فهو عبد للمسلمين.

إخوة الإيمان : إن قوة سيدنا عمر وجرأته استمدّها من الله تعالى الذي قال :
﴿لِيَنْصُرَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.

فكل شخص ينصر دين الإسلام في بيته ، وفي محله ، وبين أهله يرفعه الله ويؤيده وينصره، وسيدنا عمر كان من هؤلاء، عمر كان حاكماً لا يقبل الهدية من أي صنف كان، لأن الهدية إلى الحاكم رشوة، عمر كان لا يحنى رأسه إلا لله.

وترى هل أحد من الرعية يتجرأ أن يهدي لأمير المؤمنين؟ الويل لمن فعل هذا!
وقد حاول مرة صحابي طيب صالح أن يفعلها وهو سيدنا أبو موسى الأشعري،
وإليكم الحدث كاملاً:

قدم الفاروق إلى داره فوجد رقعة من سجاد لا تزيد على متر أو أكثر، فسأل
زوجته عاتكة: - أنى لك هذه؟! قالت: أهداها إلينا أبو موسى الأشعري.

- فقال: أبو موسى الأشعري!! نادوا عليه.

ويأتي الرجل الصالح ولا يكاد يقترب من سيدنا عمر ويلمح السجادة في يده،
ويرى وجهه العابس المقطب حتى يبادر أمير المؤمنين فيقول: لا تعجل علي يا أمير
المؤمنين. ولكن سيدنا عمر يعاجله ويلفح بالسجادة رأسه ويقول له:

- ما حملك على أن تهدي إلينا؟ خذ ما أهديت ولا تعد إليها ثانية .

وأرسل إليه عامله على أذربيجان هدية من الحلوى، فيسأل الرسول الذي جاء
بها:

- أوكل الناس هناك يأكلون هذا؟ فأجابه الرجل:

- لا يا أمير المؤمنين إنما طعام الصفوة.

وهنا تصيب سيدنا عمر الرعشة ويقول للرجل: أين بعيرك.. احمل هديتك وارجع
بها إلى صاحبها وقل له: (عمر يأمرك ألا تشبع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع
المسلمين).

الله أكبر، هل رأيتم مثل هذا الحاكم العادل، هل رأيتم تلميذ رسول الله ﷺ الذي
فتح الله على يديه نصف العالم ، وهو مع ذلك لا يرى العزة إلا باتباع سيدنا رسول
الله ﷺ ، ولا يرى العزة إلا بالإسلام.

إنَّ التاريخ يسجل للفاروق أن جيوشه حين فتحت بيت المقدس - القدس -
ورفض النصارى أن يسلموا مفاتيح القدس إلا لأمير المؤمنين، أرسل أبو عبيدة قائد
الجند إلى أمير المؤمنين يخبره بذلك.

أيها الاخوة: أرى لزماً عليّ أن أنتقل بكم إلى هناك إلى الصحراء المترامية من
المدينة المنورة وحتى القدس لأشهد معكم مشهداً لم تر الإنسانية مثيلاً له مشهداً
بطله سيدنا عمر وخادمه ، فإن سيدنا عمر كان يتناوب ركوب ناقته مع خادمه، مرة
يركب هذا ومرة يركب سيدنا عمر، ومرةً ثالثة يريحان الدابة فلا يركبها ، وحين وصل
إلى جوار سور بيت المقدس كان دور الخادم على الراحلة، واستقبله سيدنا أبو
عبيدة، واعترضتهما محاضرة، ساقية وراح سيدنا عمر يرفع ثوبه عن الماء، والخادم
بجواره راكب على الجمل، والنصارى ينظرون من على السور إلى ملك المسلمين -
أيهما أهو الذي على الجمل؟! أم أين هو؟.

وهنا انتبه سيدنا أبو عبيدة إلى ذلك، فقال:

- يا أمير المؤمنين لو صعدت على الجمل لكان أهيب لك وأعزّ !!.

وهنا ثار أمير المؤمنين وانتفخت أوداجه وقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟! لو
غيرك قالها. نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

هذا الرجل، هذا الشامخ العارم الذي يتفجّر قوة وجرأة وبأساً ، ما قيمة الإنسان
من غير الإسلام، ماذا يساوى عند الله بدون تاج ونور الإسلام، فالعزة بالإسلام
والمجد بالإسلام و الرفعة بالإسلام، ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

اسمعوا بقية الحدث: إن النصارى فتحوا أبواب القدس لسيدنا عمر وسلموه
المفاتيح وقالوا له: إننا نجد في كتبنا أن الذي يفتح بيت المقدس رجل في ثوبه سبع
عشرة رقعة ويدخل بيت المقدس ماشياً وغلामه على دابته.

سيدنا عمر الذي لم تكن الدنيا تساوي عنده جناح بعوضة، اسمعوا وقد جيء
بجواهر كسرى وقصر كأمثال الجبال ووضعت أمامه وقيل له : يا أمير المؤمنين! خذ
ما تشاء.

ونظر سيدنا عمر وقال: يا دنيا غري غيري ، خذوها لبيت مال المسلمين. وراح
يقول: إن أناساً أدوا هذا لأمناء.

نعم- أيها الأحبة- لقد جيء بالجواهر والدنانير الذهبية بكاملها لم يُنتَقَص منها
شيء، لم يؤخذ منها دينار واحد، لم يوضع منها في أي بنك في أوروبا أو روسيا أو
أمريكا شيء ، سيق بها من فارس وبلاد الشام حتى وصلت إلى مدينة سيدنا رسول
الله ﷺ. اسمعوا ماذا قال الفاروق: وقد نظر إليها وقد جمع بعضها إلى بعض حتى
أصبحت تلة صغيرة ، - قال:

. إن أناساً أدوا هذا لأمناء.

فأجابه المغيرة بن شعبه. (اسمعوا جواب المغيرة) قال له: - يا أمير المؤمنين عففت
فعفّت الرعية، ولو خنت لخانت الرعية.

الله أكبر: "عففت فعفوا، ولو خنت لخانوا". هذه خلاصة الكلام ، من أراد أن
ينظر إلى القوي الأمين فليُنظر إلى سيدنا عمر رضي الله عنه.

إخوتي في الله

كان سيدنا عمر أعظم إنسان على وجه البسيطة في زمنه، كان ولي الأولياء،
وصالح الأتقياء، وله من الكرامات مالا يحصى، فقد سخر الله تعالى له الريح والماء
والنار والتراب، سخر له العناصر الأربعة تجري بأمره حين شاء ، هذا هو الموجز
وإليكُم الأنباء بالتفصيل - وأنتم تترضون عنه:-

إن سيدنا عمر بن الخطاب بعث جيشاً إلى أطراف الدولة الإسلامية ووصل
الجيش إلى منطقة النهاوند التي تبعد عن المدينة أكثر من مسيرة شهرين، وأمر على

هذا الجيش رجلاً يدعى سارية بن الحصين، فبينما سيدنا عمر يوم الجمعة يخطب على المنبر، جعل يصيح في أثناء خطبته:

- يا ساريةُ الجبل الجبل، يا ساريةُ الجبل الجبل.

فتعجب الناس، وكتب سيدنا علي بن أبي طالب تاريخ هذه الكلمة ، وهو يقول بيننا وبين سارية شهوراً ، وتمضي الأيام حتى يصل رسول الجيش يبشر أمير المؤمنين بالنصر في النهاوند، ثم يقول: - يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا، فإذا بنا نسمع صوتك ولا نرى شخصك:

- يا سارية الجبل الجبل.

فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزم الله الكفار، وظفروا بالغنائم العظيمة ببركة هذا الصوت .

هذا بالنسبة للريح، وأما بالنسبة للتراب :

فيروي ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت زلزلة عظيمة في زمن عمر حتى كادت الجبال أن تقع من على وجه الأرض، فضرب عمر الأرض بدرته (بسوطه) وكان هذا السوط من نعل المصطفى ﷺ وقال لها: اسكني إن لم أكن أنا عدلاً فويل لعمر. فسكنت الزلزلة ولم يأت بعدها مثلها.

ويروي أن سيدنا عمرو بن العاص كتب لسيدنا عمر أن النيل في مصر لا تزيد زيادته المعتادة حتى تلقى فيه امرأة بكر، وأنه يطلب رأيه في ذلك.

فكتب سيدنا عمر بن الخطاب كتاباً إلى النيل، قال فيه:

"إنك إن كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك ". وألقي هذا الكتاب في النيل.

فإذا النهر يزداد ياذن الله تعالى ولم يلق فيه بعد ذلك امرأة.

وكانت نار تأتني في كل عام إلى المدينة المشرفة وتحرق البيوت والزروع، يقول ابن عباس: فشكا المسلمون ذلك لعمر. فقال لغلامه:

خذ هذا الرداء، فإذا جاءت النار فافرده في وجهها وقل: يا نار هذا رداء عمر بن الخطاب، فهي ترجع لوقتتها.

ففعل الغلام ذلك فرجعت النار في الحال ولم تعد (فقولوا رضي الله عنه) .

يا أحباب المصطفى ﷺ :

إن أعظم كرامة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ساس الشرق والغرب، وقلب الممالك والدول، لو نظرنا في كتب التاريخ علمنا أنه لم يتفق لأحد من عهد سيدنا آدم إلى الآن ما تيسر له، فإنه مع غاية بعد، عن زينة الدنيا قدر على تلك السياسات، ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات.

أرسل قيصر الروم رسولاً إلى سيدنا عمر، فلما دخل المدينة سأل أهلها:

.أين ملككم؟.

قالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير، قد خرج إلى ظاهر المدينة.

فخرج رسول قيصر في طلبه، وراح يسأل عنه حتى قيل له:

- ها هو إنه نائم في الشمس على الأرض قد وضع نعله تحت رأسه.

فنظر إليه فرأى أمير الدنيا بدون حراسة، بثوب مرقع، يفتش الأرض ويلتحف

السماء، ورأى نور الإيمان يتلألأ من وجهه، فوقع الخشوع في قلبه، وراح يقول:

- رجل ملوك الأرض لا يقر لهم قرار من هيئته الجلالية وتكون هذه حاله، ولكن
يا عمر! عدلت فأمنت فنمت، وأما ملكنا فيجور ويظلم، فلا جرم أنه لا يزال خائفاً
مما جنته يده .

أيها الإخوة: هذه الحادثة دعت الشاعر حافظ إبراهيم أن يتمثل هذه الحادثة في
شعره فقال:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً	بين الرعية غطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها	سوراً من الجند والأحراس تحميها
رآه مستغرقاً في نومه فرأى	فيه الجلالة في أسمى معانيها
فهان في عينه من كان يكبره	من الأكاسر والدنيا بأيديها
فقال قولة حق أصبحت مثلاً	وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم	فنمت نوم قرير العين هانيها

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب
الأعظم، وتحتينا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

رضي عنه

الحلقة (٧٧)

ال خليفة

الثاني

استشهاد

الإمام سيدنا عمر رضي الله عنه (٥)

الحمد لله الذي يجتبي من يشاء من عباده، ويصطفى من خلقه من شاء من أهل وداده، رفعهم فوق الناس درجات وجعلهم من أكرم أهل بلاده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجعلنا من خير أحبائه.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله يقول: بينما أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. فقال أصحاب سيدنا النبي: "بم أولته يا رسول الله. قال: العلم".

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً.

أما بعد :

فهذه الحلقة الخامسة من سيرة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي شدّه الله تعالى إليه وربط قلبه على الحق والعدل، وجعله سلطاناً على المسلمين، لم يؤثر عنده هذا الملك والسلطة شيئاً، ساس الأمة الإسلامية بالعلم والإسلام، وكان إذا وقف بين يدي ربه عز وجل يُفَرِّق ويخشى يوماً تشيب له الولدان، قرأ مرة سورة الطور فلما بلغ قوله تعالى:

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَا لَمْ يَدْفَعْ﴾ بكى واشتدَّ بكاءه حتى مرض وعادوه. وكان يبكي بكاءً شديداً حتى كان في وجهه خطان أسودان من شدة البكاء من خشية الله تعالى.

قال يوماً لسيدنا أبي موسى الأشعري:

"يا أبا موسى هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه وشهادتنا وعملنا كله يُرَدُّ علينا لقاء أن ننجو كفافاً، لا لنا ولا علينا".

فيجيبه سيدنا أبو موسى: لا والله يا عمر، فلقد جاهدنا وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً، وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لنرجو ثواب ذلك.

فبيكي سيدنا عمر وتتحدّر الدموع على وجنتيه كحبات اللؤلؤ ويقول:

"أما أنا فو الذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يُرَدَّ علي، ثم أنجو كفافاً رأساً برأس".

هكذا كان سيدنا عمر بينه وبين الله تعالى، وكان رضي الله عنه يعدّ من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم، وشديد التمسك بالسنة النبوية الشريفة يقول عنه سيدنا ابن مسعود "كان عمر أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله تعالى".

وقف مرة يقبل الحجر الأسود ثم قال مخاطباً الحجر:

"إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ووالله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك".

وهرول حول الكعبة وهو يقول:

"فيم هذا الرَّمْلان (الهرولة) والكشف عن المناكب، وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر؟". ومع هذا لا ندع شيئاً كنا نفعله في عهد رسول الله ﷺ.

وها هو يسأل عن تفسير آية: ﴿وَالذَّارِيَاتُ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتُ وِقْرًا﴾ ، فيقول:

﴿الذاريات ذروا﴾ ، هي الريح، لولا أني سمعت رسول الله يقوله ما قلته.

﴿و الحاملات وقرأ﴾ ، هي السحب ، ولولا أني سمعت رسول الله يقوله ما قلته.

هكذا كان رضي الله عنه وقافاً عند النصوص والتعاليم، ملتزماً بالتأسي بالقدوة العظمى سيدنا محمد ﷺ. ونحن نجد سيدنا عمر فقيهاً عظيماً حين عالج قضية المؤلفات قلوبهم، ظهر فيها سيدنا عمر فقيهاً عبقرياً حين ناقشها وأحضر الأدلة عليها.

هو أولاً التزم النص الشرعي وتابع عليه سيدنا رسول الله ﷺ، ثم جاء عهد سيدنا أبي بكر وسهم المؤلفات قلوبهم قائم نافذ، ولا تزال هذه الآية يعمل بها، وإليكم عرض هذه المسألة لأهميتها.

إخوة الإيمان :

المؤلفات قلوبهم جماعة دخلوا الإسلام باقتناع ضعيف أو بغير اقتناع، أو هم جماعة يرجى إسلامهم إذا أعطوا من الغنائم، ففرض لهم القرآن في بيت المال خطأ يأخذونه من الزكاة تألفاً لهم حتى لا ينصرفوا عن الدين قبل أن يذوقوا حلاوة الإيمان، فكان أحدهم عندما يعطيه رسول الله ﷺ يقول: "إنّ محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر". وحينما نصر الله نبيه الكريم وثبتت دعائم الدولة في عهد سيدنا عمر، قلب وجه الرأي في المؤلفات قلوبهم ثم قال:

« لقد كان رسول الله يعطيهم، والإسلام يومئذ ضعيف.. أما اليوم فقد أعزّ الله دينه وأعلى كلمته، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولن يتسع هذا الدين إلا لمن يدخله راعباً مؤمناً)).

وأمر بإيقاف هذا المال الذي يدفع وإعطائه للمسلمين من الأصناف الباقية.

أي إنه لم يعطل الآية بل أوقف تنفيذها لعدم وجود سببها وهو ضعف الدولة الإسلامية ، أو عدم الحاجة إلى من يرجى إسلامهم لتقوى الدولة لأن الحكم الفقهي يدور مع العلة ، فإذا انتفت العلة انتفى الحكم الفقهي .

وهذه معالجة فقهية واجتهادية منه رضي الله عنهم والصحابه كلهم مجتهدون عدول فكيف بمن مدحه رسول الله بأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه. (ترضوا عنه).

وكان رضي الله عنه يحب أن يدرأ الحدود بالشبهات كما تعلمه من سيدنا رسول الله ﷺ ، ولا يجب أن يفضح الله به واحداً من المسلمين، يأتيه رجل يوماً يستفتيه قائلاً:

إن ابنتي كانت قد أصابت حداً من حدود الله وأخذت الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها وقد قطعت بعض شرايينها فداويناها حتى برئت، ثم تابت - والحمد لله - توبة نصوحا، وهي اليوم يخطبها الرجال فأخبرهم بالذي كان، فيجيبه عمر بلسان الفقيه العالم المستنبط قائلاً:

- أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه ، والله لئن أخبرت بها أحداً من الناس لأجعلنك

نكالا لأهل الأمصار، اذهب وانكحها نكاح العفيفة المسلمة.

هكذا كان سيدنا عمر يعرف طبائع الناس ويعطى أحكامه بناءً على كل عصر وكل حالة، وربما مرة يقضي في مسألة، فإذا عرضت عليه مسألة مثلها قضى فيها بغير ما قضى في الأولى، فإذا قيل له كيف هذا؟ قال:

"ذاك على ما قضينا، وهذا على ما نقضي".

وهذا هو عمل المفتي، فالفقه شيء، والفتوى شيء، لذلك ليس كل عالم بالفقه يكون مفتياً، اسمعوا إلى الفهم السديد الذي آتاه الله سيدنا عمر رضي الله عنه، وقد سأله رجل:

- أيهما أذكى وأفضل، رجل لا يأثم لأن نفسه لا تشتهي الإثم، أم رجل تشتهي نفسه الإثم ولا يأثم. سؤال وجيه، واسمعوا الجواب الأوجه من سيدنا عمر، قال:

(إن الذين يشتهون المعصية ويعملون بها ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾).

كتب مرة لسيدنا سعد بن أبي وقاص أحد القادة المسلمين:

"بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فيأكل يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌ إلا السمن وإنما حتفها في السمن.. واعلم أن للعامل مرداً إلى الله فإذا زاغ زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته".

هذا معنى قولهم: "إن لسيدنا عمر فقهاً عظيماً بطباع الناس"، فقد كانت المظاهر لا تساوي عنده شيئاً ما لم تكن لها حقائق في قلوب الناس، قال يوماً لأحد الشهود: اتني بمن يركيك.

فجاءه برجل: وراح يشهد: إنه رجل صدق.

فسأله، سيدنا عمر: هل سافرت معه يوماً؟.

فقال الرجل: لا. قال: هل كانت بينكما خصومة يوماً. فقال: لا.

قال: هل ائتمنته يوماً على شيء. فقال: لا.

قال: لعلك رأيته يركع ويسجد في المسجد ويهتُمهم بالقرآن؟! اذهب فلست تعرفه».

وكان يوصي الناس فيقول: "إذا رأيتم أحاً لكم زلّ فسددوه ووقفوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا عوناً عليه للشيطان".

ونصح مرة والدأ وقد جاء يشكو ولده فقال له:

"لا تكرهوا أولادكم على أخلاقكم فقد خلّقوا لزمان غير زمانكم".

إخوتي في الله :

وفي زمن سيدنا عمر زاد في المسجد النبوي الشريف، فقد لقي سيدنا العباس يوماً فقال له: - لقد سمعت رسول الله قبل موته يريد أن يزيد في المسجد، وإن دارك قريبة من المسجد فأعطنا إياها نزدها فيه، وأقطع لك أوسع منها.

قال العباس: لا أفعل.

قال سيدنا عمر: إذن أغلبك عليها.

فأجابه العباس: ليس ذلك لك فاجعل بيني وبينك من يقضي بالحق.

قال أمير المؤمنين: من تختار؟.

قال العباس: حذيفة بن اليمان . (وكان هذا الصحابي أمين سر سيدنا رسول الله ﷺ). وانتقل إليه عم سيدنا النبي ﷺ وأمير المؤمنين، وقصّا عليه الخلاف.

فقال سيدنا حذيفة: سمعت أن نبي الله داود عليه السلام أراد أن يزيد في بيت المقدس فوجد بيتاً قريباً من المسجد، وكان هذا البيت ليتيم، فطلبه منه فأبى.

فأراد سيدنا داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يأخذه قهراً، فأوحى الله إليه: «إِنَّ أَرْهَ الْبُيُوتِ عَنِ الظُّلْمِ هُوَ بَيْتِي» فعدل داود وتركه لصاحبه.

فنظر سيدنا العباس إلى سيدنا عمر وقال: ألا تزال تريد أن تغلبني على داري؟.

قال عمر: لا.

فقال العباس: ومع هذا، فقد أعطيتك الدار تزيدها في مسجد رسول الله ﷺ .

ولهذا كان سيدنا عمر يقول: (رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي) .

وكان يحاسب نفسه حساباً شديداً، ويتذكر الآخرة في كل لحظة من حياته، لذلك كان يربأ بنفسه عن المعصية أن يقع فيها، وهو منذ أن سمع لأول مرة رسول الله يتلو آية الرجعة من كتاب الله تعالى:

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ .

فهو منذ أن سمع هذه الآية عاش قلقاً مؤرقاً، وكان إذا غشيتة سحابة من الخوف صاح من قلبه:

"ليت أم عمر لم تلد عمر"، وكان يقول: "ماذا ستقول لربك غداً يا عمر".

هذه الكلمة بالذات جعلت عمر يحرم على نفسه الطيبات المشروعة تحريم منع لا تحريم شرع. حتى تأكل منها رعيته كلها، ويلتزم أكل الزيت، ولو شاء أن يظفر بالمناعم المباحة على كثرتها لظفر بها جميعاً، زاره مرة حفص بن أبي العاص، وكان عمر يجلس إلى طعامه، فدعا حفصاً ليأكل معه القريد اليابس، فاعتذر شاكراً، وأدرك سيدنا عمر سبب تركه الطعام معه فقال: ما يمنعك عن طعامنا. فقال حفص بصراحة: إنه طعام جشِب غليظ وإني راجع إلى بيتي فأصيب طعاماً لذيذاً قد صنع لي..

فقال سيدنا عمر: أتراني عاجزاً عن أن آمر بصغار المعزى، فيلقى عنها شعرها، وأمر برقاق البر فيخبز خبزاً رقاقاً، وأمر بصاع من زبيب فيلقى في سمن، حتى إذا صار مثل عين الحجل صُب عليه الماء فينضج وكأنه دم غزال فأكل هذا وأشرب هذا..

فقال حفص وهو يضحك: إنك بطيب الطعام لخبير.

فتابع سيدنا عمر كلامه وقال:

والذي نفسي بيده، لولا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عشيكم - ولو شئت
لكنت أطيبكم طعاماً، وأرفهكم عيشاً، ولنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من
أكليه، ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل
حملها، وإني لأستبقى طيباتي، لأني سمعت الله تعالى يقول عن أقوام: ﴿أذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (قولوا: رضي الله عنه).

أيها الأحبة :

وكان الفاروق رضي الله عنه يحج كل عام، وفي آخر سنة له حج بأزواج سيدنا
النبي ﷺ كلهن، ونظر إلى نفسه فرأى أنه سيد الدنيا، ونظر إلى نفسه فرأى رسول الله
قد قلّده بأوسمة الاستحقاق الإسلامي:

١ . فنعتة بالفاروق بعد أن فرق الله بإسلامه بين الحق والباطل.

٢ . ويرى نفسه اقترح على سيدنا النبي بعض آرائه فلا يوافقه رسول الله فحسب
بل ينتزل به الوحي ويصير قرآناً يتلى.

٣ . ثم أصبح بعد ذلك خليفة رسول الله بعد أبي بكر، وأميراً للمؤمنين.

٤ . وانفتحت في أيامه بوابات العالم لدين الله، وزحمت راياته جو السماء في كل
أفق.

٥ . وشهد عدله كل قاصٍ ودان .

فإذا به يدعو الناس: الصلاة جامعة. ويجتمع الناس فيصعد المنبر ثم يقول:

أيها الناس :

"لقد رأيته وأنا أرى غنم خالات لي من بني مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب".

ثم ينزل من على المنبر.

ويتسائل الناس، ماذا أراد عمر بهذا، ويدركه سيدنا عبد الرحمن ويقول له:

- ما أردت بهذا يا أمير المؤمنين؟.

فيجيبه سيدنا عمر: ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسي فقلت لي: أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد، فمن ذا أفضل منك، فأردت أن أعرفها قدرها.

هذا ما يسمى في عصرنا بالتصوف، لأن الصوفيين يحبون أن يهذبوا نفوسهم الأمانة بالسوء، عندما يرون أنهم أفضل من الناس فيفعلون أموراً قد لا يستطيع أكثر الناس تفسيرها كما فعل سيدنا عمر تماماً.

جلس يوماً مع صحابته فقال لهم: أيكم سمع رسول الله يذكر الفتن. فقال حذيفة: أنا، سمعت رسول الله يقول: « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين؛ على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز منكوساً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ». .

قال حذيفة: وبينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر. قال عمر: أكسراً لا أبالك.

قال نعم، وذلك الباب رجل يقتل أو يموت. (ق).

إخوتي في الله :

عرف سيدنا عمر أنه المقصود بهذا القول وأنه سوف يقتل، وخاصة أن رسول الله بشره بالشهادة "أثبت أحد فإنما فوقك نبي وصدّيق وشهيدان".

يقول ﷺ : دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا منيفًا، فسألت لمن هذا القصر. فقالوا لفتى من قريش. فسألت: ومن هو. فقالوا: لعمر بن الخطاب.

وكان رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة يمرّ بين الصفوف ويقول: استووا. فإذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، فلما كانت صلاة الفجر كبر فإذا برجل يطعنه بسكين ذات طرفين مسمومين، ويحاول الهروب فنادى سيدنا عمر: قتلي الكلب. وراح لا يمر بأحد وهو هارب إلا وطعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه ثوباً حتى لا يرى طريقه وأمسكوا به فإذا به ينحر نفسه بالسكين التي في يده.

وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدّمه للصلاة، فصلّى بالناس صلاة خفيفة قرأ فيهما بأقصر سورتين في القرآن: ﴿ والعصر ... وإنا أعطيناك الكوثر ﴾ وأغمي على سيدنا عمر ﷺ .

وحمل إلى بيته، فلما استيقظ سأل سؤالاً : من قتلي؟! قالوا: غلام المغيرة عبد مجوسي ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام.

أيها الأحبة :

بقي سيدنا عمر خمسة أيام والدماء تنزف من جرحه، والناس يعودونه، فكان إذا أكل أو شرب خرج من جرحه، فعرفوا أنه ميت رضي الله عنه، وجاءه رجل شاب يعودده فقال له:

. أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ وقَدِمَ في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. فقال سيدنا عمر: وددت أنّ ذلك كان كفافاً لا لي ولا علي.

ويأتيه ابن عوف فيقول له سيدنا عمر:

"يا عبد الرحمن لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتدّت حتى خشيت الله في الشدة، وايم الله لأننا أشد منهم فرقاً وخوفاً فأين المخرج وأين المفر". ويكي سيدنا عمر فينظر إليه عبد الرحمن بن عوف وهو يتأمل هذا الرجل فيقول: مَنْ لَهُمْ مِنْْ بَعْدِكَ يا عمر .. ؟

وراح يستشير الصحابة فيمن يلي الخلافة بعده، في اختيار الرجل الذي يسلمه الأمانة وزمام الحكم، فيقترب منه المغيرة بن شعبة قائلاً: أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين، إنه ابنك عبد الله بن عمر.

هناك انتفض عمر وهو على فراش الموت وقال: لا حاجة لنا في أموركم، إني ما حمدتها - الخلافة - فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كانت خيراً فقد أصبنا منه، وإن كانت شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد هو عمر.

فيقول قائل: لكن يا أمير المؤمنين إن ولدك عبد الله هو التقي العادل، فهل ذنبه وذنب الناس الذي ستسعدهم ولايته أنه ابن أمير المؤمنين.

عبد الله هو أكبر أولاد سيدنا عمر الذي بلغ عددهم ثلاثة عشر ولداً منهم تسعة ذكور، وهؤلاء كلهم أعقبهم من تسع نسوة رضي الله عنه. ومن أولاده عبيد الله مدفون في حمص في جامع سيدنا خالد بن الوليد، والله أعلم.

لكن سيدنا عمر يقرر أن عبد الله ليس هو التقي العادل وحده، ولكن له نظراء في العدل والتقوى فإذا استعمل أحد أهله فسوف يأتي بعده من الحكام من يسرفون في تولية أهليهم وسوف تكون خلافة موروثه ويقولون: لقد فعل هذا عمر.

من أجل ذلك اسمعوا ماذا كان جواب سيدنا عمر رضي الله عنه. قال:
"من استعمل رجلاً لمودّة أو قرابة، لا يحمله على استعماله إلا ذلك، فقد خان الله
ورسوله "

وهنا قرر سيدنا عمر قراراً ، أتعرفون ما هو ؟

ترك الخلافة بعده شورى بين ستة مات عنهم رسول الله وهو عنهم راض، أولهم:
سيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا أبو عبيدة بن الجراح،
وسيدنا سعد بن أبي وقاص، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا سعيد بن زيد.

وأوصاهم جميعاً ألا يفضلوا أقاربهم على الناس.

معشر السادة الكرام :

بقي سيدنا عمر خليفة عشر سنوات ونصف وأربعة أيام، وحين شعر بدنو أجله
قال لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام،
ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، قل: يستأذن عمر بن الخطاب
أن يدفن مع صاحبيه.

فمضى وسلم فاستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال:

يقرأ عليك عمر السلام ويقول لك: يستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت: كنت
أريده لنفسه ولأثرته اليوم على نفسي.

فأقبل عبد الله يبشر سيدنا عمر بالقبول، فقال سيدنا عمر: إذا أنا قبضت
فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردّني
فردوني إلى مقابر المسلمين.

يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص: طعن عمر يوم الأربعاء سنة ثلاث وعشرين في
ذي الحجة. فلما كان يوم الأحد هلال المحرم سنة ٢٤ هـ وبلغ عُمرُ سيدنا عمر

ثلاثاً وستين، راح سيدنا عمر الفاروق يستقبل الموت، وساعة كان يستقبله قال لابنه عبد الله:

. يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة وضعه فوق التراب لعل الله ينظر إلي فيرحمني.

يقول سيدنا عثمان وسمعتة يقول حين انتقل إلى جوار ربه :

"ويلي وويل أُمي إن لم تغفر لي يا رب ."

يا أمة الحبيب الأعظم :

لو تعرفون كم ترك الفاروق من أموال وضياع وعقارات وأرصدة في بنوك العالم لتعجبتم أشدَّ العجب، سيدنا عمر الذي ضم بذراعيه وتحت لواء الإسلام أكبر دول العالم وجاءته الدنيا صاغرة بين يديه، ترك ديوناً عليه حسبت فوجدت ستة وثمانين ألفاً أو نحوها . وقَّاه قومه وعشيرته رضي الله عنهم أجمعين.

أيها الإخوة: وكما أننا نشواق لسيدنا عمر في عصرنا هذا كثيراً، اشتاق إليه سيدنا العباس رضي الله عنه، فقد كان صديقه الحميم، فجعل سيدنا العباس يدعو الله تعالى أن يريه سيدنا عمر في المنام قال الراوي: فرآه بعد سنة كاملة، وهو يمسح العرق عن وجهه. فقال له: ما فعلت يا عمر ؟ .

فقال: كم لي وأنا ميت. قال العباس: سنة كاملة، فقال سيدنا عمر:

- الآن حتى فرغت من الحساب وإن كاد عرشي ليهذ لولا أنني لقيت الله رؤوفاً رحيماً.

هذا هو أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ وأحد وزيريهِ، من سبَّه أو سبَّ أبا بكر فالعنوه لأن سيدنا أنساً بن مالك يقول: "قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نُسب. فقال رسول الله ﷺ : « من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وفي رواية الترمذي: "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه".

وكل من سبَّ الشيخين الصديق والفروق رضي الله عنهما تكرر الصلاة خلفه عند الحنفية والشافعية، ولا تصح عند السادة المالكية والحنابلة، أي يجب عليه أن يعيد الصلاة ثانية.

معشر الإخوة :

وهكذا يُسدّل الستار على سيرة الخليفة الراشدي سيدنا عمر بن الخطاب، لكن حياته ما تزال حية بينما نفتدي بها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، ورحم الله ابن مسعود ورضي الله عنه حينما قال وكان محققاً فيما قال: "ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر".

كان إسلام سيدنا عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة.

أيها السادة :

أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ، وتحتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك



الحلقة (٧٨)

الخلافة

الثالث

ذو النورين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

الحمد لله الذي جعل النظر في أخبار من غبر من أعظم العبر، حمداً يوافي نعمه، ويدفع نقمه، ويكافئ مزيده من شكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي من نار جهنم قائلها من أهل البدو والحضر.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله صفوة الصفوة من البشر.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله قرناء القرآن كما صح بذلك الخبر، وعلى أصحابه الذين أرغم الله بفضائلهم وخلفائهم أنف من جحد وكفر، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فحديثنا اليوم عن رجل آخر من أصحاب سيدنا محمد ﷺ ، رجل حمل المسؤولية في عزم مجيد ومدد رشيد، وحين لم يجد ما يحمي به مسؤولياته سوى حياته جاد بها في سماح منقطع النظير.

كان هذا الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل .

إننا اليوم في صدد الحديث عن رجل من الرعيل الأول، رجل أذن الله تعالى أن يكون من أشرف الأمة وسادتها، رجل اختاره الله واصطفاه من بين سادات الصحابة ليكون خليفة سيد الخلق وحبیب الحق سيدنا محمد ﷺ .

اختاره مولانا ﷺ ليؤكد للأمة أن البقاء في هذا الوجود للحق والخير والفضيلة.

إنه سيدنا عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه من بني عبد شمس أيضاً ، كانت ممن أسلم والحمد لله تعالى، وكنيته أبو عبد الله، ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، ونما وشب ونشأ في ظل الحرم المكي.

وكان حسن الوجه بهي الطلعة يقول سيدنا الحسن: نظرت إلى عثمان فإذا به رجل حسن الوجه ، وإذا بوجنته نكأتُ الجذري، وإذا شعره قد كسا ذراعه.

وعمل سيدنا عثمان في التجارة، وكان من زعماء قريش ورجالاتها، طاهر القلب نقي السريرة، وكان دائم التحدث بنعمة الله تعالى عليه، يقول: "ما زينت ولا سرت في جاهلية ولا في إسلام". وكانت طهارته الظاهرة والباطنة هذه هي التي أهلت له ليكون له شرف دخول الإسلام وهداية الله تعالى له.

جاء إليه الصديق يوماً ينبئه نبأ الدعوة الجديدة التي يبلغها سيدنا محمد بن عبد الله، وما أن انتهى الصديق من كلامه حتى رجع سيدنا عثمان إلى وراء في ذاكرته إلى مكان نام فيه أثناء تجارته وقدمه من الشام، حين جلس يقيل في مكان ظليل، وغلبه النوم هو ورفاقه فإذا به يسمع في حلمه منادياً ينادي النائمين أن:

"هبوا إيقاظاً فإنَّ أحمد قد خرج بمكة".

هنا جاء الصديق يوقظ ذكرى لذينة عند عثمان، لذلك ما إن دعاه الصديق إلى حتى أعلن إسلامه، وكان أحد الخمسة أو السبعة الأوائل الذين سبقوا إلى الإسلام،

ودخل ميدان الدعوة إلى الله تعالى مباشرة بعد أن أعلن إسلامه ثانية أمام الحبيب الأعظم ﷺ .

إخوة الإيمان : ما أن بلغ قريش نبأ إسلام سيدنا عثمان حتى بدأت المخاطر تجتاح حياته كما حدث لغيره من الصحابة، وكانت أول المخاطر التي نالها تعذيب الحكم بن أبي العاص له وهو عمه، فقد كان يوثقه بالحبال والسلاسل ويصرخ في وجهه: أترغب عن ملة آبائك إلى دين مُحدث ، والله لا أحلّ وثاقك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

ويجيبه سيدنا عثمان الذي ثبت الله إيمانه وربط على قلبه الطاهر قائلاً :

- والله لا أدع دين الله أبداً ولا أفارقه.

لكن عمه الحكم يوالي تعذيب سيدنا عثمان، فأمره سيدنا النبي بالهجرة مع زوجته رقية إلى الحبشة.

وكان أول وسام علّقه رسول الله على صدر سيدنا عثمان أن زوجه ابنته السيدة رقية بنت سيدنا محمد ﷺ ، وكان الوسام الثاني وسام الهجرة، أنقذه به من الاضطهاد وألوان العذاب الذي صبّه قريش على الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم، وقد كُتِبَ على هذا الوسام كلمات قالهن سيد الأنبياء والمرسلين فقد قال عن سيدنا عثمان:

- إنه أول المهاجرين إلى الله بعد نبي الله لوط عليه السلام.

وفي الحبشة شعر سيدنا عثمان مع الصحابة بالأمان في ظل ملك الحبشة الذي دخل في الإسلام هو الآخر.

فتناهى إلى سمع الصحابة في الحبشة أن الله أعز دينه، فترك بعضهم الحبشة ومنهم عثمان وعادوا إلى مكة، لكنهم هاجروا ثانية إلى الحبشة من جديد حتى يجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً.

وكان الفرّج الذي هيّأه الله للمهاجرين الهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجر الصحابة رضى الله عنهم زرافاتٍ ووحدانا، وهاجر سيدنا عثمان إلى المدينة المنورة، فنال الوسام الثالث، وسام المهجرتين وهو وسام الاستحقاق الإسلامي الثالث الذي ناله هذا الصحابي الجليل.

وما أن هاجر إلى المدينة المنورة حتى وجد أن بعض المهاجرين يعانون من مشكلة قلة الماء، بل إن يهودياً كان عنده عين ماء عذبة طيبة المذاق تدعى "بئر رومه" فكان اليهودي يبيع الماء بيعاً إلى الناس.

وفي مجلس ضم خيرة الصحابة مع سيدنا رسول الله ﷺ سمع سيدنا عثمان أن النبي يتمنى أن تكون هذه البئر للمسلمين عامة، وتمنى أن لو يجد بين الصحابة من يشتريها.

فسارع سيدنا عثمان إلى هذا اليهودي فعرض عليه أن يشتري بئره، فأبى اليهودي بيعها، فساومه على نصفها، فاشتراه منه باثني عشر ألف درهم، على أن تكون لعثمان

يوماً ولليهودي يوماً.

فصار المسلمون يستقون في يوم عثمان ما يكفيهم يومين. فإذا باليهودي اللعين يأتي إليه ويبيعه النصف الثاني لما وجد أنه قد خسر سوقه الرائجة.

وما أن فرض الجهاد في سبيل الله تعالى حتى سارع سيدنا عثمان للمشاركة في جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا غزوة بدر فقد أمره رسول الله أن يبقى مع زوجته

السيدة رقية التي مرضت مرضاً شديداً وتوفيت أثناء غزوة بدر، ودفنها سيدنا عثمان في البقيع.

وقدم سيدنا رسول الله من بدر، وعلم بوفاة ابنته الحبيبة فطيب خاطر سيدنا عثمان وزوجه ابنته الثانية أم كلثوم، فلقب بذي النورين، فكان هذا هو وسام الاستحقاق الإسلامي الرابع الذي طوّقه به سيدنا رسول الله ﷺ .

إخوتي في الله :

كانت أول غزوة شارك فيها هي غزوة أحد، قاتل فيها قتال الأبطال ضد جيش الشرك والكفر، لكنه ما إن دارت الدائرة وتبعثرت صفوف المسلمين ونودي في الجيش أن محمداً قد قتل، حتى أصابت الصحابة غاشية من الدهول والفجعة، فإذا بهم يسرعون نحو الجبل تاركين أرض المعركة، وكان من هؤلاء سيدنا عثمان، وهؤلاء الصحابة علم الله عذرهم وقبل اعتذارهم ونزل القرآن بشأنهم قائلاً: ولقد عفا الله عنهم.

فكان سيدنا عثمان بعد ذلك لا يترك عملاً يرضي الله ورسوله إلا قام به، شكراً لله تعالى أن غفر له وعفا عنه لتركه أرض المعركة يوم أحد، وكان لا يدع رغبة من رغبات الحبيب الأعظم إلا ويسارع في تنفيذها رجاء مرضاة الله ورسوله الكريم.

وكان ينفذ هذه الرغبات في حبور وغبطة ورضا، فمرة تمّنى سيدنا النبي أن يجد من بين أصحابه من يشتري الأرض المجاورة للمسجد كي يضمها إلى المسجد ويزداد رحابة واتساعاً، فإذا به يسرع ويشتري الأرض من أصحابها بخمسة وعشرين ألفاً.

وبعد عام فتح مكة، رأى السيد الأعظم أن يوسّع المسجد الحرام، فقال ﷺ :
(من يوسع لنا هذا البيت في المسجد بيت له في الجنة) ، فعرض سيدنا عثمان على أصحاب بيت ملاصق للمسجد أن يتبرعوا لغرض توسعته فاعتذروا بأنهم لا

يملكون غيره، وليس لهم مال يشترون به غيره، فإذا بسيدنا عثمان يسارع إلى دار عريضة فيشتريها ويعطيها لهم مقايضة بدارهم الأولى فيوسع بها المسجد الحرام. كانت هذه الإنفاقات العظيمة تُؤهلُه لنيل وسام الاستحقاق الخامس وهو وسام الكريم.

وفي عام الحديبية عام الصلح مع قريش لدخول مكة المكرمة، منعت قريش النبي أن يدخل مكة المكرمة لأداء العمرة، فأرسل النبي الكريم سيدنا عثمان رسولاً عنه لشرح سبب مجيئه إلى مكة، لكن قريشاً بقيت على عنادها ورفضها أن يدخل رسول الله عليهم مكة هذا العام.

ثم تقدّم أحد كبارات قريش وقال لعثمان: أما أنت يا عثمان فإن شئت أن تطوف بالبيت فلا نمنعك منه.

فقال سيدنا عثمان: ما كنت لأطوف بالبيت قبل رسول الله ﷺ.

وتأخر سيدنا عثمان في العودة إلى النبي الكريم في الحديبية، فتناهى إلى سمعه أن قريشاً قتلت عثمان، فإذا به يدعو الناس إلى بيعة الرضوان ليبيعوا على الموت أخذاً بثأر سيدنا عثمان.

وبائع الصحابة على الموت في سبيل الله جميعاً ثم ضرب رسول الله كفه اليمنى باليسرى وقال وهذه بيعة عن يد عثمان، فنال عثمان وسام الاستحقاق الاسلامي السادس وهو "وسام البيعة".

وبارك مولانا عز وجل هذه البيعة وأنزل في كتابه:

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾.

ولكن ما إن انتهت البيعة حتى رأى الصحابة سيدنا عثمان قادماً سالماً معافى.

معشر الإخوة الكرام

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة، إلى صاحب الجبين الأزهر والروض الأنور، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية ، إلى سيدي وجدي رسول الله ﷺ.

الزمان هو العام التاسع من الهجرة، والمكان هو مجلس ضم كبارات الصحابة، وأما الحدث فهو قلق هرقل عظيم الروم على بلاده خوفاً من هذا الدين الجديد، وقراره أن يغزو هذه الأمة في بلادها وديارها.

ووصلت أنباء الزحف المرتقب إلى القائد الأعلى للقوات الإسلامية سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وكان الصيف حاراً يصهر الجبال، والبلاد تعاني من جلد وعسرة، ويحتاج الجيش الإسلامي لعبور الصحراء إلى نفقة باهظة، لبعد المسافة حتى تبوك على حدود الأردن.

وراح السيد الأعظم يحض أصحابه على التبرع لتجهيز الجيش الإسلامي، والذي أطلق عليه جيش العسرة. وأسرع أهل اليسار والغنى والمقتدرون يحدوهم الإيمان ليقدموا للمسلمين الفقراء الذين قدموا للجهاد في سبيل الله، وبلغ الجيش المسلم ثلاثين ألفاً أو يزيد، ولكن ليس معهم أسلحة وعتاد، تكفي لقتال العدو.

فنظر الحبيب الأعظم إليهم ونادى في الناس : " من يجهز هؤلاء ويغفر الله تعالى له؟! ".

سرت هذه الكلمات بين الصحابة فنفذت إلى قلوبهم وراحت تضرب على أوتار الإيمان العظيم الذي كانوا يحملونه بين جوانحهم، فسارعوا رضي الله عنهم كل ينفق حسب سعته، وقدمت النساء حليها لله ورسوله وابتغاء مغفرة الله ورضوانه.

أما سيدنا عثمان فيإليكم هذا الوصف الذي وصفه به الصحابة كلّ حسب ما رأى:

يقول سيدنا حذيفة رضي الله عنه: جاء عثمان إلى رسول الله في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبّها بين يديه.

ويقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: شهدت رسول الله وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بسبعمئة أوقية من الذهب (ت) .

ويقول ابن شهاب الزهري أحد أتباع التابعين: قدّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمئة وأربعين بعيراً وستين فرساً أتمّ بها الألف.

فجعل سيدنا رسول الله وهو يرى ما فعل سيدنا عثمان يقول:

"غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة".
وجعل يقول:

ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم، اللهم ارض عن عثمان فيني عنه راض.

كان هذا هو- أيها الإخوة- وسام الاستحقاق الإسلامي السابع الذي ناله سيدنا عثمان وهو "وسام الرضا من الله ورسوله" وهو أعظم وسام ناله عثمان في حياته.

وفي العام التاسع من الهجرة توفيت الزوجة الثانية لسيدنا عثمان وهي السيدة أم كلثوم بنت سيدنا رسول الله ﷺ ولم تنجب له أولاداً، وطيب رسول الله خاطر عثمان فقال له:

- لو كان عندي عشر بنات لزوجتهنّ لك يا عثمان (واحدة بعد واحدة).

وهذا هو وسام محبة رسول الله لسيدنا عثمان رضي الله عنه.

إخوتي في الله:

كان في سيدنا عثمان صفة غلبت عليه في أكثر حياته التي عاشها منذ الولادة وحتى الشهادة. ألا وهي صفة الحياء ، فقد كان شديد الحياء من الله تعالى حتى وهو خالي لا أحد معه من الخلق، يقول سيدنا الحسن:

- إن عثمان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع الثوب عنه وهو يغتسل يمنعه من ذلك الحياء من الله تعالى.

ولأجل هذا زكاه رسول الله ﷺ وأعطاه وسام الحياء الإسلامي، فقال:

"أصدق أمتي حياءً عثمان".

معشر السادة: ما زلنا هناك حيث الحبيب الأعظم في المدينة المنورة- صلوا عليه- وأرى الحبيب الأعظم في حجرته الشريفة متكئاً وقد كشف عن بعض ساقيه فيستأذن عليه الصديق فيأذن له، ويستأذن عليه عمر فيأذن له، ثم يستأذن عليه سيدنا عثمان فإذا بالحبيب الأعظم يجلس وكان متكئاً ويرخي عليه ثيابه ثم يأذن لسيدنا عثمان بالدخول. ولما غادر الصحابة الثلاثة حجرة الحبيب الأعظم، رأينا السيدة عائشة رضي الله عنها تقول له:

- يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك، فلما استأذن عليك عثمان أرخيت عليك ثيابك؟!.

فقال سيدنا رسول الله: "يا عائشة ألا أستحيي من رجل والله إن الملائكة تستحيي منه" (م).

ولهذا كان سيدنا النبي كلما جاءت مناسبة يذكر حياء سيدنا عثمان فقد قال مرة: "أرحم أمتي بأمي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأشدّهم حياء عثمان ..".

سيدنا عثمان الصَّوَّام القوام العابد التقى نقل عنه الصحابة رضي الله عنهم أنه كان يصوم الدهر ويقوم الليل ويقرأ القرآن كله في ركعة واحدة يحبي بها الليل كله، يقول عنه ابن عمر: رضي الله عنهم:

- إن قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾ قال: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وكان أحد الحفظة لكتاب الله تعالى لا يتركه أبداً، ويكثر من تكراره كل ليلة، كان القرآن الكريم قبلته وقُدوته، ولطالما هزّت هذه الآية نفسه وهو يتلوها:

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾.

هذه الآية الكريمة كانت عنده تفضح زيف الدنيا وتكشفها للمفتونين بها، وهم يتلون كلام الله وهو يقول: "أصبح هشيماً تذروه الرياح".

فإذا بسيدنا عثمان يجود بماله هذا المال الذي إن لم ينفقه في سبيل الله سيتحول إلى هشيم تذروه الرياح، وأما إن أنفقه فسيتحول هذا المال إلى ثواب خالد إلى يوم القيامة. فألى على نفسه كل جمعة أن يعتق عبداً لوجه الله تعالى، يشتريه من سيده ويعتقه لوجه الله تعالى.

أيها الأحبة: ما زلنا هناك، حيث الحبيب الأعظم ﷺ جالس في بستان من بساتين المدينة المنورة، فإذا برجل يطرق الباب فيقول سيدنا النبي لأبي موسى الأشعري: افتح له الباب وبشّره بالجنة، فإذا به سيدنا أبو بكر الصديق، فاستقبله وأدخله وبشّره بالجنة. ثم طُرق الباب ثانية فقال سيدنا النبي ﷺ افتح له الباب، وبشّره بالجنة، فإذا هو سيدنا عمر فاستقبله وأدخله وبشّره بالجنة.

ثم طُرق الباب فقال سيدنا النبي وكان متكئاً فجلس وقال: افتح له الباب وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون له. فإذا هو سيدنا عثمان فبشره بالجنة وأخبره الخبر فقال سيدنا عثمان : - الله المستعان (خ).

وفي إحدى المرات أرسل سيدنا النبي الكريم إلى سيدنا عثمان فناجاه سيدنا النبي طويلاً ثم قال: "يا عثمان إنّ الله عز وجل مقمّصك قميصاً (مستخلفك خلافة) فإذا أَرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة، فلا تخلعه لهم ولا كرامة". (أحمد - حسن).

معشر المسلمين: فهل تغيرت أخلاق سيدنا عثمان عندما انتقل السيد الأعظم إلى جوار ربه؟!.

أبداً إن سيدنا عثمان بقي على أخلاقه العالية وقد سطر له التاريخ حدثاً هاماً يوم أن قلّت الأرزاق زمن الصديق، وراح التجار يبيعون الأطعمة بثمن باهظ، فإذا بسيدنا عثمان تأتيه قوافله ورواحله من اليمن والشام محملة بالخيرات، ويحوم حوله التجار يريدون شراءها فيدخل معهم في مساومات شيقة رواها لنا التاريخ. يقول سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: قحط الناس في زمان أبي بكر، فقال الخليفة لهم: إن شاء الله لا تمسون غداً حتى يأتيكم فرج الله، فلما كان صباح الغد قدمت قافلة لعثمان فغدا عليه التجار، فخرج إليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقه، وسألوه أن يبيعهم قافلته، فسألهم:

- كم ترجونني؟. قالوا: العشرة اثني عشر. قال: قد زادني.. قالوا: فالعشرة خمسة عشر. قال: قد زادني.. قالوا: من ذا الذي زادك ونحن تجار المدينة؟.

قال: الله تعالى زادني بكل درهم عشراً.. اللهم إني وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن ولا حساب.

وهكذا يا أهل الإيمان . نرى أن سيدنا عثمان قد امتلأ بالأوسمة الإسلامية، ووالله وسام واحد من هذه الأوسمة ليعدل عند الله تعالى جميع الأوسمة الزائفة في الدنيا التي نعيشها، لأمر واحد فقط هو أن الذي علقها على صدر سيدنا عثمان كان : سيدنا محمد ﷺ.

فمن عند الحبيب هناك أعود بكم إلى هنا، وما أدراكم ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ. يقول فيها الحبيب الأعظم :

"لكل نبي في الجنة رفيق ورفيقي في الجنة عثمان".

الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

رضي عنه

الحلقة (٧٩)

الخليفة الثالث

الخليفة الراشدي الثالث أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان

الحمد لله المنفرد في كبريائه وتعاليه، المستحق للتمجيد والتقديس والتسبيح والتزويه، الذي قطع بالموت عذر المعتذرين، وقمع به كبر المتكبرين، وحسم به أطماع الطامعين، وحكم به على الخلق أجمعين.

أحمده حمداً يكون لجلاله تمجيذاً، ولنواله معيداً وعن نكاله محيذاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لا يتخذ من دونه معبوداً.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بشيراً ونذيراً وشهيداً.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة توجب لهم من فوائده مزيداً، وتقلدهم فرائد مننه تقليداً، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد وقف الحبيب الأعظم قبل وفاته بأيام ينادي الناس قائلاً:

أيها الناس: إن أبا بكر لم يسؤني قط، فاعرفوا ذلك.

أيها الناس: إني راض عن عمر وعلي وعثمان وطلحة بن عبيد الله والزيير بن العوام وسعد بن وقاص.

معشر الإخوة الكرام:

هذه الوصية بالذات تذكرها سيدنا عمر وهو على فراش الشهادة، ولأجلها ترك الخلافة بين هؤلاء الستة، فجمعهم حوله وقال لهم قبل أن يستشهد:

إني نظرت فوجدتكم القادة، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد توفي رسول الله وهو عنكم راض، وإني لا أخاف الناس عليكم ما استقمتم، فإذا أنا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، ولايات اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم وليحضر معكم عبد الله بن عمر مشيراً ولا يكون له من الأمر شيء.

إخوة الإيمان:

وقضى الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه، وكان طلحة غائباً، وبادر ابن عوف فخلع نفسه ثم تنازل الزبير عن حقه لعلي وتنازل سعد بن أبي وقاص لعثمان، وانحصر الاختيار بين سيدنا عثمان وسيدنا علي، وفوض سيدنا عبد الرحمن بن عوف في اختيار أحدهما، وخلال هذه المهلة القصيرة - الثلاثة أيام - نهض ابن عوف يستشير الناس سراً وجهاً، وحتى سأل الركبان الوافدين على المدينة المنورة.

ثم أرسل سيدنا ابن عوف في طلب المرشحين، فقدموا عليه، فأخذ منهما موثقاً وعهداً لئن ولي واحداً منهما ليعدله، ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن.

وخرج بهما إلى المسجد وقد لبس سيدنا ابن عوف العمامة التي عممه بها رسول الله، وبعث إلى وجوه الناس فقدموا، فضاقت بهم المسجد، فوقف فيهم خطيباً وقال:

- أيها الناس إني سألتكم سراً وجهاً فلم أجداكم تعدلون بعلي وعثمان أحدا.

ثم التفت لسيدنا علي وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال سيدنا علي: على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي.

ثم قال لعثمان: قم إلي يا عثمان. فقام إليه فأخذه بيده وقال له:

- هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال عثمان: اللهم نعم.

فرفع سيدنا عبد الرحمن بن عوف رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال:

- اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتني من ذلك في رقبة عثمان.

وازدحم الناس يبائعون سيدنا عثمان رضي الله عنه، وكان من أوائل الأيدي التي بايعت سيدنا عثمان يد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إخوتي في الله: تلقى سيدنا عثمان البيعة وهو يرتجف، لأن الخلافة مسؤولية سوف يحاسب عليها أشد الحساب يوم القيامة.

لكنه رضي الله عنه حمل المسؤولية وحافظ على الدولة والأمة، ووضع نصب عينيه الشريعة التي سار عليها رسول الله وصحاباه.

وكان أول عمل قام به سيدنا عثمان محاسبة سيدنا عبيد الله بن سيدنا عمر الذي بعد أن قُتل أبوه سارع فقتل قاتليه الآخرين اللذين تأمرا مع العبد المجوسي في قتله، فإذا بسيدنا عثمان يدفع دية القتيلين وكان أحدهما نصراني والآخر مجوسي.

ثم كتب إلى الأقاليم وولاتهم وأمراء الحرب والأئمة على الصلوات والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ويحضهم على إتباع السنة.

ونظر سيدنا عثمان إلى بيت المال فوجده ممتلئاً فزاد في عطاء الناس - معاشاتهم - واتخذ في المسجد سمطاً يقدم عليه بصورة دائمة الطعام الطيب للمعتكفين والمتعبدين وأبناء السبيل.

ولكنه ما إن وصل الخبر إلى الأقطار المجاورة للدولة الإسلامية الكبرى حتى فوجئت بالانتفاضات المسلحة تنقض على الدولة من كل جهة:

فقد نقضت دولة الروم عهودها، وكذلك نقضت بعض مقاطعات الفرس.

ولكأنما كان مقتل سيدنا عمر إشارة البدء بين قوى التمرد فقامت قومة واحدة، وأغار الروم بأسطولهم على الإسكندرية وفلسطين وسرت النار وطوقت الدولة الإسلامية الممتدة.

أيها الأحبة:

صحيح أن الخليفة الراشدي الثالث سيدنا عثمان لم تكن له بطولات مسموعة مثل سيدنا خالد بن الوليد وسيدنا سعد بن أبي وقاص وسيدنا علي بن أبي طالب، وصحيح أنه قد بلغ السبعين ولكنه مع ذلك كله لم يفقد ذرة واحدة من إيمانه بالله ورسوله وهنا تكمن قوة المؤمن، إن القوة لا تقاس باقتدار الناس وبضخامة أجسامهم بل بما وقر في قلوبهم من الإيمان العظيم.

وأمام هذه الانتفاضة لم يتردد الخليفة الثالث لحظة واحدة، لم يسأل ماذا يصنع، لأن الذي رباه وعلمه هو سيدنا محمد ﷺ، لقد أصدر على الفور قراره الأول بإطفاء النار وقهر المعتدين.

واختار بنفسه قواد الجيوش بحنكة عظيمة حتى إنه لم يخسر معركة قط إلا واحدة حتى أرضخ جميع الذين ارتدوا على أعقابهم واسترد هيبة الدولة الإسلامية من جديد.

بل إنه أمر بمد الفتوحات الإسلامية إلى أبعد نقطة ممكنة لتمكين حدود الدولة الإسلامية.

وحين سمع سيدنا عثمان أن الروم تتحرش بالحدود الشامية بعث مجموعة من الجيش قوامها عشرة آلاف لتأديب الروم في تلك المنطقة، وأنا اليوم أوردت هذه القصة لأريكم الشباب الذين فتحوا الدنيا بالإيمان، لقد جعل سيدنا عثمان قائداً على الجيش رجلاً هو سيدنا حبيب بن مسلمة الفهري، لكن الروم والترك أقبلوا في جيش قوامه ثمانون ألفاً.

وهنا أقبلت زوجة القائد حبيب تسأل زوجها وكانت قد خرجت معه ورأت أعداد الروم الكثيرة فقالت لزوجها:

- أين ألقاك إذا حمي الوطيس وماجت الصفوف. فأجابها الزوج القائد:

- تجديني في خيمة قائد الروم، أو في الجنة.

بهذا الإيمان العظيم التقى الجيشان ودارت الدائرة على جيش الروم وتغلب الإيمان على الكفر، وسار ما تبقى من الجيش يفتح حصون الروم ويفرض هيبة الدولة الإسلامية في الشمال.

وفي عهد سيدنا عثمان ركب الصحابة البحر لأول مرة للقضاء على المركز البحري للروم (قبرص) وركبت مع هذا الجيش أم حرام مع زوجها عبادة بن الصامت، وفي هذا الجيش تحققت معجزة لسيدنا النبي ﷺ.

حينما نام ذات ليلة في الظهيرة عند سيدنا عبادة فنهض وهو يضحك فسألته أم حرام زوجها عم يضحك؟ فقال: ناس من أمتي غرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة. فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال لها: أنتِ منهم.

ثم نام ثانية ثم استيقظ وهو يضحك ويقول:

ناس آخرون من أمتي عرضوا على يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة، فقالت أم حرام. يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فأجابها: أنت من الأولين.

وها هي الرؤيا تتحقق وها هي في هذه الغزوة مع زوجها في انتصارهم الأول في البحر، لكن السيدة أم حرام تموت بعد انتصار المسلمين وتدفن هناك ويعرف قبرها الطاهر باسم قبر المرأة الصالحة.

وكان نصر المسلمين الساحق في البحر حينما تحركت جيوش الروم للرد على جيش المسلمين فخرج امبراطور الروم قسطنطين بجيشه الجرار على ظهور خمسمئة سفينة زاحفاً نحو بلاد المغرب ليلاقى بها القائد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان التحدي الأعظم، والتقى الجمعان في معركة قلّ نظيرها.

فقد أبى الروم الخروج إلى اليابسة من سفنهم، فإذا بالجيش المسلم يحذو الإيمان بالله يربط سفنه بسفن الروم، وراحوا يجتلدون بالسيوف والخنجر، وامتألت أرض المعركة بالقتلى من الجهتين ولكن النصر والغلبة دائماً للإيمان الصادق وقد كتب مولانا عز وجل ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

وهرب امبراطور الروم هو وبقية جنوده وهو يعاهد ربه ألا يحارب المسلمين أبداً.

معشر المؤمنين:

لم تهدأ عملية الفتح الإسلامي طوال خلافة سيدنا عثمان أو أغلبها، فسيدينا معاوية يوغل في بلاد الروم حتى يقرع أبواب القسطنطينية، وفي بلاد ماوراء فارس يزحف ابن عامر، وامتدت الفتوحات إلى السودان والحبشة والهند والصين، والخليفة الكهل الذي بلغ السابعة والسبعين رابض في المدينة يوجه الجيوش وينعم مع

المسلمين بالفتح المبين ، والغنائم تتدفق على العاصمة وكأن أبواب السماء فتحت بماء منهمر .

ولأول مرة منذ وفاة سيدنا رسول الله ﷺ يسمح الخليفة الراشدي للصحابة أن يغادروا المدينة المنورة بعد أن منعهم الفاروق من مغادرتها، فساح الصحابة في البلدان والتف حولهم التابعين يأخذون عنهم الدين والعلم.

وراح سيدنا عثمان يعتني في عاصمة الخلافة ويزيد في بنائها مبتدئاً بمسجد سيدنا رسول الله ﷺ فوسع فيه وبناه بالحجارة المنقوشة، واتخذ عمده من الحجارة المرصعة، لكن إنجازاً أعظم كان ينتظر سيدنا عثمان يسجله له التاريخ، إنه جمع القرآن على مصحف واحد حفظ فيه القرآن الكريم إلى يوم الدين.

أيها السادة:

كان الجمع الأول للمصحف زمن سيدنا الصديق رضي الله عنه، جمعه الصحابي الجليل سيدنا زيد بن ثابت بأمانة ودقة، رتبته على السور والآيات وجمعه ضمن الصحف وحفظ عند أبي بكر، ثم انتقل بعده إلى عمر فحفصة ابنته، فلما جاء عهد عثمان وكثر الشهداء الحفظة من الصحابة، وصار الناس يقرأ كل واحد منهم بقراءة الصحابي الذي نزل بين ظهرائهم، فقرأ أهل الشام على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وقرأ أهل العراق على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري. وتعصب كل من الطائفتين لقراءتهم، وكاد يقع الاختلاف بسببه. فأسرَّ حذيفة بن اليمان إلى الخليفة عثمان يقول له: « يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كما اختلف الذين من قبلهم في كتبهم » .

وأسرع سيدنا عثمان من فوره فأحضر المصحف من عند السيدة حفصة أم المؤمنين وكتب أو نسخ هذا المصحف بلسان قريش مع مراعاة القراءات السبعة المتواترة، فنسخ المصحف عدة نسخ وأرسل لكل إقليم من أقاليم الدولة مصحفاً، وأمر بكل صحيفة تخالف ذلك المصحف أن تحرق.

معشر المسلمين :

كلّ هذه الأمور العظيمة التي قام بها سيدنا عثمان، جعلت القوى المعادية تتحرك للقضاء على الدولة الإسلامية وابتدأ هذا أولاً بمقتل الفاروق عمر، وهي الرصاصة الأولى التي أطلقتها قوى الشر المتحالفة ضد الإسلام فلا يمكن أن نقول: إن جريمة اغتيال الخليفة عمر، كان جريمة فردية مهما تساهلنا في التعبير.

فاليهود طردوا من الجزيرة والإمبراطورية الرومانية فرط الإسلام قوتها وهيبته، وفارس خسرت كل شيء حتى قادتها العسكريين، كلّ هؤلاء قتلوا الفاروق عمر، لكنهم قتلوه من خارج البلاد. أما زمن سيدنا عثمان فقد كان تحرك اليهود من الداخل.

فقد قدم من اليمن رجل يهودي لعب دوراً خطيراً في تمزيق وحدة المسلمين تحت قناع الإسلام، لعب أخطر دور في بدء الفتنة المسلحة التي أودت بحياة الخليفة الشهيد.

هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ الذي نسج خيوط مؤامراته ضد الإسلام وبدأت السنوات الرهيبة. لكنني أجد من اللازم أن أذكر الأسباب التي أُخِذَتْ على الخليفة الراشدي الثالث والتي سببت بدء الفتنة، وهي أربعة أمور:

أولاً : الولاة: فقد أخذ على سيدنا عثمان أنه عزل نفرّاً من الصحابة ووضع مكانهم نفرّاً من أقربائه.

ثانياً: الأموال العامة: فقد قيل إن الأمويين استغلوا صلتهم وقرباتهم فاستحوذوا على ما ليس لهم بحق.

ثالثاً: موقف سيدنا عثمان من بعض فضلاء الصحابة واتخاذ بعض الإجراءات العنيفة معهم.

رابعاً: موقفه من بعض المسائل الدينية إذ كان له فيها اجتهاد خاص.

ومهما كان من أخذ وردّ في هذه الأمور الأربعة والتي كلها افتراءات على هذا الخليفة العظيم فإن المؤامرة قد حيكت أطرافها وتحولت إلى مخطط لتخريب الدولة.

لكن سيدنا عثمان بادر بإجراء سديد، فلقد اختار نفرأ من الصحابة الذين لا يختلف في نزاهتهم ولا يختلف في أمانتهم وورعهم اثنان. اختار سيدنا محمد بن مسلمة الذي كان أمير المؤمنين عمر يأتمنه على محاسبة ولاته والتفتيش على الأقاليم، واختار سيدنا عبد الله ابن عمر البقية الصالحة من آل الخطاب الإمام الفقيه الورع، والذي عرضت الإمارة نفسها عليه أكثر من مرة فرفضها، واختار عمار بن ياسر المجاهد العظيم بطل الأيام العصيبة في فجر الإسلام، واختار أسامة بن زيد الحبّ ابن الحبّ.

اختار هؤلاء على رأس جماعة من الصحابة والتابعين وعهد إليهم السفر إلى الأقاليم والتحقق من مسلك كل وال وأمير. فماذا كان الجواب؟!، وكيف كان الولاية والأمراء؟ لقد عادت اللجنة المشكلة إلى المدينة إلا عماراً بقي في مصر عادوا جميعاً ليقدموا تقريرهم إلى الخليفة فما كان هناك خطأ واحد يستوجب عزل أي والٍ أو أمير.

بل إن عثمان حيث تناهى إلى سمعه أن أمير الكوفة يشرب الخمر لم يمهله يوماً، بل استدعاه إلى المدينة وعزله وأقام الحد عليه علناً، وكتب إلى الأقليم: (بلغني أن أقواماً منكم يُشْتَمُونَ وآخرين يُضربون فمن كانت له مظلمة فليأتنا في الموسم وليأخذ بحقه مني أو من عمالي عليكم) ووقف على المنبر يوم الجمعة يعترف بالأخطاء التي وقعت ويرفع ضراعتة إلى الله مستغفراً وتائباً باكياً ومبكياً جميع الذين كانوا هناك يسمعون خطبته.

وتتوقف الهجمة الأولى التي حاولها ابن سبأ لعنه الله تعالى، وهدأت الأمور في المدينة، لكن الهجوم تحول من الإشاعات المغرضة إلى هجوم مسلح على عاصمة الخلافة، كان زحفاً رهيباً وزئيراً عالياً نذيراً لأعاصير زاحفة، وإليكم المأساة:

جعل ابن سبأ أعوانه يصدّقون خرافته فكان كما قيل عن فرعون (استخف قومه فأطاعوه) فقال لهم: إنه كان لله ألف نبي ووصي، وكان علي وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيه وتناول أمر الأمة؟!.

ثم قال بعد ذلك:

إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانفضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أميركم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر.

هذه الفتن والوشايات نبه عليها سيدنا رسول الله ﷺ كثيراً في أحاديثه وجعل صاحبها من أهل النار اسمع إلى حبيبك النبي وأنت تصلي عليه:

- من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة.

- من شهد شهادة يُستباح بها مال امرئ مسلم أو يسفك بها دمًا فقد أوجب النار.

- من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار.

- من رَوَّع مؤمناً لم يؤمّن الله روعته يوم القيامة، ومن سعى بمؤمن أقامه الله مقام ذل وخزي يوم القيامة.

وأما الذي يسد عورة أخيه المسلم فيقول عنها رسول الله ﷺ: (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مؤودة من قبرها).

لكن أهل الشر والفساد لا يهتمهم ذلك لأن الله طبعهم على الشر وجعلهم من أهل النار، لذلك رأينا أقواماً من أعوان ابن السوداء توجهوا من البصرة والكوفة ومصر في وقت واحد نحو المدينة المنورة عاصمة الخلافة، وادعوا أنهم ذاهبون إلى الحج. وفي هذا الوقت كان سيدنا عثمان قد استدعى أمراء الأمصار فوجههم ووعظهم، فلما أرادوا العودة إلى بلادهم طلب منه سيدنا معاوية أن يصحبه معه إلى الشام فرفض الخليفة قائلاً: لا أختار على جوار رسول الله جواراً سواه.

فعرض عليه سيدنا معاوية جيشاً يحميه من الأنصار والمهاجرين فرفض سيدنا عثمان ذلك.

وفي يوم استيقظت المدينة على منظر رهيب من آلاف الثوار المسلحين احتشدوا على مشارف المدينة وأرسلوا لسيدنا علي ليولوه الخلافة فصاح فيهم بطل السلام: ارجعوا إلى بلادكم لا صبحكم الله.

كان سيدنا علي يفاوض الثوار بأمر الخليفة الراشدي وليحامي هيبة الدولة وكرامتها بدون إراقة قطرة دم. واستطاع سيدنا علي في الجولة الأولى للسلام أن يُقنع الثائرين بالرحيل بوعده صادق لعزل الولاة الذين تلاحقهم شكوى الثائرين.

وما إن مضت أيام قليلة حتى روعت المدينة ذات صباح بعودة الثائرين وخرج إليهم رسول السلام سيدنا علي فنشروا أمامهم كتاباً وقالوا: اعتقلنا في الطريق رجالاً أرسله مروان بن الحكم بهذا الكتاب الذي عليه خاتم الخليفة وفيه أمر والي مصر بقتلنا وصلبنا. ولم يعرف الفاعل إلا بعد وقوع الواقعة واغتيال الخليفة الشهيد رضي الله عنه.

لقد كان ابن سبأ اليهودي هو الذي دبر أيضاً كتباً زورها على لسان أم المؤمنين السيدة عائشة وعلى لسان طلحة والزبير يدعون المسلمين فيها إلى الزحف على المدينة لقتال عثمان رضي الله عنه:

وطلب الثوار مروان بن الحكم، لكن الخليفة الرحيم لم يفعل لأنه عرف إن أسلمه إليهم قتلوه.

وأخرج الثوار المتآمرون على الدولة ورقتهم الأخيرة من جعبتهم فقالوا: اعزل نفسك إذًا.

وفي ثبات وشتم رفض سيدنا عثمان أن يخلع نفسه ويخلع قميص الخلافة الذي أمره رسول الله أن لا يخلعه إذا أراد المنافقون منه أن يخلعه.

وأرسل إلى عبد الله بن عمر يسأله فأثابه. فقال: إن هؤلاء يريدون خلعي، فإن أجبتهم تركوني، وإن أبيت قتلوني - فماذا ترى؟!

فقال ابن عمر: رأييت إن خلعت نفسك تبقى في الدنيا مخلدًا؟ قال الخليفة: لا.

فقال: رأييت إن لم تخلع نفسك هل يزيدون على قتلك شيئاً، هل يملكون الجنة والنار. فقال الخليفة: لا.

فقال ابن عمر: إذن فلا تسن هذه السُّنة في الإسلام ولا تخلع قميصاً ألبسكه الله تعالى.

وهنا اشتدَّ أوار الفتنة، فحاصر المتمردون دار الخليفة ومنعوا عنه الماء، وراحوا يتواقحون عليه بشتائم بذيئة على ملاء من الناس، وغرَّهم حلمه وأغرَّتهم مصابرتة، فإذا بأحدهم يتهجم عليه وهو فوق منبر رسول الله يوم الجمعة.

ونسى المتمردون الأوسمة التي وضعها رسول الله على صدر عثمان ورأوا فيه شيخاً جاوز الثمانين، نسوا أنه من المؤمنين الأوائل المبكرين، وأنه صهر رسول الله، وخليفته المبشر بالجنة، ومجهز جيش العسرة ، وباذل ماله في سبيل الله تعالى .

وقام حراس الإسلام على باب الخليفة يحرسونه، يحرسون سلطان الله في أرضه، منهم الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر، ورجاهم الخليفة ألا تراق قطرة دم من أجل الدفاع عنه. وراح الخليفة من سطح داره يعظ المهاجمين ويذكرهم أيامه الماضية مع رسول الله ويقول:

أيها الناس لا تقتلوني فو الله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدي أبداً. وراح ينبه الحراس ألا يريقوا قطرة دم واحدة من أجله.

ودخل عثمان بيته ينتظر غروب الشمس ليفطر على كسرة خبز لأن الناس منعوا عنه الماء، وراح يقرأ القرآن فأخذته غفوة رأى فيها الحبيب الأعظم فقال له:

- يا عثمان إن شئت دافعنا عنك بإذن الله، وإن شئت تفطر عندنا الليلة. فقال سيدنا عثمان :

- بل أفطر الليلة عندكم يا رسول الله .

عثمان:

- بل أفطر الليلة عندكم يا رسول الله.

واستيقظ عثمان من غفوته تلك ليجد أن المتآمرين قد تسوروا عليه داره وهجموا عليه يريدون الفتك به، فتقدمت زوجته نائلة بنت الفرافصة فتلقت ضربة سيف على رأسها ويدها عن زوجها عثمان.

وتقدم أحد المتآمرين وهو محمد بن أبي بكر ليمسك لحية الخليفة بيده ويهزها متوعداً، وفي هدوء الصديقين يقول له الخليفة: يا ابن أخي دع لحيتي فوالله لقد كان أبوك يكرمها، ولو رآك في مكانك هذا لاستحيا مما تصنع.

ودارت الأرض بمحمد بن أبي بكر، وارتدت يده في خضوع وندم، وخرج من الدار مسرعاً لكن سيفاً غادراً من يد غادرة امتدت لتضرب الخليفة الراشدي على يده ورأسه، فتفجر الدماء الطاهرة على كتاب الله وأفطر سيدنا عثمان على مائدة في الجنة في مقعد صدق عن مليكٍ مقتدر.

أيها السادة: كانت سنة ٣٥ هـ قد أطلت برأسها على الدولة الشاميّة وبدأت قطرات الدماء تسيل على جدران بيت الخلافة منذ مقتل الفاروق عمر.

علينا أن نعي الدرس الأخير: إن سيدنا عثمان رضى الله عنه ضحى بحياته لأجل ألا تراق قطرة دم واحدة على أرض المدينة) فهنيئاً لسيدنا عثمان هناك في أعلى عليين، وترضوا عنه أنتم هنا نجتمع به هناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم ، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك

الحلقة (٨٠)

الخليفة الرابع

فتى قریش سیدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الحمد لله الذي يجب أن تشكر نعمته، ويتعين أن تحذر نقمته، ويتحتم أن يخاف عذابه وسطوته، من قابل إحسانه بالإساءة نادت عليه شقوته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكيف يشاركه شيء وكلّ الأشياء خليقته.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ختمت النبوة والرسالة بنبوته ورسالته . بشّر بطاعته المتقين ، وأنذر بمعصيته المجرمين حتى قامت على الخلائق حجته، فلم يزل ﷺ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرض على ذلك لتمثيل أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه بدور الدجى وأدم ذلك بمدد لا تنقضي مدّته. وسلم تسليماً.

أما بعد:

فحديثنا اليوم عن العظمة والمجد، عن حياة رجل التقى فيها النصر والهزيمة، والبأساء والضراء، عن رجل تتفجر حياته عظمة وجلالا وإعجازا، ولكنها أيضا تموج بالأسى والهول موجاً، إننا في رحاب الخليفة الراشدي الرابع سيدي وجدي:

أبو الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب (شعبة الحمد) بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي رضي الله عنه.

وأمة السيدة فاطمة بنت أسد المرأة الصالحة التي ربت في حجرها سيدنا محمداً ﷺ، والتي كان يقول عنها الحبيب الأعظم: أُمِّي بعد أُمِّي، وقد أسلمت رضي الله عنها وحسن إسلامها، ولما ماتت نزل الحبيب الأعظم في قبرها وقال: إن الله تعالى وقاها فتنة القبر وعذابه .

وأما سيدنا علي فهو فتى بني هاشم وبطلها المقدام، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وربي في حجر سيدنا رسول الله ﷺ لأن أبا طالب كان فقيراً فضمه ﷺ إلى بيته، وحين بعث سيدنا رسول الله ﷺ دخل عليه فرآه هو والسيدة خديجة وزيد بن حارثة يصلون، فلما انتهوا قال سيدنا علي: لمن تسجدان؟ فقال ﷺ: لله الذي بعثني رسولاً، وأمرني أن أدعو الناس إلى الإسلام، وأنا أدعوك يا علي. فلبث علي ملياً وقال: هذا أمر لم أعهده أبداً، فدعني لأستشير أبا طالب.

فلما كان الغد دخل سيدنا علي وأعلن إسلامه أمام سيدنا رسول الله ﷺ . فسأله سيدنا النبي: هل استشرت أبا طالب؟ فقال سيدنا علي: لا. فقال سيدنا النبي: ولم. فقال: لأن الله عندما خلقني لم يستشر أبا طالب.

وكان أبو طالب سيد قريش، وصاحب الحل والعقد فيها، وقد استخدم هذه الزعامة في نصره نبينا ﷺ وحمايته من ضلالات قريش، وقد ربي الحبيب الأعظم وتولى رعايته بعد جدي عبد المطلب.

إخوة الإيمان:

في الأيام الأولى لإسلام جدي علي رضي الله عنه رآه أبو طالب يصلي خفية وراء سيدنا رسول الله ﷺ وكانت هذه المرة الأولى التي يراه فيها أنه اتبع سيدنا محمداً، فلما أتم صلاته قال لأبيه:

يأبَت قد آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به محمد واتبعته.

فأجابه عبد مناف: أما أنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه.

إن عبد مناف كان مقتنعاً تماماً أن ابن أخيه على حق، ولأجل ذلك عندما جاءته قريش ليمنع ابن أخيه من الدعوة إلى الله وعرضوا عليه الدنيا والجاه والرئاسة والملك ليترك ذلك قال له سيدنا محمد ﷺ : والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه، (صلوا عليه). هنا اسمعوا ماذا كان جواب عبد مناف لابن أخيه قال له:

يا بن أخي امض لما أمرت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً مادمت حياً ثم قال:

ولقد علمت بأنّ دين محمد

من خير أديان البرية دينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسد في التراب دفينا

وكان أبو طالب يدعو بني هاشم للدخول في الإسلام، فقد رأى ولده علياً يصلي إلى يمين سيدنا النبي، فاقترب من ولده سيدنا جعفر وقال: صلّ جناح ابن عمك محمد وصلّ عن يساره.

إن أبا طالب كان نادرة زمانه في الدفاع عن ابن أخيه، رغم أنه بقي على كفره، وقاوم قريشاً حتى حبسته وبني هاشم في شعبه وأرضه وامتدت المقاطعة ثلاث سنوات، ولم يتوانوا جميعهم في مساعدة سيدنا رسول الله ﷺ حتى انقضت المقاطعة حين أكلت الأرضة ورقة المقاطعة التي كانت معلقة على جدار الكعبة.

وكان عبد مناف ينافح ويدافع عن سيدنا رسول الله ﷺ بشعره ونثره ومما قاله:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب

لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

حليم رشيد عادل غير خائن

يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمّال اليتامى عصمة للأرامل

"صلوا عليه"

معشر الإخوة الكرام :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مكة المكرمة:

الزمان: بعد بعثة سيد الأنس والملك والجنان، سيدنا رسول الله ﷺ والليل حالك

داسر .

والمكان: عند الكعبة المشرفة، وأرى الحبيب الأعظم مع سيدنا علي، وليس معهما من الخلق أحد، وعلى ظهر الكعبة صنم لقريش، فقال الحبيب الأعظم لسيدنا علي: اجلس حتى أصعد على منكبك. فجلس سيدنا علي وصعد سيدنا رسول الله ﷺ على منكبه، فذهب لينهض فرأى فيه ضعفاً، فنزل وقال سيدنا النبي لعلي: - اصعد على منكبي.

يقول جدي سيدنا علي فصعدت على منكبي رسول الله ﷺ فنهض بي، وإنه ليخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال أصفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله ومن بين يديه وخلفه حتى استمكنت منه. فقال سيدنا النبي: اقذف به. فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس (أحمد صحيح- ه).

وجاءت عبد مناف سكرة الموت بالحق، ودنت ساعة وفاته، وجاءته رجالات قريش تودعه، وحضر سيدنا النبي ﷺ وسيدنا علي رضي الله عنه، وراح ﷺ يطلب منه أن يدخل في الإسلام وكفار قريش يمنعون، فقال سيدنا النبي ﷺ : قلها بأذني أدافع عنك بها عند الله تعالى يوم القيامة. ولكن أبا طالب لم يسلم، فتركه رسول الله ﷺ وخرج وبقي سيدنا علي وبنو هاشم ورجالات قريش، فالتفت أبو طالب إليهم (اسمعوا: أبا طالب يتكلم) قال:

يامعشر قريش:

أوصيكم بتعظيم هذا البيت (الكعبة)، فإن فيه مرضاة الرب وقوام العيش، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، اتركوا البغي فقد أهلك القرون من قبلكم.

يامعشر قريش:

أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة وشرف الممات. وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة.

ألا وإني أوصيكم بمحمد خيراً. فإنه الأمين في قريش، والصادق في العرب، وهو الجامع لما أوصيكم به، ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وإيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت.

لكأني به وقد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها.. والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يهتدي بهديه إلا سعد، ولو كان في العمر بقية لكففت عن الهزاهز ولدفعت عن الدواهي.

ثم التفت إلى أهله من بني هاشم فقال:

"وأنتم يا بني هاشم أجيبوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا".

أيها الأحبة:

قضى أبو طالب، وشيعت قريش جنازة سيدها إلى مثواه الأخير في مقبرة مكة المكرمة، وفي الطريق إلى المقبرة سأل الصحابة سيدنا النبي عن أبي طالب :

. يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك.

قال: نعم، هو في ضحضاح من نار (نار تصل إلى كعبيه) ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.

إخوتي في الله :

كان جدي سيدنا علي يحمل سجايا ومكارم أبي طالب وجدي عبد المطلب، كان خلاصة بني هاشم السادة والقادة الأشراف، فإذا أضفنا إلى سجايه ما تمتع به بنو هاشم من أنهم أجود الناس كفاً وأحفظهم للجوار وحماة الحرم المكي، فقد جمع المكرمات كلها وأضيفوا إليها قوة الإيمان بالله تعالى والاعتماد عليه.

أي أننا اليوم مع فتى محظوظ بدأ حياته تحت أنظار سيدنا رسول الله ﷺ ولم يسجد لصنم قط، ولهذا يقال عنه علي "كرم الله وجهه". كما أنه أول المؤمنين من الفتیان، كما أن سيدنا أبا بكر أول المؤمنين من الرجال، وأن السيدة خديجة أول المؤمنات من النساء، وأن زيد بن حارثة أول المؤمنين من العبيد.

وعند الهجرة يظهر جدي سيدنا علي رضي الله عنه بطلاً أعظم من أبطال الدنيا الذين يضحون بحياتهم، فقد كانت الخطة أن يخلف سيدنا علي في فراش سيدنا رسول الله ليخدع أنظار مشركي مكة، وفوارس قريش وراء الباب شاهرين سيوفهم ينتظرون خروجه عند الفجر .

قال سيدنا النبي ﷺ وهو يودعه: غط نفسك بالبرد الأخضر، ولن يخلص إليك شيء تكرهه منهم إن شاء الله.

ثم أمره أن يقوم برد الأمانات التي كانت عند سيدنا النبي لقريش.

وخرج الحبيب الأعظم مع الصديق مهاجراً، وأوحى الله تعالى إلى سيدنا جبريل وميكائيل عليهما السلام:

أني آخيت بينكما وجعلت عُمرَ أحدكما أطول من عُمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه في الحياة، فاختار كليهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي محمد، فبات في فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فنزلا فكان جبريل عند رأس علي وميكائيل عند رجله، وجبريل ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله عز وجل به الملائكة، فأنزل الله عز وجل على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي:

﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد﴾ .

ومكث جدي الفدائي في فراش سيد الخلق وحبيب الحق، وتغطى ببرده الأخضر الحضرمي، ونفسه تقول: الآن سيدخل الفوارس وينقضون بضربة واحدة هي أشد من القتل. وفي إيمان مطلق، ورباطة جأش جلّت عن النطير رضى الفارس الهاشمي، ودخلت الفوارس عند الفجر ورفعت البرد الأخضر لتجد علياً يتسم في وجهه مشرقي قريش ابتسامة المنتصر، ويسرع في اليوم نفسه يردّ الأمانات إلى أهلها.

وما أن هاجر إلى المدينة المنورة حتى كافأه سيدنا النبي مكافأتين عظيمتين:

الأولى : حين آخى سيدنا رسول الله بين المهاجرين والأنصار، فإنه رفع يد سيدنا علي قائلاً: وهذا أخي في الله،

والمكافأة الثانية : هي تزويجه من أحبّ بناته إليه السيدة فاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ، فقد خطبها سيدنا علي رضي الله عنه بعد مقدم رسول الله المدينة بخمسة أشهر وكان عمرها ثمانية عشر عاماً، ثم زفّ إليها بعد رجوع المسلمين من بدر.

وكان سيدنا علي ليس له مال موروث أو مكتسب، ولم يعمل برعي أو تجارة، وإنما كان عمله الجهاد في سبيل الله تعالى، فكانت حياته مع السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين حياة شظف وقلة ذات يد، وربما كانا يذهبان إلى سيدنا رسول الله ﷺ فيطلبان منه مما أفاء الله تعالى عليه من السبي والغنائم، فكان عليه الصلاة والسلام يجييهما:

. لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة.

وصبرت جدتي السيدة فاطمة رضي الله عنها على المعيشة التي قدرها الله تعالى لهما.

وقد جهد سيدنا علي في البحث عن عمل ما استطاع حتى وجد امرأة تحتاج ماءً فشارطها على كل دلوٍ من ماء يحضره لها ثمرة، فجاء لها بستة عشر دلواً حتى مجلت يده (أصببت) فقدمت له المرأة ست عشرة ثمرة، فأتى بها سيدنا النبي ﷺ فأخبره فأكل معه.

معشر المؤمنين : كان ثمرة هذا الزواج أولاداً ملؤوا الأرض علماً ومجداً وفخراً، إنهم كانوا ثلاثة ذكور وبتتان: السيدة زينب التي توفيت صغيرة، والسيدة أم كلثوم كوكب الإسلام التي تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب. والثالث والرابع جدي سيدنا الحسن، وجدي من جهة جدتي سيدنا الحسين، والخامس سيدنا محسن الذي توفي صغيراً.

أيها السادة الكرام :

شهد سيدنا علي الغزوات والمشاهد مع سيدنا رسول الله ﷺ ، وكانت له بطولة بمرت الألباب فشهد بداراً مع عمه سيدنا حمزة بسيفه البتار ذي الفقار. وفي أخذ كادت الهزيمة أن تحل بالمسلمين ويسقط اللواء من يد سيدنا مصعب بن عمير ، ويستشهد بعد أن أبدى بطولة خارقة قطعت فيها يداه، بعدها ناول رسول الله ﷺ اللواء لسيدنا علي فحمل الراية بيد والسيف بيد يدافع به عن الإسلام، وتسقط القتلى

على الأرض تحت سيفه البتار، حتى قال سيدنا النبي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

ويزأر في أرض المعركة: هل من مبارز، وتتكسر السيوف على السيوف، ويضرب واحداً بالسيف ثم يرفع سيفه ليجهز عليه فتتكشف عورة الكافر فيغض سيدنا علي بصره ويتركه، فيسأله المسلمون:

لماذا لم تجهز عليه؟. فيجيبهم: لقد استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم والقرابة.

يقول ابن المسيب: لقد أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا سيدنا جبريل عليه السلام.

ويقول جدي سيدنا علي رضي الله عنه: لما تخلى الناس عن رسول الله يوم أحد، نظرت في القتلى فلم أر رسول الله فقلت: والله ما كان ليقر، وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرجع نبيه، فما في خير إن لم أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم حتى رأيت رسول الله ﷺ.

وفي الخندق كان ميعاده مع نصر آخر، فقريش واليهود قد بلغوا أربعة وعشرين ألف مقاتل، وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم، وحاول نفر من صناديد قريش أن يجتازوا الخندق وعلى رأسهم عمرو بن ود، وراح ينادي: هل من مبارز. وفي لمح البصر نزل سيف الله ذو الفقار وانطلق فكان أمام خصمه وعدوه. فقال: يا عمرو بن ود إنك كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال: أجل. قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسول الله وإلى الإسلام. قال عمرو: لا حاجة لي إلى ذلك. قال سيدنا علي: إذن إني أدعوك إلى النزال. فقال عمرو: لم يا بن أخي، فواللات ما أحب أن أقتلك. قال جدي علي: ولكني والله أحب أن أقتلك.

والتقى سيف علي ذو الفقار مع سيف عمرو فجنده صريعاً على الأرض وصاح المسلمون بالتكبير.

وتتابعت الغزوات مع سيدنا رسول الله ﷺ حتى خبير في السنة السابعة للهجرة وكان عُمر سيدنا علي ثلاثون سنة، وأعجزت خبير القادة: الصديق والفاروق، وكانت الكتائب ترتد واحدة بعد واحدة عن حصن خبير، حتى قال رسول الله ﷺ :
لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه.

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: ما تمنيت الإمارة قط إلا ذلك اليوم رجاء أن أكون من يحبه الله ورسوله. وفي الصباح ووسط فرسان الصحابة ينادي رسول الله ﷺ : أين علي؟. ويعطيه الراية، ويقول سيدنا علي: أشكو رمداً في عيني يا رسول الله. فإذا بالحبيب المصطفى يبذل أنامله بريقه الطهور ويمسح بها عيني البطل، ويهز الراية في يده ويقول له: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك.

معشر المسلمين:

إننا هناك في أعظم موقعة للمسلمين مع اليهود، ها هو البطل المقدم يصل مع سرية المقاتلين أمام باب الحصن ونادى: أنا علي بن أبي طالب. وأثار بهذا الاسم قلوب أعدائه، ورأى نفسه أمام كتيبة مسلحة وأمام حرس الحصن، فقال: والذي نفسي بيده لأذوقن ما ذاق عمي حمزة في أحد أو ليفتحن الله لي.

يقول أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : لقد هممت أنا وسبعة معي أن نحرك باب الحصن من مكانه على الأرض فما استطعنا. فما الذي حدث؟

لا يدري الناس ماذا حدث، كل ما كان يذكره الصحابة أن علياً صاح: الله أكبر، وأمسك باب الحصن ورفع بين يديه وكأنه يحمل ترساً خفيفاً، وبكلمة الله أكبر سقط الحصن بكل ما فيه وفتح الله عليه وصدق الله العظيم: "ولذكر الله أكبر".

يا أحباب المصطفى:

بهذه البطولة الفذة كانت حياة سيدنا علي رضي الله عنه. ونراه حين يتركه رسول الله في تبوك يسرع إليه قائلاً:

- أتركني على النساء والصبيان؟!

فيعلق عليه رسول الله وسام الاستحقاق الإسلامي من الدرجة الممتازة ويقول:

- أما يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي.

فشبهه رسول الله ﷺ بسيدنا هارون لما تركه سيدنا موسى على أهله وعشيرته حين ذهب إلى طور سيناء وكلمه ربه.

وحين بعثه رسول الله إلى اليمن قاضياً قبيل حجة الوداع، قال لسيدنا رسول الله ﷺ :

- يا رسول الله تبعثني إلى اليمن ويسألوني عن القضاء ولا علم لي به!!؟!

قال عليه الصلاة والسلام: أذن. فدنا سيدنا علي فضرب رسول الله بيده على صدره وقال:

- اللهم ثبت لسانه واهد قلبه.

يقول سيدنا علي: فلا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماشككت في قضاء بين اثنين بعد.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" (حا ووافقه)

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: كنا نتحدث أن أقصى أهل المدينة علي بن أبي طالب. وقال سيدنا سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني. غير علي بن أبي طالب.

ويقول عمار بن ياسر: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: (اسمعوا الدرر من سيدنا النبي صلوا عليه).

- يا علي إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأما الذين أحبوكم وصدقوا فيك فجيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرك، وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة".

اللهم اشهد بأننا نحبت سيدنا علياً رضي الله عنه.

تقول السيدة أم سلمة: إن رسول الله ﷺ جلل علياً وفاطمة والحسن والحسين كساءً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وأنزل مولانا عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

أيها الإخوة:

كانت آخر الكلمات التي نبه فيها سيدنا رسول الله ﷺ على فضل جدي سيدنا علي رضي الله عنه في غدیر خم حين عودته من حجة الوداع إلى المدينة المنورة فيما يرويّه الإمام النسائي رحمه الله تعالى:

يقول ﷺ: " إني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " ثم قال:

الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد سيدنا علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ". وفي رواية الإمام أحمد بسند صحيح: "من كنت مولاه فعلي مولاه ".

أيها السادة :

ما إن انتقل السيد الأعظم إلى جوار ربه، واستلم سيدنا الصديق سدة الخلافة الراشدة، وقبل أن يبايع سيدنا علي رضي الله عنه سيدنا الصديق، جاءت إليه السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تطلب إرثها من سيدنا رسول الله، فقال لها سيدنا الصديق: إن سيدنا رسول الله يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. ورده سيدنا الصديق إلى بيت المال.

وهنا رأينا جدتي السيدة فاطمة رضوا الله عنها تجتهد بعكس ما رآه الصديق فتمتنع عن بيعته، ويمتنع سيدنا علي عن البيعة إكراماً لزوجته بنت رسول الله ﷺ . لكن السيدة فاطمة الزهراء ما تلبث بعد ستة أشهر أن تنتقل إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فيبادر سيدنا علي رضي الله عنه إلى بيعه سيدنا الصديق على الخلافة. وكان يقول لمحبيه: (من فضلي على أبي بكر وعمر جلده حدّ المفترى).

وكان الصديق يسأله القتيا في مسائل تعرض له، وحينما توفي سيدنا الصديق رضي الله عنه وقف جدي سيدنا علي رضي الله عنه، على قبره يرثيه بمرثية عظيمة تدلّ على حبه الشديد لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

يا أحباب رسول الله: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى حجرة السيد المصطفى وروضته الشريفة النبوية وقد سجي الصديق في قبره بجوار جدي سيدنا رسول الله (صلوا عليه) وأرى جدي سيدنا علي يخاطبه فيقول:

رحمك الله يا أبا بكر	كنت والله أول القوم إسلاما
وأفضلهم إيمانا	وأشدهم يقينا
صدقت رسول الله	حين كذب به الناس
وواسيته حين بخلوا	وقمت معه حين ما قعدوا
كنت والله للإسلام حصنا	وللكافرين ناكبا
لم تهن حجتك	ولم تضعف بصيرتك
ولم تجبن نفسك	كنت والله كما قال الرسول فيك
ضعيفا في بدنك	قويا في دينك
متواضعا في نفسك، فلا حرمننا	الله أجرك ولا أضلنا بعدك

سادتي الكرام:

وفي عهد سيدنا عمر كان سيدنا علي ساعده الأيمن، حتى قال سيدنا عمر: (لولا علي لهلك عمر).

وليس ببعيد عنا ما فعل سيدنا علي في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنهما وكيف دافع عنه وحماه زمن الفتنة وعندما أحكم المتمردون الحصار حول دار سيدنا عثمان ومنعوا عنه الماء، ذهب سيدنا علي بنفسه يحمل قربة ماء على كاهله، ولما حاولوا منعه صرخ فيهم قائلاً: والله إن الكفار من فارس والروم لا يفعلون فعلكم،

إنهم ليأسرون أعداءهم فيطعمونهم ويسقونهم، ودخل بيت عثمان عنوة، حتى إن
عمامته سقطت على الأرض وهو لا يبالي بها حتى أوصل الماء إلى أمير المؤمنين
الخليفة الشهيد، وأمر ابنه الحسن والحسين بالوقوف على بابه للحراسة، وحين أخبر
بمقتل الخليفة عَنف ولديه تعنيفاً شديداً وعجب لهما كيف قتل عثمان وهما لا يزالان
يحملان رأسيهما على أكتافهما وقال لهما:

- إن لم تستطيعا أن تمنعا عنه فكان عليكما أن تموتا دونه.

ولكنّ قضاء الله نافذ في خلقه، فلما استشهد سيدنا عثمان دعي جدي سيدنا
علي إلى الخلافة، فكيف جاءت الخلافة؟ هل جاءت نصرّاً مؤزراً واستقراراً للدولة، أم
أنها جاءت مشخنةً بالجراح؟ مثقلة بالمتاعب؟ معبأة بالعواصف؟ هذا ما سنلتقي به مع
جدي إن شاء الله تعالى.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي إلى الحبيب الأعظم
وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.



روى سيدنا علي بن أبي طالب/ ٥٨٦ / حديثاً عن سيدنا رسول الله

الحلقة (٨١)

ال خليفة

الرابع

أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

الحمد لله الذي يتحير العقل عن أوصافه ويقف، ولا يجوز تشبيهه فمن شبهه هلك، ومن عطله تلف، أحمده سبحانه وتعالى على جزيل نعمه التي منها نغترف. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد، إله أقسم بالسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف.

وأشهد أنّ سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا: وفي نجدنا؟ فقال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان (خ- ت). وخرج رسول الله من بيت السيدة عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان يعني المشرق (م).

اللهم صلّ وسلم وبارك عن هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد الذي من بحر فيض الكريم يغترف ، وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين كل منهم بالكمال متّصف . وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد قدم نفرٌ من الصحابة رضي الله عنهم إلى سيدنا علي يطلبون منه أن يكون عليهم خليفة، لكنه رفضها، فإذا بالمتمردين يأتون إليه يطلبون منه ذلك أيضاً وجمعاً

لكلمة المسلمين رضي سيدنا علي وبويع بالخلافة سنة ٣٥ هـ، وتحلف عن مبايعته جمع من الصحابة حتى يؤخذ الثأر لمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه.

أيها الإخوة: أول عمل قام به سيدنا علي أن عزل الولاة الذين كانوا زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه. وقد حدّره عاقبة ذلك المغيرة بن شعبة وابن عباس رضي الله عنهم فأبى ذلك وقال: إن الخليفة حر في اختيار عماله وولاته. وامثل جميع الولاة لأمره إلا سيدنا معاوية الذي أصّر قبل البيعة أن يأخذ بثأر ابن عمه سيدنا عثمان رضي الله عنه من البغاة الذين قتلوه.

ورغم أن سيدنا علياً كان يكره أولئك البغاة الذين قتلوا سيدنا عثمان، فإنه استمهل المستعجلين ريثما تهدأ الأمور في المدينة وتحمد الفتنة.

وأصّر بعض الصحابة اجتهداً منهم على أنهم لا يبايعون علياً حتى يقتل البغاة، بل إن هؤلاء الصحابة وفيهم السيدة عائشة وطلحة والزبير وجمع كبير من الصحابة اجتمعوا حول أم المؤمنين التي ركبت هودجها على الجمل وساروا جميعاً إلى البصرة ليدكروا الناس بضرورة التعاون للأخذ بثأر أمير المؤمنين الشهيد عثمان رضي الله عنه.

إخوة الإيمان:

كان سيدنا طلحة والزبير من المبشرين بالجنة. وأما طلحة بن عبيد الله فقد وقى بيده سيدنا النبي في أخذٍ بعد أن أراد أحد المشركين ضربه بالسيف فتلقاه طلحة بيده فشلت وصارت مفخرة عظيمة له رضي الله عنه بشّره رسول الله بالشهادة وقال عنه: (من سرّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله).

وأما الزبير فهو بطل الإسلام قال عنه الحبيب الأعظم: لكل نبي حوارٍ وحواريّ الزبير، ومرة قال له رسول الله ﷺ: (فداك أبي وأمي). وقال عنهما رسول الله ﷺ: "طلحة والزبير جارا في الجنة"، هذان هما قائدا جيش البصرة.

وما أن علم سيدنا علي بهذا الجيش الذي سار من مكة إلى البصرة حتى أرسل جيشاً على رأسه القعقاع بن عمرو وجهه نحو البصرة لإصلاح الأمر وجمع الكلمة، حيث التقى بجيش طلحة والزبير وتمت مناقشة الأمر واقتنع الأطراف جميعاً برأي سيدنا علي وأنه ينتظر هدوء العاصفة ليعجل بحساب الثائرين، وأنه من الواجب الآن حفظ دماء المسلمين، وبات الجميع ليلتهم بأحسن حال.

ولكن هذا الاتفاق لم يعجب ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي ولا أصحابه الذين لم يكن فيهم أحدٌ من صحابة رسول الله - والحمد لله - واقترح بعضهم أن يقتل علياً ليلحق بعثمان. وفي نهاية الأمر اتفقت كلمة عملاء الفتنة على أن ينشبوا حرباً بين الناس وفتنة عمياء قبيل الفجر.

وهبَّ الناس من رقادهم على صوت السيوف وهي تغمد في رقاب الناس من كلا الطرفين، فظن كل جيش أن الجيش الآخر قد غدر به دون أن يعلموا بواقع الخديعة، وثار الناس، فاجتمع مع سيدنا علي عشرون ألفاً، والتفَّ حول السيدة عائشة وطلحة والزبير ثلاثون ألفاً، وراح ابن السوداء ابن سبأ وأصحابه الألف مقاتل لا يكفون عن قتل كل من الطرفين.

وكان الذي حسم الموقف سيدنا علي رضي الله عنه، فنادى في الناس: إلي يازبير إلي ياطلحة.

فقال لطلحة: أتركت زوجك في البيت وجئت بزوجة رسول الله تقاتل بها.

والتفت إلى الزبير بن العوام وقال له:

- يا زبير نشدتك الله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ونحن في مكان كذا، فقال لك: (يا زبير أتحب علياً. فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني؟ فقال: يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم.

وهنا استيقظت ذاكرة الزبير وقال: بلى والله، والله لا أقاتلك أبداً. ورجع على دابته تاركاً أرض الفتنة العمياء. ونظر طلحة بن عبيد الله فرأى عمار بن ياسر يقاتل مع سيدنا علي فتذكر ما كان رسول الله قاله لعمار:

(تقتلك الفئة الباغية، فترك الجيش أيضاً وسار بفرسه، فلحقه رجل من الذين كتب الله عليهم الشقاء إلى يوم القيامة فقتله بسهم أودى بحياته وهو تارك لأرض الفتنة). وأصبح جيش البصرة لا قائد له.

وأمر سيدنا علي أن ينزل هودج السيدة عائشة إلى داخل البصرة ليطمئن على حالها، وهدأت الفتنة من جديد، وقدم الناس يسلمون على أم المؤمنين، وجعلها سيدنا علي وأرسل معها محمد بن أبي بكر ليرافقها إلى المدينة. ونادى سيدنا علي في الناس: لا تجهزوا على الجرحى، ولا تنتهبوا مالا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، فإنه ليس على الموحدين المؤمنين سبي، ولا يغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا عليه.

إخوتي في الله:

وانتهت الجولة الأولى بانتصار سيدنا علي في موقعة الجمل هذه، وسميت موقعة الجمل لأن أم المؤمنين أدارت المعركة وهي في هودجها على الجمل.

ودخل رجل على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه وهو يحمل سيف الزبير يتباهى بأنه قتل هذا الصحابي الجليل وهو نائم تحت شجرة. فقال له سيدنا علي: (بشروا قاتل ابن صفية بالنار) ثم راح يشم السيف ويقول لطالما فرّج صاحب هذا السيف بسيفه الكرب عن رسول الله ﷺ.

أيها الأحبة :

ووقف سيدنا علي في العراق يخطب الناس ويلخص لهم الموقف في كلمات بمنتهى الصدق والوفاء فقال:

أما بعد:

فإنَّ الله بعث نبيه ﷺ فأنقذ به من الضَّلالة، وحفظ به من الهلكة، وجمع به بعد
الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدَّى ما عليه.

ثم استخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، ولقد أحسنا السيرة
وعدلاً في الأمة، ثم ولي أمر الناس عثمان، فعمل بأشياء علَّها الناس عليه، فسار إليه
ناس فقتلوه، ثم جاء إليَّ الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم. ثم
عادوا فقالوا لي: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك، وأنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق
الناس، فبايعتهم. فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني - يقصد طلحة والزبير -
وخلاف معاوية إياي.. هذا الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق
في الإسلام.. إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيكم ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي
ولكم.

وكان ينادي في الناس: "اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، اللهم إني لم أقتل ولم
أمالئ، اللهم العن قتلة عثمان".

أيها السادة :

وعاد سيدنا علي إلى مقرّ خلافته في الكوفة، وأرسل إلى سيدنا معاوية بالشام
رسالة مع جرير بن عبد الله يدعوها إليها إلى البيعة، لكن سيدنا معاوية كان يرى أن
بيعة علي لم تنعقد لافتراق أهل الحل والعقد من الصحابة في الآفاق، ولاتتم البيعة إلا
بهم جميعاً، فامتنع عن البيعة حتى يقتل قتلة عثمان.

وهنا جاء رسل السلام يطلبون من سيدنا علي تسليم قتلة عثمان لتنتهي هذه
الفتنة إلى الأبد، لكن عشرة آلاف مقاتل كانوا حول المكان الذي تجري فيه
المفاوضات صاحوا صيحة واحدة: كلُّنا قتلة عثمان.

ووقع سيدنا علي بإحراج شديد، وامتنع بعض أجلاء الصحابة عن التدخل بين أطراف الفتنة ومكثوا في بيوتهم ، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد، وقال سيدنا سعد لسيدنا علي رضي الله عنهما:

- أعطني سيفاً إن ضربت به المشرك قطع، وإن ضربت به المسلم رجع، وأنا أقاتل معك.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (إني عاهدت ربي عز وجل ألا أقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله).

وقال أسامة بن زيد: "والله يا أمير المؤمنين لو كنت في شدة الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكني لا أحب أن ألقى بسيفي مسلماً أبداً".

فرأى- بعد ذلك- سيدنا علي أن يزحف بجيشه إلى الشام، وكذلك غادر سيدنا معاوية بجيشه إلى شرقي الفرات في مكان يدعى صفين، والتقى الجيشان هناك، وراحت رسل السلام شهوراً بين الإمامين الصحابين المجتهدين لتقارب بين وجهات النظر، لعل الله يصلح الأمر ، وفي النهاية قال سيدنا معاوية لرسول السلام الأربعة:

إن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ونحن لا نردّ ذلك عليه، فليدفع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

وعاد الوفد الرباعي إلى أمير المؤمنين الخليفة الراشدي الرابع وتلقّى كلمات سيدنا معاوية بأسى وحرقة. وانتظر حتى حلول شهر صفر حيث نادى المنادي في جيش معاوية: بأنّ القتال غداً ، ووجه سيدنا علي التعليمات إلى جيشه قائلاً لهم:

" لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهّزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتكم إلى رحالهم فلا

تَهْتَكُوا سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا إِلَّا بِإِذْنٍ، وَلَا تَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا، وَلَا تَقْرَبُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَكُمْ وَشَتَمْنَ أَمْرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ ﴿٦٥﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

كانت هذه الأوامر التي صدرت من القائد الأعلى للقوات الإسلامية للخلافة الراشدة صارمة جداً، لأنه ولأول مرة في التاريخ بعد موقعة الجمل تلتقي فئتان مسلمتان بسيوفها.

معشر الإخوة الكرام :

وهذا ما يسمى بالفقه الإسلامي بقتال البغاة إذا كان لهم أمير مطاع وكانوا في منعة وقد نَفَذَ سيدنا علي هذه الأحكام الفقهية بدقة متناهية من خلال هذه الأوامر الصارمة، فهو قتال ضرورة لإحقاق الحق .

واقْتَتَلَ الناس مقتلة عظيمة، واستمر القتال سبعة أيام، وكان الصحابي إذا التقى بالصحابي يرفع السيف عنه ويتركه ، لعلم كل منهما أنه على حق، وأوشك جيش سيدنا علي على النصر، فاستشار سيدنا معاوية سيدنا عمرو بن العاص فأشار عليه أن يدعو أهل العراق إلى تحكيم كتاب الله، فأمر معاوية برفع المصاحف على الرماح وأن ينادي منادٍ باسمه:

- هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، لا حكم إلا لله .

فلما رأى أصحاب سيدنا علي ذلك انقسموا إلى فريقين: فريق يطلب إيقاف القتال لتحكيم كتاب الله، وفريق يأبى إلا القتال لعلمهم بأن الأمر خدعة، وهم يردّون قول أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه:

- إن الذي فعله سيدنا معاوية وجيشه إنما هو كلمة حق أريد بها باطل.

وأخيراً رضخ سيدنا عليّ للتحكيم لأنّ طائفة من جيشه انقلبت عليه وكادت أن تحاربه إن لم يرض، واتفق الفريقان على أن يُحكّم كلّ منهما رجلاً يرتضيه، فاختار أهل الشام سيدنا عمرو بن العاص، واختار أهل العراق سيدنا أبا موسى الأشعري، وامتدت الهدنة بينهما شهراً بكامله.

ورجع سيدنا عليّ إلى الكوفة، واختلف صحابته، فاعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلّالاً، واجتمعوا في حروراء، وكانوا قريباً من اثني عشر ألفاً، لكن سيدنا علياً بحكمته وصدقه أرجعهم إلى الكوفة منضمّين تحت لوائه رضي الله عنه.

ولما انقضى الأجل المضروب أرسل كلّ من سيدنا عليّ ومعاوية وفداً يمثل كلاهما، واجتمع الفريقان في دومة الجندل، واتفق المحكّمان على أن يخلعا علياً ومعاوية، ويتركا الأمر شورى بين المسلمين ليضعوا من يختارونه لأنفسهم، فقدم سيدنا عمرو بن العاص سيدنا أبا موسى الأشعري ليعلن على الناس ما اتفقا عليه، فقام سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: وكان طيب القلب صافي الإيمان :

(فحمد الله وصلى على سيدنا رسول الله ﷺ ثم قال :

أيها الناس! إنا نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نرَ أمراً أصح لها، ولا أَلَمَ لشعثها من رأي اتفقت أنا وعمرو عليه وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وقد خلعت صاحبي علياً).

ثم تقدم عمرو رضي الله عنه وكان أحد دهاة العرب الأربعة :

(فحمد الله وصلى على سيدنا رسول الله ﷺ ثم قال:

إن هذا قد قال ما سمعتم وإنه قد خلع صاحبه وإني قد خلعت كما خلعه وأثبتُ صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان والمطالب بدمه، وهو أحقّ الناس بمقامه).

وتفرق الناس كلّ إلى بلده، وأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بالخلافة، وأما أبو موسى الأشعري فاستحيا من سيدنا عليّ فذهب إلى مكة.

وأما الذين أجبروا سيدنا علياً على قبول التحكيم فإنهم انقلبوا ضده وعادوا فسكنوا حروراء ولُقبوا بالخوارج الحروريين، وراحوا يشتدون على الناس، بل صرحوا بكفر سيدنا علي لقبوله التحكيم، مع أنهم كانوا من أحرص الناس عليه، وعاثوا في الأرض فساداً، وجعلوا يقتلون كل من خالفهم بالرأي، فكانوا يمسكون بالواحد ويقولون له:

- ألم يكن قبول التحكيم كفراً، ألم يَأْثِم علي بقبول التحكيم، فإذا أجاب: بنعم، تركوه، وإذا أجاب بلا، سفكوا دمه.

وكان ممن أنكر عليهم فعلهم هذا ابن صحابي جليل هو سيدنا عبد الله بن خباب بن الأرت، فلقبه الخوارج هو وزوجته الحامل في طريق سفرهما فاعتقلوهما، وسأله أن يحدثهم بأحاديث عن رسول الله سمعها من أبيه، فقال لهم: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي).

وحينما سأله عن سيدنا علي أثنى عليه خيراً، فاقتادوه هو وزوجته فذبجوهما، وبقروا بطن زوجته.

ولما سمع سيدنا علي بما فعلوا، لوى زمام جيشه عن الشام إلى النهروان، حيث لقي الخوارج في هذه المعركة وَطَّحَ فيها برؤوس قادتهم وزعمائهم، إذ أرسل إليهم قائلاً:

"ادفعوا إلينا بقتلة المسلمين حتى نقتلهم ثم إنا تاركوكم"

فبعثوا إلى سيدنا علي يقولون:

كلنا قتلة إخوانكم، وإنا مستحلون دماءهم ودماءكم.

ولما تهيأ أمير المؤمنين لقتالهم أمر سيدنا أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية وينادي بالناس: أن من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، فانصرف كثيرون منهم، ولم يبق منهم إلا ألف قُتلوا عن آخرهم في معركة النهروان، ولم يقتل من أصحاب سيدنا علي إلا سبعة رضي الله عنهم.

وعاد سيدنا علي إلى الكوفة فصلى الجمعة ثم نادى منادٍ على الناس يتلو عليهم كتاب أمير المؤمنين سيدنا علي قائلاً:

(أما والله لوددت أن الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني إلى رحمته من بينكم، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ، فقد والله ملأتم صدري غيظاً، وجرّعتموني الأمرين أنفاساً، وأفسدت علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، هل كان فيهم رجلٌ أشدُّ لها مراساً وأطولُ مقاساةً مني).

نعم معشر المؤمنين:

إن سيدنا علياً ملأ حياته هذه التي قضاها في الخلافة وقد بلغت خمس سنوات إلا ثلاثة أشهر ، منذ قُتلَ الشهيد عثمان إلى موقعة الجمل إلى صفين إلى النهروان، سنوات خمس قضاها في الجهاد والدفاع عن الإسلام والدعوة إلى وحدة المسلمين، وها هو قد بلغ ثلاثاً وستين سنة وآن له أن يرتاح من هذا الفساد والضنك، ولكن رجلاً من رؤوس الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم قد خطب امرأة يقال لها قطام كانت فائقة الجمال، وكان قد قتل أبوها وأخوها يوم النهروان، فاشتربت عليه إن تزوجته أن يقتل سيدنا علياً فقال لها: و الله ماجاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي .

فتزوجها ودخل بها، وأخذت تحرضه على قتل سيدنا علي رضي الله عنه . فاتفق مع اثنين من الأشقياء عام / ٤٠ / هـ أن يقتلوا سيدنا علياً بالعراق وسيدنا معاوية بالشام وسيدنا عمرو بن العاص في مصر .

وفي ليلة الجمعة من شهر رمضان المبارك عام /٤٠/ للهجرة خرج سيدنا علي ليوقظ الناس لصلاة الفجر ففاجأه ابن ملجم بضربة سيف مسموم على أم رأسه فسال دمه على لحيته. وحمّل أمير المؤمنين إلى داره، وقد أغمي عليه، وحين استيقظ أمرهم أن يتركوه ويذهبوا ليصلّوا صلاة الفجر، لأنه لا خير في عبد لا يصلي.

وبعد الصلاة حضر الناس وقد أمسكوا بآب من ملجم فنظر إليه أمير المؤمنين فعرّفه وقال له:

- أهو أنت .. لطالما أحسنت إليك . ثم التفت إلى من حوله فقال:

أحسنوا نزلهم وأكرموا مثواه، فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً، وإن أمت

فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين، ولا تقتلوا بي سواه، إنّ الله لا يحب المعتدين.

وجاءت سكرة الموت بالحق، والخليفة الراشدي الرابع يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يقول ويردد: لا إله إلا الله.

وسار أهل الكوفة بجنازته ، ودفن في مقبرة الكوفة دار إمارته.

وجيء بعبد الرحمن بن ملجم فتولى سيدنا الحسن قتله قصاصاً ثم أحرقت جثته بالنار.

أيها المسلمون :

لم يكن سيدنا علي إلهاً، ولا رسولاً، ولا نبياً، ولا معصوماً، إنه بشر كجميع البشر، مات وارتقت روحه لتلتقي مع أرواح الصالحين في جنة الخلد. هناك بعد كان معنا في الدنيا هنا ، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيّتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

الحلقة (٨٢)

الخلافة

الخامس

أمير المؤمنين جدي سيدنا الحسن بن علي «رضي الله عنهما» ٣ هـ ٤٧ هـ

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شئ بيديه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعوت بصفات الكمال والتنزيه.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين وإماماً للمتقين بأوضح دليل ، وأفصح تنزيل وأنفس تبيان ، وأبدع برهان.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته المجاهدين الذين وحدوا الأمة وجمعوا الكلمة وأناروا السبيل ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

" فإن الحلم زينة، والوقار مروءة، والعجلة سَفَقَةٌ، والسِّقْفُ ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شين ، ومخالطة الفساق ريبة ".

معشر الإخوة الكرام:

بهذه الكلمات النورانية الحكيمة من كلمات الصحابي الجليل جدي سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، السيد الإمام ربحانة سيدنا رسول الله ﷺ ، وسبطه وسيد شباب أهل الجنة، أبدأ معكم حياة هذا الخليفة الراشدي. الإمام أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد رضي الله عنه.

ولد في شعبان سنة ثلاث من الهجرة.

وعق عنه جده سيدنا محمد ﷺ بكبش حين ولدته أمه السيدة فاطمة بضعة سيدنا رسول الله ﷺ ، وحين ولد دخل عليها فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قالوا: حرباً. قال: بل هو حسن ، وأدناه منه سيدنا رسول الله وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى فكان أول شيء سمعه سيدنا الحسن من كلمات صوت سيدنا رسول الله وهو يؤذن بكلمات التوحيد الله أكبر، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح. الله أكبر لا إله إلا الله كلمات متضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، فطرة الله التي فطر الناس عليها، وكانت هذه الكلمات أول شيء تنسمه سيدنا الحسن حين شم رائحة الدنيا، وقال للسيدة فاطمة رضي الله عنها: "احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره فضة على المساكين"، ففعلت ذلك رضي الله عنها ، لأن في إزالة شعر المولود تقوية له وفتحاً لمسام الرأس وتقوية لحواس الشم والبصر والسمع، وهذا الكلام يعلمه طبيب القلوب والأرواح والأبدان (صلوا عليه).

أما أن يحلق بعض الرأس ويترك بعضه فهو منهي عنه ففي الصحيحين نهي رسول الله عن القَزَع، لأن فيه ظلماً للرأس حيث ترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً ، وسيدنا النبي يحب العدل، ويجب في المسلم أن يكون بمظهر لائق وجميل وحلق بعض الرأس

وترك بعضه لا يليق بالشخصية الإسلامية التي يتميز بها المسلم عن بقية الملل وسائر أهل الفسوق والميوعة والانحلال^(١٠) .

إخوة الإيمان :

وشبَّ جدي سيدنا الحسن رضي الله عنه، فكان كلما شبَّ يزداد شبهه بجدي سيدنا رسول الله ﷺ ، وقد رآه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يلعب مع الغلمان، فأخذه فحمله على عنقه وقال:

بأي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

ولهذا نجد الحبيب الأعظم ﷺ كان يقول: " حسن مني والحسين من علي "

وكان عليه الصلاة والسلام يحبه كثيراً ويد الله حتى إنَّ سيدنا معاوية رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ يمص لسان الحسن أو شفته، وإنه لن يعدَّب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ .

أيها الإخوة:

هذه الأحاديث وأمثالها تدل بوضوح على عناية سيدنا النبي ﷺ بالأطفال الناشئين والاهتمام بتربيتهم وتهذيبهم.

ولقد لبث رسل الإصلاح وعلماء التربية وفلاسفة الأخلاق نحواً من ثلاثين قرناً ينفقون جهدهم ليرسموا خطة ناجعة ناجحة في تربية النشء، ليكونوا صالحين للمستقبل الذي ينتظرهم، وأنا أقول لهؤلاء العلماء وأمثالهم ممن يريدون البحث في علم التربية أقول لهم: ارجعوا إلى تعاليم الإسلام، ارجعوا إلى تربية سيدنا محمد ﷺ لأولاده وأحفاده وصحابته، لأن سيدنا محمد ﷺ ربى جيلين: من الطفولة إلى الشباب ومن الشباب إلى الشيخوخة.

(١٠) انظر كتابنا القضايا التربوية في أحكام المولود .

فها هو الحبيب الأعظم يعلمنا أن الأطفال في بدء ترعرعهم يميلون إلى اللهو ويرتاحون لنوع من اللعب فلم يكبت رغبتهم ولم يمنعهم مما يحبون، بل إن المربي الأعظم (صلوا عليه) كان يشجعهم عليه، اسمعوا وأنتم تصلون عليه، وليسمع المربون كيف ربى رسول الله جيل الإسلام:

فعن سيدنا علي أن النبي ﷺ كان قاعداً في موضع فطلع الحسن والحسين فاعتزكا، فقال رسول الله ﷺ - وعلي جالس- وبهاً حسين خذ حسناً، فقلت: تؤلّب على حسن وهو أكبرهما يا رسول الله؟ فقال ﷺ: هذا جبريل قائم وهو يقول: وبهاً حسن خذ حسيناً.

هل رأيتم أعظم وألطف من هذا النبي المصطفى ﷺ .

وروى أبو هريرة عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العِذلان أنتما.

وفي إحدى المرات كان الحبيب الأعظم يصلي إماماً بالصحابة رضي الله عنهم فأطال السجود في إحدى الركعات، فلما انتهى سأله الصحابة عن تطويل سجود إحدى الركعات فقال: إن ابني هذا ارتحلني (ركب ظهري) فأطلت السجود (حتى نزل).

وما كان عطفه هذا مقصوراً على أبنائه وأحفاده وأقربائه، بل كان يشمل برعايته وعنايته البعيد كالقريب، ولا فرق عنده بين أبناء القرشيين الهاشميين كسيدنا الحسن، والموالي المملوكين كسيدنا أسامة، كلهم عنده سواء بالعطف وحسن السيرة (يا سعد من صلى عليه).

يقول سيدنا أسامة بن زيد: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعديني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول: اللهم إني أرحمهما فأرحهما.

وكان عليه الصلاة والسلام يصنع هذا مع الناشئين ويدعو الناس لأن يسلكوا في تربيتهم هذا المسلك، بل ربما أمر به وحذّر من الصدوف عنه، ففي البخاري عن سيدنا أبي هريرة قال:

قَبَّلَ رسول الله الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال: إن لي عشرة من الولد ما قَبَّلْتُ واحداً منهم، فنظر إليه رسول الله ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم.

أيها السادة :

أعظم وسام علّقه رسول الله ﷺ على صدر جدي سيدنا الحسن كان عندما كان يخطب على المنبر وسيدنا الحسن إلى جنبه حيث أشار إليه فقال: إن ابني هذا سيّد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وجاء إليه مرة جدي سيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال: " هذان ابناي من أحبهما فقد أحبني".

ونظر إليهما وإلى جدي سيدنا علي وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهم فقال:

"أنا حرب لمن حاربكم وسلّم لمن سالمكم"، ثم قال: "من أحب الحسن والحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة."

اللهم اشهد بأننا نحبهم جميعاً.

وعن سيدنا حذيفة قال: قال سيدنا النبي ﷺ : يا حذيفة جاءني جبريل فبشرني أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

أيها الأحبة :

شب جدّي سيدنا الحسن رضي الله عنه وامتلاً رجولة وشهامة، فكان كما قال عن سيد الكائنات، سيّداً جميلاً عاقلاً رزيناً جواداً ممدحاً خيراً ديناً ورعاً محتشماً،

كبير الشأن، وكان يحب التزوج، تزوج نحواً من سبعين امرأة، وقلما كان يفارقه أربع
ضرائر، وأعقب من الذكور اثنا عشر ذكراً.

وكان جدي سيدنا علي يقف على منبر في الكوفة فيقول: لا تزوجوا الحسن فإنه
مطلق، فقال رجل:

- والله لنزوجنه فما رضي أمسك وماكره طلق.

وتزوج مرة امرأة فأرسل إليها بمئة جارية مع كل جارية ألف درهم.

وهذا ما اشتهر عنه هذا الصحابي الجليل، الكرم والسخاء، لا يطلق امرأة حتى
يمتعها، أي يرسل لها متعة وعطية وهبة.

ومن ضمن النساء اللواتي تزوجهن جدي سيدنا الحسن رضي الله عنه امرأة
ختعمية، فلما استشهد سيدنا علي وبويع سيدنا الحسن دخل عليها، فقالت: لتهنك
الخلافة، فقال لها: أظهرت الشماتة بقتل علي؟ أنت طالق ثلاثاً. فقالت: والله ما
أردت هذا.

ثم بعث إليها بعشرين ألفاً. فقالت وقد دمعت عيناها: متاعٌ قليل من حبيب
مفارق.

هذا الأعطيات الكثيرة التي كان جدي سيدنا الحسن يدفعها كلما سنحت له
الفرصة، لتدل دلالة واضحة على مدى شبهه الشديد بجده سيدنا رسول الله ﷺ ،
فقد كان ﷺ كريماً سخياً كالريح المرسلة (يا سعد من صلى عليه).

سمع جدي الحسن مرة رجلاً إلى جنبه يسأل الله تعالى أن يرزقه عشرة آلاف
درهم، فانصرف فبعث بها إليه، هكذا بدون أن يعرفه أو تكون لديه صلة.

وخطب سيدنا علي رضي الله عنه الناس فقال : إن الحسن قد جمع مالاً، وهو

يريد

أن يقسمه بينكم، فحضر الناس، فقام جدي سيدنا الحسن فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس.

ودخل جماعة من الحجاج عليه في المدينة فحدثوه بمسيرهم إلى الحج، فلما خرجوا بعث إلى كل منهم بأربعمئة، فرجعوا وقالوا له: إننا أغنياء؟ فقال: لا تردوا علي معروف، فلو كنت على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيراً، أما إني مزودكم (يعني بنصيحة): إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة.

قال المدائني: أحسن الحسن تسعين امرأة، أي زوجهن من نفقته الخاصة لأنهن فقيرات. وعن علي بن جدعان قال: حج الحسن بن علي خمس عشرة حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات.

وبلغ من كرمه أنه رضي الله عنه كان يعطي الرجل الواحد مئة ألف.

إخوتي في الله :

وفي عهد سيدنا عمر لما دّون الديوان ليعطي الناس من بيت المال ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما في العطاء، لقرايتهما من رسول الله ﷺ وفرض لكل منهما خمسة آلاف درهم.

وفي عهد سيدنا عثمان كان لسيدنا الحسن مع أخيه سيدنا الحسين الموقف الصارم في الدفاع عن الخليفة عثمان رضي الله عنهم حيث وقفا على الباب يحرسانه من أذى المتمردين.

وحين أصبح سيدنا علي أميراً للمؤمنين كان سيدنا الحسن رضي الله عنه الساعد الأيمن لوالده، حتى غدر عبد الرحمن بن ملجم الخارجي بسيدنا علي سنة ٤٠ هـ، فجاء أهل العراق فبايعوا سيدنا الحسن على الخلافة، فقال لهم:

- والله لا أبايحكم إلا على ما أقول لكم.

قالوا: ما هو؟

قال: تسالمون من سالم، وتحاربون من حاربت.

فوافقوا جميعاً وبايعوه.

أيها المسلمون :

نظر سيدنا الحسن نظرة صائبة، فوجد جنداً (من أهل العراق) لا يركن إليه (يجبون الفتن)، وخصماً (سيدنا معاوية) قوي الشكيمة، وفوق ذلك كله كان يكره الفتن، ويجب للمسلمين الألفة ووحدة الصف، فلم ير خيراً لنفسه ولا لأمته من أن يتنازل لسيدنا معاوية رضي الله عنه، عن الخلافة.

أيها المؤمنون :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مهد الفتن في العراق، إلى هذا الحدث الهام الذي جمع الله به شمل الأمة بعد التفرق والشتات، لتتحقق معجزة سيدنا محمد ﷺ حين قال: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

الزمان سنة ٤١ هـ ، المكان الكوفة وشخصيات هذا الحدث : جدِّي سيدنا الحسن والحسين ، وعبد الله بن جعفر الطيار، وسمعوا هذه المحاورة التي تدل على مدى ما أوتي سيدنا الحسن من ذكاء وحنكة وحكمة وعقل واسع، وسع جميع أحداث عصر هذا الخليفة الراشدي، اسمع وأنت تصلي على الحبيب الأعظم ﷺ . قال سيدنا الحسن لابن عمه عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما:

- إني قد رأيت رأياً، وإني أحب أن تتابعني عليه؟! قال: وما هو؟

قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزله، (أسكنها) وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث (الخلافة)، فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء، وقطعت الأرحام والسبل وعطلت الفروج.

قال ابن جعفر: جزاك الله خيراً عن أمة محمد ﷺ ، فأنا معك. فقال: ادع لي الحسين. فأتاه سيدنا الحسين فقال له: أي أخي قد رأيت كيت وكيت.

فقال سيدنا الحسين: أعيدك بالله أن تكذب علياً وتصدق معاوية.

فقال سيدنا الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فاطينه عليك حتى أقضي أمرك!!

فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع.

معشر السادة :

وهكذا زرعت نواة الصلح عند أمير المؤمنين سيدنا الحسن وأهل البيت المحمدي حفظاً لدماء المسلمين ، فتواعد مع سيدنا معاوية في مكان بين الشام والعراق، وقال له: إن الأمر يصير إليك بشرطين:

الأول: أن لا تطلب أحداً بشيء كان في أيام أبي.

الثاني: أن يؤول الأمر بعدك إلي.

وكاد سيدنا معاوية يطير فرحاً بهذا الكلام وأجاب جدي الحسن إلى طلبه ، وانعقد الصلح ولم يبق إلا إعلانه.

وعاد سيدنا الحسن إلى الكوفة وقام في أصحابه خطيباً فقال:

والله ماثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيتت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في متدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره،

فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فتائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عرّ ولا نصفه فإن أردتم الموت رددناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه.

فناداه القوم من كل جانب : النقيّة النقيّة.

وقال قوم لسيدنا الحسن : إن أصحاب علي يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال : - كذبوا والله، ما هؤلاء بأصحاب علي، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله.

وبينما كان جدي الحسن رضي الله عنه يصلي وثب عليه رجل فطعنه بخنجر في وركه، فمرض منها أشهراً ، ثم قام يخطب في الناس ويقول: "يا أهل الكوفة اتقوا الله فينا، فإننا أمراؤكم وإنا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فراح الناس ييكون بكاءً شديداً.

وقدم جدي الحسن إلى دمشق مقر ولاية سيدنا معاوية لبيايعة، وقام خطيباً في الناس فقال:

- إن أكيس الكيس الحمق، وإن أحمق الحمق الفجور، ألا وإن هذه الأمور التي اختلفت فيها أنا ومعاوية تركت لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم.

أيها الناس:

إني كنت أكره الناس لأول هذا الأمر، وأنا أصلحت آخره.

ثم قال: إن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث خير يعلمه فيك أو لشرّ يعلمه فيك، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

يا أحباب المصطفى ﷺ :

كانت خلافة جدي سيدنا الحسن ستة أشهر، وكان هذا العام عام ٤١ هـ عام الجماعة وسمي بعام الجماعة لاجتماع أمر المسلمين جميعاً على خليفة واحد .

وعاش سيدنا الحسن بعد هذه البيعة ست سنوات، وكان أثناءها يزور الشام وسيدنا معاوية، وحين زاره مرة قال له (سيدنا معاوية):

- لأجيزنك جائزة لم أجز بها أحداً، فأجازه بأربعمئة ألف، فقبلها سيدنا الحسن رضي الله عنه (عرفتم من أين له هذا المال الذي كان به كريماً سخياً والذي كان يعطيه عطاء من لا يخشى الفقر كجده سيدنا رسول الله ﷺ) .

وخلال هذه الأعوام الست بعد عام الجماعة سُقي سيدنا الحسن مراراً السم، ولكنه كان بحول الله وقوته لا يؤثر فيه، حتى سقته زوجته بنت أحد زعماء الخوارج سقته سُماً زعافاً فاشتكى أربعين يوماً، فلما حضرت سيدنا الحسن الوفاة قال لأخيه الحسين: اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء، ادفن أخاك إلى جنب أمه، فإنه قد عهد بذلك إليك. ولما احتضر قال لمن حوله: أخرجوا فراشي إلى الصحن فأخرجوه، فقال:

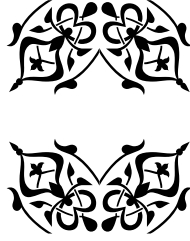
- اللهم إني أحسب نفسي عندك فإنها أعزّ الأنفس عليّ.

وصعدت روح جدي سيدنا الحسن إلى بارئها، وارتجت المدينة صباحاً فلا تلقى إلا باكياً، ووقف أبو هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا . وشيعت جنازة سيدنا الحسن إلى البقيع ليدفن بجوار والدته السيدة فاطمة رضي الله عنها .

أيها الإخوة:

وهكذا ترون أن الله تعالى حقق قول نبينا الأعظم بجدي الحسن وجمع الله عز وجل به شمل الأمة وأعز الله به الإسلام ونجحت تربية جده سيدنا رسول الله ﷺ. هناك كما نستنتج هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك



الحلقة (٨٣)

أمير المؤمنين السادس

مؤسس الدولة الأموية

سيدنا معاوية بن أبي سفيان

٥ ق. هـ - ٤١ هـ

الحمد لله مُسَهِّل ما صعب من الأمور الكائنات، فاتح فاتحة الفتوح الميسرات، المتقدس عن الحدث والنقصان والآفات، المستحق لكمال النعوت والصفات، المسيح بصنوف اللغات، المحمود على جميع الأفعال والحالات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزهة عن الشك والشبهات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله استخرجه من أشرف الآبات والأمهات، وابتعثه بالمعجزات البالغات، والآيات والحجج الواضحات، وختم به النبوة والرسالات، واتخذ له أصحاباً سادوا الخليقة باتباعهم لسيد الكائنات.

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأزواجه الطيبات الطاهرات وأصحابه عظماء السادات ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فحديثنا اليوم عن رجل آخر من كبار صحابة سيدنا رسول الله ﷺ، عن أحد كتبة الوحي الفصحاء، عن رجل كانت حياته كلها عظمة ومجداً وفخراً، رجل لم تتوقف حياته وحياة آبائه عن قيادة العرب (أو الرئاسة) في الجاهلية ولا في الإسلام، منذ أن انتقلت إلى أبيه رئاسة قريش وحتى أصبح مَلِكُ الإسلام، نعم إنه ملك الإسلام وكسرى العرب، أمير المؤمنين سيدنا معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. يكنى أبا عبد الرحمن القرشي الأموي المكي، فخر الإسلام والمسلمين.

معشر الإخوة الكرام :

وقبل أن أفتح ملف هذا الصحابي الجليل مؤسس الدولة الأموية العربية الإسلامية التي دامت قرابة الثمانين سنة، أرى لزماً علي أن أستعرض تاريخ رؤساء قريش، تلك الحقبة التي كانت قبيل الإسلام.

فقد كان في قريش فرعان يتنافسان على رئاسة قريش في الجاهلية: هما فرع بني هاشم بن عبد مناف وفرع عبد شمس بن عبد مناف، ومن الفرع الأول جدي عبد المطلب وأولاده. ومن الفرع الثاني: أمية بن عبد شمس.

وأمية هذا كان رجلاً تاجراً كثير المال، وأعقب عشرة من الأولاد، وقد كان المال وكثرة الولد في الجاهلية من أكبر أسباب السيادة بعد شرف النسب، وهؤلاء العشرة كلهم ساد وشرف، ومن هؤلاء ولدان: (حرب، وأبو العاص).

وحرب بن أمية هذا كان قائد قريش كلها في حرب يوم الفجار، وهو الذي تحمل الديات في ماله حينما دعا الناس إلى الصلح في ذلك اليوم، ورهن لسدادها ولده أبا سفيان ابن حرب.

وكان حرب هذا يسهر ويسمر مع جدي عبد المطلب بن هاشم، وقد دامت الألفة بينهما طويلاً، وكان أيضاً أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب صديقان حميمان:

وعندما بعث سيدنا رسول الله ﷺ نبياً ورسولاً دعا الناس إلى الإسلام فاستجاب من بني هاشم وبني عبد شمس جمع كثير إلا أن الذي حمى سيدنا رسول الله ﷺ وحذب عليه هم بنو هاشم والمطلب حيث حماه عمه أبو طالب كبير القرشيين وقتها. ولما ائتمر المشركون على اغتيال رسول الله كان المتآمرون من جميع قبائل قريش إلا بني هاشم (إذا استثنينا أبا لهب) وحين مات أبو طالب تولى رئاسة قريش من بني عبد شمس عقبة بن ربيعة ثم تولاهما أبو سفيان ابن حرب وهو والد سيدنا معاوية رضي الله عنهما.

وكان أبو سفيان رأس قريش وقائدهم يوم أحد والخندق، وكان فضل الله عليه عظيماً إذ تداركه بالإسلام يوم الفتح، وهو رجل عظيم في نفسه، ذو شرف، يخشى على قومه أن تصيبهم مهانة أو مذلة، ويحب الفخر والذكر.

لذلك رأينا رسول الله ﷺ يوم الفتح يؤلف قلبه ويتحجب إليه ويعطيه مالم يعط أحداً، فقال: "من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، فسوى بين بيته وبين بيت الله، وهذا شرف عظيم لم ينل أحد مثله للآن، وكل الذين أسلموا يومها سموا مشيخة الفتح.

أيها الإخوة :

الذي أريد قوله من عرض هذا التاريخ أن أقول إن بيت عبد شمس انتقل من سيادة في الجاهلية إلى سيادة في الإسلام، وقد قال ﷺ : "الناس معادن فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".

فكان من هذين الفرعين فرع حرب بن أمية ثلاثة خلفاء، وكان من فرع أبي العاص بن أمية عشرة خلفاء.

إخوة الإيمان :

إننا في الصفحة الأولى من ملف هذا الصحابي الجليل، وعنوان هذه الصفحة والدا سيدنا معاوية رضي الله عنهم، فقد كان أبو سفيان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، وهو أسنّ من رسول الله بعشر سنين وعاش بعده عشرين سنة، وقد تزوج رسول الله ﷺ ابنته السعيدة السيدة أم حبيبة ليرغبه في الإسلام، وكانت في الحبشة، وكان وكيلاً عن سيدنا النبي ﷺ في هذا الزواج ملك الحبشة، ثم هاجرت إلى المدينة في السنة السابعة فبنى بها رسول الله ﷺ، وحين بلغ أبا سفيان نبأ زواجها بسيدنا النبي ﷺ قال: هو الفحل لا يقدح أنفه.

شهد أبو سفيان حيناً وأعطاه رسول الله ﷺ مئة من الإبل وأربعين أوقية من الدراهم يتألفه بذلك.

وشهد قتال الطائف فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذ قد حسن إسلامه، فإنه كان يحرض على الجهاد يوم اليرموك، وكان تحت راية ولده يزيد، وقد فقدت الأصوات إلا صوت رجل واحد هو أبو سفيان فكان يصيح: يا نصر الله اقترب.

وكان يقف على كتائب الخيل ينادي ويقول: الله الله إنكم أنصار الإسلام ودارة العرب، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك. ولأجل هذا وغيره كان محترماً في أعين المسلمين وخاصة سيدنا عمر لأنه كان كبير بني أمية، ولم يمت أبو سفيان حتى رأى ولديه يزيد ثم معاوية أميرين على دمشق، وتوفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين.

إخوتي في الله :

وأما والدة سيدنا معاوية (زوجة أبي سفيان) فهي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية القرشية.

فقد كانت امرأة لها نَفْسٌ وَأَنْفٌ ورأي وعقل، وشهدت أُحُدًا كافرة، وكانت تحمّس المقاتلين الكفار وتقول لهم:

نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

فلما استشهد سيدنا حمزة مثلث به وشقت بطنه واستخرجت كبده فلاكتها، فلم تطق إساغتها، فبلغ ذلك النبي الكريم فقال: لو أساغتها لم تمسّها النار.

فلما رأت دخول المسلمين مكة عام الفتح، ورأتهم يقومون الليل ساجدين وراكعين يتعبدون حول الكعبة المشرفة أمام أعين كفار قريش، رأت هند كل ذلك فجاءت إلى زوجها أبي سفيان وقالت له:

- إني أريد أن أبايع محمداً.

فقال لها: قد رأيتك تكذّبين هذا الحديث أمس؟! قالت: والله ما رأيت الله عبداً حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين.

فقال لها أبو سفيان: فإنك قد فعلت ما فعلت فذهبي برجل من قومك.

فذهبت إلى سيدنا عثمان بن عفان، فاستأذن لها رسول الله ﷺ فدخلت وهي منتقبة، فقال لها الحبيب الأعظم تبايعيني على أن لا تشركي بالله شيئاً؟ قالت: نعم. قال: ولا تسرقين ولا تزني؟ قالت هند: وهل تزني الحرة وتسرق؟! قال: ولا تقتلين أولادك؟ فقالت: ربناهم صغاراً وقتلتهم كباراً. فقال لها رسول الله ﷺ:

. لعلك هند زوجة أبي سفيان ؟ فقالت : عفا الله عما سلف يا رسول الله وشكت
أبا سفيان وقالت : إنه لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها ، فقال لها رسول
الله ﷺ :

- خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولذك.

وشهدت اليرموك مع زوجها أبي سفيان وحرضت على القتال معه، وتوفيت هند
في خلافة الفاروق في اليوم الذي مات فيه سيدنا أبو قحافة والد سيدنا أبي بكر
الصديق رضي الله عنهم جميعاً.

أيها السادة:

هؤلاء هم آباء وأجداد سيدنا معاوية حلم ووقار وسيادة ورئاسة ودهاء كلها
اجتمعت وصبّت في شخصية سيدنا معاوية رضي الله عنه.

وها نحن الآن قد أصبحنا في الصفحة الثانية من هذه الشخصية الفذة في سماء
الإسلام، وعنوانها: الولادة والنشأة والشباب. فقد ولد هذا الصحابي الجليل قبل
البعثة النبوية بخمس سنين، وشب في ظل قريش من بني هاشم والمطلب وبني عبد
شمس، وورث الهيبة والجلال منذ شبابه، وكان يرتدي أحسن الثياب، ويطيب نفسه
ويحضر مجالس قريش والإسلام، فقد دخل معاوية على عمر بن الخطاب وعليه حلة
خضراء فنظر إليه الصحابة- يعني نظرة إعجاب- فلما رأى ذلك سيدنا عمر قام
ومعه الدرّة، فجعل ينزل ضرباً بمعاوية، ومعاوية يقول: الله الله يا أمير المؤمنين فيم
فيم؟ فلم يكلمه حتى رجع فجلس في مجلسه. فقالوا: لم ضربت الفتى، وما في قومك
مثله. فقال (عمر): - ما رأيت إلا خيراً، وما بلغني إلا خيراً، ولكني رأيته (وأشار
بيده يعني إلى فوق) فأردت أن أضع منه.

أيها الأحبة:

كان إسلام هذا الصحابي في عهد الحديبية (السنة السادسة للهجرة) فقد روى هو عن نفسه فقال: لما كان عهد الحديبية وصدوا رسول الله ﷺ عن البيت وكتبوا بينهم القضية (العهد) وقع الإسلام في قلبي فذكرت لأمي فقالت: إياك أن تخالف أباك فيمنع عنك القوت، فأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله في الحديبية وإني مصدق به. ودخل عام عمرة القضية وأنا مسلم، وعلم أبو سفيان بإسلامي، فقال لي يوماً: لكن أخوك خير منك وهو على ديني، فقلت: لم آل نفسي خيراً، وأظهرت الإسلام يوم الفتح، فرحب بي النبي ﷺ وكتبت له.

وكان عليه الصلاة والسلام يعلم تماماً العقل الذي أتاه الله معاوية، فقد استشار أبا بكر وعمر في أمر فقالا:

- الله ورسوله أعلم. فقال: أشيرا علي. ثم قال: ادعوا معاوية واحضروه أمركم (أشهدوه أمركم) فإنه قوي أمين.

وهذه شهادة عظيمة من سيدنا النبي ﷺ وجعله النبي الكريم كاتباً له بينه وبين العرب، وإليكم هذه الحادثة الطريفة فيما يرويه الإمام أحمد في مسنده: أن سيدنا رسول الله ﷺ دعا معاوية مرة ليكتب له. فقبل: إنه يأكل فدعاه ثانية وثالثة " وهو ما زال يأكل " فقال النبي الكريم في الثالثة: لا أشبع الله بطنه.

وكان النبي الكريم يدعو له فيقول: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب ومكن له في البلاد وقه العذاب ، اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به.

ومرة أردف النبي الكريم معاوية خلفه فقال: ما يليني منك. قال بطني يا رسول الله فقال: اللهم املاؤه علماً وحلماً.

ذكرت أمام رسول الله ﷺ بلاد الشام فقال له رجل: وكيف نستطيع الشام وفيه الروم قال ومعاوية في القوم ويده عصا، فضرب بها كتف معاوية وقال: يكفيكم الله

بهذا.. وهذه من أعظم البشارات لسيدنا معاوية بأنه سيكون أميراً على الشام، بل إن النبي الكريم صرح أنه سيكون خليفة وملكاً فقال له: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل) وفي رواية: (يا معاوية إن ملكت فأحسِن).

ولذلك سيدنا معاوية يقول: والله ما زلت أعرف أنني مبتلى بهذا الأمر منذ سمعت ذلك من رسول الله ﷺ .

أيها الإخوة:

وفي خلافة سيدنا الصديق رضي الله عنه ولّاه قيادة جيش مدداً لأخيه يزيد بن أبي سفيان، وأمره أن يلحق بأخيه فكان غازياً تحت امرته، وقد فتح معه صيدا، وبيروت وسواحل دمشق الشام، ثم ولّاه سيدنا عمر الأردن.

ولما توفي سيدنا يزيد في طاعون عمواس ولّاه سيدنا عمر بن الخطاب عمل يزيد على دمشق وما معها .

وفي عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه جمع لمعاوية الشام كلها، فكان ولاية أمصارها تحت أمره، ومازال والياً حتى استشهد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

فانظروا - أيها الإخوة- من الذي ولّاه على دمشق والشام إنه سيدنا عمر، فقام به أتم قيام وأبقى سيدنا عثمان، ورضي أهل الشام به لحلمه وسخائه، وإن كان غيره من أصحاب رسول الله خيراً منه بكثير وأفضل وأصلح، ولكن سيدنا معاوية ساد وساس الناس بكمال عقله وفرط حلمه ، وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه، شهد بذلك سيدنا ابن عباس فقال وقد سأله عكرمة التابعي: إن معاوية أوتر بركة . فقال ابن عباس: إن معاوية لفقيه.

وكان رضي الله عنه محبباً إلى رعيته بقي أميراً على الشام عشرين سنة قبل أن يتولى الخلافة بعد جديني سيدنا علي والحسن وقدم عليه سيدنا عمر إلى هنا إلى دمشق الشام فتلقيه سيدنا معاوية في موكب عظيم مهيب، فلما دنا منه. قال:

- أنت صاحب الموكب العظيم؟!

قال: نعم

قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟! قال: نعم.

فقال: ولم تفعل ذلك؟!

قال: يا أمير المؤمنين! نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير فيجب أن نظهر من عزّ السلطان ما يرهّبهم فإن نهيّتي انتهيت؟!

قال: يا معاوية ما أسألك عن شيء إلا تركتني مثل رواجب الضّرّس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً فإنه لخدعة أديب. قال: فمربي. قال: لا أمرك ولا أنهاك. فقيل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر عما أوردته (ما أحسن ما أجاب عما سألته) قال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.

وخرج حاجاً مع سيدنا عمر، وكان إذا نظر الفاروق إليه تعجب من أمره وكان يقول: هذا كسرى العرب. ويقول لأصحابه: تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية؟!

وكانت عبادته أشبه بعبادة سيدنا رسول الله ﷺ فإن أبا الدرداء كان يقول في الشام:

ما رأيت أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم معاوية.

وحينما تولى سيدنا عثمان الخلافة كان معه بقوته وعقله، وأراد عند الفتنة أن يصطحبه معه إلى الشام فأبى سيدنا عثمان وقال: لا أترك جوار رسول الله ﷺ أبداً.

وعندما استشهد بعثت زوجة عثمان نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية كتاباً بما جرى، وبعثت بالقميص وعليه الدم، فقرأ معاوية الكتاب، وصعد منبر دمشق ونشر

القميص وخصلة من الشعر التي نتفت من لحية سيدنا عثمان، وضج أهل الشام من هذا الخبر الرهيب ونادوا على سيدنا معاوية فقالوا:

- هو ابن عمك، وأنت وليه ونحن الطالبون بدمه معك.

وأمر سيدنا معاوية بالقميص أن يطاف به في الشام وأن يُحرض الناس على الطلب بدم الشهيد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

ولما استبطأ سيدنا علي بأخذ الثأر للشهيد عثمان حينما قامت الفتنة قال له ابن عباس رضي الله عنهما :

"وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ .

ورفض سيدنا معاوية البيعة لسيدنا علي حتى يؤخذ بثأر سيدنا عثمان ، ونادى في

الناس أن الزبير بن العوام قادم عليكم الشام لتبايعوه بالخلافة، ولكنه حينما علم أنه استشهد في معركة الجمل ترحم عليه.

وفي صفين دارت رحى الحرب، وتجلّى بوضوح دهاء سيدنا معاوية في هذه الموقعة، وكان الناس لا يعرفون الحق مع أي الجانبين حتى استشهد سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه .

فقد تواترت الأخبار عن النبي المختار أنه قال: "تقتل عماراً الفئة الباغية"، وهذا من إخباره بالغيب ، ومن دلائل نبوته، قال ابن حجر في كتابه العظيم: "الإصابة في تمييز الصحابة": "ظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع سيدنا علي، واتفق أهل السنة على ذلك، وأن معاوية وفقته هي الباغية".

يا أحباب رسول الله :

في اللحظة نفسها التي استشهد فيها سيدنا علي سنة أربعين من الهجرة كان في اللحظة نفسها يعتدى على سيدنا معاوية في الشام بخنجر مسموم من قبل أحد الخوارج المارقين من الدين، وقد جرح سيدنا معاوية جرحاً بليغاً فَلَقَّ أليته وسقي أدوية خلصته من السم، لكن قطع نسله.

ثم آلت الخلافة لجدي سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما فصالح سيدنا معاوية، وتنازل له عن عرش الخلافة الذي حلم به سيدنا معاوية سنة ٤١ هـ، وسمي هذا العام بعام الجماعة.

ولكن هذا الحدث العظيم في الأمة لم يعجب بعض أصحاب سيدنا الحسن رضي الله عنه فكانوا إذا لقوا جدي الحسن يقولون له: يا عار المؤمنين! (سبحان الله بعد أن وُحِدَ كلمة الأمة وجمع شملها وهم يقولون له هذا لأنه تنازل عن الخلافة) فاسمعوا جواب جدي الحسن (ترضوا عنه) كان يجيبهم: العار خير من النار.

وقال له آخر: يا مُذِلَّ المؤمنين فقال له: لا تقل هذا فإني سمعت أبي يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية، فعلمت أن أمر الله واقع فكرهت القتال.

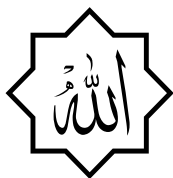
وهكذا- أيها الإخوة- تحققت معجزة عظيمة من معجزات سيد البرية في تولي معاوية الخلافة، ولكن ترى كيف كانت خلافة سيدنا معاوية؟

هل بقى يسير على هدي الخلفاء ، أم تتحقق كلمة الفاروق: هذا كسرى العرب.

هل بقيت خلافة راشدة أم أصبحت ملكاً عضوضاً؟

إنا بانتظارنا معجزة أخرى سوف تتحقق لسيد الكائنات تأتيكم على منبر رسول
الله ﷺ في الجمعة القادمة بإذن الله. هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا
محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول
الله :

الصلاة والسلام عليك



الحلقة (٨٤)

أمير المؤمنين السادس

«ثم تكون ملكاً عضواً»

سيدنا معاوية بن أبي سفيان

٤١ ق.هـ - ٦٠ هـ

الحمد لله ثم الحمد لله،

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي
واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا يكون أبداً.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً
عبدنا ورسوله وصفيه وخليله أكرمهم الله بالخلفاء الراشدين والصحابة المهديين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين صدّقوه
واتبعوه ففازوا بالبشرى ، وسلم تسليماً.

أما بعد:

"إني والله وليتُ أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها،
وإني العالم بما في نفوسكم، ولكن خالستكم بسيفي هذا مخالسةً، ولقد أردت نفسي
على عمل أبي بكر وعمر، فلم أجدها تقوم بذلك، ووجدتها على عمل عمر أشد
نفوراً، وحاولتها على مثل سَنِيَّاتِ عثمان فأبت علي، وأين مثل هؤلاء، هيهات أن

يدرك فضلهم ، غير أني سلكت طريقاً فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكل فيه مواكلة حسنة، ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم "وإن فيكم من هو خير مني؟ ابن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهما، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم في عدوكم وأنعمكم ولاية، وأحسنكم خلقاً، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدّم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا ببعضه، وإن السيل إن جاء تترى- وإن قل- أغنى، إياكم والفتنة فلا تهمّوا بها، فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستئصال، واستغفر الله لي ولكم".

معشر الإخوة الكرام:

كانت هذه الكلمات هي خطبة العرش التي خطبها سيدنا معاوية إبان تسلّمه الخلافة سنة (٤١ هـ) وهي تبين الطريقة التي سوف يسلكها هذا الخليفة السادس، وقد نفذها في خلافته حرفياً التي دامت قرابة عشرين سنة.

والحق يقال: إن الناس قد نعموا من خلال خلافته وشعروا بالأمن والطمأنينة، واستقرار البلاد، والازدهار في داخل الدولة الإسلامية، والانتصارات الحربية خارجها، وكان رضي الله عنه من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو بيريء من الهنات، والله عز وجل يغفر له.

ولقد أحسّ المسلمون أنهم تحت راية واحدة في الدولة العربية الإسلامية، راية بني أمية التي كان مؤسس مجدها ودولتها سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. واتخذ عاصمة لها دمشق الشام، نعم هنا في دمشق، واتخذ لسكانه القصور الملكية، إذ كان قصره مقابل الجامع الأموي في جهة القبلة يدعى قصر الخضراء، عاش فيه على أسلوب كسرى وقيصر منذ بداية عهد الملك، وأحاط قصره بحرس وعسس خاص، وجعل الحراس يمشون أمام مواكبه والحجبة يحولون بينه وبين الشعب.

وهو أول من اتخذ الديوان للختم، واتخذ المقاصير في الجامع، وأول من قام على رأسه الحرس، وأول من خطب في الناس جالساً- بعد أن سمن- وأول من اتخذ الخصيان في الإسلام، وأول من جعل درجات المنبر خمس عشر درجة، وكان يقول: أنا أول الملوك، يقول فيه ابن عباس: ما رأيت أحلى للملك مثل معاوية رضي الله عنه.

وقد صدق لأن سيدنا النبي ﷺ قال:

"الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً" فانقضت خلافة النبوة ثلاثين عاماً، فلما ولي سيدنا معاوية بالغ في التجميل والهيئة، وقل إن بلغ سلطان إلى رتبته، هذا كله في ظاهر الأمر، ولو أننا تركنا الظاهر إلى حقيقة الأمر وباطنه لوجدنا أنه كان نتيجة سبق قضاء الله عليه لتصدق معجزة سيدنا النبي ﷺ في تحول الخلافة إلى ملك وراثي، لأن سيدنا معاوية غير تشريع تنصيب الخليفة الذي سار عليه الخلفاء قبله، واستخلف ولده يزيداً استخلاقاً قاهراً، وكان قد أمر ولاته أن يهيئوا له هذا المنصب فصاروا يروجون لهذا في الأمصار ومن الذين روجوا له مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص، وحلفاء بني أمية.

فقد قام مرة مروان بن الحكم يخطب في الناس ليهيء يزيد للخلافة، فقال لهم:

- إن أمير المؤمنين قد اختاره عليكم، وأنه أفضل الخلفاء بعده، مما أثار هذا الكلام غضب الصحابة، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال لمروان:

- كذبت- والله يا مروان، وكذب معك معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد ﷺ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل).

إخوة الإيمان:

كان من الصعوبة بمكان تولية يزيد بن معاوية ولاية العهد، وذلك لعدة أمور أهمها:

١- صغر سنّه فقد كان مازال في الخامسة والعشرين والعرب اعتادوا على تزعيم ذوي الأسنان.

٢- أنه كان يحب اللهو والغناء، وكان ماجناً سكّيراً، وهذا ما أثار عليه نقمة أهل العراق والحجاز.

٣- ثم إن الصعوبة العظمى تكمن في قلب نظام الشورى، وجعل الحكم وراثي، وانقلاب الخلافة ملكاً، لأن الشورى السياسية في اختيار الحاكم كانت قاعدة أساسية هامة في الدولة الإسلامية.

لكن سيدنا معاوية استطاع بتدبيره وإنفاذ بصيرته وإصراره أن يزيل هذه العراقيل، وينفذ مشروعه، فكيف فعل ذلك؟!

إخوتي في الله :

كانت مراكز الثقل في الأمصار: الشام، والعراق، والحجاز، ولو استطاع معاوية أن يسيطر على هذه المراكز لاستطاع أن ينفذ ما يريد بسهولة.

أما بالنسبة إلى الشام فقد تولى أمرها باكراً، أيام كان والياً عليها لعمر وعثمان رضي الله عنهما، فقد كانت أقوى القبائل وأكثرها عدداً في الشام هي قبيلة بني كلب، ولكي يضمن سيدنا معاوية ولاء أهل الشام قبل أن يصبح خليفة، صاهر هذه القبيلة العظيمة حيث تزوج من ميسون الكلبية وهي التي ولدت له ولي عهده يزيد الفاسق، ولأجل هذا سمى المؤرخون هذا الزواج زواجاً سياسياً، نعم زواجاً

سياًسيّاً وهي عادة قبلية معروفة قديماً عند العرب، لأنهم أصبحوا أخوال ولي العهد والحماة الطبيعيين للبيت الحاكم.

وأما أهل العراق فكان فيه جبهتها معارضة لحكم سيدنا معاوية، هما أصحاب سيدنا علي رضي الله عنه، والخوارج الناقمين على أي دولة سوف تقوم.

ولأجل القضاء على هاتين الجبهتين المعارضتين استخدم سيدنا معاوية رجلين من أهل ثقيف، عرف أحدهما بالدهاء، والآخر بقوة الشكيمة والفصاحة:

أما الأول الداهية فهو المغيرة بن شعبة الثقفي، ولآه الكوفة.

وأما الثاني القوي الفصيح فهو زياد بن أبيه ولآه البصرة.

كما اعتمد قواداً عسكريين من ثقيف أيضاً للفتوحات شرقاً أمثال محمد بن القاسم ويوسف بن عمر الثقفيان.

ولقد كان ولاء المغيرة بن شعبة عظيماً لسيدنا معاوية، ولكنه وليضمن ولاء زياد بن أبيه وهو رجل مجهول الأب، أتدرون ماذا فعل سيدنا معاوية؟!

إنه ارتكب غلطة في ذلك، فقد اعترف سيدنا معاوية بزياد هذا أنه أخوه من أبي سفيان أي أنه استلحقه بنسب أبيه، وهذه العملية عدّها المؤرخون أيضاً عملية سياسية بحته المقصود منها ولاء ابن زياد للبيت الحاكم.

أيها الأحبة :

زياد هذا كان ابن جارية من الطائف، واسمها سمية، وادعى سيدنا معاوية أن أباه أبا سفيان كان في الجاهلية قد زنى بها فحملت منه، فلما شبّ الفتى ثبت أنه صاحب ملكات وكفاءات غير عادية فقد كان حازم الرأي، ذا هبة، داهية، وكان مفوهاً خطيباً فصيحاً بليغاً، ولكي يخضعه معاوية ويجعل منه نصيراً له، جاء بشهود

شهدوا أن والده أبا سفيان قال: إن زياداً جاء من نطفته تلك، وأن زياداً ابن غير شرعي لأبيه، وعلى هذا أقرّه أخاً له، وواحداً من أهل أبيه.

وهذا الفعل - أيها الإخوة - علاوة على أنه عمل غير مشروع فإنه مكروه من الناحية الأخلاقية، فإنّ الشريعة لا تثبت نسباً من الزنا، وحكم سيدنا النبي ﷺ واضح في أمثال هذا الموقف ، حيث يقول: "الولد للفراش وللعاهر الحجر" (الرجم).

ولهذا كانت أم المؤمنين السيدة أم حبيبة (أخت معاوية) ترفض الاعتراف بزياد أخاً لها، وكانت تحتجب منه، حتى ماتت رضي الله عنها سنة ٤٤ هـ وكانت من العابدات الورعات رضي الله عنها.

وحين استلم زياد هذا البصرة ساس أهلها سياسة قوية حكيمة ، وقضى على المنازعات والمشاغبات، وأثبت جدارته في توليها، ولأجل ذلك حين مات المغيرة سنة / ٥٠ هـ / ضم له سيدنا معاوية الكوفة، فأصبح زياد حام العراق بلا منازع، بل أصبح حاكم على المشرق وسجستان وفارس والسند والهند، وجمع جميع تحركات الخوارج وكل من أراد الفتنة، وإليكم مثلاً واحداً على ذلك قصة حُجر بن عدي الكندي، الصحابي أحد رؤساء أهل الكوفة، الذي شهد الجمل وصفين إلى جوار سيدنا علي، وكان أحد أمرائه.

كان هذا الصحابي يدافع عن سيدنا علي كلما انتقصه أحد، وهذا حق منه لا ريب، ولكنه لما رأى المغيرة بن شعبة والي الكوفة يسكت عنه ويحلم عليه ويصفح عنه كلما تمادى في كلامه، وراح يشتد أكثر فأكثر، وجمع حوله أصحاباً شذّوا من أزره.

وكان المغيرة يحذّره مغبة هذا الصنيع ولكنه ركب رأسه، فلما مات المغيرة وتولى زياد الكوفة مع البصرة، دخل الكوفة فوجد حُجر بن عدي قد جمع حول أصحابه يشدون على يده ويسبون معاوية علناً ويتبرؤون منه. فماذا فعل معه زياد؟

لقد استدعاه بلطف فأكرمه وقال له: أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فاستفرغه كله، أملك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدي، فاكفني نفسك فأني أعرف عجلتك، فأنشدك الله في نفسك، وإياك وهذه السقطة (سب معاوية) وهؤلاء السفهاء أن يستنزلوك عن رأيك.

أسمعتكم هذا الكلام، وهذا اللطف، وهذا الدين، وهذا الصبح والحلم والأناة التي عامل بها زياد حُجراً الصحابي؟

ألا يكون بعد ذلك قد عذرنا زياداً عندما يتصرّف أي تصرّف مع هذا الصحابي الجليل؟

المهم أنه وافق على ذلك، ولكنه ما إن عاد إلى بيته وأصحابه حتى عاد سيرته الأولى. وخرج زياد وترك نائباً عنه في الكوفة، إلى مقر إقامته في البصرة، لكن حُجراً وأصحابه حصبوا والي الكوفة على المنبر يوم الجمعة بالحجارة.

ومرة ثانية عاد زياد إلى الكوفة فدخل مسجدها وخطب وجنوده حوله، وراح يذكر حق أمير المؤمنين على الناس، فإذا بِحُجْر وأصحابه يأخذون كفاً من الحصى فيرمونه بها ويقول له: كذبت عليك لعنة الله. فخفف زياد الصلاة، وعاد إلى بيته وأرسل إلى سيدنا معاوية بالخبر. فكتب إليه يقول له:

شدّه في الحديد واحمله إلي.

أيها السادة :

لقد قتل سيدنا حجر نفسه بهذه الفعال، لأن السلطان ظل الله في أرضه، لا تثار ضده الفتن إلا بحالة واحدة أن يصرح السلطان بالكفر، فإن صرح بأنه يكفر بالله ورسوله فلا طاعة له علينا يقول ﷺ " السمع والطاعة حق على المرء المسلم في ما

أحبّ أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (ق) ، بغير هذا لا يباح لأحد أن ينال السلطان بالسبّ هكذا علانية وفي بيت الله، لذلك نقول: إن حجراً قتل نفسه هو وأصحابه.

ولأجل هذا امتنع حجر عن الذهاب إلى والي العراق حين استدعاه وامتنع بأصحابه فأرسل إليه الوالي جيشاً استخرجه من بين أصحابه وسجنه عشرة أيام، ثم بعثه إلى معاوية، الذي أمر أن يقتل هو وأصحابه الخمسة ، وخاصة بعد أن شهد سبعون شهيداً أنه مناهض للحكم وأنه يثير الفتن في الكوفة.

لقد قتل حجر نفسه، وسيدنا معاوية حين قتلهم تأول حديث رسول الله ﷺ:

"من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" (م).

وحينما اعتمر سيدنا معاوية ودخل على السيدة عائشة رضي الله عنها وسلّم عليها من وراء حجاب بعد مقتل حجر وأصحابه قالت له:

أين ذهب عنك حِلْمُكَ يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه؟.

فقال لها: فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أماء، ثم قال لها: فكيف برّي بك يا أمّهُ. فقالت: إنك بي لبار.

فقال: يكفيني هذا عند الله، وغداً لي ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل.

وفي رواية: إنما قتله الذين شهدوا عليه. وفي رواية قال لها: إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خير من استحياؤه في فسادهم.

وهكذا- أيها الإخوة- استطاع زياد أن يقود العراق بحكمة وسياسة قومية، فلما توفي زياد تولى ولده عبيد الله بعد أن استقام عوده ، وشبَّ عبيد الله هذا على حبِّ معاوية حتى كان مخلصاً له أكثر من أبيه. وعبيد الله هذا له شأن كبير فيما بعد في قتل سيدنا الحسين حين تولى يزيد بن معاوية الحكم.

هذا بالنسبة للعراق والشام.

أما أهل الحجاز - مكة والمدينة- فقد كان فيهم أهل القرآن والصحابة الأخيار الذين رغبوا عن الخلافة، وبقي سيدنا معاوية يروض الناس لبيعة ابنه يزيد سبع سنين حتى استوثق أخيراً سنة ٥٦ هـ، حيث أذاع هذا القرار بتولية يزيد عهده حين اعتمر في رجب وزار المدينة أولاً ثم مكة.

وقد أخذ منهم البيعة قهراً، فقد أخذ بالكلام مع أبناء الصحابة رضي الله عنهم منهم سيدنا الحسين وابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر ودار بينهم كلام في بيعة العهد ليزيد ثم هددهم وقال: إني متكلم بكلام فلا تردوا علي اقتلكم.

فخطب وأظهر أنهم قد بايعوا، وسكت الصحابة ولم ينكروا، وبذلك أخذ البيعة منهم قهراً كما قال المؤرخون.

أيها المؤمنون :

ومنذ أن تولى سيدنا معاوية الخلافة، لم تهدأ الفتوح براً ولا بحراً، فقد سير القادة في كل جهة، وطرق ولأول مرة أسوار القسطنطينية، وكان قائد هذه الحملة يزيد الفاسق نفسه، وإنما فعل ذلك سيدنا معاوية ليصرف الناس عن مجون ولده وفسقه، وكان تحت رايته تلك أبناء الصحابة أمثال ابن عمر وابن الزبير وأبي أيوب الأنصاري، وطبعاً جيش قائده فاسق سوف يعود بالخيبة والخسران فعاد هذا الجيش خائباً واستشهد سيدنا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ في هذه المعركة ودفن

بجوار أسوار القسطنطينية، وصحيح أن هذا الجيش قد خسر هذه الحرب لكنهم عادوا بغنيمة عظيمة، لقد عادوا وقد غفر الله تعالى لهم أتدرون لماذا؟

لأن النبي الأعظم ﷺ ثبت عنه في صحيح البخاري أنه قال: أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم.

معشر المسلمين :

وكان من ضمن القواد العظام الذين قاموا بالعمليات العسكرية ضد الروم لواء الإسلام، سيدنا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان سيدنا معاوية: يخاف منه وكانت له هيبة وشجاعة وبأس، ومات مسموماً من قبل رجل في حمص ، وتوفي ودفن بجوار والده سيف الله المسلول سيدنا خالد بن الوليد، وقد أخذ بثأره ولده خالد بن عبد الرحمن من الرجل الذي قتل أباه.

معشر الإخوة : لم يستعن سيدنا معاوية بأفراد أسرته في الحكم إلا في الحجاز، حيث ولى مروان بن الحكم على المدينة، وخالد بن العاص بن هشام على مكة.

وكانت له سياسة حكيمة في توليه الولاية، كان إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ابن أمية ولآه الطائف لأن الطائف بلد لا يخشاه معاوية، وتكون ولايته عليها ولاية تجربة وبداية طريق، فإذا مرت هذه المرحلة بنجاح ولاء جارتها مكة، لأنها لم تعد مركز الثقل السياسي، بل هي بلد القراء وبقية صالحه من أبناء الصحابة والتابعين، فإذا ما أثبت أهليته وثقته ضم إليه المدينة المنورة، مستقر الأنصار وبعض رجالات المعارضة فيكون قد تمت تجربته وأثبت جدارته.

يا أحباب النبي ﷺ:

حج سيدنا معاوية قبل وفاته، فلما كان بالأبواء اطلع في بئر قديمة فضربته اللقوة (شل نصفه) فدخل داره بمكة وأرخى حجاباه واعتم بعمامة سوداء على شقه الذي لم يصب، ثم أذن للناس.

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس: إن ابن آدم معرض للبلاء، إما مبتلى ليؤجر أو معاقب بذنب، وإما مستعْتَبٌ لِيُعْتَبَ وما اعتذر من واحدة إلى ثلاث:

فإن ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي، وإن عوقبت فقد عوقب الخاطئون قبلي، وما آمن أن أكون منهم، وإن مرض عضو مني فما أحصي صحيحي، ولو كان الأمر إلى نفسي ما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني، فأنا ابن بضع وستين، فرحم الله من دعا لي بالعافية، فوالله لئن عتب علي بعض خاصتكم لقد كنت حديباً على عامتكم.

فجع الناس يدعون له، وبكى.

فلما بلغ الثمانين من عمره خطب الناس قائلاً: إني من زرع قد استحصد، وقد طالت إمري عليكم حتى مللتكم ومللتموني، ولا يأتيكم بعدي خيرٌ مني، كما أن من كان قبلي خير مني، اللهم قد أحبيت لقاءك فأحبّ لقائي.

ودعا ولده يزيد فأوصاه قائلاً: اتق الله فقد وطأت لك الأمر، ووليتُ من ذلك ما وليتُ فإن بك خيراً فأنا أسعد به، وإن كان غير ذلك شقيتُ به، فارفق بالناس، وإياك وجّبه أهل الشرف والتكبر عليهم.

وأوصاه :

أن يستوصي بأهل الحجاز، وأنه إن سألَه أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولى عليهم عاملاً فليفعل، فعزل واحد أحبَّ إليك من أن يسلك عليك مئة ألف سيف. وأن يستوصي بأهل الشام، وأن يجعلهم أنصاره، وأن يعرف لهم حقهم، وقال له لست أخاف عليك من قریش سوى ثلاثة:

الحسين وابن عمر وابن الزبير.

فأما ابن عمر: فقد وقّده العبادَة.

وأما الحسين: فرجل ضعيف، وأرجو أن يكفيكم الله تعالى بمن قتل أباه وخذّل أخاه، وإنّ له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وقربة من محمد ﷺ، ولا أظن أن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه فإنني لو صاحبه عفوته عنه.

وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإن شخص لك فانبذ إليه إلا أن يلتبس منك صلحا، فإن فعل فاقبل منه واصفح عن دماء قومك ما استطعت.

وقال له: شهدت رسول الله ﷺ يوماً قلم أظفاره وأخذ من شعره فجمعت ذلك، فإذا مت فاحش به فمي وأنفي.

وكنّت اوضىء رسول الله ﷺ فتنزع قميصه وكسانيه فرفعته، فإذا مت فألبسوني القميص على جلدي فعسى الله أن يرحمني ببركتها.

ودخل عليه الناس يعودونه في مرض الوفاة وسمّوه يقول:

هل الدنيا إلا ماذقنا وجربنا، والله لوددت أن لم أعبر فيكم إلا ثلاثاً، ثم ألحق بالله، قالوا: إلى مغفرة الله ورضوانه. قال: إلى ما شاء الله، قد علم أنني لم آل، ولو أراد أن يغيّر غير.

وراح يدعو: اللهم أقلّ العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فما وراءه مذهب، ثم قال:

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفطع

عباد الله : توفي سيدنا معاوية عن ثمانين سنة في عام ستين للهجرة، ففزع الناس إلى المسجد، فلما ارتفع النهار شُمع البكاء من قصر الخضراء، وكان ابنه يزيد خارج دمشق، ومعه بعض أصحابه وأخواله من بني كلب، فلما علم بموته قدم دمشق، فإذا

بسيدينا معاوية قد دفن في باب الصغير، فسار إلى قبره فوقف عليه وصف أصحابه خلفه وكبر أربعاً- صلاة الجنازة- ثم ركب بغلته إلى قصر الخضر بجوار الجامع الأموي.

ثم نودي وقت الظهر- الصلاة جامعة- فاغتسل وخرج فجلس على المنبر وعَجَّل العطاء وأعفاهم من غزو البحر، فافترق الناس وما يفضلون عليه أحداً.

فكيف كان ملك يزيد؟. ماهي الحوادث الكبرى التي كانت في عصره؟ هل بقي على مجونه وفسقه؟ أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة إن شاء الله وأعود بكم من هناك إلى هنا. هنا مدرسة سيدينا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه وسلم





الحلقة (٨٥)

الملك السابع

استشهاد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه

في ملك يزيد بن سيدنا معاوية - ٦١ هـ - ٢٦ - ٦٤ هـ

الحمد لله الذي يعجل بالأبرار ليدلّ على أنهم من الأخيار، وطبع هذه الدار عاد الأكدار، فسبحانه وتعالى عالم الجهر والأسرار، ومقلب القلوب والأبصار .
أحمده حمداً دائماً بالعشي والإبكار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي قائلها من عذاب النار. وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله نبيه المختار ، ورسوله المجتبي من أشرف نجار، الذي استأذن عليه ملك القطر أن يأتي النبي الكريم، فأذن له، فقال لأُم سلمة: احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، فجاء سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما فوثب حتى دخل، فجعل يصعد على منكب النبي الكريم فقال الملك: أتجبه؟ قال؟ نعم. فقال: إن أمتك تقتله، فإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فأراه تراباً أحمرًا. فإذا بأُم سلمة: تأخذ ذلك التراب فتصره في طرف ثوبها، قال: فكنا نسمع أنه يقتل بكرىلاء. وهنا بكى رسول الله وفاضت عينا النبوة. ومر علي بن أبي طالب وهو ذاهب إلى صفين بكرىلاء، وسأل عنها، فقال: كرب وبلاء، فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال: يقتل ههنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة، يدخلون الجنة بغير حساب.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الجدراء
بالتعظيم والإكبار، صلاة دائمة باقية بقاء الليل والنهار وسلم تسليماً.

أما بعد: فحدثنا اليوم معكم حول جريمة نكراء حدثت في العصور الغابرة، إنها
أول جريمة ينتهك فيها بيت رسول ﷺ ، وهي جريمة قتل سيدي ورقة عيني جدي
الحسين بن علي وأهل بيته الأطهار، وقبل أن أفتح هذا الملف المؤلم، أستعرض بين
يدي هذا الحدث خلافة يزيد وأنقلها لكم على الحلقة الثانية والسبعين من جامع
الدرويشية بدمشق.

فقد ولد يزيد بن سيدنا معاوية رضي الله عنه سنة ٢٦ هـ وقد تفرس فيه سيدنا
معاوية منذ صغره بأنه سوف يتولى ولاية عهده ولأجل ذلك سعى بها إليه وتولاها
يزيد في حياة أبيه، ثم أصبح ملكاً وهو ابن أربع وثلاثين سنة، بعد وفاة سيدنا معاوية
رضي الله عنه.

فأقرّ نواب أبيه على الأقاليم، لم يعزل واحداً منهم، وعُدّ هذا من ذكائه، ولكنه
بعد تولّيه لم يكن له هم إلا أخذ البيعة من النفر الذين أبوا على سيدنا معاوية البيعة
ليزيد، إذ كتب لنائبه على المدينة الوليد بن عقبة فقال:

- خذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه
رخصة حتى يبايعوا والسلام.

وامتنع سيدنا الحسين وابن الزبير عن البيعة وماطلا ثم سارا إلى مكة ليعوذا
بالبيت، وأما ابن عمر رضي الله عنهما فقد قال: إذا بايع الناس بايعت، ثم بايع مع
الناس.

ولما لم يفلح الوليد بن عقبة في أخذ البيعة، عزله يزيد الفاسق وولاها لعمر بن
سعيد بن العاص نائب مكة، وكان هذا الرجل متأهلاً متكبراً، وحين عرف العداوة

بين ابن الزبير وأخيه عمرو وولاه شرطة المدينة، فإذا بعمره يجلد أصحاب سيدنا عبد الله كلاً منهم أكثر من أربعين جلدة.

وأرسل يزيد الفاسق إلى والي الحجاز أن يبعث إليه بابن الزبير مربوطاً عنقه برسن، فأرسل والي الحجاز عمرو بن الزبير - رئيس شرطته - ليأتي بأخيه، وأرسل معه جيشاً من ألفين مقاتل. وجرت بينه وبين أصحاب أخيه مقتلة ارتد عمرو بن الزبير على عقبه فسجنه سيدنا عبد الله وضربه بكل من ضربه بالمدينة حتى مات تحت السياط.

وهكذا عظم شأن الصحابييين الجليلين سيدنا الحسين وسيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وعكف الناس حولهما، وكان ابن الزبير يقدم سيدنا الحسين عليه فهو أحق بالأمر منه، كيف لا، وهو السيد الكبير، وابن بنت رسول الله، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه، ولأجل ذلك أرسل إليه أهل العراق يدعونه إليهم ليبيعوه. فأرسل سيدنا الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ليكشف حقيقة الأمر في العراق. فلما وصل الكوفة التف حوله ثمانية عشر ألفاً يريدون بيعته، فأرسل إليه مسلم أن يحضر إلى العراق بسرعة وأخبره الخبر.

إخوة الإيمان :

وتجهز سيدنا الحسين للخروج إلى العراق مع أهل بيته فطاف حول البيت سبعاً واعتمر وحلّ من عمرته أثناء موسم الحج، وجاءه الصحابة يطلبون منه عدم الخروج إلى العراق بلد الفتن، جاءه سيدنا ابن عباس فقال له:

- أني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قومٌ غدرٌ فلا تغترّ بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم.

فقال سيدنا الحسين: يا ابن عم، والله أني لأعلم أنك ناصح ولكني قد أزمعت المسير. فقال له ابن عباس: فإن كنت لا بد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وأولاده ينظرون إليه.

وجاءه ابن عمر فمنعه من الذهاب فأبى، فقال له ابن عمر: إني محدثك حديثاً: إن جبريل أتى النبي فخبّره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ والله ما يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم. فأبى سيدنا الحسين أن يرجع.

وقال له ابن الزبير: أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك. فقال: لأن أقتل هناك أحب إلي من أن تستحلّ بي مكة.

وقالت له إحدى النساء (عمرة بنت عبد الرحمن) أشهد أنني سمعت عائشة تقول: إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل الحسين بأرض بابل. فقال جدي الحسين: فلا بُدَّ لي إذاً من مصرعي. ومضى.

إخوتي في الله: إن جدي الحسين كما ترون مضى لأجله الذي قدّره له الله تعالى، ولأجل ذلك ضرب بأراء مشيريه عرض الحائط وظنّ بأهل العراق خيراً، رغم أنهم قتلوا سيدنا علياً وطعنوا أخاه الحسن ودعاة الفتنة ومحبو الشر. وخرج بأولاده ونسائه مع تسعة عشر رجلاً من بني عبد المطلب مع ستين من أهل الكوفة، ولقد أخطأ رضي الله عنه خطأ عظيماً في خروجه، وطلب أمراً لم يتهيأ له، ولم يُعدّ له عدته. ولكنني أعود فأقول قد خرج إلى أجله ليمضي إلى ربّه عز وجل وينال الشهادة في سبيل الحق والعدل.

ولكن هذا العدد الكبير الذي كتب عنه مسلم وهو ١٨ ألف يريدون بيعة الحسين كان غثاءً كغثاء السيل - لا قيمة لهم - إذ أن والي العراق عبد الله بن زياد بن أبيه فرّق جمعهم بعد أن هددهم فلم يبق من ١٨ ألف مع مسلم إلا ثلاثين رجلاً ثم أصبحوا عشرة، ثم لم يبق معه أحد حين أراد الخروج من العراق، ولم يجدوا أحداً يدّله على الطريق إلى الحجاز، فاستجار برجل قتله عبيد الله أيضاً وجيء بمسلم إليه ليقتله، فطلب مسلم من محمد بن الأشعث أن يرسل للحسين رسالة يخبره فيها ألا يخرج من مكة قال له فيها: ارجع بأهلك، ولا يغرنك أهل الكوفة فإنهم أصحاب

أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو بالقتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي.

ولكن هذه الرسالة لم تصل إلى سيدنا الحسين إلا وهو على مقربة من (٤ ليال) من الكوفة ، فقال سيدنا الحسين:

- ما حُجَّ نازل، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا.

أيها الأحبة :

وأرسل يزيد الفاسق إلى واليه على العراق عبيد الله بن زياد يخبره:

إن الحسين قد توجه نحو العراق، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترق العبيد وتعتق.

وعلى الطريق التقى جدي سيدنا الحسين بأحد الحجاج، فسأله عن أهل العراق فقال: القلوب معك والسيوف مع بني أمية.

وأرسل عبد الله بن جعفر ابنه عوناً ومحمداً إلى جدي الحسين برسالة قال له فيها:

أما بعد: فإني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا، فإني أشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفئ نور الإسلام، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإننا في أثرك والسلام.

ثم أخذ عبد الله بن جعفر أماناً للحسين من والي الحجاز أن يعود إلى مكة ومن معه، ولكن جدي الحسين أبى أن يرجع .

معشر الكرام :

ابتدأت المذبحة في عهد يزيد الفاسق عندما أرسل سيدنا الحسين رسولاً إلى الكوفة يخبرهم بقدومه، فألقى القبض عليه ابن زياد وأمره أن يصعد إلى سطح مقره فيسب سيدنا الحسين وعلياً، فصعد رسول الحسين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس:

إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم وقد فارقتك بالحاجر من بطن ذي الرمة، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي والحسين.

فبدأت المذبحة بأن أمر ابن زياد أن يلقي هذا الرجل من رأس القصر إلى أسفله، فتقطعت وتكسّرت عظامه ، ثم قام رجل فذبجه أيضاً.

ومرّ سيدنا الحسين برجل وهو لا يعلم شيء مما وقع، فسأله عن أخبار الناس في الكوفة، فقال لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل هو ومن أجاره ورسولك الذي أرسلته.

فراح سيدنا الحسين يكرر: إنا لله وإنا إليه راجعون، وراح يقول: لا خير في العيش بعدهم.

ووثب بنو عقيل وقالوا له: و الله لا ترجع حتى ندرك ثأرنا أو ندوق ما ذاق أخونا مسلم. ولكن ابن زياد أرسل كوكبةً من الفرسان وعلى رأسهم عمرو بن سعد بن أبي وقاص لاحتضار الحسين ومن معه إلى الكوفة موجوداً، ونزل سيدنا الحسين أرضاً ونصب عليها خيمة هو ومن معه، فسأل عن اسم هذه المنطقة، فقالوا كربلاء. فقال: كرب وبلاء.

ووصلت كوكبة الفرسان، والتقى سيدنا الحسين بعمر بن سعد فطلب منه إحدى ثلاث:

١- أن يدعه يرجع إلى مكة.

٢- أو يسيره إلى يزيد.

٣- أو أن يُسَيِّره إلى الترك ليقاتلهم حتى يموت.

فاستأذن ابن سعد والي العراق ابن زياد فأبى عليه إلا أن ينزل على حكمه، وأرسل ثلاثين مقاتلاً أشداء من أعيان الكوفة على رأسهم شمر بن الجوشن، ولكنهم انقلبوا على شمر وانضموا إلى سيدنا الحسين وهم يقولون:

- يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ثلاث خصال فلا تقبلوها منها شيئاً.

وقدم جيش آخر من الكوفة في ألف مقاتل على رأسهم الحر بن يزيد التميمي، ومعه أمر شديد اللهجة بإحضار جدي الحسين ومن معه، وأن يمنع عنه الماء كما فعل بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

هكذا قال لهم ابن زياد، فدعا الحسين عليه فمات مانعه من شدة العطش.

وفي اليوم التاسع من المحرم قام أعوان ابن زياد المحرم وقد بلغوا آلافاً بالهجوم على كوكبة طاهرة من آل بيت رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر.

وكان جدي الحسين جالس أمام خيمته محتبياً بسيفه، ونعس فخفق برأسه، وسمعت

أخته الضجة فأسرعت إليه فأيقظته، فقال لها: رأيت رسول الله في المنام فقال لي: إنك قادم إلينا.

وإذا بعشرين فارساً يأتون إليه ويقولون: جاءنا أمر: إما أن تأتوا على حكمه وإما أن نقاتلكم .

فصار أصحاب الحسين يقولون: بئس القوم أنتم، تريدون قتل ذرية نبيكم وخيار الناس في زمانهم؟..

وطلب سيدنا الحسين مهلة ليلة واحدة للصلاة والدعاء والاستغفار.

وقام خطيباً في أهله فقال:

من أحبّ أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له، فإن القوم إنما يريدوني.

فقال له أصحابه وأهله:

- لا بقاء لنا بعدك، ولا أرانا الله فيك ما نكره.

فقال جدي الحسين: يا بني عقيل حسبكم بمسلم أخيك، اذهبوا فقد أذنت لكم. فقالوا: ما تقول الناس إن تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، لم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف رغبة في الحياة الدنيا، لا والله لانفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وجاءت إليه أخته فقالت:

واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة اليوم، ماتت أمي فاطمة، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمان الباقي.

فنظر إليها وقال:

- يا أخته لا يُذهب حلمك الشيطان.

فقالت: أبي أنت وأمي يا عبد الله استقتلت، ولطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشياً عليها. فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال:

- يا أخيه اتقي الله واصبري وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقره وعزته، ويعيدهم فيعبدونه وحده وهو فرد وحده، واعلمي أن أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة، وراح يدعو الله تعالى مع أصحابه:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي من كل أمر نزل ثقة وعدة، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، وتخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزله بك، وشكوته إليك رغبة فيه وإليك، ففرجته وكشفته وكفيتني، فأنت لي ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل غاية.

أيها السادة :

وبات أهل بيت رسول الله مع أصحابهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، فلما صلى عمرو بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة، وكان يوم عاشوراء انتصب للقتال، وقبل المذبحة قام جدي الحسين يذكر المجرمين بفضله وعظيم نسبه وعلو قدره وشرفه، حتى إنه قال لهم:

راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وعلي أبي، وجعفر ذو الجناحين عمي، وحمزة سيد الشهداء عم أبي، وقال لي رسول الله ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة.

بهذه الكلمات العذبة الرقيقة خاطب الشهيد قاتليه قبل بدء المذبحة.

وخرج أحد أصحاب الحسين وهو زهير بن القين، ينذر الناس بالعذاب ويدعوهم
لخذلان الطاغية بن الطاغية عبيد الله بن زياد. وقال لهم:

خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية يذهب حيث شاء، فلعمري
إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا ينال شفاعته
محمد قوم أهرقوا دماء ذريته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم.

وقد أثرت هذه الخطابات في بعض المقاتلين فتركوا صفوف المجرمين وانضموا إلى
لواء الحق والدين إلى فريق سيدنا الحسين رضي الله عنه، ومنهم الحر بن يزيد وكان
من أشجع أهل الكوفة، فلامه بعضهم فقال مجيباً لهم:

والله إني لأخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة غيرها، ولو
قطعت وحرقت، ثم نادى أصحابه فقال:

أدعوتكم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه،
ثم عدوتم عليه لتقتلوه ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة والوسيلة التي لا يمنع فيها
الكلب والخنزير، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد
صرعهم العطش، بئس ما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظم الأكبر إن
لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا، في ساعتكم هذه.

ولكن- وكما يقول المثل السائد:

قد أسمعتم إذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وبدأت المذبحة بالتراشق بالنبال، وكلما استشهد واحد من أصحاب الحسين
أوصى من خلفه قائلاً:

أوصيك بالحسين أن تموت دونه (دفاعاً عنه).

ثم ابتدأ القتال فاقتتلوا مقتلة عظيمة وصناديد أصحاب سيدنا الحسين يدافعون عنه، ولما رأى سيدنا الحسين أنهم قد كثروا عليهم وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم تنافسوا أن يقتلوا بن يديه.

وقدم إليه عابس بن أبي شبيب ليقاتل أعداء جدي الحسين وراح يقول له:

- يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي منك، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز علي من نفسي وروحي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله إشهد لي أني على هديك، وألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس بكل قوته، يقول من شاهده .

- والله لقد رأيت أكثر من مئتين من الناس بين يديه يهربون ثم عطفوا عليه من كل جانب حتى قتلوه رحمه الله.

معشر الإخوة :

وبدأ يتساقط على أرض المذبحة دماء أهل بيت رسول الله ﷺ فكان أول من استشهد علي الأكبر بن الحسين فما أن طعن حتى أسرع القتلة يقطعونه بأسيا فهم . فقال جدي الحسين رضي الله عنه:

قتل الله قوماً قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه، فعلى الدنيا بعدك الفناء .

ثم استشهد عبيد الله بن مسلم بن عقيل، وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب، ثم القاسم بن الحسن بن علي .

ومكث سيدنا الحسين نهاراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلا رجع عنه لا يحب أن يقوم بقتله، حتى جاءه رجل يقال له مالك بن البشير، فضرب الحسين على رأسه

بالسيف فأدمى رأسه، فدعا عليه الحسين لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين، ودعا بعمامة فلبسها.

واشتد عطش سيدنا الحسين وأهل بيته، فحاول جدي الحسين أن يصل إلى ماء الفرات ليشرب فما قدر، بل مانعوه عنه فخلص إلى شربة منه فرماه رجل يقال له الحصين ابن تميم بسهم في حنكه نفر الدماء من عنقه، فنزعه جدي الحسين ثم رمى به وقال: اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

قال الراوي: فوالله ما مكث الرجل الرامي إلا يسيراً حتى صبَّ الله عليه الظمأ فجعل يشرب ويشرب فلا يروى، ويسقى الماء بارداً، وتارة يبرد له اللبن والماء جميعاً ويسقى فلا يروى وهو يقول: ويلكم اسقوني قتلي الظمأ، حتى مات غماً وهماً وكمداً وعذاباً.

وهجم المجرمون على جدي الحسين بتحريض من شمر بن الجوشن من كلِّ جانب، والحسين رابط الجأش، ماضي الجنان وهو يقول: أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم بقتله مني.

وانقضوا عليه كما ينقض الحيوان المفترس على الحمل الوديع.

يقول الراوي: وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة، وأربعة وثلاثين ضربة، وقام مجرم يدعى سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فذبجه وحزَّ رأسه ودفعه إلى خولي ابن يزيد الأصبحي، الذي سار به إلى قصر ابن زياد الطاغية فوجده مغلقاً، فخرج به إلى بيته فوضعه في إجنانه، وقال لامرأته نورا بنت مالك:

- جئتكَ بعزِّ الدهر. فقالت: وما هو. فقال: برأس الحسين. فقالت: جاء الناس بالذهب والفضة وجئت أنت برأس ابن بنت رسول، والله لا يجمعني وإياك فراش أبداً. فاستدعى امرأته الثانية التي كانت تقول: والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الإجانة إلى السماء، وطوراً بيضاء ترفرف حولها.

معاشر المسلمين :

لم تنته المذبحة عند هذا الحد، بل إن المجرمين القتلة قطعوا رؤوس شهداء آل البيت وبعثوا بها إلى ابن زياد، وسار معها الموكب الحزين ممن بقي حياً من آل بيت نبينا ﷺ، الذي أمر بهم جميعاً أن يرسلوا إلى يزيد الفاسق.

ثم سيق بأهل بيت رسول الله من النساء والصبيان من الكوفة إلى يزيد في الشام، فلما مروا على مكان المذبحة بكته النساء وصرخن، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها، فقالت وهي تبكي : يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك الله، وملك السماء، هذا حسين بالعراء، مُزَمِّلٌ بالدماء، مقطَّع الأعضاء .

يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليهم الصبا.

وبكى كل من في القافلة من بُكائها ونعيها صديقاً كان أم عدواً.

وما أن وصلت الرؤوس حتى شُمع البكاء (هنا في دمشق)، سمع البكاء من كل بيت دمشقي على شهداء آل بيت رسول الله ﷺ ، وحملت الرؤوس إلى يزيد الفاسق وما أن رآها حتى دمعت عيناه ﴿الآن وقد عصيت﴾.

وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابنَ سمية، أما والله لو أُنِي صاحبه لعفوت عنه ، ورحم الله الحسين. قال له أبو بزة الأسلمي:

- ألا إن هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعه محمد وتجيء وشفيعك ابن زياد.

ودخل أسارى آل البيت على يزيد الفاسق، فضمهم لأهل بيته وأكرمهم واعتذر إليهم عما فعله ابن الجارية، وكساهم وأعطاهم أكثر مما أخذ منهم، وقال لعلي بن الحسين:

قبح الله ابن سمية، أما والله لو إني صاحب أهلك ما سألتني خصلة إلا أعطيتها إياها، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو بملاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيته. ثم قال له: كاتبي بكل حاجة تكون لك.

أيها المؤمنون :

وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين، يقول عبد الملك بن عمير: دخلت على عبيد الله ابن زياد وإذا برأس الحسين بن علي بين يديه على ترس، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عبيد وإذا برأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس.

وكل أولئك الذين قتلوا آل البيت قل من نجا منهم من آفة أو عاهة في الدنيا، وأكثرهم أصابهم الجنون، وخاصة عندما رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بالدم هذا البيت:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

يا أحياب رسول الله :

واستيقظ ابن عباس في الحجاز فزعاً يسترجع فقال: قتل الحسين والله ، فقال له أصحابه: لم، فقال: رأيته رسول الله ومعه زجاجة دم فقال: أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما.

وعند الترمذي: دخلت امرأة على أم سلمة وهي تبكي فقالت لها ما يبكيك، فقالت: رأيته رسول الله وعلى رأسه لحيته التراب. فقلت مالك يا رسول الله؟ فقال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

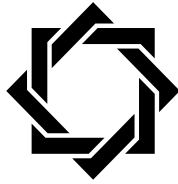
تقول أم سلمة: سمعت الجن يكيّن على الحسين وسمعت الجن تنوح على الحسين
وهن يقلن:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم ونبي ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الانجيل

أيها المؤمنون:

كان مقتل جدي سيدنا الحسين سنة ٦١ هـ في السنة الأولى من ملك يزيد
الفاسق، فليستبشر القاتل بالقتل، و الذابج بالذبح ، والجالد بالجلد فإن الله يمهّل
ولا يهمل ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخّره ليوم تشخص
فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾.

هنا منبر رسول الله ﷺ الجالس في هذه الروضة عليه أن يؤدّي العزاء إلى سيدنا
رسول الله، وعزاؤنا إليك يا رسول الله الاستغفار فاستغفروا الله يغفر لكم فيا فوز
المستغفرين.



الحلقة (٨٦)

الملك السابع

نهاية يزيد

الحمد لله الذي تتبدل الأعوام ولا يتبدل على الدوام يرفع أقواماً ويخفض آخرين ، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويذلّ من يشاء ، كلّ يوم هو في شأن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب على نفسه ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وقائدنا وأميرنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله كان يدعو مولانا عز وجل ويقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك). اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه السادة البررة نجوم الهدى ومصابيح الآخرة ، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فهذه هي الحلقة الثانية من ملكية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعنوانها:

المخازي التي جرت في عهد يزيد الفاسق الذي دامت دولته أقل من أربع سنوات ويزيد هذا- ممن لا نسب ولا نجب، لأنه افتتح دولته بمقتل الشهيد سيدنا الحسين واختتمها بواقعتين فظيعتين، فمقتله الناس، ولم يبارك الله في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد جدي الحسين كأهل المدينة وابن الزبير في مكة، والخوارج في العراق.

وقد كان للمذبحة التي وقعت في عهد يزيد الفاسق أثرها السيئ على المسلمين جميعاً وخاصة أهل الحجاز فإن سيدنا عبد الله بن الزبير تمسك بهذه الحادثة فشهر بها يزيد، وأثار عليه الناس واتهمه بأفعاله المنافية لما يجب عليه أن يكون المسلم فكان مما قاله:

- (أما- والله- لقد قتلوه- (يعني جدي الحسين) طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل.

أما- والله- ما كان يبذل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد ، ﴿فسوف يلقون غيا﴾ .

ووقع أهل المدينة في حيرة من أمر يزيد وأرادوا التعرّف على أحواله، فأرسل أهل المدينة عدداً من أشرفهم إلى الشام ليقرروا ما يفعلون بعد ذلك ببيعة يزيد الفاسق.

ولما دخلوا على يزيد أكرمهم ، ورأوه رجالاً كثير اللحم عظيم الجسم، كثير الشعر جميلاً طويلاً ضخماً الهامة، وشهدوا فيه خصالاً محموداً من الكرم والحلم والفصاحة والشّعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك ، ورأوا أنه قد أسر أهل الشام بهذه الخصال، وأنه وسّع النهر المسمى بيزيد في ذيل جبل قاسيون، وكان جدولاً صغيراً، فوسعه أضعاف ما كان يجري فيه من الماء.

وشهد أهل المدينة أموراً أخرى لا تليق بمسلم عادي ، وإليكم هذا المشهد من مشاهد ترفه. فعن زياد الحارثي قال: سقاني يزيد شراباً ماذقت مثله، فقلت يا أمير المؤمنين لم أُسَلِّسْ مثل هذا، قال: هذا رمان حلوان بعسل أصبهان، بسكر الأهواز، بزبيب الطائف بماء بردى.

ونظروا إلى خليفة المسلمين، فرأوا رجالاً يستمتع إلى الآلات والمعازف ويشرب الخمر ويحب الغناء والمغنيات ويتخذ الغلمان والكلاب والقروء، وما من يوم إلا

ويصبح فيه مخموراً وحدّث من رآه: أنه سكر مرة فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه (يا رحيماً على من عصاك يا رب).

وكان يشد القرد على فرى مسرحية بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وبلغ من سفهه أنه كان إذا مات قرد حزن عليه، ورأوه وهو مقبل على هذه الشهوات، يترك بعض الصلوات في بعض الأوقات، ويميتها في غالب الأوقات، وقد صدق سيدنا رسول الله ﷺ إذ يقول:

(يكون خُلف من بعد ستين سنة، أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون خُلف يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن (يؤمن به) ومنافق (كافر به) وفاجر (يتأكل بالقرآن)).

أيها الإخوة:

رأى أشرف أهل المدينة كل ذلك وعرفوه حق اليقين، وهم الذين شهدوا خلافة الصديق أبي بكر وعمر وعثمان، والفرق بينهم وبين يزيد كما هو الفرق بين السماء والأرض، فما أن انصرفوا من عند يزيد الفاسق، ووصلوا إلى المدينة المنورة حتى راحوا يروّجون ما شاهدوه من أمر خليفة المسلمين فكانوا يقولون لكل من يلقونه:

- قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، تعزف عنده المغنيات بالمعازف، ويسكر حتى يترك الصلاة.

وهكذا تجمع أشرف أهل المدينة عند منبر سيدنا رسول الله ﷺ في سنة ٦٣ هـ وأعلنوا على الملأ أنهم قد خلعوا بيعة يزيد من أعناقهم، فكان الواحد منهم يقول:

- قد خلعت يزيد كما خلعت عمامي هذه. ويقول آخر: خلعت يزيد كما خلعت نعلي هذين.

بهذه الكلمات- أيها الإخوة- خلع أهل المدينة يزيد، وإن الإنسان ليعجب من هذا التهور الغريب والمظهر الذي ظهر به أهل المدينة في قيامهم بخلع خليفة في إمكانه أن يجرد عليهم من الجيوش مالا يمكنهم أن يقفوا في وجهه ، إنهم وكما قال المؤرخون: فتقوا فتقاً وارتكبوا جرماً عظيماً تسبب بمأساة عظيمة: وإليكم المأساة:

فقد بلغ يزيد ما فعله أشرف أهل المدينة بعد أن أكرمهم وأحسن إليهم، فبعث الصحابي الجليل النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحذرهم غب ذلك، ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة.

وكذلك فعل الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأمر أهل بيته ألا ينزعوا يداً من طاعة وإلا تبرأ منهم.

لكن أهل المدينة رفضوا الرجوع عن موقفهم ، ووصلوا إلى نتيجة واتفاق بينهم: وهي أن يخرجوا من المدينة واليهام عثمان بن محمد بن أبي سفيان وجميع بني أمية، فاجتمع بنو أمية في دار شيخ بني أمية مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، فاستنجدوا بيزيد في الشام، فبعث إليهم جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل، على رأسهم شيخ كبير ضعيف العقل يدعى مسلم بن عقبة المري وقال: والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة.

فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ.

وقال له عبد الله بن جعفر: رأيت إن رجعوا إلى طاعتك أيقبل منهم.

قال يزيد الفاسق: إن فعلوا فلا سبيل عليهم. والتفت إلى مسلم بن عقبة وقال له:

- ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم وإلا فاستعن عليهم بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً ثم اكفف عن الناس، واستوص بعلي بن الحسين خيراً فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه.

إخوة الإيمان : هذا الحدث هو أدهى وأمر في نظر المؤرخين من قتل سيدنا الحسين وأهل بيته رضي الله عنهم، لأنه كان انتهاكاً لحرمة مدينة رسول الله ومهبط الوحي الإلهي، وهي التي حرّمها رسول الله كما حرم إبراهيم مكة، فصارت هاتان المدينتان مقدستين لا يحل فيهما القتال، فانتهاك حرمة إحداها من الشرور العظيمة والمصائب الكبرى فكيف بانتهاك حرمتها معاً في سنة واحدة، يقول عليه الصلاة والسلام (م): (لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع "يذوب" الملح في الماء). ويقول: (لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، ومن أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) أحمد- (أي لا يقبل الله منه فريضة ولا نفلاً) نعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وقلة العقل من الجهلاء.

إخوتي في الله : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مدينة الحبيب الأعظم لنشهد معاً مأساة عظيمة دبر وخطط لها يزيد الفاسق، إننا بجوار الحبيب الأعظم (صلوا عليه).

فقد سار هذا الجيش نحو المدينة المنورة بقيادة هذا المسرف على نفسه بأمر فاسق الأمة يزيد، فلما اقترب منها وعلم أهلها بقدومه شددوا الحصار على بني أمية، ثم أطلقوهم بعد أن أخذوا عليهم العهود الموثقة ألا يدلوا عليهم أحداً من هذا الجيش، فجعل مسرف بن عقبة يسألهم الأخبار فلا يردوا عليه حتى جاءه عبد الملك بن مروان بن الحكم فقال له:

- إن كنت تريد النصر فانزل شرقي المدينة في الحرّة، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أفقيتكم وفي وجوههم، فادعهم إلى الطاعة، فإن أجابوك وإلا فاستعن عليهم بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة.

ونفذ مسرف هذا الترتيب تماماً ، فما أن بلغ الحرّة حتى دعا أهل المدينة ثلاثة أيام، وكلهم يأبون إلا المحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء ٢٨ ذو الحجة سنة ٦٣ هـ :

- يا أهل المدينة مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي : إنكم أصله وعشيرته، وإنه يكره إراقة دمائكم، وإنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً، فقد مضت، فماذا أنتم صانعون، أتسلمون أم تحاربون؟
فقالوا: بل نحارب.

فقال: لا تفعلوا بل سالموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحد (يعني ابن الزبير).
فقالوا: يا عدو الله، لو أردت ذلك لما مكناك منه، نحن نذركم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام.

ودارت رحى الحرب بين أهل المدينة الأطهار (جيران الحبيب الأعظم) وبين جيش يزيد الفاسق، وقتل من السادات والأعيان خلق كثير وانهمزم أهل المدينة، ثم أباح مُسْرِف ابن عقبة - هذا - قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد الفاسق، وقتل عدداً من أشرافها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شرّ عظيم وفساد عريض، وانتهكت الأعراض في المدينة حتى قيل: إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، ثم استدعي عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن قد خرج مع بني أمية فأمر به فنتفت لحيته بين يديه، وجاءت ابنة عم لمسرف بن عقبة تطلب منه أن يجيرها. فقال: لأصحابه قبحهم الله، أن يبدعوا بها (بانتهاب أموالها)،

وجاءته امرأة تقول له: أنا مولاتك - أعتقتك أو أعتقت أباك - وابني في الأساري فقال: عجلوه لها واضربوا عنقه، ثم قال: أعطوها رأسه.

واختفى جماعة من سادات الصحابة أمثال سيدنا جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري الذي لحقه رجل رآه يلتجئ إلى غار في جبل وشهر عليه سيفه فقال: إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فقال له الرجل: من أنت؟ قال: أنا أبو سعيد الخدري. قال: صاحب رسول الله؟! قال: نعم. فمضى وتركه.

وجيء بسيدنا سعيد بن المسيب فقال له بايع. فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر.

فأمر بضرب عنقه، فشهد رجل: إنه مجنون، فخلي سبيله.

وصاحت النساء والصبيان في المدينة فكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: هذا الذي حدث لأهل المدينة كان جزاءً بعثان بن عفان رضي الله عنه.

وانتهت المجزرة، وقتل من وجوه الناس سبعمئة من المهاجرين والأنصار، وغيرهم قريباً من عشرة آلاف، ووقع من المفاسد العظيمة مالا يحد ولا يوصف.

ولأجل ذلك أفتى بعض العلماء بجواز لعن يزيد بن معاوية، ولكن الأصح في ذلك عدم جواز لعنه لثلاث أسباب: لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول أو أخطأ وقالوا: إنه مع ذلك كان إماماً فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح أقوال العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة وسفك الدماء الحرام ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء، فكل واحدة من هذه الأمور أشد من فسق يزيد، وقد أخطأ أهل المدينة أيضاً بخروجهم على الإمام، وقد جاء في الحديث الصحيح: (من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان) .

أيها السادة : لم يكنف يزيد الفاسق بهاتين المجزرتين في عهده، بل عمد إلى مجزرة
ثالثة لكن الله تعالى لم يمكنه من استكمالها وهي مهاجمة مكة المكرمة لقتال ابن الزبير
ومن معه من المسلمين فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً مدة شهرين وبلغ جهل وقلة
عقل قائد جيشه حصين بن نمير السكوني أن نصب المجانيق على الكعبة ورموها
بالنار فاحترق جدار الكعبة واتخذ ثلاثة من أركانها، وهنا نادى ابن الزبير في جيش
يزيد الفاسق:

- يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم.

وإلى هنا توقفت المعركة في شهر ربيع الأول من سنة ٦٤ هـ.

وكان سبب موت يزيد الفاسق أنه حمل قردة فعضته، وكان آخر ما تكلم به:

اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ولم أردّه واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد. ومات
بحوارين من قرى الشام بعد أن خلف خمسة عشر ذكراً وخمس بنات من أمهات
شتى. وحمل بعد موته إلى دمشق ليدفن بمقابر باب الصغير ولتبقى سيرة حياته عبرة
لمن يعتبر، لكل من تسول له نفسه أن يقتل نفساً بغير حق أو يهتك عرضاً أن الله لا
يغفل عنه، وأنه إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر.

فمن هو أمير المؤمنين، الخليفة الراشدي السادس، أمير الحجاز والعراق ومصر
وبعض الشام، الذي حكم بسيرة أبي بكر وعمر، أعلق هذا السؤال وأعود بكم من
هناك من مكة المكرمة إلى هنا إلى دمشق.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب
الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٨٧)

الخليفة الراشدي

السادس

أمير المؤمنين سيدنا عبد الله بن الزبير ١-٧٣ هـ

الحمد لله المبدىء المعيد، الغني الحميد، ذو العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد.

فسبحانه قسّم خلقه قسمين، وجعلهم فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، إن ربك فعال لما يريد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا قائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت البيد.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه أولى المعونة والتأييد، صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد. وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فحدثنا اليوم عن رجل آخر من أصحاب سيدنا محمد ﷺ، رجل رباه رسول الله، على قراءة كتاب الله وإتباع سنة سيدنا رسول الله ﷺ ، كان قانتاً لله، صائماً في

الهواجر مخافة الله، إنه ابن حواري رسول الله وابن عمته، وأما جده فهو المسلم الأول بعد رسول الله وشيخ الإسلام الصديق أبو بكر، وجدته صفية بنت عبد المطلب، وعمته السيدة خديجة بنت خويلد، وخالته السيدة عائشة حبيبة حبيب الله وزوجة رسول الله، إنه الرجل الذي لا ينازع في ثلاث: في العبادة والشجاعة والفصاحة، وكان لفصاحته وقوة صوته إذا خطب تجاوب لصوته جبلا مكة، فلا يجهل فضله إلا من أعماه الله تعالى.

إنه سيدنا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.

يكنى هذا الصحابي الجليل كنيّتين : أبو بكر وأبو حبيب القرشي الأسدي المكي ثم المدني.

أيها الإخوة:

وقبل أن أفتح ملف هذا الفارس القرشي في زمانه، ألتفت معكم ذات اليمين وذات الشمال لنرى معاً أبوي هذا الخليفة الراشدي السادس الإمامين الصحابيَّين الفدائيين :

أما والده فهو الزبير بن العوام أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله، إنه رائد الجهاد، البطل السمح الكريم الذي قال عنه الحبيب الأعظم: (لكل نبي حواريّ وحواريّ الزبير، ومرة قال له رسول الله: فداك أبي وأمي، وقد بشره رسول الله بالجنة فقال: (طلحة والزبير جاراي في الجنة).

وكان له ألف مملوك يشتغلون لحسابه، ولم تجب عليه زكاة، لأنه لم يكن يدّخر شيئاً.

وأما والدته فإنها درس لكل سيدة، وأريدكم اليوم أن تنقلوا هذا الدرس لأهل البيت، لجميع النساء، لأن في قصتها عبرة للنساء، إنها إثبات لمن يحتقر المرأة ، أن

المرأة قد تكون أعقل وأنبل من الرجال، إنها امرأة لها من نبل القلب وكبر العقل وثبات الأعصاب ما لم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال.

إنها السيدة أسماء بنت أبيها سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أسماء ذات النطاقين، التي شاركت في أجَلِ الأحداث في السلم وفي الحرب، وهي أخت السيدة عائشة الكبرى.

أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً ، وبايعت الرسول على الوفاء للإسلام، وحين رأت أن الإيمان قد يتعارض مع أقوى عواطف النفس البشرية (مع حب الأم) غلبت إيمانها على عاطفتها.

جاءت أمها تزورها، وكانت مشركة لم تدخل في الإسلام بعد، فهشت للقائها، وارتسمت ابتسامة على شفتيها ثم ذكرت أن أمها مشركة ، وأن رابطة الدين أقوى من رابطة النسب، وأن الله تعالى يقول :

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ﴾
فجمدت التحية على اللسان وأرسلت إلى أختها السيدة عائشة تسألها: اسألي رسول الله أصل أمي وهي مشركة، فقال لها الرسول الكريم (نعم صلي أمك). فعلمها أن الإسلام لا يحول أبداً دون عواطف الخير ، ولا يقتل أبداً دوافع النبل في النفوس.

وحيث كان درس الهجرة، حمل صديق الأمة أبو بكر ماله كله معه، ليعين رسول الله على دعوته التي كان يراها أولى من نفسه وأسرته. وبلغ ذلك أبا قحافة والد الصديق وكان مكفوف البصر فجاء متأسفاً غضبان وقال:

- ما أراه إلا فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه.

فقالت السيدة أسماء: لا يا جدي. وأخذت حجارة فوضعتها في كيس كان يضع ماله فيه وألقته في صندوق ثم قالت: تعال وانظر. ووضعت يده على الكيس.

فقال: إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن.

وسار موكب رسول الله، موكب ما مشى من مكة إلى يثرب فقط، بل إلى دمشق والبصرة والكوفة ثم إلى بغداد والقاهرة ثم إلى اليمن والمغرب وسمرقند ودهلي ، إلى الدنيا العريضة التي حمل إليها أتباع سيدنا محمد الخير والهدى.

إنه موكب فيه رجالان وامرأة ليس فيه رايات تخفق، وتقرع أمامه الطبول، ويمشي وراءه الجنند، ولكنه موكب كانت تمشي فيه ملائكة الرحمن وتحفّ به رحمة الله تعالى.

رجالان وامرأة، امرأة لم تقطع معهما الطريق، ولكنها أمدتهما بالطعام والزاد، وكذلك تصنع المرأة إذا لم تصل مع الرجل إلى كل ميدان وصل إليه، فإنّ لها الفضل في إمداده وعونه، فلولا المرأة (المرأة أماً، والمرأة زوجاً وسكناً) ما استطاع الرجل خوض غمرات الحياة.

كانت السيدة أسماء تعد الطعام وتحمله إلى الرسول العربي وصاحبه، وتمزقت سفرتها فشقت نطاقها (زناها) اثنين فربطتهما بواحدة، وانتطقت بالآخر، فسميت ذات النطاقين.

ومرة أعدت لهما الطعام فجاء أبو جهل وأصحابه في زهوة الباطل وكبره السخيف فسألها عن أبيها، وكانت الهجرة سرّاً لا يعرفه في مكة إلا رجل وامرأة : علي وأسماء، فأبت أن تذيع السر، فهددها فلم تخف، فرفع يده فضربها وهي حامل، وكذلك يفعل الجبان، عجز أن يضرب الرجال فضرب امرأة حاملاً، وكذلك يفعل الجبناء في كلّ عصر، عجز اليهود عن مواجهة الأبطال فواجهوا العجائز والأطفال في دير ياسين وغيرها، لكن ضربة أبي جهل دمّرت الشرك ، وأطفال الحجارة سيدمرون صهيون.

إخوة الإيمان :

لما تزوج سيدنا الزبير السيدة أسماء لم يكن له في الدنيا شيء، لا مال ولا عقار، ليس له إلا فرسه، فلم يكن عليها أن تصبر على الفقر فقط، ولا أن تروض نفسها على الحرمان وتخدم زوجها، بل كان عليها أن تخدم هذا الفرس، تمشي في الطرقات فتجمع له نوى التمر، ثم تدق النوى وتعلف الفرس.

وصبرت، وأطاعت زوجها وحرصت على مرضاته (لتسمع النساء)، ورآها السيد الأعظم مرة وهو على ناقته وهي تحمل النوى، وهي أخت زوجته، وزوج ابن عمته فأناخ الناقة ليركبها معه، تقول السيدة أسماء:

- فذكرت غيرة الزبير فأبيت.

أبت أن تركب مع رسول الله ، الطاهر المطهر المعصوم، خوف سخط زوجها وما كان زوجها ليسخط، ومبالغة في مرضاته، ولما أعطاها أبوها خادماً ترعى الفرس، رأت نفسها قد غدت ملكة.

لتسمع كل امرأة لها زوج فقير، إن السيدة أسماء صبرت فكانت العاقبة أنها اغتنت وانصبت عليها وعلى زوجها النعم، حتى إنه لما مات كانت تركته (احزروا) كم خلف زوج السيدة أسماء بعد جمعها النوى ودّقه وصبرها على الفقر؟! خمسة ملايين درهم ومئتين ألف فقط لا غير، لم يجمعها من الحرام، ولا من الرشاوي أو فوائد البنوك، بل تاجر وتاجر حتى صار من أصحاب الملايين. وقدماً قالوا: نعمت الجارة ولو بالحجارة .

إخوتي في الله :

قد حان الآن أن ألق معكم باب الولادة المباركة لأمير المؤمنين وسادس الخلفاء الراشدين سيدنا عبد الله بن الزبير، فإن السيدة أسماء لحقت أباه في مكب الهجرة مباشرة في السنة الأولى أو الثانية، كانت حاملاً فما أن وصلت قُبَاء حتى وضعت

ابنها عبد الله، أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، وكان عيد ميلاده هو عيد ميلاد الحضارة واليُمن والخير.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى أشرف بقعة على وجه الأرض، إلى الروضة المطهرة ، إلى مدينة سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ، إلى حبيبي رسول الله ﷺ وهو بين المهاجرين والأنصار.

فقد أقام المهاجرون فترة لا يولد لهم، فزعم اليهود أنهم سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون تكبيرة واحدة ارتجت لها المدينة، وراح سيدنا الصديق يطوف به في المدينة ليكذب مزاعم اليهود.

وأنت به أمه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضعها ثم تفل في فمه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه ودعا له، وأمر أبا بكر الصديق أن يؤذن في أذنيه بالصلاة. وكان أول كلام تكلم به ابن الزبير وهو صغير السن: السيف السيف، فكان والده يقول: أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام.

أيها الأحبة:

مازلنا هناك عند الحبيب المصطفى ﷺ ، وأرى الحبيب الأعظم وعنده الحمام نبينا (صلوا عليه) يحتجم وعنده عبد الله بن الزبير، والحجامة استخراج الدم من نواحي الجلد، وهي تنقي سطح البدن ، وهي أفضل من الفصد (أي استخراج الدم من الأوردة بالآلات كالتبرع بالدم) ، الحجامة أفضل من الفصد في الأزمنة الحارة ، والأمزجة الحارة ، التي دم أصحابها في غاية الحرارة والنضج ، لأن الدم ينضج ويرق ويخرج إلى سطح الجسد الداخل فتخرج الحجامة ما لا يخرج الفصد الذي يؤخذ من الأوردة مباشرة . وسيدنا النبي يقول: "من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع

عشرة وإحدى وعشرين كان له شفاء من كل داء " (د . ك) . وكان عليه الصلاة والسلام لبليغ حكمته ينفذ هذا الاحتجام بنفسه ويقول (ت . جه) : " ما مررت ليلية أسري بي بملاً من الملائكة إلا كلهم يقول لي : " مُرْ أمتك بالحجامة " لذا كان يقول لأصحابه الكرام (م) : إن في الحجم شفاءً "

وسيدنا ابن الزبير كان قد وُضع دم الحجامة النبوي في طست وقال له: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حيث لا يراك أحد.

وانطلق عبد الله ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلما رجع قال: ما صنعت بالدم.

قال: إني شربته لأزداد به علماً وإيماناً، وليكون شيء من جسد رسول الله في جسدي، وجسدي أولى به من الأرض.

فقال له الحبيب الأعظم: أبشر لا تمسك النار أبداً، وويل لك من الناس، وويل للناس منك، ثم نزل بعد ذلك تحريم شرب الدم ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية.

وشب هذا الصحابي عابداً طائعاً حتى كان حديث أهل عصره بالعبادة والطاعة يقول عنه ثابت البناني:

- كنت أمرّ بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف مقام إبراهيم كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك.

وكان إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لاتراه إلا جزءاً من جدار.

وقسم رضي الله عنه ليلاليه في العبادة، فكان يقوم ليلة يصلي حتى يصبح، ويركع ليلة حتى يصبح، ويسجد ليلة حتى يصبح، ويقول عنه بعض أصحابه:

"ركع ابن الزبير يوماً فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه".

وكان خشوعه في الصلاة يضرب به الأمثال، فقد صَلَّى يوماً في بيته فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة وأسرع أهل المنزل واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوها وسلّم الله الولد ، وكل ذلك وابن الزبير في الصلاة لم يلتفت ولا قطع قراءته.

وكان يواصل الصوم سبوعاً، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة، يقول عنه مجاهد: لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة، واسمعوا إلى هذا المشهد الفريد:

فقد جاء سيل فغمر البيت وأسرع الناس يتعدون عن المياه التي أحاطت بالكعبة المشرفة، وخلا الطواف إلا من رجل واحد هو سيدنا عبد الله بن الزبير جعل يطوف حول البيت سباحة.

كانت هذه الأوسمة الكثيرة التي عُلقَت على صدر ابن الزبير أَهَّلته زمن سيدنا عثمان لأن يكون من ضمن النفر الذين كتبوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

معشر الإخوة الكرام :

أنتقل بكم الآن إلى إذاعة دينية أنقلها لكم من المغرب العربي في زمن الفتح الإسلامي زمن الخليفة الشهيد عثمان رضي الله عنه لأسطرّ لكم هذا المشهد الفريد التاريخي ، مشهد فريد لم يعرض على شاشة التاريخ إلا مرة واحدة ، على يدي ابن الزبير .

كان جيش المسلمين عشرين ألفاً فقط، وكان جيش البربر عشرين ومئة ألف، أحاطوا بالجيش إحاطة السوار بالمعصم أو كإحاطة البحر بماء الساقية، يقول الناظر إليهم إن هي إلا جولة واحدة ويلتقم البحر ماء الساقية، ولكن الله غالب على أمره،

إذ أنه ألهم ابن الزبير إلى خطة عجيبة رهيبة، فقد جمع حوله ثلاثين فارساً وسار نحو ملك البربر وهو منفرد خلف الجيش وجواريه يظللنه بريش النعام فسار حتى انتهى إليه الناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك، وإذا بالملك بآخر لحظة يفهم ماينوي عليه ابن الزبير فيولي مدبراً، فيلحقه عبد الله بن الزبير فيقتله بسيفه ويحتز رأسه ويجعله في رمح ويكبر في وسط المعركة، فيكبر المسلمون ويحملون على البربر فيهزموهم بإذن الله ويقتلون منهم خلقاً كثيراً ويغنمون غنائم كثيرة ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ .

وما أن يصل المدينة المنورة ويدخل على الخليفة هو وقائده ابن أبي سرح فيعلم الخبر حتى يأمره الخليفة عثمان أن يصعد المنبر فيخطب بالناس بما فعله، فيقوم الشاب ابن الخامسة والعشرين خطيباً بالناس، ويراه أبوه الزبير بن العوام ويسمع فصاحته وخطابته فلما نزل ولده قال له: والله لكأني اسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني.

وحين يشتد الحصار يوم الدار على الشهيد عثمان نرى ابن الزبير يقف مع الفئة المؤمنة على باب الخليفة حتى يجرح بضع عشرة جراحة.

ثم يشهد معركة الجمل مع خالته السيدة عائشة وأبيه ، فيتصارع في وسط المعركة مع نذ له من الأشداء اسمه مالك ، فيصرع مالك ابن الزبير فيحتضنه ابن الزبير وينادى في المقاتلين: اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي.

ثم يتفرق كلاهما عن بعضهما ولم يقدر أحدهما على الآخر.

وقد ظنت السيدة عائشة أن ابن الزبير قد استشهد ، فلما جاء رجل وأخبرها أنه بخير أعطته عشرة آلاف درهم لبشارته وسجدت لله شكراً، وكانت تحبه حباً شديداً لأنه ابن أختها حتى لقبها رسول الله بأُم عبد الله، لشدة حبها له، وكانت تقول : إنها لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله وأبي بكر مثل حبها لابن الزبير.

وفي عهد سيدنا معاوية كان له شأن عظيم ، فقد عرف القاصي والداني فضل ابن الزبير وشجاعته وفصاحته.

معاشر المسلمين :

أنتقل بكم الآن إلى جوار جامع بني أمية إلى قصر الخضر حيث قصر سيدنا معاوية، فقد دخل الناس عليه يوماً وهو على سرير الملك، فقال لمن حوله: أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالتها العرب. ثم قال لابن الزبير: يا أبا حبيب. فقال: مَهَيِّمٌ. قال: أنشد ذلك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف، كل بيت بمئة ألف. قال: نعم إن ساوت - قال أنت بالخيار وأنت وافي كاف. فأنشد للأفوه الأزدى:

بلوت الناس قرناً بعد قرن فلم أرَ غير حَتَّالٍ وقالِ

فقال معاوية صدق .

ولم أرَ في الخطوب أشدّ دفعاً وكيداً من معادات الرجال

فقال معاوية صدق .

وذفت مرارة الأشياء طراً فما شيء أَمَرٌ من السؤال

فقال معاوية: صدق.

وهنا دعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق كل واحد منهم بدره، وهي عشرة آلاف درهم، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره.

وكان ابن الزبير في الجيش الذي غزا القسطنطينية في عهد سيدنا معاوية فنال مغفرة الله ورضوانه لقوله ﷺ : (أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفورٌ لهم).

وفي عهد سيدنا معاوية أيضاً وقف أربعة من الشبان الفرسان في هذه الأمة كل منهم يتمنى على الله تعالى أمنية.

أيها المؤمنون :

أنقل إليكم جلسة من جلسات الصفا لفرسان قريش، والفرسان هم عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وعروة، وعبد الملك بن مروان.

قال مصعب بن الزبير: أتمنى أن أحكم العراقيين (الكوفة والبصرة) وأنزوج عقيلتي قريش وأجمل جميلات العصر: سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.

وقال عبد الله بن الزبير: أنا أتمنى أن أنال الخلافة وأملك الحرمين.

وقال عبد الملك بن مروان: أنا أتمنى أن أقعد مقعد معاوية وأحكم الأرض.

أما عروة بن الزبير فقال: أنا لست في شيء من ذلك ، أنا أتمنى أن أكون عالماً وأن أدخل الجنة. فلم تمض سنوات طويلة حتى حقق الله تعالى أمنية كل واحد منهم.

إذ أنه لما تولى يزيد الفاسق الخلافة بعد أبيه انشمر من بيعته جدي الحسين بن علي وابن الزبير فقصدوا مكة فأقاما بها، فلما استشهد جدي الحسين تفرد ابن الزبير بالرياسة والسؤدد بمكة، فلما راح الناس يبايعونه سراً على الخلافة وعلم يزيد بذلك أقسم ليأتيه ابن الزبير في قيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأرسلها إلى عامله على مكة، فقال لابن الزبير: برّ قسم أمير المؤمنين، فقال ابن الزبير:

ولا ألين لغير الحق أسأله حتى تلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قال: والله لضربة سيف بعزّ أحبّ إلي من ضربة بسوط في ذلك، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية.

فلما مات يزيد تولى ولده معاوية الثاني، وهو فتى في العشرين من عمره يختلف تماماً عن والده، فلم يطل به الحكم بل استمر عشرين يوماً ثم خرج إلى الناس فخلع

نفسه أمامهم ولم يعين خلفاً له، لأنه لم يجد فيهم أمثال أبي بكر وعمر، أو أمثال الستة من أهل الشورى الذين تم بهم انتخاب الشهيد عثمان، وتوفي بعد إعلانه الاعتزال بقليل .

وأصبح منصب الخلافة في الشام خالياً، وأصبح البيت الأموي في موقف لا يحسد عليه، إذ أن الأقطار الأخرى غير الشام لم تجد أمامها إلا البيعة لابن الزبير الذي كان أهل الحجاز قد بايعوه، وكذلك بايعه فريق من أهل الشام من العدنانيين القيسيين.

واستلم أمير المؤمنين سيدنا عبد الله بن الزبير الخلافة سنة ٦٤ هـ وأرسل عماله إلى الآفاق، إلى المدينة والبصرة والكوفة ومصر واليمن وخراسان والشام، وحقق الله أمنية مصعب بن الزبير إذ بعثه أخوه الخليفة إلى العراقين والياً.

وقام ابن الزبير في خلافته بالعدل والقسطاس والشورى على منهج الخلفاء الراشدين، وأعاد بناء الكعبة المشرفة التي ضربت بالمنجنيق زمن يزيد الفاسق، أعادها كما كانت عليه زمن إبراهيم الخليل لا كما تركها رسول الله ﷺ، لأنه سمعه يقول لخالته السيدة عائشة:

" لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأعدت بناء الكعبة على قواعد إبراهيم وجعلت لها بابين بالأرض".

ونفذ ابن الزبير رغبة رسول الله ﷺ وكسى الكعبة بالحبر، وكان يطيبها حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة، إننا نستطيع أن نقول بكل يقين: إن أمير المؤمنين الخليفة الراشدي ابن الزبير كان راشدياً في انتمائه إلى الحجاز وتمسكه به، وسار على منهج الخلفاء وكان يحاسب نفسه كل المحاسبة في شؤون المال، لا كما يفعله الأمويون.

وكان غنياً موسراً، بل كان له مئة عبد كل واحد منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله والدار الآخرة طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين.

أيها المسلمون:

يقول المؤرخون عن ابن الزبير: انه كان رجل حرب أكثر مما كان رجل سياسة، فقد ترك ابن الزبير أمور الشام هامشية في حياته السياسية، لأن مروان بن الحكم بعد موت معاوية الثاني بويع على الخلافة من قبل البيت الأموي، وسار في جيش كبير فاستولى على مصر واستعمل عليها ابنه عبد العزيز، ثم توجه نحو العراق لكنه مات في الطريق إليه، فتولى ولده عبد الملك بن مروان ، وبويع خليفة من قبل أهل الشام ومصر، ثم وجه السرايا لقتال مصعب بن الزبير في العراق، الذي تفرق عنه أصحابه العراقيين بعد أن أغراهم عبد الملك بالأموال، فتركوا مصعباً ليقتل بيد جيش عبد الملك الذي استلمه الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم وجهه عبد الملك لقتال ابن الزبير في مكة، ولكنه لم يستطع القضاء على ابن الزبير، فاستعمل أسلوب العراق إذ أنه أغرى بالمال جنود ابن الزبير وأعطى الأمان لهم إن هم تركوا القتال معه. فتفرق عن ابن الزبير عشرة آلاف مقاتل ، بل إن بعض أبنائه تفرق من حوله، وخير الحجاج ابن الزبير بين ثلاث:

- ١ - إما أن يذهب في الأرض حيث شاء.
 - ٢ - أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد.
 - ٣ - أو يقاتل حتى يقتل.
- فدخل على أمه السيدة أسماء وقد بلغت من العمر مئة سنة وذهب بصرها - على أحد القولين - ولم يسقط لها سن. فقال لها:

إنّ في الموت لراحة . فقالت: ما أحبّ أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، إما أن تملك فتقرّ عيني، وإما أن تقتل فاحتسبك.

واستشارها في قول الحجاج فقالت: إن كنت ترى أنك على حق فمت في سبيل حقك.

وهكذا- أيها الإخوة- دفعت أسماء بابنها إلى الموت، أريدكم أن تذكروا هذا الموقف الذي وقفته هذه السيدة، هل سمعتم أن أمّاً تحكم على ولدها بالموت؟ لقد وقفت أسماء موقفاً لم تقفه امرأة أخرى. وخرج ابن الزبير، ولم يلبس درعاً، وراح يحض أصحابه على القتال ، وقد بلغ السبعين من عمره ، فكان كلما دخل جيش من باب من أبواب الحرم حمل عليهم حتى يخرجهم.

وصار الحجاج يضرب الكعبة بالمنجنيق بعد أن استأذن عبد الملك بن مروان، وبينما ابن الزبير يقاتل مع القلة الباقية من أصحابه وقعت شرفة من شرفات المسجد الحرام على رأسه فصرعته، فأراد أن ينهض فلم يقدر، فأقبل عليه مقاتل فضربه فقطع رجله، ثم تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزّوا رأسه، ثم دخل الحجاج، وأمر بصلب ابن الزبير على جذع شجرة منكسا، وصلبه أياماً حتى كادت أعضاؤه تتفتت.

وإليكم يا أحباب رسول الله -: هذا الموقف الأخير من الأم الصابرة، الأم المجاهدة، فقد أتت إلى ابنها فوقفت عنده وهو مصلوب تدعو له طويلاً، ولا تقطر من عينيها دمعاً، ثم قالت قولتها المأثورة:

- أما آن لهذا الفارس أن يترجل.

وأقبل عليها الحجاج فأراد إغاضتها فقال: كيف رأيت؟ نصّر الله الحق وأظهره.

فقالت؟ ربما أدبل الباطل على الحق وأهله.

فقال: إن ابنك أُلحد في هذا البيت وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ يَلْحَاقْ بِهِ ظَلَمٌ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾. وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم.

قالت: كذبت، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وسرَّ به رسول الله، وحنكه بيده، وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ازَّجَّتْ المدينة فرحاً به، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله، فمن كان فرح يومئذ بمولده خيرٌ منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك براً بالوالدين، صواماً قواماً بكتاب الله، معظماً لحرم الله، ييغض من يعصي الله، أشهد على رسول الله لسماعته يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، أما الكذاب فرأيناه (المختار بن عبيد الله الثقفي) وأما المبير فلا إخالك إلا إياه.

وهنا انكسر الحجاج لكلامها، وردَّه الله خائباً، وأمر بإنزال الفارس المصلوب. وغسلته أمه السيدة أسماء بعدما تقطعت أوصاله، وحنطته وكفنته وصلت عليه ودفنته في دار صفية أم المؤمنين، ثم زيد دار صفية في المسجد الشريف .

يا أمة الحبيب الأعظم :

كانت خلافة ابن الزبير في سنة ٦٤ هـ ومكث في الخلافة تسع سنين، وحج بالناس فيها كلها، واستشهد سنة ٧٣ هـ وصدقت فيه معجزة سيدنا رسول الله ﷺ :
(ويل لك من الناس وويل للناس منك) .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.





الحلقة (٨٨)

الملك التاسع والعاشر

مروان بن الحكم - ٢ - ٦٥ هـ

وولده عبد الملك بن مروان - ٢٦ - ٨٦ هـ

الحمد لله الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير، العليم القدير.

شملت قدرته كل مخلوق ، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، قدّر مقادير الخلائق وآجالهم ، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله جلّ عن الشبيه والنظير، وتعالى عن الشريك والظهير، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله، وخيرته من بريته، وصفوته من خليقته، وأمينه على وحيه، أعرف الخلق به وأعلامهم عنده منزلة، وأوسعهم عنده شفاعاة.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه خير صحب وخير آل صلاة دائمة بالغدو والآصال، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد بقي القتل في هذه الأمة الإسلامية مستمراً منذ وفاة سيدنا معاوية وحتى سنة ٨٦ هـ حيث قام ملك من ملوك بني أمية بتوطيد دعائم الحكومة الأموية ثانية، واستقرت أوضاع الدولة الإسلامية في خلال ملكه، هذا الملك هو أول من سمي بعبد الملك في الإسلام إنه: **عبد الملك بن مروان بن الحكم** بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الخليفة الفقيه أبو الوليد الأموي ، وهو أول خليفة من بيت أبي العاص بن أمية.

وقبل أن أفتح ملف هذا التابعي أتناول معكم حياة أبيه مروان بن الحكم الذي مهد لولده عبد الملك.

وجده: الحكم من أكبر أعداء سيدنا النبي ﷺ في الجاهلية، أسلم يوم الفتح، وقدم المدينة فطرده سيدنا النبي ﷺ إلى الطائف ومات بها.

وأما مروان فقد ولد في السنة الثانية من الهجرة، فنشأ مروان مسلماً، وكان سيدنا عثمان يكرم مروان ويعظمه، وكان كاتب الحكم بين يديه، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار، وبسببه حوضر عثمان بن عفان فيها، لأن مروان زور على لسان الخليفة الشهيد عثمان كتاباً إلى مصر بقتل ذلك الوفد الذين قدموا على عثمان يشكون واليهم، وألح عليه أولئك الرهط بعد أن اكتشفوا الخدعة أن يسلمهم مروان فامتنع سيدنا عثمان أشد الامتناع، لأنه عرف أنهم سيقتلونه، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالاً شديداً، وقتل بعض الخوارج يوم الجمل، ويقال: إنه رمى طلحة رضي الله عنه بسهم في ركبته فقتله.

أيها الإخوة:

وفي زمن سيدنا معاوية ولي مروان المدينة عدة مرات، ولما مات يزيد أوشك أن يذهب إلى ابن الزبير فيبايعه، لولا ابن زياد الذي أشار عليه أن يطلب الخلافة لنفسه

لأنه شيخ بني أمية فاستشرف لها، وتم له بيعة البيت الأموي، بشرط أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الإمرة لخالد بن يزيد الفاسق، ويكون لمروان إمرة حمص، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق، وكانت البيعة لمروان سنة ٦٤ هـ.

وجهاز مروان جيشاً وسار على رأسه فثبت حكمه بالشام، ثم سار إلى مصر فبايعه أهلها، وولى عليهم ولده عبد العزيز، ثم عاد إلى دمشق فطلب البيعة من بعده لولده عبد الملك ثم من بعده لولده عبد العزيز، وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية لأنه كان لا يراه أهلاً للخلافة، فدبرت أم خالد مكيدة لمروان - وكانت قد تزوجته - فوضعت على وجهه وسادة هي وجواربها فمات مخنوقاً سنة ٦٥ هـ، وله من العمر ٦٣ سنة، واستمرت ولايته تسعة أشهر، ومن أولاده:

عبد الملك وعبد العزيز ومعاوية وغيرهم من البنات ، وكان نقش خاتمه : العزة لله.

إخوة الإيمان :

إننا في الصفحة الأولى من حياة هذا التابعي أعظم خلفاء بني أمية ودهاتهم بعد سيدنا معاوية رضي الله عنه.

ولد سنة ٢٦ هـ، ونشأ في المدينة، وشهد مقتل سيدنا عثمان وهو ابن عشر، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وكانت نشأته مفخرة للشباب، كان فقيهاً واسع العلم متعبداً، ناسكاً. شهد له ابن عمر فقال: إن لِمَرْوَانَ فقيهاً فسלוه، وَلَدَ الناس أبناء وولد مروان أباً.

ونظر إليه أبو هريرة وهو غلام فتفرس فيه فراسة صادقة فقال: هذا يملك العرب.

وكان عبد الملك يعد من فقهاء المدينة المنورة يقرن بسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وهو من رجال الدهر ودهاة الرجال، كان فصيحاً عالماً بالأخبار.

وصفه المؤرخون فقالوا: كان عبد الملك قوي العزيمة، ثابت النفس، لاتزعزعه الشدائد، ولي أمر الأمة وهو في غاية الاضطراب والاختلاف، ولكنه ما إن تمت له البيعة والمصحف بين يديه حتى أطبقه وقال:

- هذا آخر العهد بك، هذا فراق بيني وبينك . (اللهم لاتمكر بنا).

وبدا لعبد الملك بعد أن تمت له البيعة بالشام ومصر أن ينشر الدعوة، وأن يسترجع الحكومة الأموية إلى ما كانت عليه أيام معاوية الأول، فجهز الجيوش لمحاربة مصعب بن الزبير وأخيه سيدنا عبد الله رضي الله عنهما واستنفر الناس لأجل ذلك.

وابتداءً أولاً بمقاتلة مصعب بن الزبير والي العراق وخراسان، وخرج عبد الملك بنفسه قائداً لتلك الحملة سنة ٧١ هـ أي بعد خمس سنوات من خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير، ولكن هذا الجيش واجه صعوبة مُرَّة في طريقه، إذ أن جماعة سَمَّوا أنفسهم بالتوابين خرجوا يطلبون بثأر سيدنا الحسين بعد أن تخلوا عنه وخذلوه، ثم ندموا على خذلانه فلم يروا أنهم يكفرون عن ذنوبهم إلا إذا قاموا للمطالبة بثأره وقتلوا قتلته، فكانت بينهم وبين جيش عبد الملك معركة فاصلة انتهت بهزيمتهم شرَّ هزيمة .

ثم واجه عبد الملك رجلاً آخر يدعى المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، يدعو الناس باسم سيدنا محمد بن علي بن أبي طالب الملقب بابن الحنفية، وأنه أرسله للأخذ بثأر من قتل من آل البيت، وأنه يحكم باسمه ولقبه بالمهدي، وهذا كله كذب.

فاجتمع حول المختار الكذاب هذا طائفة كبيرة من أهل العراق وكان شعارهم: يا لثارات الحسين، فكانوا يتتبعون قتلة جدي الحسين بالكوفة فيقتلونهم قتلاً ذريعاً (وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين).

واشتبكت معركة فاصلة بينه وبين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان قائد جيشه عبيد الله بن زياد الفاسق الذي أمر بقتل الحسين، ولكن الله عز وجل انتقم

منه شر انتقام، فقتله المختار واحتز رأسه كما فعل بجدي الحسين تماماً وانهزم جيش عبد الملك هذا.

إخوتي في الله :

وأراد الخليفة عبد الملك أن يصرف وجوه أهل الشام عن الحج إلى مكة حتى لا يبايعوا ابن الزبير سرّاً في مكة، فبنى على صخرة بيت المقدس قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وعين لها خدماً، وأخذ الناس بالطواف حولها كما تطوف حول الكعبة، هل سمعتم أعجب من هذا.

وحين قدم مصعب بن الزبير البصرة أميراً على العراقيين، وانتشر كذب المختار بين الناس تخاذل عنه أصحابه وانضموا إلى جيش مصعب الذي جهزه للقضاء على المختار الكذاب فقتله شر قتلة على باب قصره.

ولكن عبد الملك بن مروان جهز جيشاً آخر بقيادته ودخل العراق وحصلت الهزيمة لجيش مصعب الذي استشهد وهو يقاتل.

معشر السادة :

بهذه المعارك المستمرة منذ أن قتل جدي الحسين استطاع عبد الملك أن يستولي على مصر والشام والعراق ولم يبق إلا الحجاز مكة والمدينة، عندها جهز جيشاً لمقارعة سيدنا ابن الزبير في عقر داره وقرارة مأمته مكة المكرمة ، واختار لقيادة تلك الجيوش الحجاج بن يوسف الثقفي، لما علم من بلائه ونصحه وشدّته في الأمور، فسار حتى حاصر مكة المكرمة، ورمى الكعبة بالمجانيق، واشتدّت الحال على أهل مكة من الحصار فتفرقوا عن ابن الزبير وخرجوا إلى الحجاج بعد أن أمّنهم، وكان ممن فارقه ابنه حمزة وحبيب، وخيّر الحجاج ابن الزبير بين ثلاث:

١- إما أن يذهب في الأرض حيث شاء.

٢- أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد.

٣- أو يقاتل حتى يقتل.

أيها الأحبة:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى المسجد الحرام لأنقل لكم هذا المشهد الفريد من نوعه، مشهد الاستشهاد في سبيل العقيدة والمبدأ، مشهد فيه رجل وامرأة، رجل بلغ ثلاثاً وسبعين سنة، وامرأة قد بلغت مئة سنة وقد ذهب بصرها.

قال لها بحزن كئيب:

- يا أماه خذلني الناس حتى ولديّ وأهلي، ولم يبق إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟

فقالت: أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكك نفسك ومن قتل معك، وإن كنت على حق فلما ذهب أصحابك ضعفت... فهذا ليس فعل الأحرار، ولا أهل الدين... كم خلودك في الدنيا؟! القتل أحسن.

فقال: يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني.

قالت: يا بني إن الشاة لا تتألم بالسُلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله.

وهنا قال لها سيدنا عبد الله بن الزبير:

- انظري يا أماه فإنني مقتول يومي هذا فلا يشتد حزنك، وسلمي الأمر إلى الله، فإن ابنك لم يتعهد إيثار منكر، ولا عَمِلَ بفاحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعهد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل

أنكرته، ولم يكن شيء أثر عندي من رضاء ربي، اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي، ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني.

فقالت أمه: لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرك. فقال: جزاك الله خيراً، فلا تدعي الدعاء لي. فقالت: لا أدعه لك أبداً.

وهكذا . أيها الاخوة-

جاهد ابن الزبير حتى آخر قطرة من دمه ، ودخل الحجاج مكة .

وكان الحجاج ركن دولة عبد الملك الركين، وسهمه النافذ في كلّ الذين خرجوا على الدولة الأموية، جرّده سيفاً على المارقين فما نبا ولا خائته مضاربه، ولكنه عدّ من ذنوب عبد الملك وسقطاته، فإنه طاغية من طغاة الولاة، بقي والياً على مكة حتى سنة ٧٥ هـ قام خلالها بنقض ركن الكعبة حجر إسماعيل الذي كان ابن الزبير قد ضمّه إلى الكعبة، فأعاده الحجاج كما كان زمن رسول الله ﷺ ، ثم عزله عبد الملك وولاه العراقيين، فسار إليها فدخل الكوفة ثم البصرة، وصعد منبر مسجدهما وهو متلثم بعمامة خز حمراء، فاجتمع إليه الناس، وهو ساكت قد أطال السكوت حتى أراد بعضهم أن يحصبه، ثم كشف اللثام عن وجهه وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحى، وألقى فيهم خطبة العرش عرف فيها أهل العراق أنه سفاك قاهر، سوف يسوسهم بالعسف والجور، ولكن الحجاج لم يهدأ، بل حول رجال العراقيين إلى الحروب حروب المشرق، فكلما فتح مصرًا انتقل لآخر.

وراح الخليفة عبد الملك يثبّت دعائم ملكه مع الروم فكان يغزوهم في الشتاء والصيف، حتى استقرّ للدولة هيبتها في عهده، وساس دولته بالعنف، وأكره الناس

على الطاعة إكراهاً. فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد استشهاد مصعب وعبد الله بن الزبير، ومن ذنوبه ومساوئه غدره بعمر بن سعيد وقتله إياه بعد أن كتب له كتاب أمان، قتله بيده غدرًا، وهو أول غدر في الإسلام. ثم أرسل لزوجته أن ترسل له كتاب الأمان الذي كتبه له، فقالت له:

- لقد دفنته معه في القبر حتى يحاكمك الله به يوم القيامة.

ومن مساوئه استعماله والياً على مصر وهو قرة بن شريك فقد كان أعرابياً جافياً تعزف أمامه الملاهي والمغنيات وكان يشرب الخمر في مجالسه.

ومن ذنوبه ومساوئه تكبره على الخلق. فقد قال مرة وهو على المنبر: من قال لي بعد مقامي هذا اتق الله ضربت عنقه. لكنه اعترف بخطئه هذا على المنبر فقال: اللهم إن ذنوبي عظام وهي صغار في جنب عفوك يا كريم فاغفرها لي.

أيها السادة :

قام عبد الملك بعمل يعد عظيماً في باب التمدن الإسلامي، ألا وهو صك الدنانير الذهبية في الإسلام، وهو أول من نقش بالعربية عليها وعلى الدراهم (وكان سيدنا عمر قد صك الدراهم). ونقل الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت في عهده الحروف بالنقط والحركات. وبذلك تمت هبة الدولة الإسلامية، دَوَّن عمر الدواوين واتخذ سيدنا معاوية البريد، وعزَّب عبد الملك الدراهم والدنانير، إذ أن من المعلوم أن الدول لا تبلغ الأمد الأسمى حتى تستقل في شؤونها وأسباب عمرانها، وقد كان العرب في أول الإسلام يتعاملون بالنقود الفارسية لكن ما إن نشأت الدولة الإسلامية الكبيرة حتى تنبه عبد الملك، فأمر بتعريبها وتمييز المغشوش منها من الخالص وذلك سنة ٧٤ هـ وكتب عليها الله أحد الله الصمد، فكره ذلك الفقهاء فسميت تلك العملة بالمكروهة.

أيها المؤمنون :

كان مروان بن الحكم قد ولىَّ عهده عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز بن مروان وفي سنة ٨٥ هـ ، أراد عبد الملك أن يعزل عبد العزيز ويولي مكانه الوليد بن عبد الملك فنهاه أصحابه فلم يفعل، ثم جاءه الخبر بوفاة عبد العزيز وهنا أسند ولاية العهد إلى ابنه الوليد ثم من بعده سليمان، وكتب ببيعته إلى البلدان.

وفي يوم الخميس منتصف شوال ٨٦ هـ سنة (٧٠٥ م) توفي عبد الملك بدمشق فكانت خلافته منذ قتل الزبير ثلاث عشرة سنة ونصف، وكان عمر عبد الملك ستين سنة، ودفن بمدفن باب الصغير.

أيها المسلمون :

قال المؤرخون في الخليفة عبد الملك أقوالاً كثيراً، منها: معاوية للحلم وعبد الملك للحزم، وكان نقش خاتمه (آمنت بالله مخلصاً).

فمن هو الخليفة بعد عبد الملك، من هو الذي شاد عز الدولة الأموية بعد سيدنا معاوية رضي الله عنه، من هو فاتح الفتوح الإسلامية؟!

أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه وسلم

الحلقة (٨٩)

الخلافة ١١ و ١٢

خلافة الوليد بن عبد الملك - ٤٧ - ٩٦ هـ

وأخيه سليمان بن عبد الملك - ٥٤ - ٩٩ هـ

الحمد لله الذي رفع منار العلم في كل مصر وعصر، وأقام أهله ظاهرين على الحق مؤيدين بالفتح والنصر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وقائدنا وأميرنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه سورة الفتح والنصر.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً لا يحويهما عدٌ ولا حدٌ ولا حصر، وسلم تسليمًا.

أما بعد : فيا أيها الإخوة :

أعود بكم اليوم ثلاثة عشر قرناً أو يزيد ، رحلة بعيدة في الزمان، ولكني لن أبعد بكم في المكان، بل سأقف بكم على باب الجامع الأموي- الباب الجنوبي، ثم أسير بكم وراء جدار القبلة إلى هذا الرقاق الذي اتخذناه سوقاً لبيع القباقيب، هذه البقعة- أيها الإخوة- كانت يوماً من الأيام عاصمة الأرض كلها، فيها الغني والسلطان، فيها الجمال والجلال، وكانت الكلمة تخرج منها فلا يردّها شيء حتى تصل إلى أقصى المشرق وأبعد المغرب، يوم كانت ههنا الدار الخضراء، قصر الخلافة الأموية التي كانت تحكم ما بين كراتشي ومدريد، ثم تضاعف ذلك المجد، وتقلّص

الظل، وذهب الغنى والجاه والسلطان حتى لم يبق إلا اسم قصر الخضراء ولكن تحت تراب الزقاق المجاور لجامع بني أمية الكبير.

وكذلك سنة مولانا عز وجل في الدنيا تمنح يوماً وتمنع يوماً، ويتعاقب فيها البؤس والنعيم، فلا يدوم سرور على بشر، ولا تدوم عظمة لمكان أو مخلوق وإنما العظمة لله تعالى، وليس للمخلوق منها شيء.

نحن الآن - أيها الإخوة- في الدار الخضراء، قصر الخلافة الأموية حيث ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٧ هـ من زوجة عبد الملك الأولى وهي ولادة بنت العباس، لأن عبد الملك تزوج تسعاً من الزوجات وكان له عدد من الجواري، ومن زوجاته عاتكة بنت يزيد بن معاوية التي لها مقام في حي قبر عاتكة، والوليد وسليمان من أم واحدة شبا في دمشق الشام.

إننا في أزهى عصور بني أمية في الشرق، فإن الوليد بن عبد الملك لما رجع من دفن والده لم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أيها الناس: إنه لا مقدّم لما أحرّ الله، ولا مؤخّر لما قدّم الله، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه، وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه: الموت، وقد صار إلى منازل الأبرار ولي هذه الأمة بالذي يحق عليه الله من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه من حجج هذا البيت وغزو هذه الثغور، وشنّ هذه الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً.

أيها الناس: عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الفرد.

أيها الناس: من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي منه عيناه، ومن سكّت مات بدائه».

فلما انتهى الوليد من خطبة العرش قام الناس إليه فبايعوه.

أيها السادة :

استلم الخليفة الوليد الخلافة والأمة هادئة مطمئنة مجتمعة الكلمة، فحوّل همه إلى عمارة المملكة والفتوح العظيمة، ففي عهده اشتهر القواد العظام أمثال: فاتح المشرق الإسلامي محمد بن القاسم بن محمد الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي الذي وصل حتى حدود الصين.

وفاتح المغرب العربي والأندلس موسى بن نصير، ومولاه طارق بن زياد اللذين أدخلا الإسلام إلى القارة الأوروبية.

وفاتح بلاد الروم مسلمة بن عبد الملك بن مروان القائد الفاتح الذي هابت سطوته الروم .

ومن حسنات الخليفة الوليد بن عبد الملك عمارة المباني العظيمة كمسجد المدينة المنورة والمسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق، وكان إذا عمّر المساجد زخرفها بأساطين الرخام وجعل على رؤوسها الذهب وكسى الحرم بالرخام من داخله، وكساها بلوحات الفسيفساء وهو أول من ذهب الكعبة المشرفة وفرشها بالرخام في الإسلام، وهو الذي وضع الميزاب الموجود اليوم على ظهر الكعبة، ووضع على بابها الصفائح، ولم يعارض أحد من بقايا صحابة سيدنا رسول الله ﷺ .

وقد كتب إلى عامله على المدينة المنورة سيدنا عمر بن عبد العزيز وكان قد تولى ولاية المدينة المنورة سنة ٨٧ هـ: أ أن يهدم المسجد النبوي وبيوت أزواج الرسول الأعظم وويُدخلها في المسجد وأن يشتري دوراً في مؤخرة ونواحي المسجد ليتسع حتى يكون مئتي ذراع في مثلها).

وأرسل إليه الوليد بالفعلة والبنائين من الشام، وبعث الوليد إلى ملك الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ﷺ ويطلب منه أن يعينه فيه. فبعث إليه بمئة ألف مثقال ذهب، وبعث إليه بمئة عامل وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وترك

حجرة السيدة عائشة التي فيها قبور سيد الأم وصاحبيه. وجعلها خمسة الأضلاع حذر أن يستقبلها بعض المسلمين في صلاتهم.

وكذلك اهتم لبناء جامع بني أمية الكبير بدمشق واحتفل له احتفالاً عظيماً، وبقي في بنائه عشر سنوات مدة خلافته كلها وقد كان هذا المسجد كنيسة سيدنا يحيى، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة فحولوا الجانب الشرقي مسجداً، وبقي الجانب الغربي كنيسة من سنة ١٤ إلى سنة ٨٦ هـ فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم، فهدم نصف الكنيسة الثاني وضمه إلى مسجد الصحابة وجعله على هيئة بديعة لا يعرف له نظير في البنيان والزينات والعمارات.

وقد جاء إليه أساقفة النصارى وقساوسهم فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يحن. فقال الوليد:

- أنا أحب أن أجن في الله تعالى. وأمسك بالفأس ثم كبر وضرب رأس مذبحهم الأكبر، وكبر المسلمون وتبادروا إلى الهدم، ثم بناه بالرخام والرصاص وزينه بالفسيفساء كل ذلك من ماله الخاص وقال لأهل الشام رضي الله عنهم:

- يا أهل دمشق إنكم تفخرون على الناس بأربع بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع.

ووضع في قبلته صفائح أربع مذهبة فيها الآيات القرآنية وقصار السور.

وبقي بعض من هذه الفسيفساء إلى أيام الحريق الأخير الذي حدث للجامع الأموي سنة ٣١٠ هـ .

وهو الذي بنى المئذنة الشمالية مأذنة العروس، وكان فيه قبل مئذنتين، وحين حرق النصارى المئذنة الشرقية للجامع جددت من أموال النصارى بحجارة بيضاء وهي - والله أعلم - الشرفة التي ينزل عليها سيدنا عيسى بن مريم آخر الزمان بعد

خروج الدجال، باختصار كان الجامع الأموي الذي بناه الوليد على غير سابقة أحد عجائب الدنيا.

معشر الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المسجد النبوي الشريف لنزور معاً بأرواحنا سيدنا رسول الله ﷺ ونشهد معاً الخليفة الأموي الوليد وهو يزور المدينة المنورة ليطلع على تجديد بنائه للمسجد النبوي.

فقد حج الوليد سنة ٩١ هـ ودخل مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ثم مسجده فأخرج الحرس الناس منه إلا واحداً لم يجترئ أحد منهم أن يخرجوه، أتدرون من هذا؟

إنه سيدنا سعيد بن المسيب سيد التابعين وفقه الفقهاء في عصره الذي ولد في خلافة الفاروق في اليمن ، قالوا له: لو سلمت على أمير المؤمنين؟! فأبى أن يقوم إليه، وكان سيدنا سعيد فقيهاً محدثاً أديباً شاعراً عابداً زاهداً بقي أربعين سنة لا يسمع الأذان إلا وهو في مسجد رسول الله ﷺ ، ولم يكن يبذل مكانه في الصف الأول.

يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد بناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ويخرج إلى بيته، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة. فقال: من ذلك الجالس؟... أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟

فجعل سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول: نعم يا أمير المؤمنين، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك، وهو ضعيف البصر قال (اسمعوا العظيمة، انظروا تعظيم العلماء) قال الوليد: نحن نأتيه فنسلم عليه.

فدار في المسجد حتى وقف على المنبر، ثم أقبل حتى وقف على سيدنا سعيد بن المسيب فقال: - كيف أنت أيها الشيخ .

فلم يتحرك سعيد ولم يقم وقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟

قال الوليد: خير والحمد لله .

فانصرف الوليد وهو يقول: هذا بقية الناس. فقال سيدنا عمر: أجل يا أمير المؤمنين. وهكذا نرى أن الوليد لم يتجبر ويتكبر وقد ملك ثلث الأرض، وأن سيدنا سعيداً بن المسيب لم يُذهب دينه بمداينة السلطان ولم يحطّ من مرتبة العلماء، أتعرفون لماذا؟ لأنه لا يبيع دينه ولا بملك الأرض كلها. فماذا كانت النتيجة؟ ماهي نتيجة من يعز الإسلام والعلم الشرعي، إن الوليد أرسل رسولاً إلى سيد التابعين سيدنا سعيد يُخطب ابنته لولده، وتوقع الناس أن يطير ابن المسيب فرحاً بهذه النعمة، ولكن موازين ابن المسيب كانت غير موازين الناس، فماذا تفيده دنيا الوليد إن أذهبت ابنته بهذه الدنيا دينها، إن الرجل الدّين الحسن الخلق الفقير خير للمرأة من ابن أمير المؤمنين، لأن هذا يكون لها وحدها، وذاك تشركها فيه الزوجات والجواري ومن تدري ومن لا تدري.

وإذا كان لك عبد مخلص يحبك ويشكر فضلك ويطيع أمرك وأرسلته بأمانة ليدفعها إلى زيد فأعطاها عمرا هل تكون عنه راضياً، كذلك أنت أيها الأب، إنك عبد الله والبنت أمانة عندك، وقد أمرك مولاك أن تعطيها لمن يماثلك في مسلكك ومشربك ويرضيك دينه وخلقه فإن رفضته ومحنت عن الغني أو جعلت بنتك سلعة تباع فقد أسخطت ربك وآذيت بنتك، ويا آخذ القرد على ماله...

وهل البنت فرس أو نعجة حتى تباع لمن يدفع فيها الثمن الأكبر، وماذا يفيدك كثرة المهر، والزواج إذا كان موفقاً كان لها ماله وله مالها، وإن لم يكن موفقاً لم ينفع البنت ما أخذت من مال.

فكر ابن المسيب في كل ذلك فقال لرسول الخليفة: لا، رفض أن يعطي ابنته للأمير المؤمنين.

هل تعلمون لمن زوّجها، زوجها لتلميذ له اسمه عبد الله أبي وداعة، متين الدين، رضي الخلق، انقطع عن الدرس ليمرّض زوجته التي توفيت بعد ذلك، ثم راح يبرر سبب غيابه عن الدرس لشيخه ابن المسيب. فقال له: هل تزوجت غيرها؟ قال: لا. ومن يزوجني ولا أملك إلا أربعة دراهم. قال سيدنا سعيد: أنا. وزوجها لتلميذه.

هل سمعتم مثل هذا الموقف. ابن المسيب رفض ابن أمير المؤمنين الذي يملك ما بين البحر الأطلنطي وجبال الصين بزواج لا يملك إلا أربعة دراهم.

اسمعوا بقية الحدث: ذهب ابن أبي وداعة إلى بيته وهو لا يصدق. فلما كان المساء قرع الباب، فقال من؟ قال: سعيد. يقول ابن أبي وداعة: مرّ على بابي كل سعيد في الدنيا أعرفه إلا سعيد بن المسيب، لأنه لم يطرق باب أحد من أربعين سنة، ولا رأي إلا بين بيته والمسجد. ففتح الباب فرأى شيخه أمامه. قال له ابن المسيب: كرهت أن يسألني الله عن وحدتك. ولك زوجة فجئت بها ودفع العروس. هكذا بلا حفلات ولا عرس ولا جهاز (نكاية بالأغنياء).

ترى هل كان فيها عيب من العيوب وأراد ابن المسيب أن يتخلص منها؟

مازلنا في الحدث: يقول- ابن أبي وداعة: ورأيته أجمل امرأة وأكملها. ولما انتهت الأيام السبعة قام ليذهب إلى المسجد فقالت: إلى أين؟ قال: إلى مجلس سعيد. فقالت: اقعد أعلمك علم سعيد. فإذا هي عالمة محدثة، وكان العلماء يعيرون بالمسألة فيرجعون إليها (وهذا الموقف نكاية بالطالبات السافرات) اللواتي يشترين الدنيا بترك الدين، وتوفي سيدنا سعيد بن المسيب سنة ٩٤ هـ (١١)

(١١) أنظر كتابنا القضايا الإيمانية ج ٤ / ١٣٢٠

أيها الأحبة :

إننا في عهد ملك من ملوك بني أمية الذي حقق خلال خلافته التي دامت عشر سنوات الحلم الذي لا يزال يتعلل بذكره قادة الدول والملوك، حلم العدالة الاجتماعية، لأن الخليفة الوليد جعل الأمة كلها أسرة واحدة ليس فيها عاجز ولا محتاج، وفعل في القرن السابع الميلادي ما لم تفعل مثله دولة في القرن العشرين، إن الوليد بن عبد الملك قضى على الفقر والمرض والجهل، أحصى المرضى ذوي المرض المزمن ورتب لكل منهم خادماً يخدمه وهو في داره وأجرة هذا الخادم على خزانة الدولة، وجعل لكل أعمى مرافقاً يقوده وأجرة هذا المرافق على خزانة الدولة، وجمع الأيتام فجعل لهم مدارس مجانية، وتولت الخزينة الإنفاق عليهم، وحارب الجهل بأن جعل للفقهاء والعلماء رواتب من خزانة الدولة، ومنع الشحادة والسؤال ورتب للفقراء العاجزين ملاجئ وقرر لهم رواتب يعيشون منها ليستغنوا عن سؤال الناس.

معاشر المسلمين :

وفي عهد الوليد سنة ٩٥ هـ توفي سفاك العراقي وطاغيته الحجاج بن يوسف الثقفي وكان ولد سنة ٤٠ هـ وحكم عشرين سنة على العراق والمشرق ، والحجاج- أيها الإخوة - ممن نسبُه ولا نحبه بل نبغضه في الله تعالى كما نبغض كل متأله متكبر متجبر، وإن كان له حسنات فهي مغمورة في بحر ذنوبه وأمره إلى الله تعالى. وإنما يهمننا اليوم موقفاً له مع سيدنا أنس بن مالك خادم سيدنا رسول الله ﷺ فقد دخل عليه فأغلظ له الطاغية القول، فأرسل الصحابي إلى الخليفة بما فعله معه، فهدده الخليفة الحجاج الطاغية وأنذره وتوعده أن يعود لمثلها).

إخوة الإيمان :

اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد لنأخذ منه العبرة والعظة، فقد دخل سيدنا أنس على الحجاج مرة ثانية فقال له الحجاج: لولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين فيك كان لي ولك شأن، فقال سيدنا أنس: ايها ايها لما غلظت

أرنبتي، وأنكر رسول الله صوتي، علمني كلمات لم يضربي معهن عتو جبار ولا عنوئه مع تيسير الحوائج ولقاء المؤمنين بالحبّة.

فقال الحجاج؟ لو علمتنيهن. قال؟ لست لذلك أهلاً.

فدس إليه الحجاج ابنه ومعهما مئتا ألف درهم وقال لهما: الطفا بالشيخ عسى أن تظفرا بالكلمات ، فلم يظفرا بها، فلما كان قبل أن يموت سيدنا أنس بثلاث وكان قد بلغ مئة عام أو يزيد وهو آخر من توفي من أصحاب رسول الله ﷺ في البصرة ، فقد توفي سنة ٩٣ هـ. قال لخدمه أبان: دونك هذه الكلمات ولا تضعها إلا في موضعها وعلمه إياها، وهي:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي بسم الله خير الأسماء، باسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، بسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت.

الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً.

اللهم إني أستجير بك من كل شيء، خلقت، وأحترس بك منهن، وأقدم بين يدي، بسم الله الرحمن الرحيم و (يقرأ سورة الإخلاص) - ومن خلفي - وعن يميني - وعن شمالي - ومن فوق - ومن تحتي (ويقرأ سورة الإخلاص بعد كل واحد منها).

يقول سيدنا أبان: فقد أعطاني الله تعالى مثلما أعطى أنساً (من الحفظ والعصمة من الظلمة والطواغيت).

أبيها المؤمنون :

عاش الحجاج ٥٥ سنة، وفي السنة التي توفي فيها قام بقتل سيد أهل عصره من التابعين سيدنا سعيد بن جبير الصالح التقى - وما على وجه الأرض أحد إلا وهو

محتاج إلى علمه، وهو من أكابر أصحاب ابن عباس، يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة في جوف الكعبة^(١٢) وقبل أن يموت دعا الله تعالى ألا يسلطه على أحد بعده فما عاش بعده أكثر من أربعين يوماً، وكان يراه في منامه وهو يمسك بثوبه وهو يقول: يا عدوا الله فيم قتلني.

ولما بلغ الحسن البصري قتل الحجاج لسيدنا سعيد بن جبير قال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقي إلا ثلاثة أيام حتى وقع دود في جوفه فأتى منه، ومات غماً وهماً وكمداً، وراح كل من يسمع بموته يسجد لله شكراً، وكان في سجنه لما أهلكه الله تعالى أكثر من ثمانين ألف سجيناً، ولما عرف أنه ميت لالمحالة راح ينادي مولانا عز وجل ويقول: اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تفعل:

إنَّ الموالي إذا شابت عبيدهم في رقِّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرمًا قد شبت قي الرق فاعتقني من النار

أيها المسلمون :

أعود بكم إلى هنا، إلى قصر الخضر، ولكن القصر لا يضحك بالبشر، ولا يرقص من الفرح، إنه واجم كئيب لأن ضيف الخليفة مريض وقد حشد له الأطباء فجاءوا من كل مكان، وحملوا معهم كل دواء.

هل تدرون من هو هذا الضيف؟ أي أمير هو من أمراء البيت الأموي؟ أي ملك من ملوك الأرض؟ أي قائد؟ إنه أعز من كل أمير، وأكبر من كل قائد، إنه عالم من أجل علماء المسلمين، وأعجب من ذلك أنه من الأسرة التي طالما عادت بني أمية

(١٢) انظر كتابنا الشخصيات الإسلامية الحلقة ٢٤ .

وناصبتها الحرب، ونازعته الملك بالسيف، وكادت تهد عليها عرشها، إنه من آل الزبير بن الدوام إنه سيدنا عروة بن الزبير شقيق الخليفة الشهيد عبد الله وابن أبيه وأمه، فقد حقق الله له أمنيته فأصبح من فقهاء المدينة الأعلام وقد ولد سنة ٢٣ هـ، وكان إذا جاءت أيام التمر والرطب ثقب جدار بستانه فيدخل الناس فيأكلون ويحتلمون^(١٣) هذا هو ضيفنا اليوم وضيف الخليفة الذي كان يقرأ ربع القرآن كل ليلة يقوم به في الليل، فما تركه حتى هذه الليلة، ليلة ما بعدها ليلة إلا الموت، فقد قرر الأطباء أنه لابد من قطع رجل عالم المدينة، وجزع الخليفة ولم يدع باباً من أبواب الترغيب والترهيب إلا فتحه لهم، وعرض عليهم كنوز الخزائن ولكنهم عجزوا.

يا أحباب رسول الله :

إليكم وصفاً لهذه العملية الجراحية التي تمت قبل ألف وثلاثمئة سنة، في الوقت الذي كان أهل أوربة يسرحون فيه مع الأنعام.

إنني أنقل لكم هذه العملية على الموجة الإيمانية التي بثها لنا سيدنا عروة بن الزبير، فقد عرض عليه الأطباء الخمر ليسكروه فلا يحس بألم القطع فأبى، وقال: لا أستعين على قدر الله بمعصية الله.

فراودوه على أن يشرب المرقّد (البنج) فقال: لا، فإني ما أحب أن أُسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك لأحتسبه عند الله تعالى.

وعجب الأطباء كيف سيحتمل هذا الشيخ الألم، ولم يدروا أن عنده ماهو أشد أثراً من المسكر ومن المرقّد، لديه شيء يستطع أن يغيب به عن الدنيا كلها، وينساها ولا يعود إلى التفكير فيها، إنه شبيهه بأخيه سيدنا عبد الله قال لهم:

- إني سأدخل في الصلاة، فإذا رأيتموني استغرقت فيها فشأنكم برجلي. ودخل في الصلاة، وراح يتلو كتاب الله لا كما نتلوه نحن بألسنتنا وقلوبنا في غفلة عن الله

(١٣) انظر كتابنا الشخصيات الإسلامية الحلقة ٢٢ .

تعالى، بل تلاه بلسانه وقلبه وروحه، وبدأت العملية الجراحية، قطعوا اللحم بالسكين الحمى بالنار (للتعقيم) حتى إذا بلغوا العظم نشروه بالمنشار، وهو لم يهتز يتلو كتاب الله، وقد جلله العرق، ثم عمدوا إلى طريقة التعقيم: حموا الزيت في مغارف الحديد حتى إذا غلى كواه به فأغمى عليه.

وأبى الخليفة أن يشهد العملية الجراحية إكراماً للشيخ، وأي شيخ؟ أن يضع جميع عمائم عصور الانحطاط في جيبه الصغير، ولما أفاق الشيخ الجليل من غشيته رأى القدم في أيديهم فأخذ يقلبها وهو يقول:

- أما والذي حملي عليك، إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط.

وإنه لفي غمرة هذا المرض صاح صائح: مات ابن الشيخ، ابنه محمد بن عروة، الشاب العالم الصالح الذي كان أمل أبيه وكان قرة عينه، دخل الاصطبل ليخرج فرساً له فرمحه فمات لساعته.

وترنح الشيخ ثم تماسك ولم يغادره إيمانه لحظة واحدة، وما زاد على أن قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.

وقدم على الوليد من الغد وفد بني عبس، وفيهم رجل ضرير فسأله ما حاله فقال:

- يا أمير المؤمنين بت ليلة في بطن وادٍ، ولا أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي، فطَرَقْنَا سِيلَ فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال، غير بغير وصبي مولود، وكان البعير صعباً فنَدَّ فوضعت الصبي واتبعت البعير، فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأيت رأسه في فم الذئب وهو يأكله، فلحقت البعير لأحبسه فرماني فذهب بصري.

فقال الخليفة الوليد: أرسلوه إلى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أشد منه مصاباً.

واتعظ عروة وقال: اللهم إن كنت أخذت طرفاً لقد أبقيت أطرافاً، وإن كنت أخذت ولداً لقد تركت أولاداً، فلك الحمد على ما أعطيت وما أخذت، وتوفي عروة في سنة ٩٤ هـ في خلافة الوليد.

يا أمة الحبيب الأعظم :

كان الخليفة الوليد بن عبد الملك يلحن في الكلام وحرص على دروس النحو فما نفع، قرأ مرةً على المنبر:

(يا ليتها كانت القاضية) بضم التاء، فقال له سيدنا عمر بن عبد العزيز:

- يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك.

وفي أواخر أيام الوليد أمر موسى بن نصير أن يكفّ عن التوغل في الفتوحات في الأندلس، ورتب العمال والولاة لكل ما افتتحه من مدن، ونظم أحوال المغرب العربي كله، وعاد موسى بن نصير راجعاً إلى المشرق بالهدايا والغنائم.

ولكن المنية وافت الوليد بدمشق سنة ٩٦ هـ الموافق سنة ٧١٥ م، وله إحدى وخمسون سنة وكانت خلافته حوالي عشر سنوات ودفن في باب الصغير.

وتولى الخلافة بعده أخوه سليمان بن عبد الملك الذي ولد في دمشق سنة ٥٤ هـ وحين مات أخوه كان بالرملة فلم يتخلف عن مبايعته أحد، وكان طويلاً جميلاً، كبير الوجه، مقرون الحاجبين، فصيحاً بليغاً متوقفاً عن الدماء، فما أن تولى الخلافة حتى أطلق الأسرى، وأخلى السجون، وعفا عن المجرمين وأحسن إلى الناس، وكان طموحاً إلى الفتوح، إذ جهز جيشاً سنة ٩٨ هـ وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك فحاصروا القسطنطينية حصاراً طويلاً، وفتح بلاداً كانت في أيدي الترك، ولكن أساء معاملته موسى بن نصير فاتح إفريقيا والأندلس . والحسنة العظيمة التي كانت له هي اتخاذه لسيدنا عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ثم عهده بالخلافة إليه ثم من بعده لأخويه يزيد وهشام ابني عبد الملك، إذ أن خلافته لم تطل، فمرض من طول

حصاره مع جيشه للقسطنطينية، ووقف مرة أمام المرأة في يوم جمعة وقد لبس حلة خضراء واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر، وقد بسط ما حوله بالخضرة، ثم نظر في المرأة فأعجبه حسنه فقال وهو ينظر في المرأة:

كان محمد نبياً، وكان أبو بكر صديقاً، وكان عمر فاروقاً، وكان عثمان حياً، وكان علي شجاعاً، وكان معاوية حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبد الملك سائساً، وكان الوليد جباراً، وأنا الملك الشاب. فحسد نفسه فازداد مرضاً فلم يمض عليه شهر حتى مات، ولما حضرته الوفاة بقي يكرر الشهادتين حتى قبض ومات سنة ٩٩ بعد أن حكم سنتين ونصف تقريباً، وكان عمره ٤٥ سنة.

فكيف فتحت الأندلس في عهده؟

ومن هو الخليفة بعده، من هو الخليفة الراشدي السابع، من هو مجدد القرن الأول الذي أعاد بهاء الخلافة الراشدة؟ أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة وما بعدها إن شاء الله تعالى، فلا تغيبوا عن حضور خلافة هذا الإمام العلم فإن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك.



الحلقة (٩٠)

الملك ١١ و ١٢

فتح الأندلس

الحمد لله ثم الحمد لله ، ﴿ الحمد لله الذي هذا هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ ، وما توفيقى واعتمادى وتوكلى واعتصامى إلا بالله .

الحمد لله الذي يؤيد من يشاء بنصره ، ويجعل الذل والصغار على أهل عصيانه وكفره ، فسبحانه من إله يطلع على سرّ العبد وجهه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أمره.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، المؤيد بتأييده وقهره.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وحزبه ، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

ما زلنا في هذه المدرسة مدرسة الخلفاء ، وقد قاربنا على الخليفة الأخير ، لكنني أرى حدثاً عظيماً كان في رمضان ، وما أدراك ما رمضان ؟ شهر أعزّ الله فيه الإسلام ، ورفع رايته على بقاء الأراضي الإسلامية ، فهذا الشهر حافلٌ في الأحداث التاريخية الهامة التي غيرت وجه التاريخ ، وكان للمؤمنين الصابرين فيها أثرٌ محمود وجهاد مرير حتى سجّل التاريخ أسمائهم على مرّ الزمان بحروفٍ من نور ، فأئى شهرٍ من الشهور فيه مثل هذه الأحداث التي سجّلت التاريخ للمسلمين؟ وسجّل لهم

التاريخ تاريخاً ناصعاً مشرفاً مشرقاً. لذلك كان سيدنا رسول الله صادقاً وبلغاً حينما وصفه بقوله : « أيها الناس قد أظلكم شهرٌ عظيمٌ مبارك » إنه عظيم لما فيه من الأحداث العظيمة التي أكسبت المسلمين مجداً خالداً وهو مبارك لما نتج عن هذه الأحداث من خيرٍ وبركةٍ عمّت المسلمين بل العالم كله.

١ . غزوة بدر ، وما أدراك ما غزوة بدر ، يوم التقى الفريقان: فريق الإيمان وفريق الكفر لأول مرة في التاريخ .

٢ . فتح مكة المكرمة هذا الفتح العظيم الذي حطمت فيه الأصنام وظهر فيها البيت الحرام ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ودالت دولة الشرك والأصنام ، وأنزل فيها مولانا ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ .

٣ . وفي رمضان كانت موقعة عين جالوت في فلسطين ضد جيوش التتار سنة ٦٥٨ هـ في ٢٥ رمضان وما هي إلا جولة صادقة حتى سقط القائد كتبغا قتيلاً وابنه أسيراً وحيشه مصرعون في حومة القتال .

٤ . وفي رمضان سنة ٥٨٢ هـ قاتل صلاح الدين الصليبيين في سوريا ، واستخلص منهم البلاد التي كانوا قد استولوا عليها من قبل .

٥ . وفي رمضان سنة ٩٢٢ هـ للهجرة وصل السلطان سليم إلى مصطبة القابون ولما أطلق البارود في المصطبة ظن أهل دمشق أن السماء أطبقت على الأرض .

٦ . وفي رمضان سنة ١٣١١ للهجرة افتتح المسجد الأموي بعد الحريق الكبير الذي أصابه في ربيع الثاني تلك السنة .

٧ . وفي رمضان سنة ٩٢ هجرية فتح الله تعالى الأندلس للمسلمين وانتصر طارق بن زياد على الملك لزريق عند نهر لكّا ، أتدرون كيف فتحها ؟

ذهب طارق بن زياد على رأس جيش من ٧٠٠٠ / آلاف كل واحد منهم مثلنا يقول لا إله إلا الله ، وسار على موج البحر بالسفن العسكرية ، فإذا به يترامى على سمعه أنَّ الإسبان قد جمَّعوا جموعهم حتَّى بلغوا / ١٠٠,٠٠٠ / مقاتل على رأسهم ملكٌ لزيق ، فماذا يفعل سيّدنا طارق ؟ أيرسل إلى لواء الإسلام سيّدنا موسى بن نصير يخبره بذلك ويطلب منه نجدةً ومدداً ، أمّاذا يفعل ؟ ونام سيّدنا طارق تلك الليلة وهو يتفكر بالحلّ الأمثل ، لكنّه نام وهو على ثقةٍ ويقين بالله ربّ العالمين ، ومن وثق بالله فإنَّ الله لا يخيّب ثقته ، إذا به يرى في منامه سيّدنا رسول الله ﷺ راہ يمشي على أمواج البحر ووراءه سيّدنا أبو بكر ، ووراء أبي بكر سيّدنا عمرٌ ووراء عمر سيّدنا عثمان ، ووراء عثمان سيّدنا عليٌّ وهم متوجّهون إلى طارق بن زياد قال له سيّدنا رسول الله : السلام عليك يا طارق أنا محمّد رسول الله .

صلة الرسول ، يدير المعارك وهو في الرفيق الأعلى ، لا يرسل إلى البيت الأبيض ولا إلى البيت الأحمر ، بل يُقدّم بنفسه إلى أحبابه إلى المؤمنين به ، هذه هي الاتصالات بين القائد الأعلى للأمة الإسلامية ﷺ وبين ألوية الإسلام ، اتصالات لاسلكية ، بل قلبية ، ليست اتصالات بموسكو أو بواشنطن ، ليست اتصالات شرقية أو غربية لأنَّ نور الله ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ نورٌ يسري في القلوب ، اتصالات بين القلوب (يا طارق أنا محمّد رسول الله) محمد بنفسه صاحب الإسرائ والمعراج ، محمّد ، لا سفيره ولا نائبه ولا مندوبه ولا مبعوثه ، محمّد بنفسه ، « ومن رآني في المنام فقد رآني حقاً فإنَّ الشيطان لا يتمثّل بي »

(يا سعد من صلّى عليه) .

إنّما القلوب المؤمنة العامرة بالإيمان ، إنّ جهاز الإرسال سليم وجهاز الاستقبال سليم ، جهاز الاستقبال طارق ، وجهاز الإرسال قلب سيّدنا محمد ﷺ :

. يا طارق بن زياد أنا محمد رسول الله ، اقدم ولا تتأخر ، فإنَّ الله تعالى سينصرك على أعدائك ، فلا تخف ولا تردد .

سرت هذه الكلمات كالكهرباء النورانية في جسد طارق ، مدد إلهي سرى إلى قلب طارق فنبَّته ، ومن قلب طارق إلى قلب جنوده ، إنَّ العقيدة إذا ثبتت في القلب ثبت الكيان كله ، وإذا اهتزت في نفس المؤمن اهتزَّ الكيان كله .

ودخل سيدنا طارق أرض إسبانيا ، وما أن نزل على الشط حتى أعطى الأمر العسكري بإحراق السفن ، ثم توجه إلى جنوده وألقى فيهم كلمة الحرب .

إخوة الإيمان : أنتقل بكم إلى هناك فالخطب جلل ، والثقة بالله على أشدها ، والإيمان قد بلغ ذُراه ، واسمعوا معي إلى هذا الخطاب الموجز البليغ الذي قلب موازين الموقف قال طارق : « أيُّها الجند البحر من ورائكم ، والعدو من أمامكم ، وليس لكم والله إلاَّ التقوى والصبر ، ﴿وما النصرُ إلاَّ من عنده﴾ » .

هذا هو الدرس اليوم ، إنَّ النصر من المنتصر ، وإنَّ القوَّة من القوي ، وإنَّ المسلمين لا يؤمنون بالكثرة ولكن يؤمنون بالواحد الأحد ، لم يقل إننا نملك أسطولا جويًّا من الفانتوم ، إف f ١٥ ، أو نملك الأسطول السادس أو السابع أو المئة ، إنَّ العقيدة إذا تمكنت من قلوب الرجال تحرَّك الجبال من أماكنها . وحدّوا الله .

إنني لأذكر تماماً سيف الله المسلول سيّدنا خالداً بن الوليد رضي الله عنه عندما بعثه الخليفة الصديق لقتال فارس (الفرس) فوصل سيدنا خالد فوجد أن عدد الفرس (١٢٠٠٠٠) وأنَّ عدد جنده لا يتجاوز ٢٠,٠٠٠ فماذا يفعل ؟ أرسل رسالة إلى الخليفة الصديق رضي الله عنه ليطلب منه نجدةً ومدداً ، فأرسل إليه الصديق القعقاع بن عمرو ، فارس من فرسان المسلمين ، وأرسل معه رسالةً ، ونظر سيف الله على طرف الصحراء المترامية ليرى هذا الجيش الجرّار القادم ، فكم جيشاً أرسل له الصديق ؟ كم كتيبةً أرسل إليه ؟ كم فصيلة ؟ كم مجموعة ؟ كم طائرة ؟ كم دبابة ؟ كم مدفعاً ؟

أرسل إليه رجلاً واحداً هو القعقاع بن عمر ، ورأى خالد القعقاع يمشي على أطراف الصحراء وحيداً ، فلما وصل إليه قال له : ألم يرسل خليفة الله سواك ؟!

قال : لا ، وأرسل لك معي رسالة . ففتح سيدنا خالد بن الوليد الرسالة فقرأ فيها:

أما بعد : فلعلك تعجب أن أرسلت إليك رجلاً واحداً هو القعقاع بن عمرو ولكنني أقسم بالله إن جيشاً فيه القعقاع بن عمرو لا يغلبه أحد .

بالإيمان ، بالعتيدة في القلب ، فماداف فعل سيدنا خالد ؟

أرسل إنذاراً إلى كسرى وقال له : يا كسرى أسلم تسلّم ، وإلاّ فقد جئتكم بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة .

هؤلاء صحابة نبينا الأعظم ، فارتعدت أوصال كسرى ، وتفككت أعصابه ، وأرسل رسالة إلى حاكم الصين يطلب النجدة والمدد ، فردّ عليه حاكم الصين قائلاً : يا كسرى لا قبل لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها .

خلعوها بالإيمان والعتيدة ، لا تستعينوا بالبيت الأبيض ولا بالبيت الأحمر بل استعينوا بالله ، إن الناصر الحقيقي هو الله ، هو الناصر الحقيقي ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ استعينوا بالله : نزح بحرين بغربالين ، وحفر بئرين بإيرتين ، وكنس أرض الحجاز في يوم شديد الهواء بريشتين ، وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين خيرٌ لي من أن أقف على بابٍ غير باب الله يضيع فيه ماء عيني ، (وإذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) لا إله إلاّ الله.

ودخل طارق أرض إسبانيا في سنة ٩٢ للهجرة ، وما هي إلاّ ساعات حتى رفع راية لا إله إلاّ الله في أرض المعركة . وأصبحت الأندلس قطعة من أرض التوحيد من سنة ٩٢ إلى سنة ٨٩٦ هجرية ، ثمانية قرون على التمام والكمال ، ثم دخلت الدنيا في قلوب حكام الأندلس وضاع الملك بعد ثمانية قرون ، بعد معركة يقال لها معركة

الزلاّقة بقيادة الإسفنج الكافر ، ورأى هذا القائد في المنام رؤية أقلقته رأى نفسه وهو يركب فيلاً وأمامه تنقر الطبول فجمع الرهبان والقساوسة وحكى لهم الرؤية . فقالوا له : أبشر أيها القائد بالنصر ، فركوب الفيل مجد ودقّ الطبول نصر .

لكنّ القائد الكافر قال : أنا لا أثق بهذا التفسير فأرسلوا إليّ واحداً من أتباع محمّد (اللهم اجعلنا من أتباع سيدنا محمّد) فقدم إليه رجلٌ عالم مسلم يدعى محمد بن القاسم بلغ من صلاحه وتقواه أنّه رأى في تلك الليلة سيّدنا رسول الله ، قال له النبي الكريم : يا محمد قم فتوضأ وصلّ فإنك اليوم ستبيت عندنا شهيداً .

قدم هذا العالم إلى الكافر الإسفنج وقال له : نعم ماذا تريد ؟ قال له القائد : رأيت في منامي أنني أركب فيلاً وأمامي قومٌ ينقرون الطبول ، فما هو تأويل رؤياي . فقال العالم المسلم مباشرةً : أبشر بالهزيمة اليوم يا عدوّ الله . فانتفض وثار وقال: وكيف ذلك؟ قال محمد : أفسّر لها لك من كتاب ربّي جلّ جلاله ، سوف أفسّر لها لك من القرآن الكريم . قال العالم المسلم : أما ركوبك الفيل فقد قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّينَ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ قال فما تقول بنقر الطبول ، فقال : من القرآن : فإن مولانا يقول :

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمُنَا يَوْمُ عَسِيرٍ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ .

هذا هو العلم ، وهؤلاء هم العلماء لا يخافون إلّا الله . أتعرفون لماذا ؟ لأن وجهتهم ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ وأصبحت الأندلس بعد ثمانية قرون غير إسلامية ، وأصبح البحر الأبيض بحيرة غير إسلامية بعد أن كان بحيرة من بحيرات الإسلام .

أيها السادة الكرام : علاجنا في العودة إلى الله ، من أراد النصر فليطلبه من
الناصر، ومن أراد العزة فليطلبها من العزيز ، لا تطلبها من شرقي ولا من غرب ، من
أراد العزة ﴿فلله العزة جميعاً﴾ ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا
يعلمون﴾ .

هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية
إلى الحبيب الأعظم ، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك

وَسَلَامٌ
عَلَيْكَ
صَلَّى اللَّهُ



الحلقة (٩١)

سابع الخلفاء الراشدين

سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)

٦٢- ١٠١ هـ

الحمد لله الذي رفع منازل المخلصين، وتحلى بالرضوان على المطيعين والمحسنين .

أحمده حمد المنيين إليه، وأشكره شكر المعتمدين عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وقائدنا وأميرنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله، المرسل رحمة للعالمين، الصادق الأمين المبلغ كلّ ما أمر بتبليغه من ربّ العالمين، القائل: (إنّ الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها). اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وسلم تسليماً.

أما بعد:

فنحن اليوم على موعد مع الحلقة الأخيرة الخامسة والعشرين من سلسلة تاريخ الخلفاء، هذه السلسلة التي بدأناها بالحديث عن سيرة سيد المرسلين ﷺ ، وها نحن ننهاها بسيرة إمام عظيم، وحاكم عادل، حاكم لا نراه إلا مرة واحدة كل مئة سنة،

وليس من أمثاله في تواريخ الأمم كلها إلا آحاد ، كان عالماً: العلماء الكبار تلامذة أمامه، وكان كاتباً: الكتّاب البلغاء مبتدئون لديه، وكان دَيتاً : دين فعل لا دين قول، دين إخلاص وخلوة لا دين رياء وإعلان، كان يتواضع لله حتى ليكبر عنده الصغير والمسكين، ويشدد حتى ليزل عنده الطاغية الجبار، كان يعيش عيش الفقر ويبيده خزائن

الأرض، ويحيا حياة العفاف والحرمان وتحت سلطانه كل جميلة في الدنيا*

إنه مَلِك لولا أنه كان بشراً لقلت إنه مَلِك ، إنه أشج بني مروان الذي قال عنه الخليفة الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب: إنّ من ولدي رجلاً بوجهه شجان يلي فيملاً الأرض عدلاً.

إنه مهدي هذه الأمة وأحد أئمة الهدى والعدل سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه.

كان هذا هو الموجز أيها الأخوة وإليكم الأنباء بالتفصيل.

وقبل أن أُلج إلى الولادة المباركة اسمحوا لي بأن أرجع إلى الوراء أربعة عشر قرناً ، يوم كان مثال العدل والنزاهة يقوم بجولته التفتيشية في الليل على عادته، وقد مرّ بجباء قوم من الأعراب فسمع امرأة تقول لابنتها:

- اخلطي الحليب بالماء.

قالت البنت: أما سمعت منادي عمر ينهي الناس عن ذلك؟! قالت الأم: اخلطيه فإنه لا يدري بك عمر ولا منادي عمر.

قالت البنت: ماكنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلاء، وإن كان عمر غائباً فإن ربّ عمر حاضر يسمعنا ويرانا.

* انظر رجال من التاريخ بقلم الكاتب الإسلامي الشيخ علي الطنطاوي .

قال سيدنا عمر: لغلّامه: علّم الخباء. وذهبا.

وقدم عمر في الغد على أولاده بعد أن سأل عن الفتاة فإذا هي يتيمة، قال لأولاده: من يريد الزواج منكم. قال ابنه عاصم: أنا لا زوجة لي. فزوجه بها فكانت خير امرأة وأفضلها، فولدت له بنتاً دعاها أم عاصم، ونشأت مثل أمها تقية ورعة.

وأراد عبد العزيز بن مروان الزواج، فقال دلوني على امرأة صالحة فدلوه عليها: فقال لقيمه:

- اجمع لي أربعمئة دينار من طيّب مالي فأني أريد أن أتزوج من أهل بيت لهم صلاح. فتزوجها فولدت له سيدنا عمر بن عبد العزيز سنة ٦٢ هـ.

فعمر بن عبد العزيز ابن هذه السلسلة التي لم تعرف الباطل في حياتها.

وعبد العزيز بن مروان كان أمير مصر، ولي العهد بعد عبد الملك، عقد له أبوه بذلك، واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة، كان سمحاً كريماً، وربى ابنه سيدنا عمر تربية صالحة؛ إذ أنه وقبل أن يسافر إلى مصر سلّم سيدنا عمر إلى الخبر الإمام شيخ المسلمين التقي الصالح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فرباه على عينه، وتولّى تعليمه معه فحول العلماء والصالحين في عصره: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأنس بن السائب وعبادة وصالح بن كيسان وغيرهم.

وجمع عمر بن عبد العزيز القرآن الكريم وهو صغير السن، وكانت سيماء الصلاح والتقوى بادية عليه منذ صغره، دخلت عليه أمه - مرة - فرأته يبكي - وهو غلام صغير - فقالت له: ما يبكيك. فقال لها: - ذكرت الموت فبكيت.

ونشأ رضي الله عنه في الدلال والنعيم، فقد كان أبوه والي مصر وملكها وولي عهد الخلافة، وجدّه مروان خليفة، وعمه عبد الملك خليفة، وكانت الثياب التي يلبسها تصوير موضحة يقلدها الشباب، وتسمى الموضة العمرية، واتخذ أغلى العطور،

فإذا طلع من أول الشارع هبت من طلوعه نسمة عاطرة كأنها نسمات الروض الزاهر.

وأدركت والده الوفاة سنة ٨٥ هـ في خلافة أخيه عبد الملك فعقد عبد الملك ولاية العهد لولديه الوليد وبعده سليمان.

أيها الإخوة:

تزوج سيدنا عمر رضي الله عنه فاطمة بنت عبد الملك، السيدة ذات الحظ السعيد، التي لم تبلغ سيدة من النبالة والأرستقراطية ما بلغته هذه السيدة، فقد كان أبوها عبد الملك خليفة (لا أمير قرية ولا حاكم مدينة) كان الحاكم على ثلث المسكون من الأرض، وجدها مروان خليفة، ثم صار أخوها الوليد خليفة، وصار أخوها سليمان خليفة، وصار زوجها عمر خليفة، وصار أخوها يزيد خليفة، وأخوها الآخر هشام خليفة، وصار ابنا أخيها من بعده خلفاء، فأبي سيدة في التاريخ كان من أهل بيتها الأقربين تسعة خلفاء.

ومع ذلك لم تر نفسها على زوجها رغم جمالها، فقد كانت وفية، وكان الحب الذي عاشه مثلاً يضرب للأزواج، وتولى سيدنا عمر في عهد الوليد المدينة المنورة، فاسمعوا إلى حاشية الأمير (أمير المدينة) الذي كان عمره / ٢٥ / سنة.

لقد جمع طائفة من علماء المدينة وصلحائها وأساتذتها وأنا أذكر أسماءهم لتتبارك بذكرها اليوم فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة:

فقد دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر سليمان بن خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجه بن زيد بن ثابت فجعلهم

مستشاريه وحملهم أمام الله رفع كلّ مظلمة إليه فخرجوا يدعون له بالخير، وكانت هذه أولى بوادر سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي عهد إمارته جُدد الحرم المدني كله، وكان يتولى شؤون تجديده بنفسه، ولكن الوليد عزله عن المدينة سنة ٩٣ هـ بسبب شكوى الحجاج للوليد بأن المارقين من أهل العراق يقدمون المدينة يسكنون فيها يشهدون عدل عمر بن عبد العزيز، فعاد هذا الأمير جندياً من جنود الإسلام.

فلما تولى سليمان بن عبد الملك كان مستشاره الأول سيدنا عمر بن عبد العزيز، وفي ليلة مباركة جلييلة، رأى سيدنا عمر في المنام روضة خضراء فيها سيدنا رسول الله ﷺ فقال له: إنك ستلي أمر هذه الأمة، فزع عن الدّم ، فزع عن الدم (كُفَّ عنه) فإن اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز واسمك عند الله جابر.

وتحققت بشارة سيدنا محمد ﷺ فقد عهد سليمان بن عبد الملك لسيدنا عمر بالخلافة سراً، على أن تكون من بعده الخلافة ليزيد بن عبد الملك، وكادت قائمة البيت الأموي تقوم، لولا أنهم عرفوا أنها من بعده ليزيد، ومع ذلك قام بعد وفاة سليمان على المنبر فخلع نفسه، ولكن الناس صاحوا من كل طرف في المسجد: لا نريد غيرك.

معشر الاخوة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى جامع بني أمية الكبير لأنقل لكم على الموجة الإيمانية خطبة العرش، اسمعوا معي بيان سياسة الحكومة الأموية في عهد حضارتها وزهوها ومجدها.

إننا في عام ٩٩ هـ في شهر صفر الخير، وأرى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول:

أما بعد:

فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد القرآن كتاب، ألا ما أحلَّ الله فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حَرَّمَ الله فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا لست بشارع (مشرِّع) ولكني منقِّد، ألا وإني لست بمبتدع ولكن متَّبِع ، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصيته، ألا إني لست بخيركم، ولكني رجل منكم، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. ثم نزل.

وارتجَّت الأرض من دبدبة الموكب الرسمي، وأعدَّت السرايدات الملكية، ما هذا؟

سأل سيدنا عمر، قالوا: الموكب الملكي. فقال: نحوها عني وقربوا لي بغلتي.

وأمر ببيع الموكب الملكي بكل ما فيه وإدخال ثمنها في بيت مال المسلمين.

إخوة الإيمان :

لم يكد يصعد الخليفة الجديد المنبر، ويلقي خطبة العرش، ولم يكد يبيع أثاث الموكب الملكي حتى أدرك الناس أنه أمر ليس كالذي عرفوا، وأنه خليفة ليس كالذين كانوا قبله، ولكنهم في الوقت نفسه خافوا أن يكون رجلاً صالحاً متعبداً فحسب، وأنه سيعجز عن إدارة حكم البلاد الممتدة أجزاؤها من فرنسة إلى الصين وأمسكوا بقلوبهم.

فما الذي حدث؟!

إنَّ الخليفة دخل إلى بيته بعد تشييع جنازة الخليفة سليمان وخطبة العرش، دخل ليرتاح قليلاً من عناء هذا اليوم، فأتاه ابنه الصالح عبد الملك، اسمعوا عندما تكون نطفة الرجل الصالح نابعة من الحلال والصلاح والتقوى، قال له ولده:

- يا أمير المؤمنين! ماذا تصنع. قال: أي بني أقيل. قال: تقيل ولا ترد المظالم؟! قال: أي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر

رددت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين: من لك أن تعيش إلى الظهر؟! قال: ادن مني أي بني. فدنا منه فالتزمه وقبّل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صليبي من يعينني على أمر ديني. فخرج وأمر المنادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها.

فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله. قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبي أرضي، والعباس جالس، فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي، قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل. فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه يا عباس ضيعته. فردها عليه.

فجعل سيدنا عمر لا يدع شيئاً مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة، حتى انتصف النهار وضجر وملّ، فقال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا: دخل. فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال:

- يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن استريح ساعة. فقال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم. فقام عمر فخرج إلى الناس. وحين بلغ الخوارج سيرته قالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل.

وأما رجال البيت الأموي فقد قاموا قومة واحدة. ولم يسكتوا عن فعل ابن عمهم سيد سادات التابعين، فقد كتب إليه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال:

- إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم ولمن بعدهم من أولادهم، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل، إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريتهم فأدخلتها في بيت المال جوراً وعدواناً ولن تترك على هذا.

فلما قرأ كتابه كتب إليه :

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، أمّا بعد:

فقد بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه:

أما أول شأنك ابن الوليد كما تزعم فأملك (بنانة) أمّة السكون، كانت تطوف في سوق حمص وتدخل وتدور في حوانيتها. ثم الله أعلم بما اشتراها ذبيان من فيء المسلمين فأهداها لأبيك ، فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود.

ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً تزعم أني من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل، الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإنّ أظلم مني وأترك لعهد الله من استعملك صبيّاً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة، وكيف ينجو أبوك من خصمائه، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ مال الحرام، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرايياً جافياً على مصر أذن له في المعازف واللهو والشرب، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل العالية البربرية سهماً في خمس العرب، فرويداً يا بن بنانه، فلو التقى حلقتا البطان وردّ الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم في بنيات الطريق، والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين.

أيها الاخوة: وقع الأمن والطمأنينة واستقرار البلاد في عهد الخليفة عمر، علم بهذا كلّ الناس والرعيان في رؤوس الجبال ، فقد سألو الناس: من هذا الخليفة الصالح الذي قام على الناس ؟ فقليل لهم: وما علمكم بذلك وأنتم في رؤوس الجبال ؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كُفّت الذئاب والآساد عن شياها.

وصدق الرعيان فإن ابن عبد العزيز لم ينم ملء عينيه أبداً، بل قعد من فوره يكتب إلى البلاد ويضع الخطة الفورية (لا سنوية ولا خمسية) بل خطة فورية التنفيذ للحكومة الجديدة، وأول أمر أصدره:

١- فك الحصار عن القسطنطينية الذي كان زمن سليمان بعد أن أنهك هذا الحصار الجنود المسلمين وفشت فيهم الأمراض ولم يأت حصارها بطائل، وأمر برجوع الجيش.

٢- ثم عين الوزارة الجديدة، وعزل الأمراء والظلمة والطغاة.

٣- وحل نظام الحرس والشرطة في قصره.

٤- وقام بعمل عظيم ما سمعنا به في التاريخ الإسلامي إلا مرة واحدة، فقد باع كل عقاراته وأملاكه وضمها لبيت مال المسلمين.

ثم توجه إلى أمراء البيت الأموي، فجمعهم ووعظهم وخوفهم في أن يردّوا الحقوق لأصحابها، ولكن بدون فائدة، فعمد إلى الشدة وجردّها منهم بقوة وردّها إلى أهلها أو بيت مال المسلمين.

فوسطوا له عمة كان بنو أمية يوقرونها لسنها وشرفها، وكلمته. فقال لها:

- يا عمة قبض رسول الله فترك الناس على نهر جار، فولي بعده رجل فلم ينتقص منه شيئاً، ثم ولي بعده رجل فلم ينتقص منه شيئاً، ثم ولي بعده رجل فشقّ فيه ساقية صغيرة، ثم لم يزل الناس يشقون السواقي حتى لم يبق منه شيء، وإيم الله لأسدّ السواقي حتى أعيده كما كان.

ودعا بفحم ودينار، فألقى الدينار في الفحم الذي أوقده حتى إذا احمرّ أخذه بشيء وقربه من جلده، وقال:

- يا عمة أما تشفقين على ابن أخيك أن يكوى بهذا يوم القيامة؟

فخرجت عمته فقالت لبني أمية: هذا ذنبكم لم زوجتم أباه بنت عمر بن الخطاب.

وقد صدقت عمة الأمراء فإن صفات سيدنا عمر بن الخطاب قد ظهرت عليه بدءاً من عدله وإلى تواضعه. ومرة كان مستشار الدولة رجاء بن حيوة يدرس مع أمير المؤمنين أوراقاً رسمية، فاحتاج السراج إلى إصلاح، فنادى الخادم فوجده نائماً، فقام رجاء فمنعه، وقال: ليس من الكرم أن يستعمل الرجل ضيفه وأصلحه بنفسه (اسمعوا إلى عظمة التواضع) قال رجاء: أتقوم وأنت أمير المؤمنين. فقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر. ودخل مرة المسجد ليلاً فداس إنساناً نائماً فقال له: أأنت حمار؟! قال: لا، أنا عمر. فَهَمَّ به الحارس الأوحـد للخليفة أن يضربه فقال له: دعه ، سألي أنت حمار؟ فأجبتـه: لا، أنا عمر.

وغضب مرة غضباً شديداً أمام ولده عبد الملك، فلما سكن غضبه قال له ولده: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى؟! فقال له: أما تغضب يا عبد الملك. فقال: بل أكتمه في جوفي حتى لا يظهر منه شيء أكرهه.

وماهي إلا أيام حتى بلغه وفاة ولده عبد الملك، وحين دفنه استوى قائماً وأحاط به الناس فقال:

- والله يا بني لقد كنت براً بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشدَّ سروراً ولا أرجى لخطئي من الله فيك منذ وضعتك في هذا القبر، والله لأن تكون في صحيفتي أحب إلي من أن أكون في صحيفتك يوم القيامة، فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك، رضينا بقضاء الله وسلمنا الأمر إليه ، والحمد لله رب العالمين.

أيها السادة : وعمّ الأمن وهدأت الثورات، وشملت السعادة كلّ الناس، واختفت مظاهر البذخ الفاحش، ومظاهر الفقر المدقع، وصارت هذه البلاد التي تمتد من فرنسة إلى الصين كأنها مدرسة داخلية تعيش الحب والإخلاص في أعظم صوره.

وفاض المال في عهده حتى لم يجد أحداً يأخذ الصدقة، فأرسل منادياً ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ فوفى ديون المدينين ، وزوّج العزّاب والمتزوجين وأغنى الفقراء والمساكين وآوى اليتامى والأرامل . فلما لم يبقى أحد منهم ، اشترى رقاب العبيد وأعتقهم لوجه الله فقد أغنى الجميع وشملت عدالته كل طبقات المجتمع، حتى مع أهل بيته، فقد قدم إلى زوجته فاطمة وعندها مجموعة حلي ليست لامرأة مثلها، فقال لها: إن هذه لا تحلّ لك، وقد أخذت من أموال الله وأنا أخيرك بيني وبينها. قالت: بل أختارك والله على أمثالها، فأخذها ووضعها في بيت المال، فلما مات سيدنا عمر وولي أخوها يزيد ردّها إليها، فتصورت زوجها عمر أمامها وفاض قلبها دمعاً من عينيها، وغلبها حبها لمرضاته على الحلي ولذتها بقيمتها فقالت: لا، والله ما كنت لأعصيه بعد موته، مالي فيها من حاجة، فقسمها الملك بين نسائه.

تقول زوجته السيدة فاطمة : والله ما علمته اغتسل من جنابة أو احتلام منذ استخلف عمر حتى قبضه الله، فقد كانت خلافته نعمة على الناس ونعمة على عمر وآل عمر. وراحت تحمل زينتها فلامها بعض النسوة، فقالت: وهل تصنع الزوجة لزوجها إلا ما يحب؟ قلن: نعم فقالت: فإنه يحبّ هذا مني.

وكان يصلي ليلاً فتصلي زوجته معه بصلاته ويكي من خشية الله فيبكي أهل بيته لبكائه، وتساءله زوجته مرة : مم بكيت؟ فقال: ذكرت يوم ينصرف الناس من بين يدي ربّ العالمين : فريق في الجنة وفريق في السعير.

ومرة سال الميزاب من كثرة دموعه، فسألته: مالك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع،

والعاري المجهود، واليتيم المأسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير والشيخ الكبير وذو العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أنّ ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت.

وجلس زياد العبدي في مجلس سيدنا عمر فسأله فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله؟ قال: سيئ الحال، قال: فإن كانا خصمين الدّين؟ قال: فهو أسوأ حالاً. قال: فإن كانوا ثلاثة؟ قال ذاك حيث لا يهنئه عيش. قال: فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك. فبكى عمر ولم ينقطع عن البكاء حتى تمتى زياد ألا يكون قد حدثه.

وقال لزوجته يوماً: أين نحن من ذلك النعيم الذي كنا فيه؟! فقالت: أنت اليوم أقدر عليه لو أردت. قال لها: يا فاطمة إن لي نفساً تواقة، ما أعطيت شيئاً إلا تافت إلى ما هو أفضل منه، تمنيت الإمارة، فلما أعطيتها تمنيت الخلافة، فلما أعطيتها تمنيت: (احذروا، هل هناك شيء أكبر من الخلافة، هل شيء أعظم من الدنيا) قال: فلما أعطيت الخلافة تمنيت الجنة.

أبيها الأحبة :

كان مورد الخليفة السنوي مئة وخمسين ديناراً في السنة، لم يسكن قصور الخلافة، وإنما أقام في داره في موضع السمساطية اليوم بجوار باب العمارة في الجامع الأموي. وكان يصلح ما وهى من داره بيده، ومرة جاءته امرأة من أقاصي إيران تسأل عن قصر الخليفة، فدلّوها على داره ، فدخلت فإذا رجل يطين جداراً، وامرأة تناوله الطين وهي حاسرة فقالت لها: ألا تحتجبين من هذا الطيان؟ قالت: إنه ليس بطيان ولكنه زوجي أمير المؤمنين.

السيدة فاطمة قريية الخلفاء التسعة تعمل أجيرة طيان، زوجة الخليفة، وأخت الخلفاء.

وكان عنده خادم صغير تقدم له كل يوم العدس، فتذمر الخادم الصغير فقالت له: إنه طعام مولاك أمير المؤمنين.

وحاول مرة ولد من أولاده أن يتناول تفاحة من الفيء، وكان سيدنا عمر يقسمها على الناس فانتزعها من فمة، فذهب الولد يبكي إلى أمه، فاشتريت له تفاحاً من السوق، فلما عاد الخليفة إلى بيته وجد ربح التفاح فقال:

- يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء، فقالت: لا، وقصت عليه القصة، فقال لها: - والله لقد انتزعتها من ابني كأنما نزعناها عن قلبي، ولكني كرهت أن أضيع نصيبي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين.

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم	وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقّت	مدامع عينيك الدموع السواجم
بل أصبحت في النوم وقد دنت	إليك أمور مفطعات عظام
نهارك يامغرور سهوً وغفلةً	وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك مايفنى وتشغل بالمنى	كما غرّ باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف يكره غيبه	كذلك في الدنيا تعيش البهائم

أيها المؤمنون :

مرض الخليفة مرضاً شديداً فكان الناس يعودونه، ومنهم مسلمة بن عبد الملك القائد الفاتح، فأشار على أخته أن تبدل قميص أمير المؤمنين لأنه وسخ، ورجع فرآه مرتدياً القميص نفسه، فأغلط لأخته الكلام، فأطرقت رأسها وبدت في عينيها دمة

وقالت: والله ماله قميص غيره، قميص واحد؟! كم بدلة، كم سيارة؟! كم طيارة؟
كم عقار؟! كم ضيعة؟! كم وكم إلى آخر الكمّات التي لا نهاية لها.

رأى مرة ابنةً له اسمها أمينة فنادها فلم تجب، فأمر بإحضارها فإذا ثوبها مقطّع
فقال لمولاه مزاحم: انظر تلك الفرش التي فتقناها فاقطع لها ثوباً منها، ثوباً من
ملحفة عتيقة لبنت أمير المؤمنين، فهل تقبل به بنت أحد الحاضرين. (وحدوا الله)
(وصلوا على معلم الناس الخير). وجيء إليه مرة بتفاح على دواب البريد فأمر ببيعه
ودفع ثمنه لخزانة بيت مال المسلمين مقابل أجرة الدواب والسيارة الرسمية لبريد الدولة،
أروني اليوم موظفاً يمتنع عن أكل كيس تفاح إذا جاؤوه به في سيارة الدولة وهي
فارغة وقادمة على كلّ حال. ودخل عليه في مرة أخرى مسلمة بن عبد الملك فقال:

- يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال، وتركتهم عيلةً لا شيء
لهم، فلو أوصيت بهم إلي وإلى نظرائي من أهل بيتك.

فقال له: أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال، فوالله ما منعتهم حقاً
هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك لو أوصيت بهم فإن وصيي ووليي فيهم الله
الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

بنيّ أحد الرجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكبٌّ
على المعاصي، فإني لم أكن أقويه على معاصي الله.

ثم بعث إليهم وهم ١٢ ولداً فنظر إليهم وقد ذرفت عيناه وقال:

- بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلةً (لا شيء لهم) ، فإني بحمد الله قد تركتهم
بخير، أي بنيّ إن أباكم مثْلُ بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو
تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحبّ إليه من أن تستغنوا
ويدخل النار، قوموا عصمكم الله.

معاشر المسلمين :

اسمحو لي أن أشهد معكم نهاية هذا الخليفة الراشدي السابع، فقد حضره الموت، وسمعه الناس ينادي مولانا عز وجل ويقول:

أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا أنت.

ورأى الناس الخليفة يؤكد بنظره، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جان. ثم قبض رضي الله عنه وهو ابن تسع وثلاثين سنة في رجب سنة ١٠١ هـ ودامت خلافته سنتين وأشهر وغسل الخليفة، وصلي عليه ودفن في حمص في دير سمعان، وما أن سوي عليه التراب حتى قامت ريح شديدة فسقط عليهم صحيفة بأحسن كتاب، فلما فتحوها قرأوا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار* .

يا أحباب رسول الله :

وعرف الرعاة في رؤوس الجبال أن الخليفة الصالح قد مات ، فقد كانوا يروون أن الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافته في موضع واحد، فعدا ذئب على شاة يوماً، فقال الراعي: إنا لله وإنا إليه راجعون مات الرجل الصالح.

وقد سئل عبد الله بن المبارك العالم الرباني المجاهد، من أفضل عند الله عمر بن عبد العزيز أو معاوية بن أبي سفيان فقال سيدنا عبد الله: لغبار فرس معاوية أفضل عند الله من عمر بن عبد العزيز (ذلك لأنه رأى وصاحب رسول الله ﷺ).

إلى هنا . أيها الاخوة الكرام . تنتهي سيرة الخلفاء الراشدين ، ونبدأ صفحة جديدة إن شاء الله تعالى مع سيرة الفقهاء.

* ابن عساكر في تاريخه.

وهكذا . إخواني في الله . وقفت معكم على مدى حلقات ممتدة بلغت واحدة
وثمانين موقفاً ، مع تاريخ المئة الأولى الهجرية . ويبدو أن الأمة اليوم قد أصبحت
بحاجة لمعرفة تاريخ الأئمة الأربعة ، للتعريف بفضلها وعظمتها ، للرد على من يقول
إنه يريد فقهاً جديداً للأمة ، لأن الفقه القديم فقه مرض ومحنة ، فهل هذا صحيح ؟
هل نصدق هذه الدعوى النفاقية ؟ هذا ما ستبينه الأيام القادمة إن شاء الله
تعالى إذا بقينا هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه
أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم .

صلى الله
عليه وسلم

خطبة النعت^(١٦) :

الحمد لله

الحمد لله ثم الحمد لله.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وما توفيقي
واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وقائدنا وأميرنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً
عبده ورسوله، المرسل رحمة للعالمين.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد^(١٧) :

فاتقوا الله تعالى^(١٨) وحافظوا على الجمع والجماعة وفعل الرواتب، ترفع درجاتكم
في الجنة أعلى المراتب ، واعلموا أن الله تعالى قد أمر بأمر أنالكم فيه تشريفاً وتكريماً،

(١٦) هي الخطبة الثانية على المنبر وهي فرض عند الشافعية.

(١٧) تستحب في بداية كل خطبة ويأتي ما بعدها مربوطاً بالفاء.

(١٨) هذه هي أركان كل خطبة الحمد لله والصلاة على النبي ﷺ وقراءة آية والأمر بالتقوى

والدعاء في الخطبة الثانية

بدأ فيه بنفسه وثني بملائكة قُدسِه ، فقال جلّ وعلا ولم يزل قائلاً عليماً وأمرأً
حكيمًا:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۖ

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على
سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا
محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين ، إنك حميد
مجيد.

وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء والسادة الحنفا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي،
وأرضَ اللهم عن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وعن أمهما فاطمة
الزهراء، وعن جدتهما خديجة الكبرى، وعن عائشة أم المؤمنين، وعن بقية الصحابة
والقراة والتابعين، وعن الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين ومقلديهم وتابعيهم
بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم لا تجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامه، ونجنا بحبهم من أهوال يوم القيامة.
اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات،
إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات.

اللهم أئِد الإسلام وانصر الحق وأهله على الدوام واجمع أمر المسلمين لما فيه
سعادة دنياهم وأخراهم، اللهم من أراد لهم الخير فوفقه لكل خير ، ومن أراد لهم غير
ذلك فخذة أخذ عزيز مقتدر.

(١٩) هنا على الناس أن يقولوا الحمد لله .

يا فارج الهم ، ويا كاشف الغم ، ويا منزل المطر، ويا مجيب دعوة المضطر، يا
رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنا فارحمنا رحمة تغننا بها عن رحمة من سواك.

يا إلهنا بالتحقيق، يار كننا الوثيق، يا مولانا الشفيق، يا رب البيت العتيق،
أخرجنا من حلق المضيق إلى سعة الطريق وفرج من عندك قريب وثيق واكشف عنا
كلَّ شدة وضيق.

يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،
انصرنا فإنك خير الناصرين ، ووحد كلمتنا وألف بين قلوبنا، يا غني يا حميد يا
مبدئ يا معيد يا رحيم، يا ودود أغننا من فضلك، من كرمك، من جودك، من
عطائك يا أكرم الأكرمين، إليك توجهنا، في بابك وقفنا، ها هي أيدينا مبسوطة إلى
كرمك فأعطنا يا الله، اقض حوائجنا، فرج كربنا، اشف أجسامنا ، يا شافي يا
معافي لا شفاء إلا شفاؤك، يا رباه، يا غوثاه، أغث المسلمين، أغث المؤمنين، يا
مغيث ، يا حي يا قيوم، أجب دعانا بكرمك يا مولانا، والحمد لله رب العالمين،
وصلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



ذكرى تاريخ الخلفاء

اسم الخليفة	مدة الخلافة	تاريخ الخلافة	عمر الخليفة
سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه	سنتان ونصف	١١-١٣ هـ	٦٣ سنة
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٠ سنوات و ٦ أشهر	١٣-٢٣ هـ	٦٣ سنة
سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه	اثنى عشرة سنة	٢٣-٣٥ هـ	٨٧ سنة
سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٥ سنوات إلا ٣ أشهر	٣٥-٤٠ هـ	٥٧ سنة
سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه	ستة أشهر	٤٠-٤١ هـ	٤٤ سنة

ابتدأت الدولة الأموية سنة ٤١ هـ ولغاية ١٣٢ هـ = ٩٢ سنة

سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما	عشرون سنة	٤١-٦٠ هـ	٨٠ سنة
يزيد الفاسق	ثلاث سنوات	٦١-٦٤ هـ	٣٨ سنة
مروان بن الحكم	سنة واحدة	٦٤-٦٥ هـ	٦٣ سنة
الخليفة عبد الملك بن مروان	١٣ سنة ونصف	٧٣-٨٦ هـ	٦٠ سنة
الخليفة الوليد بن عبد الملك	عشرة سنوات	٨٦-٩٦ هـ	٤٩ سنة
الخليفة سليمان بن عبد الملك	سنتان ونصف	٩٦-٩٩ هـ	٤٥ سنة
سيدنا عمر بن عبد العزيز	سنتان وأشهر	٩٩-١٠١ هـ	٣٩ سنة

اعلم: أن الدولة الأموية اتسمت بالطابع العربي، وحب ملوكها للعلوم، ونشر الكتب والترجمة، وبناء المساجد الكبرى، واتساع رقعة الدولة الإسلامية.

خادم العلم الشريف

عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني